موسوعة

التاريخ الإسلامي

والحضارة الإسلامية

٨

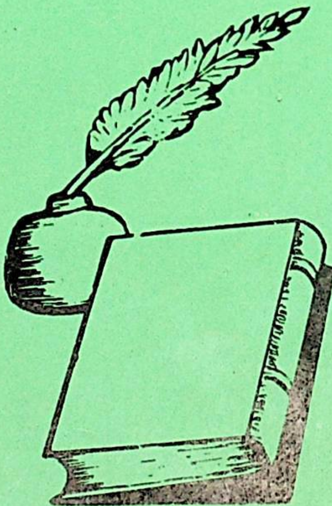
الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا

إيران ـ افغانستان ـ الباكستان ـ بنجالاديش ـ ماليزيا ـ إندونيسيا
من مطلع الإسلام حتى الآن

الأقليات الإسلامية ومشكلاتها :
بالهند والاتحاد السوڤييتي والصين والفيليبين وسنغافورة

تأليف
الدكتور أحمد شلبي
دكتوراه من جامعة كمبردج

استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة





الطبعة الأولى ١٩٨٣

مع إضافات واسعة وتحقيقات جديدة

موسوعة

التاريخ الإسلامي

والحضارة الإسلامية

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة أجزاء لتاريخ العالم الاسلامى كله ، من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران وتطوير الفكر البشرى

٨

الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا

إيران - أفغانستان - الباكستان - بنجلاديش - ماليزيا - إندونيسيا

من مطلع الإسلام حتى الآن

الأقليات الإسلامية ومشكلاتها :

بالهند والاتحاد السوفييتى والصين والفيليبين وسنغافورة

تأليف

الدكتور أحمد شلبى

دكتوراه من جامعة كمبردج
أستاذ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

التاريخ ....

شعاع من الماضي ينير الحاضر والمستقبل

خطة البحث فى هذه الموسوعة

ان خطة البحث التى أتبعها فى كتابة « التاريخ الاسلامى » خطة جديدة ومريحة ، ويسرنى أن أبرزها فى التخطيط التالى ، ليعرفها القارىء ، وليسهل عليه متابعتها :

دراسة زمنيــــة فى هذه الأجزاء الثلاثة ، اذ أن العالم الاسلامى كان وحدة واحدة	جـ ١	العرب قبل الاسلام — السيرة النبوية العطرة وجوانب من السيرة تدوَّن لأول مرة — عصر الخلفاء الراشدين
	جـ ٢	الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها
	جـ ٣	الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ، وبدور المسلمين خلاله فى خدمة الدراسات الاسلامية والعالمية (تفاصيل الدراسة عن العصور العباسية الأخرى ستأتى فى الأجزاء التالية)

دراسة مكانية (قطاعات جغرافية) فى الأجزاء الخمسة التالية لأن العالم الاسلامى انقسم الى دويلات كثيرة ، ويشمل كل جزء من أجزاء الموسوعة قطاعا من العالم الاسلامى ، بحيث يتناول تاريخه من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر مبتدئين من الغرب ومتجهين الى الشرق كالتخطيط التالى :

الجزء الثامن	الجزء السابع	الجزء السادس	الجزء الخامس	الجزء الرابع
الاسلام والدول الاسلامية غير العربية بآسيا : ايران — أفغانستان — الباكستان — بنجلاديش — ماليزيا — أندونيسيا منذ دخولها الاسلام حتى الآن — الأقليات الاسلامية بالهند والصين والاتحاد السوفيتى والفلبين وسنغافوره	الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق ، من مطلع الاسلام حتى الآن — دول الجزيرة العربية : المملكة العربية السعودية — عمان — اليمن — جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية — دولة الامارات العربية — قطر — البحرين — الكويت — ثم العراق	الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخولها الاسلام حتى الآن دراسة عن : — وسائل انتشار الاسلام بقلب افريقية — الدول الاسلامية قبل الاستعمار الأوربى — الدول الاسلامية الحالية : موريتانيا — السنغال — جامبيا — غينيا — مالى — النيجر — نيجيريا — تشاد — السودان — الصومال — جيبوتى	— مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر — الحروب الصليبية : دوافعها — أدوارها — نتائجها — الامبراطورية العثمانية (تركيا) — منذ ظهورها حتى الآن	— الأندلس الاسلامية وانتقال الحضارة الاسلامية منها الى أوربا — المغرب — الجزائر — تونس — ليبيا ، من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر — السنوسية : مبادئها وتاريخها

وتختم الموسوعة بدراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر :

الجزء العاشر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : حوليات عصر محمد نجيب : الواجهة حوليات عصر جمال عبد الناصر : عصر المظالم والهزائم

الجزء التاسع : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : عصر أنور السادات : نجــاح فى الشــئون الخارجية واخفــاق فى الشــئون الداخلية

كتب للمؤلف

أولا : موسوعة التاريخ الاسلامى

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة أجزاء لتاريخ العالم الاسلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشرى :

١ ـ الجزء الأول : (الطبعة الحادية عشرة)

ـ مقدمة الموسوعة : نطاق التاريخ الاسلامى ـ تفسير التاريخ ـ هل التاريخ علم ؟ .. فلسفة التاريخ ـ فائدة التاريخ ـ مراحل تدوين التاريخ ـ قضية الالتزام فى كتابة التاريخ الاسلامى ـ علم التاريخ بين المسيحية والاسلام ...

ـ تاريخ العرب قبل الاسلام : البدو والحضر ـ حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ـ السيرة النبوية العطرة : جوانب من السيرة تدون لأول مرة

ـ الدعوة الاسلامية وفلسفتها ـ عصر الخلفاء الراشدين

٢ ـ الجزء الثانى : (الطبعة السادسة)

الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية فى عهدها .

٣ ـ الجزء الثالث : (الطبعة السابعة)

الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ، وبدور المسلمين فى خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية .

٤ ـ الجزء الرابع : (الطبعة السادسة)

ـ الأندلس الاسلامية ، وانتقال الحضارة الاسلامية الى أوربا عن طريقها .

ـ المغرب ـ الجزائر ـ تونس ـ ليبيا (من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر) .

ـ السنوسية : مبادئها وتاريخها .

٥ ـ الجزء الخامس : (الطبعة السادسة)

ـ مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر .

ـ الحروب الصليبية : دوافعها ـ أدوارها ـ نتائجها .

ـ الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ نشأتها حتى الآن .

٦ ــ الجزء السادس : (الطبعة الثالثة)

الاســـلام والدول الاســـلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلهـــا الاســـلام حتى الآن :

ــ دراسة عن وسائل انتشار الاسلام :
مراكز الشمال ــ هجرات عربية وغير عربية ــ التجار ــ الطرق الصوفية ــ مراكز داخلية .
ــ الدول الاسلامية قبل الاستعمار الأوربى :
غانة ــ مالى ــ صنغى ــ دول الهوسا ــ برنو ــ باجـــرمى ــ واداى ــ الفونج ــ مقدشو ــ مملكة الزنج .
ــ الدول الاسلامية الحالية :
موريتانيا ــ السنغال ــ جامبيا ــ غينيـــا ــ مالى ــ النيجر ــ نيجيريا ــ تشاد ــ السودان ــ الصومال ــ جيبوتى .

٧ ــ الجزء السابع : (الطبعة الثانية)

الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق :

ــ دول الجزيرة العربية من مطلع الاسلام حتى الآن :
المملكة العربية السعودية ــ اليمن ــ جمهورية اليمن الجنوبية ــ عمان ــ دولة الامارات العربية ــ قطر ــ البحرين ــ الكويت .
ــ العراق من مطلع الاسلام حتى الآن .

٨ ــ الجزء الثامن :

الاسلام والدول الاسلامية غير العربية بآسيا من مطلع الاسلام حتى الآن :

ايران ــ افغانستان ــ الباكستان ــ بنجلاديش ــ ماليزيا ــ اندونيسيا
الأقليات الاسلامية فى الهند والصين وروسيا والفيليبين . .

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر

٩ ــ الجزء التاسع : (الطبعة الثانية)

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم . عصر محمـــد نجيب وعصر جمـــال عبد الناصر (عصر المظالم والهزائم) .

١٠ ــ الجزء العاشر :

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم ، عصر أنور السادات . (عصر النجاح فى الشئون الخارجية والفشل فى الشئون الداخلية) .
(ترجمت أكثر أجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات)

كتب للمؤلف

ثانيا : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة اجــزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية التى جاء بها الاســلام لهداية البشرية فى شــئون العقيدة ، والسياسة ، والاقتصــاد ، وفى مجــال الحيــاة الاجتماعية والتربوية والعســكرية ، والتشريعية والقضائية ، كما تبرز جهود المسلمين فى الحضارة التجريبية ،

واجزاؤها هى :

١١ ــ الجزء الأول : تاريخ المناهج الاسلامية (الطبعة الثانية)

مناهج التعليم فى صدر الاسلام ــ انحرافاتها فى عصــور الظلام ــ وجوب تصحيحها .

١٢ ــ الجزء الثانى : الفكر الاسلامى : منابعة وآثاره (الطبعة السادسة)

١٣ ــ الجزء الثالث : السـياسة (الطبعة الخامسة)

فى التفكير الاســلامى

مع المقارنة بالنظم السياسية المعاصرة .

١٤ ــ الجزء الرابع : الاقتصــاد (الطبعة الخامسة)

فى التفكير الاســلامى

مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة . ومع دراسة شاملة للنقاط التالية :

١ ــ الاسلام والقضايا الاقتصادية الحديثة مثل شهادات الاستثمار والايداع بالبنوك ...

٢ ــ النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور واثر الفكر الاسلامى فيهــا .

٣ ــ خطر الشيوعية على الأديان والانسان والدول .

١٥ ــ الجزء الخامس : التربية الاسلامية (الطبعة السابعة)
نظمها ــ تاريخها ــ فلسفتها

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولمناهج التعليم وامكنته ، ولحالة المدرسين المالية والاجتماعية ، والاجازات العلمية ، والعقوبات ، والجوائز ، والمكافآت ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين ، وتكافؤ الفرص بين التلاميذ ، وتوجيههم حسب مواهبهم ..

١٦ ــ الجزء السادس : المجتمع الاسلامى (الطبعة السادسة)
أسس تكوينه .. اسباب ضعفه .. وسائل نهضته

١٧ ــ الجزء السابع : الحياة الاجتماعية (الطبعة الثالثة)
فى التفكير الاسلامى

ــ فى نطاق الأسرة : كالختان وتحديد النسل وعمل المراة ...

ــ وفى نطاق المجتمع : كالأفراح والمآتم والموسيقى والغناء ...

١٨ ــ الجزء الثامن : تاريخ التشريع الاسلامى (الطبعة الثانية)
وتاريخ النظم القضائية فى الاسلام
مع بحوث واسعة عن القرآن الكريم : المصدر الأول للتشريع
ومع دراسة شاملة لمصادر التشريع الأخرى

١٩ ــ الجزء التاسع : الجهاد والنظم العسكرية (الطبعة الثالثة)
فى التفكير الاسلامى

بحث علمى يبرز موقف الاسلام من السلم والحرب ، كما يبرز اتجاهات الاسلام فى مشكلات الحرب كالاستعداد للجهاد ووسائله ، واخلاق المجاهد ، والخديعة فى الحروب ، والثبات والفرار ، والرباط ، والتجسس والخيانة ، والهدنة والأسرى ..

٢٠ ــ الجزء العاشر : رحلة حياة (الطبعة الثالثة)
تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الاسلامية

كتب للمؤلف

ثالثا : مقـــارنة الأديـــان

سلسلة من الكتب فى مقارنة الاديان ، تعتمـد على أدق المراجـع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق وتشمل :

٢١ ــ الجزء الأول : اليهـودية : (الطبعة السابعة)

ــ دراسة لشتى المسائل اليهودية : اليهـود فى التاريخ من عهـد ابراهيم حتى الآن : الصهيونية ، أنبياء بنى اسرائيل ، عقيدة بنى اسرائيل ، يهوه اله بنى اسرائيل ، التعدد والتوحيد فى الفكر اليهودى ، التابوت والهيكل ، الكهنة والقرابين ...

ــ مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء صهيون .

ــ اليهود فى الظلام : الماسونية ، والروتارى ، الاغتيال ، التجسس ، البابية والبهائية .

ــ من صور التشريع فى اليهودية .

٢٢ ــ الجزء الثانى : المسيحية : (الطبعة السابعة)

ــ المسيح والمسيحية فى نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة .

ــ بولس واضع المسيحية الحالية ، التثليث ، صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر .

ــ شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، المجامع ، طبيعة المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهبنة والاديرة ، خرافة ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون ، حركة الاصلاح الدينى ونتائجها ونقدها .

٢٣ ــ الجزء الثالث : الاســلام : (الطبعة السابعة)

ــ الله فى التفكير الاسلامى ، النبوة فى التفكير الاسلامى ، غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ، الدين المعاملة ، المراة فى الاسلام ، الرق وموقف الاسلام منـه ، السياسة والاقتصاد فى الاسلام .

٢٤ ــ الجزء الرابع : اديان الهند الكبرى : (الطبعة السادسة)

« الهندوسية ــ الجينية ــ البوذية »

ــ تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات فى الهند ، الأديان فى الهند .

ــ دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا : مهابهارتا : يوجاواسستها ، كيتـا .

ــ أهم العقائد الهندية : الكارما والتناسخ ، الانطلاق والنرفانا ، وحدة الوجـود .

ــ تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعيها .

كتب للمؤلف

رابعا : كتب فى الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢٥ — كيف تكتب بحثا أو رسالة (الطبعة السادسة عشرة)
دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه

كتابان باللغة الانجليزية هما :

مكتبة النهضة المصرية
٢٦ — ISLAM : Belief - Legislation - Morals
٢٧ — History of Muslim Education

وكتب باللغة الاندونيسية والماليزية :

Pustaka National (Singapore)

٢٨ — Negara dan Pemerintahan Dalam Islam
٢٩ — Masjarakat Islam
٣٠ — Hukum Islam
٣١ — Sedjarah dan Kebudajaan Islam 1
٣٢ — Sedjarah dan Kebudajaan Islam 11
٣٣ — Sedjarah dan Kebudajaan Islam 111
٣٤ — Perbandingan Agama (Jahudi)
٣٥ — Perbandingan Agama (Masihi)
٣٦ — Perbandingan Agama (Islam)
٣٧ — Perbandingan Agama (Agama2 yang Terbeser di India : Hindu-Jaina-Buddha)
٣٨ — Sadjarah Pendidikan Islam
٣٩ — Politik dam Ekonomi Dalan Islam
٤٠ — Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam
٤١ — Perkembangan Keagamaan Dalam Islam dan Masehi
٤٢ — Perang Salib
٤٣ — Kurikulum Islam Dalam Perkembangan Sedjarah
٤٤ — Pengajian Al Quraan
٤٥ — Sedjarad Kehakiman Dalam Islam

كتب للمؤلف

خامسا : تعليم اللغة العربية لغير العــرب

وقواعد اللغة العربية

— برنامج شامل ميسَّر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
— أول سلسلة من نوعها فى المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
— دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
— تضم هذه السلسة الكتابين التاليين :

٤٦ — تعليم اللغة العربية لغير العرب : (الطبعة الثالثة)

يبدأ هذا الكتاب من المرحلة الأولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة ، فالتعبير ، فالاملاء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب الى مرحلة متقدمة فى القراءة والمحادثة والكتابة ، مستعملا فى هذه المرحلة موضوعات جذابة من الفكر الاسلامى والعربى اختيرت من أمهات الكتب العربية ثم صيغت فى أسلوب مناسب ، مع أسئلة وتمرينات مفيدة .

٤٧ — قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : (الطبعة الثالثة)

عرض لجميع ابواب النحو العربى بطريقة تربوية سهلة
ودراسة واضحة لأهم أبواب الصرف

هذا الكتاب ضرورى للمثقف العربى وغير العربى

كتب نفدت ولن يعــاد طبعها

٤٨ — فى قصور الخلفاء العباسيين :
اكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة .

٤٩ — مصر فى حربين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :
واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٩ من هذه القائمة .

٥٠ — الحكومة والدولة فى الاسلام :
واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٣ من هذه القائمة .

٥١ — الاشتراكية : دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحى :

٥٢ — النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور وأثر الفكر الاسلامى فيها .
واكثر مادة هذين الكتابين تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة .

كتب للمؤلف

سادسا : المكتبة الاسلامية المصوّرة

لكل الأعمار

١٠٠ جزء من سير عظماء الاسلام ومن التاريخ والحضارة وقصص القرآن للأولاد والشباب والسيدات والرجال

ظهر منها الأجزاء التالية :

ج ١ محمد قبل البعثة
ج ٢ من غار حراء .. الى غار ثور (قصة الاسلام فى مكة)
ج ٣ الاسراء والمعراج : دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات
ج ٤ الهجرة للمدينة ووسائل الاستقرار بها
ج ٥ الرسول الداعية ومربى الدعاة
ج ٦ الرسول فى بيته : ازواجه — أولاده واحفاده — خدمه
ج ٧ الرسول فى بيته : مشكلات الحياة فى بيت الرسول وكيف عالجها
ج ٨ الرسول بين أصحابه — الرسول يربى الفرد المسلم ويربى المجتمع الاسلامى
ج ٩ الرسول يربى القضاة ، ويربى القوة العسكرية ، ويربى الولاة والحكام
ج ١٠ الرسول والشباب — الرسول والعمل
ج ١١ توجيهات طبية يقدمها الرسول — مكرمات للرسول — الرسول والمنافقون
ج ١٢ الرسول والنصارى — الرسول واليهود
ج ١٣ الاسلام والقتال ، وهل انتشر الاسلام بالقوة او بالدعوة — غزوة بدر ودراسات جديدة حولها — اهم احداث غزوة بدر
ج ١٤ غزوة أحد والهزيمة التى اخافت المنتصر — غزوة الأحزاب وكلمة عن سلمان الفارسى
ج ١٥ صلح الحديبية — كتب الرسول للملوك والرؤساء
ج ١٦ فتح مكة — غزوة حنين والطائف — الصراع ضد الروم — الفترة الأخيرة فى حياة الرسول
ج ١٧ أبو بكر الصديق : حياته وعصره والمشكلات التى واجهها
ج ١٨ عمر بن الخطاب والتوسع فى عهده — عمر بانى الدولة الاسلامية
ج ١٩ عثمان بن عفان والفتنة فى عهده
ج ٢٠ على بن أبى طالب : شخصيته وحياته والمشكلات التى واجهها
ج ٢١ العشرة المبشرون بالجنة
ج ٢٢ المرأة فى الاسلام ونماذج من خيرة المسلمات
ج ٢٣ الدولة الأموية : تاريخ يحتاج الى انصاف
ج ٢٤ الدولة الأموية : مواهب فريدة : الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز
ج ٢٥ الدولة الأموية : التوسع الاسلامى العظيم فى عهدها
ج ٢٦ الدولة الأموية : نشاط الشيعة خلالها وقصة استشهاد الامام الحسين

(الأجزاء التالية ستظهر تباعا ان شاء الله)

محتويات الكتاب

الموضـــــوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة

شبه القـــارة الهندية

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضــــوع — الصفحة

الأقليات الإسلامية فى آسيا

الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى

الإسلام والمسلمون فى الصين

الموضـــــوع | الصفحة

الإسلام والمسلمون فى الفيلبين

الخرائط والصور

مقدمة

الجزء الثامن من موسوعة التـاريخ الاسلامى مهم للغـاية ، لأنه يدرس تاريخ البلاد الاسلامية غير العربية بآسيا ، وهى منطقة فسيحة ضخمة ، لعب أهلها دورا كبيرا فى خدمة الاسلام ، ولكن لما كانت هـذه البلاد غير عربية فان تاريخها لم يجد العناية من المؤرخين العرب الذين ألقى عليهم غالبا عبء الحديث عن الاسلام والمسلمين ، ومن الواضح أن هذه البلاد نشأ بها عدد كبير من الباحثين فى الدراسات الاسلامية ، وكتب هؤلاء فى العقيدة الاسلامية والفكر الاسلامى ، ولكن المؤرخين منهم كانوا قلائل ، وكـانوا محليين بمعنى أنهم كتبـوا عن تاريخ بلادهم ، أو على الأكثر كتبوا شيئا عن الخلافة الاسلامية فى عهودها المبكرة ، ولم يخطر لهم أن يربطوا تاريخ بلادهم بتاريخ العالم الاسلامى .

وعلى هذا يمكن أقول إن هذه الموسوعة هى أول دراسة تضم الدول الإسلامية عربية وغير عربية فى نطاق واحـد ، وتربط مصيرها بعضها ببعض ، وتوضح أنها عقد واحد يزدهى ويتلألأ طالما تماسك وترابط .

وهذه الموسوعة بذلك تصحح التعبير المعروف « التاريخ الاسلامى » فطالما سميت المادة مادة « التاريخ الاســلامى » ولكن الدراسة اتجهت فقط الى التاريخ العربى أى الى دراسة تاريخ الحجاز ودمشق وبغداد والقاهرة ، فاتجهت هذه الموسوعة الى دراسة تاريخ مئات الملايين من المسلمين عربا كانوا أو غير عرب ، فأَمامَ الاسلام يتساوى الجميع ، ومن هنا يلتقى هذا الجزء بالجزء السادس من هذه الموسوعة فكلاهما يدرس تاريخ البلاد الاسلامية غير العربية ، فالجزء السادس اتجه لدراسة البلاد الاسلامية غير العربية جنوب صحراء افريقية ، وهذا الجزء اتجه لدراسة تاريخ الاسلام والدول الاسلامية غير العربية بآسيا .

ومن الواضح أن هذا الجزء يدرس تاريخ دول لهـا حضارات عظيمة قبل الاسلام ، وقد كان للمسلمين نصيب كبير فى إحياء ما لا يتعارض مع الاسلام من حضارات الماضى التى كانت قد ذوت قبل الاسلام وشملها

الدبول ، وأصبحت هذه الحضارات بعد إحيائهــا حضارات يكتنفها ظل الاسلام •

ولهذا الجزء في نفسى مكانة خاصة فهو يشمل الحديث عن تاريخ بلاد أعدُّها وطنى الثانى ، انهــا إندونيسيا التى عشت بها ست ســنوات (١٩٥٥ ــ ١٩٦١) هى أجمل وأمتع سنوات العمر ، أقبلتْ على تلك البلادُ خلالها وأقبلتُ عليها ، فمنحتنى الحب والحنان الى أقصى الحدود ، ومنحتها من عقلى وقلبى وفكرى أسمى ما يستطيع معلم أو مفكر أن يمنح ، وبدأت منذ ذلك الحين أكتب تاريخ تلك البلاد ، ولم يتوقف جهدى فى هذا السبيل منذ ذلك الحين ، ولذلك تجدنى سعيدا كل السعادة أن أقَدّم هذا الجزء للقارىء المسلم بوجه خاص وللمثقف بوجه عام •

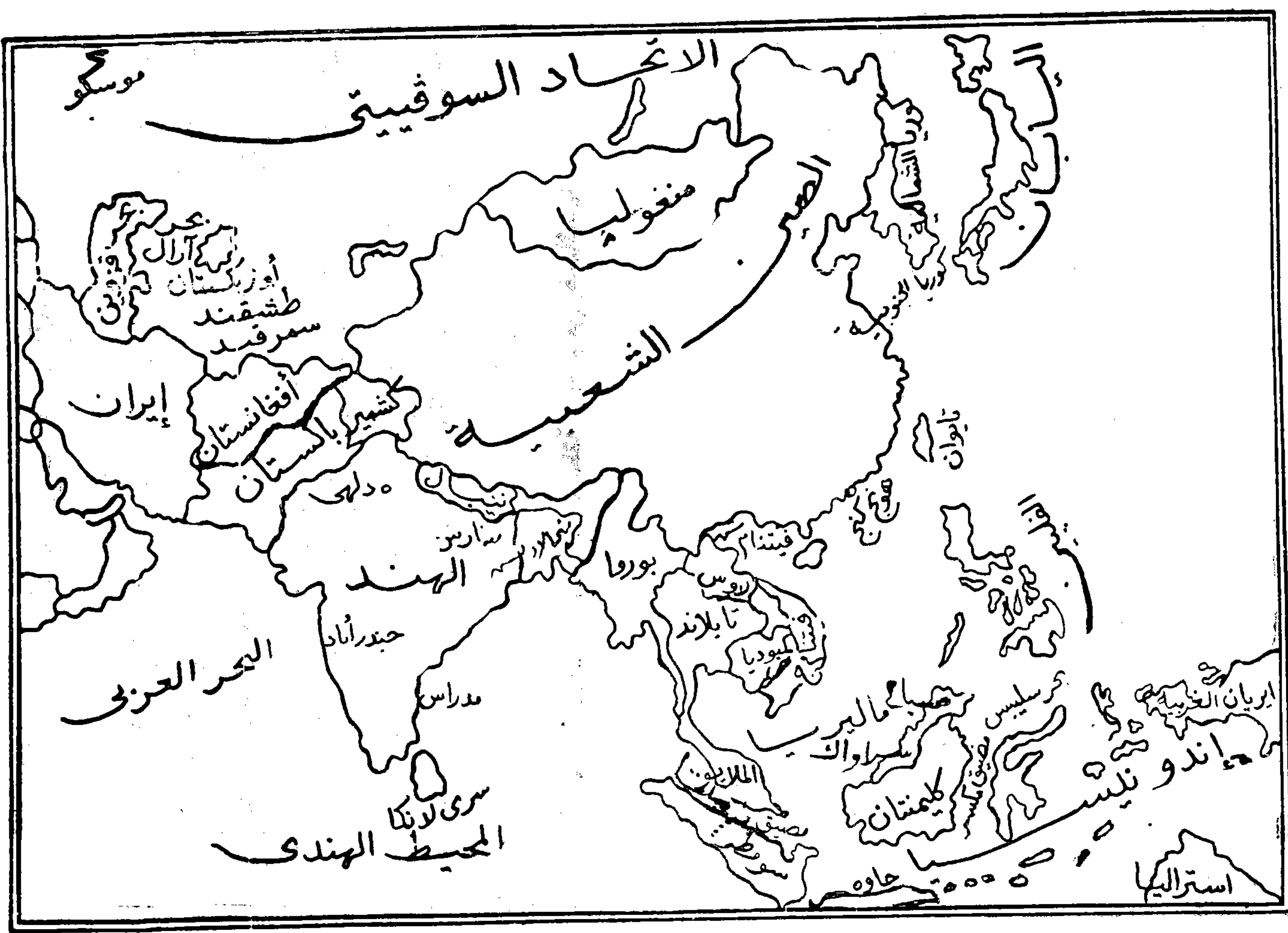
ويشمل هذا الجزء تاريخ ايران وأفغانستان والباكستان وبنجالاديش وماليزيا وأندونيسيا ، وتاريخ الأقليات الاسلامية فى الهنــد والاتحــاد السوفييتى والصين والفلبين ، ومناطق جنوب شرقى آسيا ، وبهذا يتضح أن هذا الجزء يشمل تاريخ بعض البلاد التى لا يُعرَف تاريخُها للكثيرين ، وذلك ما يدفعنى لشكر الله العلى العظيم أن وفقنى لكتابة هذا الجزء الذى يملأ فراغا كبيرا فى الدراسات التاريخية والمكتبة العربية •

وستمتد دراستنا لتاريخ هذه المنطقة منذ دخلولها الاســلام حتى العهد الحاضر ، وهى دراسة شاقة ولكنها لذيذة لأنهــا تيسر الاطــلاع والمعرفة لطلاب العلم والمعرفة •

والله المسئول أن يمنحنا العون ، وأن ينفع بهذا العمل كاتبه وقارئه وهو المســتعان •

دكتور أحمد شلبى

فى الثالث من يوليو سنة ١٩٨٢



خريطة البلاد التي ستشملها الدراسة بهذا الجزء

خطة الدراسة فى هذا الجزء

سنتكلم عن الدول الاسلامية بهذا الجزء بترتيب موقعها الجغرافى من الغرب الى الشرق ، وعلى هذا فسنبدأ بالكلام عن إيـــران فأفغانســـتان فالهند التى يمتد الحديث عنهـــا حتى تنقسم الى الهند وباكستان ، وحتى تستقل باكستان الشرقية وتسمى بنجالاديش ، وقبـــل أن نترك شـــبه القارة الهندية نتكلم عن المسلمين فى الهند الحالية ، ثم ننتقل من شبه القارة للحديث عن جنـــوب شرقى آســـيا وبخاصـــة عن ماليزيا فإندونيســـيا ، وبعد ذلك نتحدث عن الأقليات الاسلامية بالاتحاد السوفييتى والصين والفيلبيين ..

ولنبدأ بكلمة مجملة عن المنطقة كلها وعن خصائصها .

آســـيا

آسيا من أكبر القارات فى العـــالم وأكثرها سكانا ، وهى شـــديدة الاتصال بأوربا ولا يفصلها عنها الا البسفور والدردنيل وبحر إيجـــه ، ومن أجل شدة الاتصـــال بين آســـيا وأوربا ، يطلق الجغرافيون كلمـــة (أوراسيا) على كتلة الأرض التى تشمل القارتين .

وآســـيا مهـــد لكثير من الـــديانات الشهيرة كالبرهميـــة والبوذية والزرادشتية والكنفوشية واليهودية والمسيحية والاســـلام ، وفى آسيا كذلك نشأت عدة حضارات عظيمة كحضارة آشور وبابل والفينيقيين ، والحضارة الهندية والصينية .

وتكثر فى آسيا الجزر الفسيحة الآهلة بالسكان ومن أشهر هـــذه الجزر جزر اليابان والفلبين وإندونيسيا ثم جـــزيرة فرموزا (تايوان) وهونج كونج ، كما تكثر بآسيا أشباه الجزر مثل كوريا وشبه جزيرة الهند الصينية وشبه جزيرة الملايو وشبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى .

وفى آسيا كثير من المضايق التى تتحكم فى الصـــلات العـــالمية ومن المضايق الاسلاميةمكسر وملقا وهرمز وباب المندب والدردنيل والبوسفور . وهناك قناة صناعية لها أهمية كبيرة تقع بين آسيا وافريقية هى قنـــاة السويس .

وآسيا بلاد خصبة تكثر بها الأنهـــار والمزارع الواســـعة للحبوب والفاكهة .

وبها جبال شاهقة ومن أكثرها ارتفاعا جبال الهملايا التى تقع بها قمة ايفرست على ارتفاع حوالى تسعة آلاف متر .

وبها كذلك صحارى فسيحة يقع الكثير منها فى البلاد الاسلامية التى ستكون موضوع دراستنا المفصـــلة فيما بعد .

وكما أن آسيا غنية بمزارعها الفسيحة فهى كذلك غنية بالبترول الذى انبثق فى عدة أماكن منها ، وكان للبلاد الاسلامية منه نصيب موفور •

وآسيا مهد الدعوة الاسلامية ، فقد بدأت الدعوة الاسلامية فى الحجاز الذى يقع فى الطرف الغربى للقارة وسرعان ما امتد الاسلام من الحجاز فشمل شبه الجزيرة العربية كلها تقريبا فى عهد الرسول صلوات الله عليه • ثم اندفع الاسلام فى عهد الخلفاء الراشدين فشمل الشام ومصر والعراق وفارس ، وتهاوت أمامه أكبر إمبراطوريتين عرفهما ذلك الزمان وهما ابراطورية الروم وامبراطورية الفرس ، ثم امتد الاسلام فى آسيا فشمل أرمينيا والقوقاز وخوارزم وتركستان وخراسان وكل ذلك قبل نهاية القرن الهجرى الأول ، وبهذا دخلت بلاد ايران وما وراء النهر وأفغانستان ••• فى الاسلام •

وفى أواخر القرن الهجرى الأول وأوائل القرن الهجرى الثانى عبر الاسلام حدود الهند واستقر المسلمون فى السند ، وبلغوا حدود الصين• ثم انتشر الاسلام بعد ذلك فى شبه القارة الهندية وتكونت فى الهند امبراطورية اسلامية كبرى هى امبراطورية المغول وخلال هذا الوقت وقبله وبعده اندفع الاسلام الى جزر الهند الشرقية والى الفلبين ووصل ساحل الصين الشرقى •

وسنتدارس فيما يلى خطوات الاسلام وهو يزحف فى آسيا قطرا اثر قطر •

والله المأمول أن يهبنا التوفيق •

إِيرَانُ

المساحة والموقع :

مساحة ايران الحالية حوالى ١٫٦٢٨٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، وقد حددت حدودها الحالية فى القرن التاسع عشر نتيجة لسلسلة من الحروب أدت الى هذا الانكماش وكانت حدودها فيما مضى تشمل أفغانستان وأجزاء من الهند وتركستان والقوقاز وآسيا الصغرى وبلاد الكلدان والآشوريين وسوريا ومصر ... حتى يقال انها كانت تحكم أكثر العالم المعروف آنذاك (١) وقد ظلت على ذلك حوالى قرنين من الزمان ثم سقطت فى يد الاسكندر الأكبر سنة ٣٣١ ق ٠ م وهو أول أوربى وصل الى نهر الإندوس (٢) .

وتقع ايران غربى آسيا ، وتحدها من الشمال بلاد القوقاز التابعة لروسيا السوفييتية وبحر قزوين ، ومن الجنوب خليج عمان والخليج الفارسى (العربى) ، ومن الغرب العراق وتركيا ، ومن الشرق أفغانستان وباكستان .

وأهم مناطقها خراسان وكرمان وفارس وأصفهان وكاشان وطهران (وفيها العاصمة) ومازندان وخوزستان (عربستان) وكورستان وهمدان وكردستان ، وجيلان وستتضح هذه المناطق من الخريطة التالية :

---

(١) القزوينى : آثار البلاد واخبار العباد ص ٢٣٣ وانظر كذلك صادق نشأت ومصطفى حجازى صفحات عن ايران ص ١٣ .

(٢) بروفسور رومين : يقظة العملاق ص ١٤٠ من الترجمة العربية .

إيــران وأهــم أقاليمهــا

السكان واللغــات :

ويسكن بلاد ايران أقوام من أجناس متباينة تتعدى مواطن سكناهم أو تحركاتهم القبلية الحدود الفعلية للبلاد ، وبسبب تبــاين الأجناس تتعدد اللغات فى ايران وان كانت الفارسية أوسعها انتشارا .

وقد بقى تعدد اللغات حتى العهد الحاضر بسبب الحياة الانعزاليــة التى تعيشها طوائف الفلاحين فى مناطق الوديان بين المرتفعات الشاهقة ، وكانت الروابط قليلة بين كل طائفة من هذه الطوائف وبين العالم ، وكانت الجماعة تسد حاجاتها بنفسها ، مما حافظ على سلالات بشرية متعددة ، وعلى لغات مختلفة (١) .

واذا أردنا أن نورد مزيدا من الحديث عن اللغات بايران نذكر انه كان فى ايران قبــل الاســلام خمس لغات مهمــة هى الفهلوية والدرية والفارســية والخــودية والسريانية وكان هذا التعــدد يتبع المنــاطق أو الطوائف ، وكانت اللغة الفهلوية هى اللغة الرسمية الادارية والأدبية فى عهد الساسانيين ا ولما دخل الاســلام بلاد فارس وانتشر ، انتشرت معه اللغة العربية ، وبدأت تحل محل اللغة الفهلوية وبخاصــة للراغبين فى الوظائف الادارية الجديدة ، أو المتجهين للثقافة والمعرفة الذين طمعوا فى أن يكتبوا لا للفرس وحدهم بل للمسلمين جميعا .

ولكن اللغــة الفهلوية لم تَنْمح تماما بل بقيت تعيش مع اللغــات الأخرى وان كانت اللغة العربية أخذت المقــام الأول خــلال القــرون الاسلامية الأولى ، وكان الاتجاه للترجمة للغة العربية خلال القرن الثانى والثالث سببا فى دفع الكثيرين الى إجادة اللغة العربية ليعملوا فى الترجمة.

---

(١) انظر : ايران : ماضيها وحاضرها لدونالد ولبر الترجمة العربية ص ١٤ .

ولم تكتف اللغة العربيـــة بالتفوق ، بل أخـــذت تتغير على اللغـــات الفارسية وتدخل فيها عن طريقين :

أولهما عن طريق المفردات العربية التى كانت أيسر من مرادفهـــا فى اللغـــات الفارســـية .

الثانى عن طريق الكلمات العربية التى تحمل معنى اســـلاميا ليس له مقابل فى اللغات الفارسية .

وبهذا كثرت الكلمات العربية فى اللغات الفارسية وبخاصة فى المناطق الغربية من ايران حيث يكثر الامتزاج بالعـــرب الفاتحين وحيث كثرت الهجرات العربية الى تلك المناطق .

ونتيجة لذلك ظهرت لغة جديدة فى إيران بها من الفهلوية وبهـــا من العربية وتكتب من اليمين الى اليسار ، وقد أصبحت هذه اللغة هى لغـــة كل الطوائف وكل المناطق تقريبا وبدأت هذه اللغة تحل محل اللغة العربية بالتدريج وسميت هذه اللغة « اللغة الفارسية » .

وسيتضح لنا من الدراسة التالية عن ايران أن موقعها جعلها شديدة الارتباط بأفغانستان وبالهند وببلاد ما وراء النهر ، وأن هـــذه الأقطار جميعا طالما حكمت معا كما حدث فى عهد السامانيين والغزنويين ، ومن هنا فإن اللغة الفارسية الجديدة صحبت النشاط السياسى والعسكرى الذى زحف الى أفغانستان والى الهند وعرفت هذه اللغة فى هذه المناطق وأصبحت لغة الثقافة فيها كما سنرى فيما بعد (١) .

التســـــمية :

يطلق على هذه البلاد اسمان هما ايران وفارس ، حتى ليظن البعض أنهما مرادفان ، ولكن النظرة الدقيقة تقرر أن ايران معناها موطن الآريين

(١) اقرأ تاريخ اللغـــات فى الهند للدكتور عبد السلام فهمى ص ٥٤ وما بعدها بتصرف .

وقد أطلقت هذه التسمية على الهضبة المرتفعة الواقعة جنوب بحر قزوين ، اذ نزل بها الآريون عند هجرتهم الى هذه المنطقة ، ثم أطلق اسم الجزء على الكل ، فأصبحت البلاد كلها تسمى ايران .

أما « فارس » أو « پارسا » فاسم ولاية من ولايات البلاد وهى تقع شمال شرقى الخليج الفارسى (الخليج العربى) وكانت هذه الولاية تشمل عاصمة البلاد فى بعض فترات التاريخ مما سبب اطلاق اسم الولاية على البلاد كلها تمجيدا للعاصمة .

وقد ظلت الازدواجية فى التسمية موجودة فى الأوساط المختلفة حتى سنة ١٩٣٥ فأعلنت حكومة ايران أن الاسم الذى يُتّبع هو ايران وكتبت بذلك الى الدول المختلفة .

أما لغة هذه البلاد والأدب الذى ينسب لها فقد بقى منسوبا لاقليم فارس لأن هذه اللغة هى لغة هذا الاقليم (١) ، ويطلق العرب على هذه البلاد « بلاد العجم » نسبة الى أجمشيد أحد ملوكها القدامى (٢) .

الطبيعة :

تعتبر ايران ربوة ضخمة كثيرة الشُعَب والسهول ، وبعض هضابها بركانية الأصل ، وتكثر فيها الأقاليم الصحراوية الشاسعة ، وبعض هذه الصحارى خالية من السكان ، وتربة الصحراء ملحية غالبا ، اذ يعلوها طبقة من الملح وأشهر صحاريها صحراء « دشت لوت » أى الصحراء الخالية ، و « دشت كوير » أى الصحراء الملحة ، وعلى العموم فثلاثة أرباع البلاد بادية مجدبة أو صحراء قاحلة ، وينحصر وجود المياه فى الجهات الشمالية والغربية مثل كردستان .

ويوجد فى ايران كثير من الأنهار الصغيرة وأغلبها يصب فى بحر

---

(١) دونالد ولبر : ايران ماضيها وحاضرها ترجمة عبد المنعم حسنين ص ١٠ .

(٢) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ص ١ .

قزوين مثل نهر « أرس » ونهر « سفيدرود » وبعضها يصب فى الخليج الفارسى مثل نهر قارون ونهر كرخه ، وفى ايران عدد من البحيرات مثل بحيرة الملح وبحيرة تمك وأشهرها بحيرة قزوين (الخزر) وتسمى بحر قزوين وذلك لاتساعها الهائل ، مما جعلها أكبر بحيرة فى العالم ، ودرجة الملوحة فى بحر قزوين أقل من درجة الملوحة فى البحار ولذلك توجد بها ثروة سمكية هائلة ، وبعد بحر قزوين تجىء بحيرة رزاى ، وهى أكبر البحيرات الداخلية بايران وتزيد مساحتها عن ١٦٠٠ ميل مربع ، وفى ايران بحيرات شديدة الملوحة لدرجة أنها ليست صالحة لحياة الأسماك •

ومناخ ايران حار شديد الجفاف فيما عدا المرتفعات التى تكون باردة جدا ، وفيما عدا سواحل بحر قزوين اذ أن المناخ فيها حار رطب •

أهم الأقاليم بايران : (١)

تنقسم ايران الحالية الى أربعة عشر إقليما يعرف كل منها باسم « ستان » ، وأهم أقاليم ايران خراسان وهو الاقليم التاسع ، ويقع فى الشرق والشمال الشرقى ، وسكان خراسان من المسلمين الا قلة ضئيلة ، وأكثرهم من الشيعة ، أما غير المسلمين فهم من المسيحيين الأرمن وهناك جالية يهودية •

ومساحة خراسان واسعة جدا تشمل بلاد فارس وأفغانستان والتركستان ومن هنا فقد نسبت الى خراسان البلدان التالية : بلخ ، وبخارى ، وخوارزم ، ومرو ، وهرات ، وغزنة • وكانت خراسان بذلك تشمل عدة مراكز ثقافية مهمة لعبت دورا كبيرا فى خدمة الحضارة الاسلامية ، ومن علماء خراسان المشاهير الإمام البخارى والامام مسلم والنيسابورى والبيرونى وابن سينا والغزالى والجوينى والخوارزمى والثعالبى ، ويقول **المقدسى إن العرب كانوا** يعتبرون حراسان وفارس شيئا واحدا (٢) •

---

(١) انظر الخريطة السابقة عن اقاليم ايران •

(٢) احسن التقاسيم ص ٣٥٣ •

ومن أقاليم ايران المهمة أذربيجان ، وفى هذا الإقليم نشأ زرادشت وترعرع ، وفيه أقيم أول بيت للنار المقدسة ، ومن هنا جاءت كلمة أذربيجان ومعناها « مهد النار المقدسة » وكان لأهل أذربيجان دور كبير فى الحروب التى وقعت فى عهد الاسكندر ، وفى حروب ايران ضد الروم ، وذلك لما عرفوا به من الشجاعة والاقدام .

ومن أقاليم ايران الشهيرة طبرستان ، ويقول ياقوت عن هذا الإقليم أن طبرستان بلاد واسعة ، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهم العلم والأدب والفقه ومن أشهرهم الامام الطبرى صاحب تاريخ الطبرى وتفسير الطبرى (١) .

أشهر المدن فى ايران :

وأشهر مدن ايران طهران العاصمة ، وهى أكبر المدن فى هذه البلاد ، وكانت قرية صغيرة فى عهد الشاه الصفوى طهماسب ، ثم أصبحت بعد ذلك عاصمة صاخبة حافلة بمظاهر الجمال والفن ، وعلى مقربة منها تقع أطلال مدينة الرى ذات التاريخ الشهير فى الفكر الاسلامى .

ومن المدن الشهيرة بايران مدينة تبريز وهى من بلاد أذربيجان ، وهى مقر الحاكم العام لاقليم أذربيجان ، ولها شهرة فائقة فى صناعة السجاد الذى ينسب لها ، ويقال انها سميت بهذا الاسم الذى معناه « مزيلة الأمراض » لأن زبيدة زوجة هارون الرشيد جاءت الى هذه البقعة لتستشفى من مرض بها ، فبرئت اثر وصولها ، ومن العلماء الأفذاذ الذين نشأوا فى تبريز الخطيب التبريزى الذى اشتهر بشرح المعلقات السبع وشرح ديوان الحماسة وديوان المتنبى ، وتبريز تتبع اداريا مدينة

---

(١) صادق نشأت ومصطفى حجازى : صفحات عن ايران ص ٤٢ وما بعدها .

أردبيل الوطن الأول لأجداد الأسرة الصفوية ، وفيها ضريح جدهم الكبير الشيخ صفى الدين الأردبيلى ، وبجوار تبريز توجد مدينة مراغة ، حيث يوجد المرصد التاريخى الذى شيده الخواجة نصير الدين الطوسى فى عهد المغول .

ومن المدن الشهيرة فى ايران مدينة أصفهان ، ويذكر عنها القزوينى أنها مدينة جامعة لأشتات الأوصاف الحميدة من طيب التربة وصحة الهواء وعذوبة الماء وصفاء الجو وصحة الأبدان ولكن أهلها كانوا يوصفون بالشح (١) ، وكانت عاصمة ايران فى عهد الدولة الصفوية ، وقد زارها ابن بطوطة قبل عهد الصفويين وتحدث عنها طويلا . وتوجد بها بقايا القصور الملكية للأسرة الصفوية ، وبعض المساجد العظيمة .

ومن مشاهير المفكرين الذين ترتبط اسماؤهم بأصفهان الراغب الأصفهانى ، وأبو الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى ، والعماد الأصفهانى، والشيخ بهاء الدين العاملى صاحب المخلاة ، وأبو بكر فورك الأشعرى (٢).

ومن المدن الشهيرة مدينة شيراز وتشتهر بطيب هوائها ووفرة أنهارها وثمارها وهى التى قال فيها المتنبى قصيدته التى مطلعها :

مغانى الشّعب طيبا فى المغانى
بمنزلة الربيع من الزمان

وتشتهر شيراز بالدهون ذات الرائحة الجميلة ، وكان الأكاسرة قبل الاسلام يستوردون هذه الدهون منها ، ولأهلها يد باسطة فى صنع الثياب الحريرية ، وكذلك فى عمل السكاكين والنصول والأقفال التى تباع فى سائر

---

(١) زكريا القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٩٦ — ٢٩٨ .
(٢) زكريا القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٩٧ .

البلاد وينسب لها أبو العباس أحمد بن سريج أحد المجتهدين على مذهب الامام الشافعى ، كما ينسب لها أبو نصر الخيـــاط وكان فقيهـــا أصوليا أديبـــا (١) .

ومن أشهر المدن فى ايران مدينة « قم » المقدسة ، وبها يوجد ضريح السيدة فاطمة المعصومة أخت الامام على الرضا ، وهى العاصـــمة الدينية لايران فى العهد الحاضر ، ويقول عنها القزوينى ان أهلها شيعة غالية جداً ، ولهذا فهم لا يسمون أولادهم بأسماء الصحابة (٢) .

ومن المدن المقدسة كذلك مدينة مشهد ، وهى تقع فى شرقى ايران فى منطقة شديدة الارتفاع ، وبها قباب المشهد المقدس للامام على الرضا ، وكان عباس الصفوى يحج لهذا المشهد ، وقد دعا الشيعة الى الحج اليه دون حاجة للرحيل الى مـــكة التى كانت تحت سلطة العثمانيين أعدائه ، وآلاف الناس يؤمّون مشهد للتبرك والزيارة ، وتشتهر مشـــهد كـــذلك بمجموعة كبيرة من الفاكهة كالكريز والمشمش والخوخ واللوز .

ومشهد تقع فى المكان الذى كانت توجـــد فيه مدينـــة طوس التى أنجبت مجموعة من أفذاذ العلماء كالامام الغـــزالى والفردوسى ونظـــام الملك ، ونصير الدين الطوسى (٣) .

ووعندما اتخذ الملوك الصفويون المذهب الشيعى ديناً رسمياً للدولة الفارسية فى بداية القرن الســـادس عشر الميـــلادى ، ازدادت أهميـــة مدينتى « قم » و « مشهد » المقدستين وأحاط الشاه عباس قبر فاطمـــة المعصومة فى مدينة قم بآيات من المعمـــار تعتبر من روائع الفن الفارسى كما أصبحت المدينة مركزاً للدراســـات الدينية ، وملتقى لعلمـــاء الدين

---

(١) آثار البلاد واخبار العباد ص ٢١١ — ٢١٢ للقزينى .
(٢) آثار البلاد واخبار العباد ص ٤٤٣ .
(٣) صفحات من تاريخ ايران ص ٣٦ وما بعدها .

وصارت العاصمة الدينية للبلاد ، وقد اتجه الملوك من جانب ورجال الدين من جانب آخـــر إلى خلق عاصمتين فى بلاد فارس إحداهمـــا سياسية والثانية دينية ، فالملوك آثروا أن يبعـــدوا عن عيون رجـــال الدين حتى لا يراقب هؤلاء أسلوب حياتهم ، وآثر رجال الدين أن يحافظوا عـــلى استقلالهم فى « قم » حتى لا يكون للملوك سلطان عليهم (١) .

مصـــادر الثروة فى ايـــران :

وفى ايران يزرع القمح والأرز والقطن فى المناطق الصالحة للزراعة ، ولايران شهرة واسعة فى صناعة السجاد والطنافس الفاخرة ، وبايران كثير من المعـــادن مثل الفحم والكوبالت والنحـــاس وآكســـيد الحـــديد والرصاص ، ولكن أهم مصـــدر للثراء فى ايران هو البترول الذى تنتج ايران منه كمية هائلة جدا تضعها بين الصفوف الأولى للدول المنتجة للبترول.

---

(١) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله ص ١٠١ — ١٠٢ بتصرف .

كلمة عن تاريخ ايران قبل الاســلام

امبراطورية ميــديا :

دلت الكشوف الأركولوجية على أن لايران تاريخا قديما يمتد عدة آلاف من السنين قبل الميلاد ، ولكن الغزو الآرى لايران الذى بدأ حوالى ســنة ١٥٠٠ قبل الميــلاد بدأ يضع تاريخ إيران فى الضوء ، وقد انقسم الآريون الوافدون الى ايران قسمين : الميدس وسكنوا فى الشمال الغربى ، والأعجام وســكنوا فى الجنوب ، وكــان للميدس صلة بالامبراطورية الآشورية ، فلما سقطت هــذه الامبراطورية فى القرن السابع ق ٠ م ٠ أسس الميدس أول امبراطورياتهم ، وزحفوا على الأعجــام بالجنــوب فضموهم اليهم ثم بنوا لهم عاصمة فى أكباتانا (همدان الآن) ، وكــانت امبراطوريتهم تسمى امبراطورية ميديا ٠

العصر الأكمينى (الاخمينى) (٥٥٨ ق ٠ م — ٣٢٠ ق ٠ م):

وفى منتصف القرن السادس قبل الميلاد ظهر قورش الأكبر ، ونصَّب نفسه حاكما على ايران وقام بسلسلة من الفتوحات الواسعة كان من ضمنها أنه احتل بلاد بابل سنة ٥٣٨ قبل الميلاد ومن ثم أصبح له السلطان على أرض يهوذا التى كانت قد احتلها بختنصر ملك بابل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ولما كان بختنصر قد سبى أكثر اليهود وأخذهم الى بلاد بابل فيما يعرف بالأسر البابلى ، فان قورش سمح لهم بالعودة الى فلسطين ، واستئناف عهد الحرية فى ظله ، ولكن كثيرين من اليهود آثروا البقاء فى ظل قورش ، ببلاد بابل وفى فارس لينعموا فى هذه المناطق بخصب العيش بعيــدا عن صــحارى فلســطين واضطرابها ، فلم يعــد الى فلسطين الا الشــيوخ والمتدينون (١) ٠

---

(١) انظر كتاب اليهودية من سلسلة مقارنة الأديان للمؤلفة من ٨٦ وما بعــدها ٠

وامتد زحف قورش فسيطر على أرمينية وآسيا الصغرى ، كما امتد الى خوارزم وبلخ وكان قورش بجانب قوته اداريا حازما وشديد التسامح مع الأجناس والعقائد الأخرى ٠

وقبل أن نترك قورش نذكر أن آخر أباطرة ايران « الشاه محمد رضا بهلوى » أقام سنة ١٩٧١ احتفالات وُصِفت بأنها أسطورية لما كان بها من الفخامة والعظمة ، وذلك بمناسبة مرور ٢٥ قرنا على تأسيس الامبراطورية الايرانية على يد قورش ، وقد دُعِىَ لهذه الاحتفالات حشد من الملوك والرؤساء والشخصيات المهمة فى العالم وحضرها عشرون ألفا من المدعوين ، وكانت الأطعمة تأتى للمدعوين من باريس ، وقد أقيم لهذا الحفل مؤسسات وخيام ومبان خياليَّة ، وتوصف الحفلات الساهرة بها والعروض على أنها أسطورية وكأن الشاه كان يحلم فى أن يجدد هذه الامبراطورية ، ولكنه أقام الحفل فوق بركان كان هادئا ولكن سرعان ما تحرك ودوَّى فزلزل كل شىء حتى الشاه نفسه الذى قضى عليه الزلزال المروع ٠ وسيأتى فيما بعد شىء من التعطيل عن هذه الاحتفالات العجيبة ٠

وجاء بعد قورش ابنه قمبيز الذى غزا مصر سنة ٥٢٥ ق ٠ م ٠ وانتهك حرمة المعابد المصرية ، ويقال ان رجلا يونانيا كان فى بلاط الفراعنة أرشد قمبيز الى أسرار الجيش المصرى مما سبب هزيمة المصريين (١) ٠

وقد أراد قمبيز أن يمد فتوحاته بمصر الى الواحات ، فاعتمد فى ذلك على أحد المصريين الذى صمم على الثأر لمصر ، فخدع جيش قمبيز وسار به بعيدا عن مناهل المياه ، حتى هلك الجيش كله ، وتسبب عن ذلك أن جُنَّ قمبيز ، واضطربت أحواله ، ثم قامت ضده حركات فى بلاده فكر راجعا لإخمادها ، ولكنه انتحر فى طريق العودة ٠

---

(١) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ص ٢٧ ٠

وجاء من بعده دارا (داريوس) الـــذى نبع من فرع آخـــر من الأسرة الأكمينية .

ويذكر ولبر أن العصر الأكمينى كان غالبا عصرا مزدهرا فى ايران ، وان ولايات الأكمينيين الفرس تفوقت على المدن اليونانية كثيرا فى ميادين الادارة والتنظيم والسياسة واستقرار الحـــكم والتسامح فيما يتصـــل بالجنس والعقيدة ، ومن مظاهر التسامح أنه ســـمح للجماعات البشرية المقيمة داخل الدولة الأكمينية أن تحتفظ بدياناتهـــا الأصلية ، كمـــا سمح لأسرها الحاكمة بالاستمرار فى حكمها .

وهناك صخرة بجبل بيستون نقشت عليهـــا العبـــارة التالية التى تدل على أمجاد العصر الأكمينى وهى :

أنا دارا ابن هستاسبس الأكمينى الفـــارسى ابن الفـــارسى الآرى المنحدر من أصل آرى ... الملك العظيم ملك الملوك ، وملك البلاد المسكونة بجميع الأجناس ، ملك الأرض العظيمة المنبسطة منذ زمن طويل (١) .

وقـــد ظهر فى عهـــده زرادشت صاحب الديانة المنســـوبة اليـــه « الزرادشتية » وسنتكلم عنها بعد قليل .

قنـــاة سيزوستريس :

وينسب الى داريوس أنه اشترك فى مد القناة التى كانت تصل بين النيل والبحر الأحمر ولم يكن هذا العمل من اقتراحه ، وانما بدأ ذلك فى عهد الفراعنة السابقين الذين حفروا قناة « سيزوستريس » لتربط بـــين النيل وبحيرة التمساح التى كانت اذ ذاك تمثل الطرف الشمالى للبحـــر

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ص ٣١ .

الأحمر ، ولما انكمش البحر الأحمر وأصبحت هناك مسافة بين البحر وبين بحيرة التمساح حاول نخاو (٦٠٩ — ٥٩٢ ق م) أن يطهر القناة ويمـدها للبحر المتراجع ، وفى هذه الأثناء جاء الغزو الفارسى فقام داريوس بهذا العمل ، وتمادى هذا فنسب العمل لنفسه ، وتوجـد لوحة نقشت عليهـا العبارة التالية :

أنا داريوس الشاه أمرت أن تحفر هذه القناة من نهر « فرواده » (نهر النيل) لتسير السفن من مصر الى فارس • وبعد شق هذه القناة سارت السفن كما رغبت [1] •

وبعد ذلك قامت فى مصر ثورة انتهت بطرد الفرس واستعادت مصر استقلالها وسرعان ما جاء زحف الاسكندر المقـدونى الذى قضى على الامبراطورية الفارسية •

الاسكندر الأكبر ثم العصر السلوقى : (٣٢٠ ق • م — ٢٤٨ ق • م) :

فى سلسلة الصراع بين فارس والروم كانت حملة الاسكندر الأكبر من أقسى الحملات ، فقد أزالت الدولة الأكمينية ، وأنزل الاغريق بقيادة الاسكندر الأكبر على الفرس هزيمة شديدة على نهر جرانيق سنة ٣٣٤ ق • م • ، وقد أتبعها بهزيمة أخرى دحرهم فيها فى معركة جاوجاميلا سنة ٣٣١ ق • م ، وقضى بها على امبراطورية الفرس ، وكان الاسكندر يحلم بانشاء دولة عالمية تتحد فيها العناصر المقـدونية والايرانية على أساس المساواة ، وكان صَبْغُ الشرق بالصبغة اليونانية (الهلينية) قد بدأ فعلا بانشاء المستعمرات اليونانية ، وتحقيقـا لهـذا الحلم تزوج الاسكندر ابنة دارا الثـالث الكبرى ، وشجع جنـوده على الزواج من الإيرانيـات [2] •

---

(١) دكتور عبد السلام عبد العزيز : دراسات ايرانية (تاريخ اللغات الايرانية) ص ٢٣ •

(٢) ايران ماضيها وحاضرها ص ٣٢ •

ولم تطل حياة الاسكندر فقد مات وهو لم يكمل الثالثة والثلاثين من العمر ، واقتسم قواده دولته ، وتمكن أحد قواده واسمه « سلوكوس » أن يصبح ملكا على ايران ، وأسس بذلك امبراطورية دامت أكثر من نصف قرن أى حتى سنة ٢٤٨ ق ٠ م ، ويعرف هذا العهد بالعهد السلوقى أو السلوكى ٠

ومن آثار هذه الدولة « مدينة السلوقية » التى كانت تواجه مدينة « طيسفون » التى سماها العرب « المدائن » وتقع على نهر دجلة وكانت عاصمة الدولة ٠

عصر البارثيين : (٢٤٨ ق ٠ م — ٢٢٦ م) :

ولما سقط حكم السلوقيين قام حكم البارثيين ٠٠٠ وقد امتد حكم هؤلاء عدة قرون كانت حافلة بالصراع بين الفرس والروم ، وسقط حكم البارثيين حوالى سنة ٢٢٦ ، وتحول السلطان بذلك الى الأسرة الساسانية ٠

وتعرف الفترة بين حكم الاسكندر وحكم الساسانيين باسم « ملوك الطوائف » وذلك لكثرة الانقسامات فى البلاد وكثرة الحروب بين الطامعين فى السلطة ٠

الساسانيون (٢٢٦ م — ٦٥١ م) :

ان الساسانيين جديرون بكلمة فيها شىء من التفصيل ، لقوتهم ، وتوحيدهم البلاد ، ولأن سلطانهم ظل حتى دخل الاسلام هذه البلاد وفى عهدهم اتضحت حقيقة مهمة هى أن ايران كانت ضحية وضعها الجغرافى قبل كل شىء ٠٠ ذلك أن السياسة الايرانية كان من أهدافها تحقيق الطمأنينة للوطن الايرانى وحمايته من أعداء ثلاثة يحيطون به ، وهم البيزنطون ، والقبائل العربية التى كانت لا تكف عن الاغارة على بادية العراق ، والترك ، وبذلك حارب الساسانيون فى ثلاث

جبهات فى وقت واحد ، حاربوا البيزنطيين فى أرمينيا وآسـيا الصغرى ، وحاربوا العـرب فى بادية العراق واقليم الجزيرة ، كما واجهوا الخطـر التركى الذى كان قـد بدأ يطل من وطن الأتراك ، ويغير على الحـدود الايرانية ، وهذه الجبهات قدر لها أن تستنفد دم الساسانيين وأن تقضى على قوة المقاومة فيهم (١) .

وكان العرب يطلقون على الدولة الساسانية دولة الأكاسرة لأن بعض ملوكها كانـوا يسمون أنفسـهم خسرو ، وكان العرب ينطقـون هـذه الكلمة « كسرى » ، وأصبح اسم كسرى عندهم لقبا لملوك هذه الدولة .

وملوك هذه الدولة يصل تعدادهم ٢٦ ملكا منهم من حكم مدة طويلة ومنهم من حكم شـهوراً قليلة ، ومنهم من كان فى القمة بين الملوك ، ومنهم من انحدر للهاوية ، وأول ملوك الدولة الساسانية أرديشير بابجان وقـد استطاع هذا أن يضم تحت سلطانه كل المناطق التى كان يحكمها قورش وداريوس الكبير ، وكان هذا الملك يحب العدالة ويتخذ دستور حكمه من جملة كان يعدها عنوان نجاحه ونجاح كل ملك وهى أن : « العـدل أساس الملك » .

ومن أباطرة الدولة الساسانية الملك غباد ، وترجع شهرة هذا الملك الى أنه ظهر فى عهده رجـل اسمه مزدك ادعى الوحى والالهـام ، وعلّم أمورا تخالف عقيدة الايرانيين ، فأبطل احترام النار ، وقال بأن الانسان لا يحق له امتلاك المتاع أو الاختصاص بزوجة ، وسنتحدث عنه فيما بعد عند الحديث عن ديانة الفرس قبل الاسـلام ، وقد استطاع مزدك أن يتغلب على عقل غباد ويجعله آلة فى يده مما جعل الفوضى تنتشر فى أيام هذا الملك .

---

(١) دكتور حسن محمود : الاسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ص ٢ .

وقد جاء بعده ابنه أنوشيروان وهو من أعظم أباطرة هذه الأسرة ، فقد عنى عناية كبيرة باصلاح البــلاد فعزل كل حــاكم منحرف ، وأصلح الطرق والجسور ، وكرم العلم والعلماء ، فأصبحت عاصمته « المدائن » منارة يفد لها المفكرون والفلاسفة من كل صوب ، وفى أيامه كتبت الكتب الشهيرة مثل كليلة ودمنة وظهرت لعبة الشطرنج والنرد مرتبطة بوزيره « بزور جمهر » وقسم المملكة أربعة أقسام أولها قسم خراسان وسستان وكرمان ، وثانيها قسم قم وأصفهان ، وثالثهما فارس والأهواز ، ورابعها قسم العراق والبلدان الغربية ، وامتد سلطانه الى سوريا وانطاكية ممــا أشعل صراعا مريرا بينه وبين الروم ، حتى اضطر ملك الروم أن يدفع له جزية سنوية .

ومن ملوك الساسانيين (برويز ٥٩٠ — ٦٢٨ م) ويقال ان أحداثا خطيرة ظهرت فى عهده أشار لها القرآن الكريم ، ففى سنة ٦١٤ م حارب الروم وانتصر عليهم ، واستولى على دمشق وبيت المقدس وأخذ الصليب المقدس ، وكان هذا الحادث الأليم بعد بعثة الرسول محمد صلوات الله عليه ببضع سنوات ، وقد أحس المسلمون بالأسى لوقوع بيت المقدس — مسرى الرسول ، والذى منه بدأ المعراج — فى أيدى الفرس عبدة النار آنذاك ، وكانت مسيحية الروم بطبيعة الحال أقرب للاسلام من عبــادة النار ، وطمأن الله سبحانه وتعالى المسلمين فنزلت الآية الكريمة : « غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » (١) وقد تحققت الفكرة التى وردت فى الآية الكريمة ففى سنة ٦٢٧م انتصر الروم على الفرس واستعادوا ما كان الفرس قد استولوا عليه (٢) وانحسر المد الايرانى .

---

(١) سورة الروم الآية الأولى .

(٢) صادق نشأت ومصطفى حجازى : صفحات عن ايران ص ٥٤ . واقرأ « مع القرآن الكريم » العدد الخامس ص ٣٧ (سلسلة يصدرها المقاولون العرب) ويشترك فى تحريرها عدد من المفكرين المسلمين .

وآخر ملوك الدولة الساسانية هو يزدجرد الثالث بن شــهريار وقد جاء الى السلطة بعد كثير من الصراع بين الطـامعين فى الحـكم ، وليس ليزدجرد مكان فى التاريخ الا أنه الملك الذى حاربه المســلمون وقضوا عليه ٠

وكان ملوك ايران بوجه عــام يستمتعون بمكانة مقــدسة ، وكانت دماؤهم تعد مختلفة عن دماء البشر ٠

ويلاحظ أن الصراع الطويل بين الفــرس والروم أضعف الدولتين مما يسر الفتح الاسلامى عندما زحف الاسلام على هاتين الدولتين ٠

الفرس والعرب قبل الاسلام :

ذكرنا فى الجزء الأول من موسوعة التاريخ أن الفرس كان لهم نفوذ فى منطقة الحيرة ، وبالتالى كانت العلاقة بينهم وبين الحيرة طيبة فى معظم الأحوال فقد كان الفرس يحتاجون لعرب الحيرة ليقفوا بينهم وبين هجوم البدو على المناطق الفارسية المجاورة للجزيرة العربية ٠

وقد انتقلت هذه العلاقة فى أحوال كثيرة الى ود وولاء ، حتى أن الملك « يزدجرد الأول » أرسل ابنه وولى عهــده بهرام الى الحيرة ، ليتولى النعمــان ملك الحيرة تعليمه وتثقيفه ، ونشــأ بهــرام فى قصور الحيرة ، وأجاد اللغة العربية ، كما أجاد فنون القتال والفروسية وعلوما أخرى جلب النعمان أساتذتها وشيوخها ليقدموها الى الأمير الفارسى ٠

وأمد الفرس العرب بجيش يطرد الأحباش الذين كــانوا يحتلون اليمن ، والذين حاولوا بقيادة أبرهة هدم الكعبة المشرفة ٠

ديانة الفرس قبل الاسلام :

كانت فارس حتى القرن السابع قبل الميلاد تتبع الفكر الطبيعى فى

الأديان ، أى كان هناك من يعبد الشمس أو الأنهار أو الأشجار أو الأبطال ، وجاء « زرادشت » (٦٦٠ — ٥٨٣ ق ٠ م) فى العصر الأكمينى مصلحا اجتماعيا ، اتجه فى تفكيره الى اصلاح اتجاهات مواطنيه الدينية ، فأدمج فى ديانته طائفة من المعبودات الفارسية القديمة بعد تهذيبها ، وانتهى به التفكير الدينى الى القول بإلهين أو مجموعتين من الآلهة ، المجموعة الأولى آلهة خيِّرة على رأسها « أهورا مازادا » والمجموعة الثانية مجموعة شريرة يتزعمها « أهرمان » والنضال بين هاتين المجموعتين يمثل النضال بين الخير والشر فى الحياة ، ذلك النضال الذى لا ينقضى الا بعد آلاف السنين حيث ينتصر الخير ويَهْزِم « مازدا » « أهرمان » ٠

واتجاه زرادشت فيه تعدد آلهة ، وفيه ثنوية ، ولكن كثيرا من الباحثين يعدون الزرادشتية دين توحيد ، لأن مازدا سيكون وحده فى النهاية بعد أن ينتصر على آلهة الشر ٠

ويرمز زرادشت لمازدا ببعض المواد الصافية كالنار ، وقال بالبعث والحياة الأخرى والحساب حيث ينتهى المرء لنعيم دائم أو عذاب مقيم ٠

تلك هى الخطوط الرئيسية فى مذهب زرادشت ، ولكن تعاليم زرادشت انهارت بعده ، وأصبحت الثنائية أبرز مظاهرها ، كما اتجه الفرس الى النار يعبدونها ويرونها إلها ، ويستعملونها فى شعائرهم الدينية متناسين أنها كانت فقط رمزاً للصفاء ، حتى أصبحوا يُعْرَفون بأنهم عبدة النار وقد أتاح هذا للكهنة المجوس الذين كان لهم السلطان الدينى قبل زرادشت أن يظهروا من جديد كواسطة بين الناس وبين الآلهة ، كمسيطرين على وسائل التطهير، وكوسائل لإرضاء الآلهة ، وسرعان ما أحيا الكهنةُ الطقوسَ التى كانت موجودة من قبل ، كعبادة الأصنام وتقديم القرابين وبخاصة للاله « مترى » الذى أصبح أبرز الآلهة ، بعد أن كان فى الزرادشتية أقلها شأنا ٠

ولما غزا الاسكندر المقدونى فارس فى أواخر القرن الرابع ق . م اختفت الزرادشتية ، وظلت مختفية مدة خمسة قرون ، فلما قامت دولة الساسانيين حاول هؤلاء العودة الى الزرادشتية باعتبارها جزءا من تراث فارس المجيد ، ولكن الزرادشتية الساسانية كانت بعيدة كل البعد عن اتجاهات زرادشت ، وكانت تحقق أهداف الملوك وطغيان الكهنة .

وفى أواخر القرن الثالث المسيحى ظهر « مانى » فى فارس ، وكان ظهوره فى عصر سادت فيه الشهوة ، فاختطّ طريقا يحارب به هذه الشهوة الجامحة ، فنادى بحياة العزوبية ، وحرم النكاح رغبة فى قطع النسل واستعجال الفناء ، وقد قتله بهرام سنة ٢٧٦ م قائلا : ان هذا خرج لتخريب العالم ، فالواجب أن يبدأ بتخريب نفسه ، وذهب مانى ولكن تعاليمه بقيت بعده الى ما بعد الفتح الاسلامى .

وظهر مزدك سنة ٤٨٧ م فأعلن أن الناس ولدوا سواء ، لا فرق بينهم ، فينبغى أن يعيشوا سواء ، ولما كان المال والنساء من أهم الأسباب التى تخلق الفوارق وتسبب الكراهية ، فقد قال مزدك بالشيوعية التامة فيهما ، يقول الشهرستانى (١) ، وأحل مزدك النساء وأباح الأموال وجعل النساء شركة بين الناس كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ ، ولقيت هذه الدعوة قبولا لدى الشبان والمترفين الفجرة ، بل أيدها القصر الامبراطورى . ويقول الطبرى (٢) ، كاثف السفلة مزدك فى دعوته وشايعوه ، فابتُلِيَ الناس بهم وقوى أمرهم ، حتى كانوا يدخلون على الرجل داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم ، وحملوا قباذ على تزيين ذلك ، وتوعّدوه إن رفض ، فلم يلبثوا الا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجلُ ولدَه ، ولا المولود أباه ، ولا يملك الرجل شيئا مما يتّسع به .

---

(١) الملل والنحل ج ١ : ص ٨٦ .
(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ : ص ٨٨ .

وادعى ملوك فارس أن دما الهيـا يجـرى فى عروقهم ، وأن فى طبيعتهم عناصر علوية مقدسة وصدّق الفرس هذه الدعوى فأنزلوهم منزلة الآلهة ، قدّموا لهم القرابين ، وأنشدوا لهم أناشيد الطاعة والعبودية ، واعتقدوا أنهم وحدهم الذين يجوز لهم أن يلبسوا التـاج ، ويسيطروا على الناس أيا كانت سنهم أو كفاءتهم ، وفيما عـدا الأسرة المالكة كان هناك المجتمع الايرانى بطبقـاته الكثيرة التى تقوم هوة واسعة بين كل اثنتين منها ، وكان كل انسان فى طبقة لا يستطيع أن يتعداها الى سواها من الطبقات مهما أوتى كفاءة خاصة أو تجارب معينة [1] .

الحياة الاجتماعية والطبقات فى ايران قبل الاسلام :

كانت الحياة الاجتماعية عند الايرانيين تقوم على أساس الطبقية الجامدة على النسق الذى كان موجودا عند الهنود بوجه عام ، وكان ذلك الجمود يتخذ قداسته من الكتاب المقـدس عند الايرانيين وهو كتـاب « الأوفسـتا » ، وبناء على ما جاء فى هذا الكتاب ينقسم المجتمع الايرانى الى أربع طبقات هى :

١ — طبقة رجال الدين .

٢ — طبقة العظماء وتشمل رجال السياسة والقـادة من رجال الحرب ، وهم فى الوقت نفسه أصحاب الاقطاعات .

٣ — طبقة الزراع والصناع والجنود .

٤ — طبقة الخدم والعبيد [2] .

---

(١) انظر كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٣ .
(٢) كريستنسن : ايران فى عهد الساسانيين ص ٧٥ وما بعدها .

وكانت الطبقتان الأخيرتان محرومتين من كثير من الحقوق ، وكانت الفروق حاسمة بين الطبقات ، وكان النبـــلاء تفصلهم عن عامة الشعب حدود لا يمكن تخطيها ، وكـــانوا يمتـــازون فى المأكل والملبس والمسكن والخدم ، وفى داخل كل طبقة كانت هناك درجات متفاوتة وكانت الشريعة تحفظ شرف النسب كما تحفظ أملاك الأشراف ، وتحول بين أفراد الشعب وبين شراء أملاك السادة ، وكان على كل طبقة أن تعمل فقط فى الصناعة المحددة لهـــا [1] .

وكان فى ايران قبل الاســـلام تعدد زوجات ولكن الزوجات لم يكنّ فى مستوى واحد ، بل كان بين زوجات الرجل زوجة واحدة لها نصيب فى الميراث ، وقد أباح القانون الذى كان قبل الاســـلام الزواج من اللاتى سماهن الاسلام « المحارم » فكان للرجـــل أن يتزوج من أختـــه وأمه وابنته [2] .

وكانت الطبقية القاســـية فى إيران من أهم الأســـباب التى دفعت الطبقات المظلومة للاسراع فى اعتناق الاسلام .

---

(١) كريستنسن : ايران فى عهد الساسانيين ص ٣٠٢ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق ص ٣٠٦ والادريسى : وصف الهند ص ٦٣ .

ايران والاســــلام

قبيل الزحف الاســلامى :

من المعروف فى التاريخ الاسلامى أن الرسول عقب صلح الحديبية اتجه لتوسيع الدعوة للاسلام فى داخل الجزيرة العربية وخارجها فبعث الرسول كتبا يحملهــا مبعوثوه الى رؤساء القبــائل والامارات بالجزيرة العربية ، وكان الرسول يدعو هؤلاء الرؤساء الى الاسلام هم وأتباعهم ، ويقرر فى كتبه أنهم ان تبعوا الاسلام كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، ويبقى الرؤساء فى أمكنتهم من الرياسة ماداموا يؤدون حق الرعية ، وتؤخذ زكاة من أغنياء البلاد ترد على فقرائهم (١) . وإن رفض الملوك الدعوة الإسلامية كان عليهم وزرهم ووزر أتباعهم .

وكان كسرى فارس أحد الرؤساء الذين بعث الرسول كتــابا لهم بذلك ، وقد أوردت المراجع الوثيقة نص هذا الكتاب وهو :

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. انى أدعوك بدعوة الاسلام فانى رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيــا ويحق القول على الكــافرين ، فاسلم تسلم وان توليت فعليك اثم المجوس (٢) .

ويروى أن كسرى لما قرأ كتاب الرسول مزقه ورمى به الى الأرض ورفض دعوة الاسلام ، فلما عرف الرسول صلوات الله عليه ذلك قال : ان الله سيمزق ملكه كما مزق كتابى .

وكان قيصر الروم ممن رفض قبول الدعوة كذلك ، فقــد استهان

(١) انظر الحديث عن ذلك فى الجزء الاول من هذه الموسوعة .
(٢) أبو عبيد : الأموال ص ٢٤ .

كسرى وقيصر بالعرب ولم يخطر ببالهما أن دعوة جديدة خلقت العرب من جديد ، وجعلتهم قوة أعظم من كل القوى الموجـودة آنذاك ، وقـد وضع موقف الرفض والعنجهية من كسرى وقيصر قضية الفرس والروم فى ميدان الحرب بعد أن فشل ميدان الدعوة والسلم .

وقد تحدثنا فى الجزء الأول من هذه الموسوعة عن سير الفتوح ضد الروم وضد الفرس ، ونعود هنا للساحة الفارسية لنوجز سير المعارك .

بدأت المناوشات بين المسلمين والفرس فى عهد أبى بكر ، وكانت أولا بقيادة المثنى بن حارثة ثم بقيادة خالد بن الوليد ، ولكن أبا بكر لاحظ أن جبهة الروم تحتاج الى مساعدة ، فحول خالد بن الوليد من منطقة فارس الى منطقة الروم وهدأت حركة الصراع فى منطقة فارس بصفة مؤقتة .

وعندما اجتازت حملة الروم كل الصعوبات أصبح من الممكن العودة لجبهة الفرس ، وكانت الخلافة قـد آلت الى عمر بن الخطاب فاتجه عمر بكل قوته الى استئناف القتال فى ميدان الفرس وأهم معارك المسلمين فى هذه الجبهة هى :

— يوم الجسر سنة ١٣ هـ بقيادة أبى عبيد الثقفى والد المختار بن أبى عبيد ومعه سليط بن قيس الأنصارى ، وقد هزم المسلمون فى هـذه المعركة وقتل القائدان .

— يوم مهران أو يوم النخيلة سنة ١٥ هـ وفيها ثأر المسلمون ليوم الجسر وكانت قيادة المسلمين لجرير بن عبد الله ، والمثنى بن حارثة ، فقتل قائد الفرس « مهران » وكثير من أتباعه .

— القادسية سنة ١٦ هـ وهى من أهم المعارك وكانت بقيادة سعد بن أبى وقاص ومعه المغيرة بن شعبة وقيس بن هبيرة وطليحة بن خويلد وقد حقق فيها المسلمون انتصارا باهرا ، وقد استمرت موقعة القادسية

أربعة أيام وقتل فيها معظم قواد الفرس العظام ، واستسلمت فرقة حرس القائد الفارسى « رستم » ، وهم الجند المعروفون بجند شاهنشاه وكانوا أربعة آلاف رجل ، فانضموا الى المسلمين بعد أن استأمنوا سعدا على أن يحالفوا من أحبوا من القبائل العربية ، وأن يُفْـرَض لهم العطاء أسوة بالمسلمين ، فأعطاهم سعد بن أبى وقاص ما سألوا ... ثم لم يلبثوا أن اعتنقوا الاسلام وأصبحوا جزءا من الجيش الاسلامى ، وكان من نتيجة موقعة القادسية أيضا أن دان كثير من الفرس بالطاعة لسعد بن أبى وقاص مما سهل على الجيش الاسلامى التقدم الى المدائن حيث لم يلق مقاومة جدية من الفرس ، أما الغنائم التى غنمها المسلمون فهى شىء كثير لا يعد ولا يحصى من أموال وسلاح (١) .

— المدائن سنة ١٦ هـ أيضا وكانت المدائن من أهم عواصم دولة الفرس ، وتقع على ضفتى نهر دجلة ، وكان اسمها « طيسفون » وأسماها العرب المدائن لكثرة ضواحيها حتى بدت للعرب كأنها مدائن كثيرة وليست مدينة واحدة وسقطت المدائن بما تحويه من فنون وذخائر ، وكانت الجيوش الاسلامية بقيادة سعد أيضا .

— جلولاء سنة ١٦ أو ١٧ بقيادة سعد أيضا وحقق المسلمون فيها نصرا مؤزرا .

— نهاوند سنة ١٩ هـ بقيادة النعمان بن مقرن ثم حذيفة بن اليمان وتسمى هذه المعركة « فتح الفتوح » ، فقد قضى المسلمون فيها على جيوش الفرس قضاء شبه كامل وبعد نهاوند تهاوت قوى الفرس واستسلم كثير من جيوشها صلحا أو عنوة وقتل يزدجرد الثالث سنة ٣١ هـ وانتهت بموته دولة آل ساسان ، وأسقط المسلمون — كما يقول

---

(١) عبد القادر طليمات : سعد بن ابى وقاص ص ٩٤ — ٩٥ .

ولبر — الحكومات التى كانت فى حالة من الفساد والانهيار ، وأوجدوا ثورة اجتماعية ودينية على أساس المساواة التامة والمعاملة الحسنة ، ومن الحقائق الثابتة أن العرب لم يقوموا بأى ضغط لارغام النـــاس على اعتناق الدين الاسلامى ، وأوجد الاسلام تغييرات جوهرية فى النظام السياسى والاقتصـــادى والاجتماعى فحلت محـــلّ الأفكار الايرانية العتيقة عن الحق المقدس والحكم المطلق الاستبدادى ، روحٌ ديمقراطية مستمدة من الدين الجديد [١] .

ولما كانت ايران شديدة الاتصال جغرافيا وشديدة الاتصال سياسيا خلال التاريخ القديم والوسيط بما يسمى الآن أفغانستان وما وراء النهر والهند فان دخول الاسلام ايران واستقراره بها فتح الطريق للمناطق المحيطة بها ، فسرعان ما تقدمت الجيوش الاسلامية فى عهد عثمان ثم فى عهـــد الدولة الأموية فضمت هرات وبلخ وكابول وغزنة [٢] ، ثم عبرت نهر جيحون وضمت بلخ وشومان وسمرقند وبخارى ، ثم عبرت نهـــر سيحون وضمت مملكة فرغانة ومملكة خوارزم ومملكة الشاش وضربت فى أرض الترك حتى وصلت الى حدود الصين ، وكان قتيبة بن مسلم الباهلى أشهر القواد فى هذه الفتوحات .

وانهال المهاجرون العرب الى خراسان ومناطق كبيرة من ايران وكثر التزاوج بين العرب والايرانيات ، وسرعان ما انتشر الاسلام فى كل حى وفى كل بيت ثم أصبح دين الجميع تقريبا بعد فترة ليست طويلة .

ويقرر توماس أرنولد [٣] أن من أسباب سرعة انتشار الاســـلام بايران كثرة المعتقدات الفارسية ، وكثرة الأديان والمذاهب فقد كان هناك

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ص ٤٩ — ٥١ (مقتطفات) .
(٢) النووى : تهذيب الأسماء القسم الأول جـ ١ ص ٢٧٠ .
(٣) الدعوة الى الاسلام : ص ٢٣٥ — ٢٣٨ من الترجمة العربية .

زرادشتية ومسيحيون ويهـود وصابئة وبوذيون ومانوية ، وكان الصراع على أشده بين أتباع الأديان والمذاهب ، وقد رحب الصناع وأهل الحرف بالاسلام ليتخلصوا من الطبقية التى كانت سائدة كما ذكرنا من قبـل ، وعندما تزوج الحسين بن على من شاهبانو احـدى بنات يزدجرد أحس الفرس برباط وثيق يربطهم بالاسلام والمسلمين ، وكان دخول الاسـلام دائما بالدعوة دون أى ضغط أو اكراه ، ومع ذيوع الاسلام ذاعت اللغة العربية وأصبحت اللغة الغالبة فى البلاد (١) .

---

(١) دكتور عبد النعيم حسنين : ايران فى ظل الاسلام ص ٦ .

ايران فى ظل الاســـلام

كان الحكم الاسلامى يسير على نظام يجمع بين المركزية واللامركزية، فالولاة كانوا يعينون غالبا من العاصمة الاسلامية ، من المدينة المنورة أو من دمشق أو بغداد ، ولكنهم كان لهم جانب كبير من الاستقلال فى ادارة شئون ولاياتهم ، وبخاصة اذا حظى الوالى بالسلطة الاقتصادية بجـــانب سلطاته السياسية •

وتبعا لذلك كان لايران ولاة معينون من العاصمة الاسلامية ، وكان الوالى أحيانا يختار من أصفياء الخليفة ليكون واليـــا على المشرق كله ، وفى هذه الحال يتخذ من العراق مركزه ويعيّن مندوبين له فى خراسان ، وكان اقليم خراسان قد أصبح أكثر أجزاء ايران حيوية ونشاطا ، فيلاحظ أن خراسان منطقة كانت أوسع كثيرا جدا من الاقليم الحـــالى الايرانى الذى يعرف بهذا الاسم (١) • وأحيانا كان الوالى يعيّن لاقليم خراســـان مباشرة من الخليفة •

ونذكر فيما يلى أشهر ولاة خراسان :

— قيس بن الهيثم فى عهد معاوية ، وقد أعاد فتح هراة وبلخ بعـــد أن نقض أهلهما الصلح •

— زياد بن أبيه فى عهد معاوية أيضا وكان واليا على المشرق كله •

— عبيد الله بن زياد : بعـــد أبيه وكان ذلك فى عهد معاوية ويزيد ، وفى عهد ولاية عبيد الله وصل المسلمون الى بخارى وسمرقند •

---

(١) ولبر : ايران : ماضيها وحاضرها ص ٥١ من الترجمة العربية •

— الحجاج بن يوسف فى عهد عبد الملك بن مروان ومن قادته فى هــذه المناطق المهلب بن أبى صفرة ثم ابناه يزيد ثم المفضل .

— قتيبة بن مسلم وقد ثبّت قتيبة أقدام المسلمين فى المناطق التى تقع على النهرين وبينهما ، ولم يكتف قتيبة بالفتح أو المعاهدات بل دعا الناس الى الاسلام وكسر الأصنام وحرقها فاستقر الاسلام فى تلك المناطق .

— أسد بن عبد الله القسرى : فى عهد هشام بن عبد الملك .

— نصر بن سيار فى عهد هشام أيضا وبعد هشام حتى سقطت الدولة الأموية ونصر من خير القواد والأبطال ولكن عهد الدولة الأموية كان قــد آذن بالزوال (١) .

— أبو مسلم الخراسانى عقب انتصــاره باسم العباسيين على نصر ابن سيار .

— أبو داود خليفة أبى مسلم الخراسانى ، وقد ثبّته أبو جعفر المنصور ليأخذ جانب الخلافة ضد أبى مسلم الذى كان يريد العودة لخراسان بدون اذن الخليفة (٢) .

— الفضل بن يحيى الذى قلده الخليفةُ هرونُ الرشيد المشرق كله .

— منصور بن يزيد بن مزيد من قبل الرشيد سنة ١٧٩ عقب عودة الفضل ابن يحيى من خراسان .

---

(٢) انظر الحركات لقيام الدولة العباسية فى الجــزء الثالث من هذه الموســوعة .

(٢) انظر حديث ذلك فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة ص ١٠٦ .

وابتداء من عهد المأمون انتقلت خراسان من الولاية الى الامارة ، وأصبح لها حكم وراثى •

وتاريخ ايران فى خلال الدول الاسلامية التى قامت بها تاريخ معقد ، فقد تقوم بها دولة فى جزء من أجزائها ، ومثال ذلك العلويون الذين أقاموا دولتهم فى طبرستان جنوب بحر قزوين ومثلهم كذلك الزياريون والاسماعيلية • وأحيانا تقوم دولة بايران ويمتد نفوذها الى أكثر ايران ثم تتجه للخارج دون أن تستكمل باقى ايران كالبويهيين •

وأحيانا تشمل الدولة ايران كلها وتمتد للخارج كالصفاريين الذين بدأوا دولتهم فى سيستان ثم شملوا ايران الحالية كلها ثم امتد نشاطهم الى مناطق واسعة فى الشرق •

وأحيانا يجىء زحف من الخارج فيشمل ايران كلها كالسامانيين الذين بدأوا فى بلاد ما وراء النهر وكانت عاصمهم بخارى ثم امتد سلطانهم فشمل ايران كلها •

وسنتحدث فيما يلى عن الدول التى قامت فى ايران دولة اثر دولة ، وقبل ذلك يتبقى أن نقرر أن حركات استقلالية حدثت فى عهد الولاة ، ومن أشهرها حركة محمد بن الأشعث فى عهد عبد الملك بن مروان وحركة أبى سلمة الخلال وأبى مسلم الخراسانى فى مطلع العهد العباسى ، وقد تكلمنا عن هذه الحركات الاستقلالية فى الجزء الثانى والثالث من هذه الموسوعة •

الدولة الطاهرية بخراسان

٢٠٥ ـ ٢٥٩ هـ

ذكرنا فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة أن طاهر بن الحسين « الذى لقب ذا اليمينين » كان من خيرة رجال المأمون ، وان جهوده اتضحت فى الحرب بين الأمين والمأمون وكان هو وهرثمة بن أعين فرسى رهان ، ولكن جهود طاهر كانت أوسع وأسرع لأن المقاومة التى كانت مع الأمين اتجهت لمواجهة طاهر أكثر من اتجاهها لمواجهة هرثمة ، ولكن طاهرا استطاع أن يحقق النصر وأن يصل الى واسط ، فهرب عامل الأمين فيها قائلا : انه طاهر" ولا عار فى الهرب منه ، وفى واسط تلقى طاهر البيعة للمأمون من أمير الكوفة ومن أمير البصرة ، ثم سار الى المدائن فبغداد.. وسقط الأمين قتيلا بسيوف طاهر ، وأصبح المأمون خليفة المسلمين (١) .

وعمل طاهر بن الحسين على توطيد الملك للمأمون فحارب الثورات التى هبت عليه ، وأبلى فى ذلك بلاء حسنا هو وابنه عبد الله ، ومن أجل هذا عين المأمون طاهر بن الحسين واليا على خراسان مكافأة له على جهده ، ويقال ان المأمون لم يستطع رؤية قاتل أخيه (٢) ، ولم يستطع أن ينسى أفضاله فاقترح ذلك الحل الوسط لمكافأته ولابعاده عنه ، وبتولية طاهر على خراسان بدأت الأسرة الطاهرية فى خراسان وأصبحت الولاية بالوراثة فى هذه الأسرة حتى سنة ٢٥٩ هـ وكان الخليفة يصدر قرارا بتعيين من آلت له السلطة وكانت عاصمتهم نيشابور ، وحكام الطاهريين هم :

طاهر الأول « ذو اليمينين »	٢٠٥ ـ ٢٠٧ هـ
طلحة بن طاهر	٢٠٧ ـ ٢١٣ هـ

(١) انظر الجزء الثالث ص ٣٢١ وما بعدها .
(٢) ابن طيفور : كتاب بغداد ص ٢٣ .

عبد الله بن طاهر ٢١٣ — ٢٣٠ هـ

طاهر الثانى ٢٣٠ — ٢٤٨ هـ

محمد بن طاهر الثانى ٢٤٨ — ٢٥٩ هـ

ولم يستطع الطاهريون مقاومة الصفاريين فانقرضت دولتهم .

على أن الطاهريين استأنفوا سلطانهم عندما ضعف الصفاريون ، فقد استولى طاهر الثالث بن محمد (آخر حكامهم فى السلسلة السابقة) على قطعة من أرض أجداده وحكمها بمفرده حتى سنة ٢٨٢ هـ ويؤيد ذلك أن سكة مضروبة باسمه وجدت فى مرو وعليها تاريخ سنة ٢٨٢ هـ (١) .

وكانت الصلة بين الطاهريين وبين الخلفاء العباسيين تتمثل فى ولاء الطاهريين للخلافة ، ذلك الولاء الذى اتخذ مظهره من تقديم خراج سنوى لدار الخلافة ، ومن الدعاء للخليفة على المنبر وسك اسمه على النقود ، أما الخليفة فلم يكن يمارس أى نفوذ على الطاهريين ، وكان يصدر قراراته بتعيين ولى العهد دون أن يكون له حق اختياره .

مدى سلطة الخلفاء :

وكان هذا منشأ الصراع الذى ثار بين المفكرين فيما بعد عن مدى سلطة الخلفاء ، وهل تشمل الناحية الدينية والدنيوية جميعا ، كما كان خلفاء العصر الأول ، أو أن لهم النفوذ الدينى فقط ويتولى الولاة شبه المستقلين كالطاهريين ومن جاء بعدهم كل السلطات الدنيوية ، وبخاصة ان هذه السلطات الدنيوية برزت فيما بعد على أيدى كثير من السلاطين شبه المستقلين وأحيانا بالغ هؤلاء فيها ، ووصلوا بها الى حد التمرد على

(١) تاريخ الدول الاسلامية والأسر الحاكمة جـ ١ ص ٢٦٩ .

الخلفاء كما حدث من الصفاريين والطولونيين ثم من البويهيين والسلاجقة فيما بعد ، وعلى كل حال فقد ظل هذا الموضوع موضع خلاف ولم يحسمه الا سقوط الخلافة وانتقال السلطات كلها الى الملوك والسلاطين .

ويقول دونالد ولبر ان الطاهريين امتازوا بحب الكتابة والشعر [١]، وكانت اللغة العربية هى لغة الحديث والأدب آنذاك .

وقد تعرضت أسرة الطاهريين الى زحف الصفاريين الذين اتسع ملكهم وسلطانهم كما سنرى بعد قليل ، وسقطت أسرة الطاهريين بيد الصفاريين ولكن بنى طاهر استعادوا شيئا من سلطانهم فى فترات اضطراب الصفاريين كما ذكرنا آنفا واستأنفوا صراعهم معهم ، وظل الصراع بين الأسرتين حتى سقطتا معا على يد الأسرة السامانية .

وقبل أن نتحدث عن الصفاريين فالسامانيين نتكلم كلمة عن أسرتين قامتا فى جزء من ايران هو « جنوب بحر قزوين » وبعد ذلك نتجه الى الصفاريين :

---

(١) ايران : ماضيها وحاضرها ص ٥١ من الترجمة العربية .

الزيدية ٢٥٠ ـ ٣١٦ فالزيارية ٣١٦ ـ ٤٧١

فى طبرستان جنوب بحر قزوين

تعتبر الزيارية امتدادا للزيدية فى المكان وفى الزمان ومن هنا لزم أن نتكلم عن هؤلاء وأولئك فى دراسة واحدة •

ولنعد الى مطلع الاسلام فنقرر أنه عندما دخل الاسلام جنوب بحر قزوين (بحر الخزر) اعتنقه أكثر سكان الجنوب الشرقى لبحر قزوين حيث تقع بلاد طبرستان [١] ، أما سكان الجنوب الغربى حيث تقع بلاد الديلم أو بلاد جيلان (نسبة الى السكان الذين كانوا يعرفون بالديالمة أو الجيل) فقد خضعوا للحكم الاسلامى ولكنهم ظلوا على دينهم وآثروا دفع الجزية •

وكانت طبرستان على حدود خراسان حيث كان يقوم سلطان الطاهريين وقد حاول الطاهريون أن يمدوا سلطانهم الى طبرستان ، ولكن أهل طبرستان رفضوا ذلك وقاوموا الطاهريين ، ثم استدعوا من الرىّ رجلا علويا اسمه الحسن بن زيد ينحدر من نسل الحسن بن الامام علىٍّ ، وقد استطاع هذا أن يحقق النصر ضد الطاهريين الذين كانوا فى أواخر أيامهم وأن يقيم دولة سميت بالعلوية أو الزيدية بطبرستان ، وكان قائده يسمى « ليلى بن النعمان » وقد حاول السامانيون الاستيلاء على الحكم فى هذه البلاد ولكنهم فشلوا •

وفى هذه الحرب انضم أهل الديلم فى الجنوب الغربى الى جيرانهم فى الجنوب الشرقى لرد الزحف الطاهرى ، وكان تعاون المنطقتين وسيلة لنشر الاسلام فى بلاد الديلم ، ومما ساعد على انتشار الاسلام ببلاد

---

(١) اقرأ عن بلاد طبرستان فى آثار البلاد وأخبار العباد للقزوينى ص ٢١٧ •

الديلم كذلك أن داعية مسلما اسمه الحسن بن على ولقبه الأطروش دخل هذه البلاد عقب ذلك ، وقد نجح فى نشر الاسلام ببلاد الديلم بصورة أوضح .

ومع انتشار الاسلام ببلاد الديلم فقد حافظ سكان هذه المناطق على بعض العادات التى كانت منتشرة بينهم قبل الاسلام ، كعدم جواز أن يتم زواج بين الديالمة وغيرهم ، ومن فعل ذلك استحق القتل ، وكعدم جواز خروج المرأة من البيت نهارا ، ويمكن أن تخرج النساء ليلا بعد أن ترتدين الأكسية السوداء ، وكعدم جواز أن تتزوج المرأة التى يموت زوجها ، فان فعلت ضرب الصبيان بابها بالخزف والطوب (١) .

ولنعد الى ليلى بن النعمان قائد زيد بن على فى صراعه ضد الطاهريين فان هذا القائد سقط فى المعركة فتولى مكانه قائد من الديالمة كان مشهودا له بالقدرة والكفاءة ، واسمه « ماكان بن كالى » (٢) ولكن أحد قواد « ماكان » واسمه « اسفار بن شيرويه » خرج عليه ، ولمع نجمه ، وكان يعاونه قائد آخر ديلمى اسمه « مرداويج بن زيار » ويقال إنه ينحدر من أسرة حاكمة قديمة ، وقد استطاع أسفار ومرداويج أن يحققا نصرا مؤزرا ضد « ماكان » ولكن سرعان ما قتل أسفار سنة ٣١٦ فآلت كل السلطات الى مرداويج بن زيار والى أخ له اسمه « وشمكير » وبدأت بذلك أسرة الزياريين التى حلت محل الزيديين العلويين فى طبرستان (٣) ، وقد خضع مرداويج خضوعا اسميا للخلافة ، واضطر أخوه وشمكير الذى خلفه بعد قتله سنة ٣٢٣ هـ أن يبدى خضوعه للسامانيين ، وكان سلطان الزياريين محصورا فى طبرستان وجرجان ، وقد تعرض الزياريون الى ضغط حربى من دول هذا العصر فقد قامت فى عهدهم الدولة السامانية

---

(١) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٣٦٨ .
(٢) فى ابن مسكويه « ما كان بن كاكى » (تجارب الأمم جـ ٦ ص ١٦١) .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم جـ ٥ ص ١٧٦ .

والبويهية والغزنوية ، وكانت هذه الدول أعظم منهم قوة وأخطر شأنا ، وقد استولى الحسن الصباح على قلعة ألموت شمالى مدينة قزوين ثم استولى على بلاد الديلم واضعا لبنى زيار نهايتهم [1] .

وأمراء الزيديين والزياريين هم كما ورد فى تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة (جـ ١ ص ٢٦٨ ، ٢٨٥) كالآتى :

الزيديون العلويون :

الحسن بن زيد	٢٥٠ — ٢٧٠ هـ
محمد بن زيد	٢٧٠ — ٢٨٧ هـ
فترة احتلال السامانيين	٢٨٧ — ٣٠١ هـ
الأطروش	٣٠١ — ٣٠٤ هـ
الحسن بن القاسم	٣٠٤ — ٣١٦ هـ

الزياريون :

مرداويج بن زيار	٣١٦ — ٣٢٣ هـ
وشمكير بن زيار	٣٢٣ — ٣٥٧ هـ
ظهير الدين بيستون	٣٥٧ — ٣٦٦ هـ
شمس المعالى قابوس	٣٦٦ — ٤٠٣ هـ
فلك المعالى منوجهر	٤٠٣ — ٤٢٠ هـ
شرف المعالى أنوشروان	٤٢٠ — ٤٤١ هـ
كاوس بن اسكندر بن قابوس	٤٤١ — ٤٦٢ هـ
كيلان شاه بن كاوس	٤٦٢ — ٤٧٠ هـ

ثـم جـاء الاسماعيلية .

---

(١) تاريخ الدول الاسلامية جـ ١ ص ٢٨٤ — ٢٨٥ .

ولا ننسى فى هذه الدراسة المقتضبة أن نحيي الجهود التى بذلها الحسن ابن زيد والحسن بن على (الأطروش) لنشر الاسلام فى تلك البقاع ، فان هذه الجهود سرعان ما أثمرت أطيب الثمرات وزرعت الاسلام فى تلك البقاع الى الأبد ، وقد كان للأطروش أثر حضارى كبير فى بلاد الديلم وطبرستان فهو الذى نشر الاسلام على نطاق واسع فى بلاد الهند ، وبنى المساجد [١] وأتاح للسكان أن يشاركوا فى الأحداث التى تشكل تاريخ المنطقة ، كما أنه بعث الدولة الزيدية مرة أخرى ، وأتاح للمذهب الزيدى انشارا أوسع مما كان عليه فى عهد الحسن بن زيد ، وقد حرص الأطروش على اقامة دولته على أساس العـدل والمساواة وحسن السيرة [٢]

وكان قابوس بن وشمكير شاعرا ومؤلفا ، ويعـد قبره المشهور فى الركن الجنوبى الشرقى لبحر قزوين أقدم أثر ذى كتابة مؤرخة فى ايران الاسلامية ، ويقع القبر فى قلعة عظيمة بناها .وشمكير ، وقـد كتب على مدخلها ما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

بنيت هذه القلعة بواسطة الأمير بن الأمير قابوس بن وشمكير ، وقد أمر ببنائها فى أثنـاء حيـاته سنة ٣٩٧ القمرية الموافقة ٣٧٥ الشمسية (١٠٠٧ م) ؟؟

وتصميم القبر يدل على تفوق معمارى فهو عبـارة عن أسطوانة كبيرة مغطاة بسقف مخروطى الشكل ، والهيكل الدائرى تقطعه عشر حافات بارزة ، وقطر دائرته ٥٦ قدما وسمك الحيطان ١٧ قدما والارتفـاع من الأرض حتى رأس الخريطة يبلغ ١٦٠ مترا ، وقد أدخل جثمان قابوس فى صندوق زجاجى علق بالسلاسل داخل قبة البرج [١] .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٢١٤ .
(٢) الطبرى : جـ ١٢ ص ٤٨٠ .
(١) دونالد ولبر : ايران : ماضيها وحاضرها ص ٥٣ من الترجمة العربية .

الصفاريون ٢٥٤ — ٢٩٦ هـ

ايران وهرات وما وراء النهر

١

الصفّاريون من أصل فارسى ، وهم يزعمون أنهم من أولاد ملوك فارس ، ويعيدون نسبهم الى كسرى أنوشروان (١) .

ويرى آخرون أن هذا النسب غير صحيح ، وانه ادعاء قصد به الصفاريون أن يقووا مركزهم ويرفعوا شأنهم أمام الجماهير التى كانت تقيم للأنساب قدرا كبيرا ، ويذكرون أن مؤسس هذه الدولة يعقوب ابن ليث كان يشتغل مع أبيه فى صناعة النحاس ولذلك سمى الصفار ؛ وكان حانوته بولاية سجستان (تسمى أيضا سيستان ونيمروز) (٢) وينسب القزوينى الصفاريين الى غزنة ، وفيما يلى كلماته : ومن عجائب غزنة أمر الصفاريين وكان يعقوب غلامَ صفّارٍ وكان أخوه عمرو مكاريا ثم صاروا ملوكا عظماء واستولوا على بلاد الفرس وكرمان وسجستان وخراسان .... (٣) .

وكان يعقوب مرحا بسيطا ذكيا ينفق كل ما يحصل عليه على رفاقه ، وقد أحبه رفاقه لذلك ، وأخلصوا له ، وزاده اخلاصهم والتفافهم حوله استعدادا لاسعادهم ، فاتفق معهم على أن يعملوا على قطع الطريق وأخذ أموال الأغنياء ، ولكن يعقوب كانت له مبادىء تختلف عن مبادىء مَن يعملون فى قطع الطريق ، فقد كان يتجه لسلب أموال البخلاء ، وكان ينفق ما يحصل عليه على رفاقه المحتاجين والضعفاء ، واذا حدث أن استولى على مال ثم عرف أن صاحبه كريم أو محتاج رده اليه ، ولم يتعرض أبدا

---

(١) ابراهيم باستانى باريزى : يعقوب بن الليث الترجمة العربية للدكتور محمد فتحى الريس ص ٢٨ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٧٣ .
(٣) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٢٨ .

لأعراض الناس أو الاساءة اليهم ، مما جعله محل رضا من الناس وجعل أتباعه يكثرون من يوم الى يوم حتى أصبحوا قوة هائلة

وشاهد هذا العصر اضطرابا فى بغداد بسبب تسلط المماليك على خلفاء العصر العباسى الثانى ، وبالتالى انعكس الاضطراب على أكثر الربوع الاسلامية ، وأخذت الولايات فى الاستقلال عن مركز الخلافة أو على الأقل القرب من الاستقلال ، وكان سكان ايران من أكثر الشعوب اتجاها للاستقلال ليستعيدوا مجدهم القديم أيام كانوا احدى دولتين كبيرتين على الأرض .

وفى وسط هذا الاضطراب حصل صراع بين والى خراسان ووالى سجستان ، فاستعان والى سجستان بيعقوب وأتباعه ، وجعل يعقوب قائد جيشه ،وبعد ذلك عزله يعقوب وأخذ مكانه ،ووافق الخليفة العباسى المتوكل على هذا التغيير ، وبدأت بذلك خطوات يعقوب نحو الاتساع (١) .

كثيرون من الناس تهلكهم أطماعهم ويقضى عليهم جشعهم ، ويعقوب ابن ليث الصفار واحد من هؤلاء ، فان نجاحه كان بدء توسع هائل وصراع مرير ثم نهاية حتمية .

لقد بدأ يعقوب يصارع الولاة الذين يحيطون به ، ربما لأنه طمع أن يستعيد ملك الأكاسرة الذين ادعى الانتساب لهم ، وكان يعقوب قوة ناشئة قوية فحقق الفوز فى كثير من الجولات ، وكان كل نجاح فى زحفه يقود لزحف جديد ، وكان جهل يعقوب بالسياسة وتقلب الأمور يصور له نفسه قوة لا تعدلها قوة ، وسلطانا فوق السلاطين ، فتحدى الخليفة ، وانطلق يغزو الولايات المحيطة به ، فضم مناطق فارس وشيراز ، وطبرستان ، ثم استولى على خراسان وأسر محمد بن طاهر وأنهى ملك الطاهريين الذين

---

(١) ابن الاثير جـ ٨ ص ١٨٥ .

كانت لهم صلة طيبة بالخلافة العباسية ، ثم ضم بلخ وطخارستان وهرات واتسع بذلك ملكه اتساعا عظيما ، ويصور الطبرى ملك يعقوب الفسيح بقوله : امتلك فارس كلها وأشرف على حدود خراسان وحدود السند فرهبته الملوك وأذعن له ملك الملتان وملك السند ومكران وغيرهم .. (١) .

وكان مما حقق النجاح ليعقوب أنه بدأ نشاطه فى بلاد ايران التى كانت تتوق الى الاستقلال التام عن الخلافة ونسى يعقوب لجهله أنه قضى على استقلال دول أخرى ترى فى الخضوع اليه مذلة وهوانا ، وتؤثر أن تتبع الخليفة عن أن تتبع هذا المارق ، ثم ان يعقوب ان كان قد عرف عنه الكرم ، والزهد فى المال ، والايثار ، وعدم العدوان على الضعفاء والفقراء ، فان أتباعه لا يمكن أن يكونوا جميعا على هذا النمط ، فقد وُجِدَ منهم من طغى وجار فى مختلف البقاع .

واذا كان الايرانيون رحبوا بحاكم ادعى أنه من نسل كسرى أنوشروان ، فغير الايرانيين لم يخدعهم هذا النسب لأنهم لا يريدون تبعية لايران على أى حال .

وهناك نقطة مهمة بعثت القلق فى مملكة يعقوب الواسعة ، هى أنه كان شيعيا ، وربما كان هذا المذهب مقبولا فى ايران ، ولكن هذا المذهب لم يكن مرضيا عنه فى كثير من المناطق الأخرى التى اقتحمها يعقوب ، فكان خضوعها اليه تحت ضغط القوة ، وكانت تتلمس الوسائل لتهب فى وجهه وتكافح وجوده .

صحوة الخلافة :

على أن أخطر ما قابله يعقوب بن ليث هو مواجهة الخلافة فى فترة صحوتها فقد كان مما أغرى يعقوب بالاستهانة بالخلافة أنه ابتدأ نشاطه

---

(١) تاريخ الامم والملوك جـ ١١ ص ٢٣٣ .

فى أواخر عهد المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧) وكان هـذا مغلوبا على أمره ، وكان المماليك الأتراك هم أصحاب السلطان فى العاصمة ، وقـد استهان بهم الكثير من الولاة فى ولايات مختلفة ، وجاء بعد المتوكل مجموعة من الخلفاء الضعاف ، ولكنهم كانوا قصيرى العمر ، فالمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدى وكانت مدتهم جميعا أقل من عشر سنوات ، وقد تسبب عن ضعف الخلافة أن طمع يعقوب فى الزحف الى بغداد ، للسيطرة على الخـلافة العباسـية [١] .

ثم جاء المعتمد (٢٥٦ — ٢٧٩) وفى عهده تولى أخوه الموفق قيادة الجيش ، وكان هذا حازما قويا خضع له المماليك وأسلموا له الأمر ، فأعاد للخلافة صحوتها وهيبتها وفى سنة ٢٦١ هـ جمع المعتمـد حاج خراسـان والرى وطبرسـتان وجرجان وقرأ عليهم منشـورا بلعن يعقوب وتقبيح أعماله [٢] وبدا العداء سافرا بين الخـلافة وبين يعقوب ، وراح الموفق يصارع كل المتمردين فى الشرق والغرب ، وكان يعقوب بن ليث واحدا من هؤلاء وقد قلم الموفق أظفاره ، فانفلتت من يعقوب ولايات كثيرة كانت خاضعة اليه : ثم هزمه الموفق هزيمة قاضية ، ونزل المرض بيعقوب فقضى على البقية الباقية منـه وتوفى سـنة ٢٦٥ هـ [٣] .

ويذكر التاريخ أنه بعد الهزيمة القاضية التى حلت بيعقوب أرادت الخلافة أن تسترضيه حتى توقف الصراع معه وتتجه الى الميادين الأخرى التى كان الصراع لايزال شـديدا فيها ، فيقـال ان الخليفة المعتمد راسلة وأصدر كتابا بتوليته منطقة فارس ، وكان يعقوب آنذاك مريضا ، وكان لا يثق فى وعود الخلافة نحوه ، ولذلك فانه لما دخل عليه رسول الخليفة جلس له يعقوبـوهو على فراش المرض وأمامه سيف وخبز وبصل ، وقال

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٧ ص ٢٩٠ .
(٢) دكتور حسن ابراهيم جـ ٣ ص ٦٦ .
(٣) الطبرى جـ ١١ ص ٤٥٦ وابن الجوزى : المنتظم جـ ٥ ص ٣٣ .

له : قل للخليفة انى عليل فان مت فقد استراح كل منا من الآخر ، ولئن عوفيت فليس بينى وبينك الا هذا السيف حتى آخذ بثأرى أو تكسرنى ، وترغمنى الى أن أعود الى هذا الخبز والبصل ، وما لبث يعقوب أن توفى فى التاسع من شوال سنة ٢٦٥ هـ [١] .

على أن وفاة يعقوب لم تضع حدا للصفاريين فقد خلفه أخوه عمرو الذى كان واليا على خراسان فى عهد أخيه ، ولم يكن عمرو هذا كأخيه فى صفاته التى حققت له النجاح ، ولكنه مع ذلك كانت فيه بسالة ، وله صحبة وجيش كبير انحدر له من أخيه ، فاستطاع بذلك أن يستعيد بعض السلطة والنفوذ فى كثير من المناطق التى كانت خاضعة لأخيه ، وقد دفعته سياسته الى الاتجاه لإرضاء الخلافة واتجهت الخلافة كذلك الى التظاهر بالتراضى معه ، ولكن الثقة لم تكن موجودة فى الطرفين ، وزحف عمرو الى بلاد ما وراء النهر ولكن هذه البلاد كانت آنذاك تحت حكم أسرة قوية ناشئة هى أسرة السامانيين وقام صراع بين السامانيين وبين عمرو ابن ليث ، وأيدت الخلافة السامانيين فكان لهم النصر ، وأسر عمرو وأرسل أسيرا الى بغداد وصرخ فيه المعتضد : هذا نتيجة بغيك يا عمرو ، وأخذ يشهر به ، وألقى به فى السجن مدة عامين ثم قتل سنة ٢٨٩ هـ [٢] .

وقد بقيت سجستان المقر الأصلى للصفاريين فى حكم أولاد الصفاريين فترة أخرى بعد ذلك ، ومن هؤلاء طاهر بن محمد حفيد عمرو ، ولكن هؤلاء لم يكونوا محل رضا فثار عليهم الناس وقبضوا على آخر ملوكهم ، وترك السامانيين حكم سجستان وزالت دولة الصفاريين ، وأهم أمراء الصفاريين هم :

يعقوب بن الليث　　　　٢٥٤ — ٢٦٥ هـ

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٧ ص ٣٤٥ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٤٦٣ .
(٢) ابن خلكان جـ ٥ ص ٤٧٢ .

عمرو بن الليث ٢٦٥ — ٢٨٧ هـ

طاهر بن محمد بن عمرو ٢٨٧ — ٢٩٦ هـ

ومما يرتبط بالأسرة الصفارية أنها وهى تنزع نزعة فارسية شجعت اللغة الفارسية ، فظهر فيها لأول مرة منذ دخول الاسلام شعر باللغة الفارسية ، وكان الشاعر هو محمد بن وصيف السجزى كاتب يعقوب ابن الليث .

ويروى أن عمرو بن ليث كان يحاول أن يبدو أمام رجاله الأشداء أنه ليس انسانا عاديا ، وأن له قدرة على الاطلاع على الغيب ، وكانت وسيلته لذلك أن يربى العبيد وهم صغار ثم يهديهم الى رجاله أو يتركهم يصلون الى قصور هؤلاء الرجال بطريق أو بآخر بعد أن يعلمهم أن يداوموا الاتصال به ونقل أسرار القصور اليه ويهدد منهم من يتوانى فى ذلك أو من يذيع هذا السر ، وكان يخبر رجاله من حين لآخر بما يجرى فى قصورهم ، فيحس كل واحد منهم أن عمرو بن الليث يعرف كل شىء عنه ، فلم يجرؤ أحد منهم على التآمر عليه أو الاهمال فى تنفيذ تعليماته .

---

(١) [illegible] ص ٢٨ .

(٢) [illegible] ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

الدولة الســـامانية

٢٦١ ــ ٣٨٩ هـ = ٨٧٤ ــ ٩٩٩ م

فى تركستان وما وراء النهر وخراسان وطبرستان

تنسب الدولة السامانية الى سامان الذى يروى أنه ينحدر من نسل الساسانيين ، وأن نسبه يرتفع الى الملك الساسانى بهرام الخامس أو بهرام جور الذى توفى سنة ٤٣٩ م وقد اعتنق ســـامان الاسلام حوالى سنة ١٢٠ هـ فى خلافة هشام بن عبد الملك وقد أسس سامان احدى القرى فى منطقة بلخ فسميت باسمه [١] وقد هاجر منها سامان تحت ضغط ألمَّ به ، واتجه فى هجرته الى أسد بن عبد الله حاكم خراسان فى أيام الخليفة المهدى ليطلب عنده الحماية وهناك دخل سامان الاسلام ، ولما أنجب ابنا فى مهجره سماه أسدا ، تقديرا للحماية التى نالها فى ظل أسد بن عبد الله.

ولم يكن أسد رجـــلا فيه مواهب ذات بال ، ومن هنا لم يدون عنه التاريخ شيئا اللهم الا مرتبطا باسم أبيه أو اسم أبنائه الأربعة الأنجاب ، وهؤلاء الأبناء هم الياس ونوح ويحيى وأحمد ، وقد شب هؤلاء فى ظل الخليفة هارون الرشيد ،وخدموه بحماسة واخلاص ، فقد تعاون هؤلاء مع هرثمة بن أعين ضد الثائر رافع بن ليث ، وتوصلوا لعقد هدنة معه ، فلما توفى الرشيدوجاء المأمون الى خراسان لعب هؤلاء دورا فى الصلح الـــذى تم بين المأمون وبين رافع [٢] .

وعندما تولى المأمون الخلافة أمر غسان بن عباد واليه على خراسان أن يعين هؤلاء الأبناء الأربعة فى وظائف عالية المستوى تقديرا لجهودهم ، وبناءً على هذا قام غســـان بتعيينهم فى الوظائف التالية : اليـــاس عين حاكمـــا لهرات ، ونوح حاكمـــا لسمرقند ، ويحيى حاكمـــا على الشاش

---

(١) النرشحى : تاريخ بخارى ص ٨٦ .

(٢) انظر الجزء الثالث من هذه الموسوعة ص ٣٢٧ — ٣٢٨ .

وأشرونه ، وأحمد حاكما على فرغانة ، ويتضح من هـذا أن السامانيين نالوا السلطة فى مناطق ضمها حـكم الطاهريين ، فلما جاء عهد الطاهريين، أقر الطاهريون هؤلاء الأبناء فى مناصبهم المذكورة آنفا .

ولنتتبع هؤلاء السامانيين الأربعة فى سلطاتهم الجديدة :

أما هرات فلم يطل عهدها تحت حكم السامانيين فعندما مات الياس سنة ٢٤٢ هـ (٨٥٦ م) اختفى اسم السامانيين من هرات .

أما فى بلاد ما وراء النهر فقد لمع اسم أحمد الذى ــ على الرغم من أنه أحدث الاخوة سنا ــ أصبح فى مركز الدائرة بالنسبة لهم ، ولهـذا عندما مات أخوه نوح سنة ٢٢٧ هـ (٨٤٢ م) امتد سلطان أحمد فشمل سمرقند كما امتد سلطانه كذلك فشمل المناطق التى كانت تحت حـكم أخيه يحيى وهى الشاش وأشرونه عندما مات هذا سنة ٢٤١ هـ (٨٥٥ م) وأصبح أحمد بذلك حاكما على هذه المناطق كلها فى ظل الطاهريين (١) .

وعندما سقط الطاهريون أمام زحف الصفاريين سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م) بقى أحمد فى مكانه خاضـعا للصفاريين اذ أن الصـفاريين لم يريدوا أن يكثروا أعداءهم وقنعوا بالصراع ضد الخلافة العباسية .

وبعد أحمد جاء ولداه اسماعيل الذى استطاع أن يضم بخارى الى منطقة نفوذه ، ونصر الذى أصبح حاكما على كل مناطق ما وراء النهر ابان خلافة المعتمد وكان ذلك حوالى سنة ٢٦١ هـ وهو التاريخ الذى يعتبر بدءا لقيام الدولة السامانية ، فان الخليفة أعطى سلطة للحاكم نصر جعلته يحكم جميع هذه المناطق بالوراثة ويباشر فيها نفوذا شبه مستقل (٢) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٧ ص ٢٧٩ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق ص ٢٨٠ .

ولكن سرعان ما شب نزاع بين الأخوين اسماعيل ونصر كان النصر فيه لاسماعيل ، ولكنه وهو فى حالة الانتصار آثر أن يعطى السلطة لأخيه نصر (١) وعمل اسماعيل تحت سلطة أخيه حتى مات نصر سنة ٢٧٩ هـ فآلت السلطة طبيعيا الى اسماعيل الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للدولة السامانية ، وفى عهده تحولت الامارة السامانية الى مملكة وأصبحت بخارى عاصمة المملكة ، ولذلك يقول عنه النرشحى انه أول السلاطين السامانيين • وبدأ اسماعيل طريقه لتثبيت مملكته وتوسيعها ، وملوك السامانيين هم :

نصر (الأول) بن أحمد	٢٦١ هـ = ٨٧٤ م
اسماعيل بن أحمد	٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م
أحمد بن اسماعيل	٢٩٥ هـ = ٩٠٧ م
نصر (الثانى) بن أحمد بن اسماعيل	٣٠١ هـ = ٩١٣ م
نوح الأول بن نصر (الثانى)	٣٣١ هـ = ٩٤٣ م
عبد الملك الأول بن نوح	٣٤٣ هـ = ٩٥٤ م
منصور الأول بن نوح	٣٥٠ هـ = ٩٦١ م
نوح الثانى بن منصور	٣٦٦ هـ = ٩٧٧ م
منصور الثانى بن نوح الثانى	٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م
عبد الملك الثانى بن نوح الثانى	٣٨٩ هـ = ٩٩٩ م
	الى ٣٩٠ هـ = ١٠٠٠ م

أما توسيع اسماعيل لمملكته وتثبيتها فقد اتخذ الخطوات التالية :

— قام اسماعيل بحملة عسكرية عظيمة يمكن أن تعد من الحروب المقدسة اذ كانت ضد جيرانه المسيحيين (تاروز) Terez الذين كانوا يهاجمون المناطق الاسلامية من حين الى آخر ، وقد نتج عن انتصاره

---

(١) النرشحى : تاريخ بخارى ص ١١٥ •

فى هذه الحروب أن إعتنق الاسلام كذلك كبار قادة هذه البلاد [١] . وتبعتهم الجماهير وحولت الكنيسة الكبرى الى مسجد وتليت الخطبة باسم الخليفة العباسى [٢] .

— وحارب اسماعيل محمــد بن زيد العلوى الذى كانت له السلطة فى طبرستان وانتصر عليه وضم مساحات واسعة من أرضه الى مملكته .

— وأعظم حروب اسماعيل كانت انتصاراته الباهرة ضد عمرو بن الليث الصفارى الذى خلف أخاه يعقوب وقد استطاع اسماعيل أن ينتصر فى هذه الحروب وأن يقضى على عمرو ويرسله مكبلا الى بغداد حيث قتله الخليفة .

— وقد كافأ الخليفة العبــاسى اسماعيل على ذلك وعينه حاكمـا على خراسان بالاضافة الى ما كان تحت يده وبالإضافة كذلك الى تركستان وجورجان وبعض المناطق الهندية ، وأصبح ملك الســامانيين يشمل ما وراء النهــر وخراسان وسجستان وجرجــان وطبرستان والرى وكرمان فبلغت الدولة بذلك قمة اتساعها ، وقد حافظ السامانيون على عــلاقة طيبة بالخــلافة العباسية ، ويقول النرشحى عن اسماعيل السامانى : « انه يظهر الطاعة دائما للخلفاء ويرى متابعتهم واجبة لازمة » [٣] ولكن عندما استولى بنوبويه على السلطة فى بغداد وأخذوا يعزلون الخلفــاء ويولونهم رفض الســامانيون الخضوع لتصرفات البويهيين [٤] .

ولم تقف مواهب اسماعيل عنــد الانتصارات العسكرية بل حقق اسماعيل لدولته انتصارات اجتماعية هائلة حتى أصبح عهده ، عهد نهضة

---

(1) Barthold : Turkstan down to the Mongol Invision P. 57.

(٢) النرشحى : تاريخ بخارى ص ١١٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٧ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٦ ص ١٥٧ .

شاملة ، كما سنرى فيما بعد ، ومن أجل هذا يعتبر عهد اسماعيل عهد القمة فى العهود السامانية بالاضافة الى اعتباره المؤسس الحقيقى للدولة.

بعد اسماعيل :

كان اسماعيل قمة بين حكام السامانيين ، وهو الذى ثبت المملكة ووسعها ، ثم جاء من بعده أولاده وأحفاده ، وكان بعضهم يحاول أن يحاكى سيرة اسماعيل ، وكان بعضهم ضعيفا شأن كل الأسر الحاكمة التى لابد أن يكون فيها بعض الضعفاء .

وقد واجه خلفاء اسماعيل صورا من الصراع العسكرى نجحوا فى أكثرها ، فنصر الثانى دخل فى صراع مع الدولة الزيارية انتهت بدخولها فى طاعته ، ونوح الأول صارع بنى بويه واستطاع أن يسترد الرى وبلاد الجبل منهم ، وأرغم ركن الدولة على أن يدفع له اتاوة سنوية .

ولكن أكبر ما عاناه السامانيون كان الصراع الداخلى بين الأمراء الطامعين ، وكان كذلك الصراع ضد بعض القواد المتمردين مثل أبى على ابن المحتاج وابن سيمجور ، وبالاضافة الى ذلك نشأت بجوارهم دولة من أكبر الدول الاسلامية وهى الدولة الغزنوية التى أخذ نفوذها يمتد فى عدة أمكنة ، وعندما هزم محمود الغزنوى جيش السامانيين عند مرو أزال سلطان السامانيين من خراسان ، وفى بلاد ما وراء النهر حدثت معارك بين عبد الملك الثانى آخر الحكام السامانيين وبين الأيلك خانات وسقط عبد الملك أسيرا فى هذه الحرب سنة ٣٩٠ هـ وبذلك انقضت الدولة السامانية .

وفى وسط الاضطراب السياسى أو الاستقرار السياسى كانت بخارى تموج بالتفوق الحضارى فى مختلف الاتجاهات كما سنرى بعد قليل ، مما يجعلنا نؤكد أن بخارى تغلبت على كل الظروف لتظل فترة

طويلة واحدة من أعظم العواصم الاسلامية فى مجال الحضـــارة والتقدم واشعاعات المدنية •

الادارة فى عهـــد السامانيين :

وضع اسماعيل الســـامانى أسس الادارة للدولة السامانية ، وقـــد اتبعت هذه الأسس بعد عهده أحيانا ، وكانت سببا فيما حققته الدولة من نجاح •

ويمكن القول ان النظام الادارى عند السامانيين كان تقليدا للنظام الادارى عند الخلفاء العباسيين ، فالأمير السامانى كان له النفوذ العام ، وبجواره هيئة تنفيذية برياسته وهناك أمراء للمقاطعات التابعة للـــدولة السامانية •

وكان العلماء فى الدولة الســـامانية يتمتعون بنفوذ عظيم ومـــكانة عالية ، وكانت نصائحهم موضع تقدير الأمراء واهتمامهم ، ومن الناحية المالية كانت هناك خزانتان ، خزانة للنفقات فى الظروف العادية ، وأخرى كانت للطوارىء بحيث لا ينفق منها الا عند الضرورة ، وكان ما يؤخـــذ منها يعد دينا ينبغى اعادته لهذه الخزانة بأسرع ما يمكن •

تلك هى الخطوط العريضة للنظم الادارية التى وضعها اسماعيل ، ولكن هذه النظم نالها كثير من التغيير بعد عهد اسماعيل ، فسلطة الأمراء أخذت فى الاضمحلال ، وتسرب السلطان الى أيدى الأتراك الذين كانوا عبيدا وخـــدما فى القصـــور ، وبدأ الجيش يتدخـــل فى أمـــور السياسة ، والخزانتان أصبحتا الى الفراغ أقرب ، فاضطر الأمير الى فرض ضرائب جديدة وهذا أثار الشعب ضد الأمير ، فاتخذ الشعب جانب الثوار مما وضع نهاية للدولة •

مظاهر الحضارة فى العهد السامانى :

يقول الثعالبى فى يتيمة الدهر ، كانت بخارى تحت حكم السامانيين موطن الجلال والفخر ، ومركز الزهو والعظمة ، وأفق الأدب والأدباء ، ومكانا لالتقاء العلماء والقادة وذوى الرأى .

ويقول القزوينى : ان بخارى كانت دائما مجمع الفقهاء ، ومعدن الفضلاء ، ومنشأ علوم النظر ، وأكثر سكانها من نسل عمر بن عبد العزيز ، وقد توارثوا تربية العلم والعلماء كابرا عن كابر ، ولم تر مدينة كان أهلها أشد احتراما لأهل العلم من بخارى (١) .

واذا لاحظنا أنه فى عصر السامانيين كان هناك اضطراب فظيع يقوم به القرامطة فى العراق وسوريا واليمن والحجاز فاننا ندرك أن الدولة السامانية كانت منطقة أكثر أمنا ، وقد ساعد على الاستقرار والأمن ما كان يتحلى به اسماعيل من قدرات سياسية وعسكرية ، وقد جاء نصر الثانى ابن اسماعيل فاعتبر عصره عصر النهضة العلمية الذى يجىء بعد الاستقرار السياسى والهدوء العسكرى ، ويعتبر نصر الثانى شبيها بالمأمون حتى أنه يسمى مأمون السامانيين ، وقد عاش الثعالبى فى رحابه ، وقد شملت النهضة الفكرية فى العهد السامانى جوانب علمية وجغرافية وتاريخية وأدبية .

ويكفى فى الحديث عن النهضة العلمية أن نذكر أن العالم الكبير ابن سينا عاش فى رحاب السامانيين ، وأسهم فى وضع النظام لهذه الدولة ، وقد عاصر ابن سينا نوح الثانى ويقول ابن سينا مقدرا جهود السامانيين وعنايتهم بالمكتبات ما يلى : لقد دخلت مكتبة السامانيين فوجدتها مقسمة الى حجرات فسيحة فى كل حجرة مجموعة هائلة من

---

(١) آثار البلاد واخبار العباد : ص ٥١٠ .

الكتب فى فن من فنون المعرفة ، فهنا حجرة لكتب الشعر ، وأخرى لكتب القانون ، وثالثة لكتب الشريعة وهكذا ، وقد قرأت بعض هذه الكتب واستفدت منها استفادة عظيمة ، وبعض هذه الكتب نادر لم يُعْرَف اسمه لدى كثير من الناس (١) .

وعن الحضارة السامانية ومكان ابن سينا فيها ، يقول Donald Wilber « ان اسماعيل مؤسس هذه الدولة كان شخصا كريما ذكيا ، كما كان قائدا مظفرا ، وقد استطاع فى السنوات الأخيرة من حكمه أن يكرس كثيرا من وقته لتعمير عاصمته « بخاري » ولازال قبره قائما هو وغيره من الآثار الأخرى ، وهو فى صورة مكعب تام ، طول كل جانب منه ٣٥ قدما وتعلوه قبة نصف كروية ، وأسطح الضريح الداخلية والخارجية مزينة تزيينا بديعا ، والحيطان الخارجية مزينة بأربطة من الطوب فى صور مربعات منقوشة كقطاع السمكة ، وفى صور نماذج من المربعات المفتوحة المتقاطعة .

وفى بلاط السامانيين ازدهى رجال من عباقرة العلوم والفنون مثل الفيلسوف الشهير أبى على ابن سينا ومثل الشاعرين الكبيرين : الرودكى والدقيقى اللذين تنسب لهما نشأة الشعر الحماسى الذى أحيا روح الوطنية الايرانية (٢) .

وابن سينا هو الذي قال برأي جديد فيما يتعلق بنظرية النشوء والارتقاء التى قال بها ابن مسكويه والرومي ، والتى تبناها دارون بعد ذلك بعدة قرون ، ونظرية ابن سينا لا تتحدث عن تحولات فى الكائن وانما تذكر أن هناك تطورا ذاتيا من أجل الوصول الى الكمال ، فكل شىء فى العالم ناقص ، ولهذا فكل شىء يعمل للوصول للكمال ، والصراع من أجل الكمال يسمى الحب ، والهدف النهائى هو الجمال ، وقمة الجمال توجد

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء جـ ٢ ص ٤ .

(٢) ايران : ماضيها وحاضرها ص ص ٥٢ ـ ٥٣ من الترجمة العربية .

فى الموجود الأعظم ، ويمر الانسان فى طريقه للكمال — مدفوعا بالحب — بمراحل تشبه الحجرية فالنباتية فالحيوانية فالانسانية ، وهناك من يقف عند مرحلة من هذه المراحل ، وهناك قلة تتجاوزها فيصل الانسان فيها الى الاتصال بالموجود الأعظم وهؤلاء هم الأنبياء والقديسون [١] .

وقد وجدت العلوم التاريخية والأدبية اهتماما كبيرا من السامانيين ، وفيما يلى ذكر لعدد قليل من الأعلام الذين ينتسبون الى هذا العهد الزاهر :

— كان أبو على بن أحمد البلعمى وزيرا لعبد الملك الأول وللمنصور الأول ، وقد ترجم هذا العالم كتاب الطبرى فى التاريخ الى اللغة الفارسية .

— عبد الله محمد بن أحمد الجهيانى الذى عاش ابان حياة نصر الثانى ، ألف عدة كتب فى فنون مختلفة من بينها كتابه المسالك والممالك .

— وقد كتب تاريخ بخارى عاصمة السامانيين بواسطة عدد من المؤرخين منهم أبو بكر بن جعفر الذى قدم تاريخه لبخارى الى نوح بن نصر ، فكان هذا التاريخ مكتوبا بأسلوب عربى رائع ، وشمل لمحات عن جلال بخارى وبهائها وجميع العلماء الذين عاشوا فيها ، وجميع العلماء والنابغين فى المناطق المحيطة بها ، وهناك تاريخ آخر لبخارى كتبه ابن عبد الله الوراق ، وذلك التاريخ يشمل تاريخ السامانيين أنفسهم ، وكتب الحاكم بن عبد الله النيشابورى تاريخ العلماء الذين عاشوا فى نيشابور ، وقد كان هؤلاء العلماء من الكثرة بحيث كان هذا الكتاب فى ثمانية أجزاء .

وعن الأدب نبرز أن اللغة الفارسية عادت للظهور فى العهد

---

(١) انظر شرح هذه النظرية فى كتاب : الفكر الاسلامى منابعه وآثاره الذى ترجمه المؤلف عن الانجليزية .

السامانى ، وبدأ يظهر بها نثر رائع وشعر بديع ، وذلك بجانب ما كتب باللغة العربية فى مجال الأدب وشــعره ونثره ومن أبرز كتب الأدب فى العصر السامانى يتيمة الدهر التى أشرنا اليها آنفــا .

ومع أعظم الأدباء فى ذلك العصر يقف الأمير منصور الثانى ، وكان الأمير شابا مملوءا بالحماسة والنشاط وقــد حاول أن يمنح الدولة بعض شبابه ، ولكن الهرم كان قد سيطر على الدولة ، فاتجه الأمير الى الأدب والشعر يضع فيهما قدراته .

وشهدت الدولة السامانية نهضة صناعية طيبة وكان يقود الصناعة عند السامانيين رجال من الصين ومن مصر ، وكانت الصناعة تشمل مصانع للحرير ومصانع للقطن ، وبعض المصانع للمعادن وبخاصة الأسلحة ، وقد ساعد على ذلك مناجم الفحم التى وجدت فى فرغانة ، وقد عرفت سمرقند فى ذلك العهد بصناعة الورق الذى يعد أساسا للحضارة .

وقد استرعت النهضة الصناعية اهتماما بالطرق لنقل البضائع من مكان الى آخر ، وكانت هنــاك طرق كثيرة أهمهــا الطــريق الموصل من جورجان شمالا الى خراسان جنوبا ، والثانى الطريق الموصل من البحر الأسود الى أوربا .

وفى أواخر عهد السامانيين تحولت الدولة الى ولايات واقطاعات ، وصــادف ذلك ميــلاد قوتين عظيمتين فى تلك البقــاع هما البويهيون ، والغزنويون ، فــكان لابدَّ للسامانيين أن يُخْلوا الطــريق للقوة الجــديدة القوية .

تلك لمحة سريعة عن السامانيين الذين يمثلون أخطــر دولة فى ايران لعبت أهم دور فى تاريخ هــذه البلاد ، ووضعت الأساس لاعادة اللغــة الفارسية الى الحياة ، كما أنهــا شجعت التشيع حتى أصبح فيما بعــد المذهب الرسمى لايران .

الديلم (البويهيون) ٣٢٠ ــ ٤٤٧ ﻫ

فى بلاد الديلم ووسط ايران وغربيها وفى العراق

ان الحديث عن البويهيين يقتضينا أن نعود الى ما أوجزناه من قبل عن الدولة الزيارية فى طبرستان فقد تحدثنا هناك عن « ماكان بن كالى » الذى كان من القيادة الديالمة العظام ، وذكرنا أن آخر قواده واسمه أسفار بن شيرويه خرج عليه يعاونه قائد ديلمى اسمه مرداويج بن زيار وأخوه وشمكير ، ثم قتل أسفار وآل الأمر كله الى مرداويج وأخيه •

وهنا يأتى الحديث عن بنى بويه ، ففى بلاد الديلم نشأت أسرة البويهيين وعاصرت هذه الأحداث ، فكان أبو شجاع بويه رجلا فقيرا يشتغل بصيد السمك ، ويروى عن ابن طباطبا [1] أن أبا شجاع بويه وأباه وجده كانوا كآحاد الرعية الفقراء ببلاد الديلم ، وكان بويه صياد سمك ، وكان معز الدولة بعد تملكه البلاد يعترف بنعمة الله تعالى ويقول : كنت أحتطب على رأسى ، ويروى ابن خلكان [2] عن أبى الفرج بن الجوزى أن معز الدولة كان فى أول أمره يحمل الحطب على رأسه ثم ملك هو وإخوته البلاد •

على أن الأمجاد التى حصل عليها بنو بويه دفعت بعض الرواة والمؤرخين الى أن يتوهموا لهم نسبا رفيعا ، فنسبوهم أحيانا الى الملك الايرانى القديم (بهرام كور) وأحيانا الى وزراء هؤلاء الملوك [3] •

وكان لبويه أبناء ثلاثة هم : على والحسن وأحمد وقد رأى هؤلاء الحرب وهى تدور فى بلادهم ، فرأوا أن ينضموا اليها ليجدوا فيها

---

(١) الفخرى ص ٢٤١ •
(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٩ •
(٣) تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ج ١ ص ٢٨٧ •

وسيلة الي رغد العيش لا تحققها صناعة صيد السمك ، فالتحقوا بجيش « ماكان بن كالى » سالف الذكر ، وسرعان ما أبرزوا في عملهم براعة وتفوقا ، فاقتحموا الطريق الي الصفوف الأولى ، ويقال ان « بويه » نفسه هو الذي ترك صيد السمك وشارك في الحروب المشتعلة جنوب بحر قزوين ، فهو الذي فتح باب المجد لأولاده (١) .

وعلى كل حال فقد صار أبناء بويه من قادة « ماكان » فلما انهزم أمام مرداويج استأذنه هؤلاء لينضموا الى المنتصر قائلين الى « ماكان » : ان الأصلح لك أن نفارقك لتخف عنك مؤونتنا فأذن لهم ، وذهبوا الى مرداويج فرحب بهم وأكرمهم ، وقلد على بن بويه ولاية الكرْج (أو الكَرَج) كما استعان مرداويج بالحسن بن بويه وبأخيه أحمد في أعمال أخرى مهمة (٢) .

وخرج هؤلاء الولاة الجدد الى الرى وبها وشمكير بن زيار وأبو عبد الله العميد وزير مرداويج وأقاموا بالرى فترة ليخرجوا بعدها كل الى عمله ، وحدث في هذه الأثناء أن تدبر مرداويج أمره فأسف لأنه عقد هذه الولايات الى هؤلاء القواد ، فكتب الى أخيه وشمكير ليمنعهم من الخروج من الرى ، وان كان بعضهم خرج منع مَنْ بقى ، وكانت الكتب تصل أولا الى العميد فيقف عليها ثم يعرض على وشمكير جملتها ، فحين وقف على الكتب تقدم الى على بن بويه بسرا أن يبادر الى عمله ، اذ كانت بينهما مودة ، فقد كان على بن بويه قبل ذلك أهداه بغله حسنة وألطافا كثيرة واحتجز العميد الكتب الى اليوم التالى ، فأطلع عليها وشمكير بعد أن صار على بن بويه على مسافة بعيدة ، ففاز بالولاية التى كانت سبب ملكه (٣) .

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٤ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٥ ص ٢٧٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٧٧ — ٢٨٧ .

ووصل على بن بويه الى الكرج حيث استمال الزعماء والقادة اليه بإحسانه وسماحته ، وضاق مرداويج به وخافه على ملكه ، فاندفع على بن بويه يقوى نفسه ويعد عدته للوقوف فى وجه سيده ، ووسع ملكه فاستولى على أصفهان ، ثم استولى بمعونة أخويه على شيراز سنة ٣٢٢ (٩٤٣) وجعلها مقر سلطانه ، ومع هذا فقد حاول ترضية مرداويج فاعترف له بالسيادة ووضع عنده أخاه كرهينة ، ولم تطل المنافسة بين بنى بويه ومرداويج ، فقد هجم بعض الجنود من الأتراك على مرداويج وقتلوه سنة ٣٢٣ وهو فى الحمام ، وانتهز الحسن بن بويه فرصة الهرج الذى تلا مقتل مرداويج فهرب من بلاطه بعد ليلة من مقتله وعاد الى أخيه على[1] .

وفتح الباب عقب ذلك لانتصارات بنى بويه ،اذ استطاع أحمد أن يستولى على كرمان وزحف على الى بلاد الأهواز فاحتلها ، واحتل بعدها واسط ، واكتمل لبنى بويه بذلك السلطان على مساحة كبيرة من أملاك الدولة العباسية ، فكتب على الى الخليفة العباسى يطلب الاعتراف به ، فاستجاب له الخليفة وكتب له بذلك .

ويقول ابن خلكان [2] عن عماد الدولة : فكان عماد الدولة سبب سعادتهم التامة وانتشار صيتهم ، واستولوا على البلاد وملكوا العراقين والأهواز وفارس وساسوا أمور للرعية أحسن سياسة .

وكانت الأحوال كما قلنا قد ساءت فى بغداد ، وضعف المماليك وأمراء الأمراء عن تسيير دفة الأمور ، وفى سنة ٣٣٤ كتب قادة بغداد الى أحمد ابن بويه ليدخل بغداد ويتولى السلطان بها ، ففعل ، وقد رحب به الخليفة العباسى وعينه « أمير الأمراء » وخلع عليه ولقبه معز الدولة

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم جـ ٥ ص ١٦٣ ، ٣١٤ — ٣١٥ .
(٢) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦٤ .

ولقب أخاه عليا عماد الدولة والحسن ركن الدولة [١] وخضع خلفاء بنى العباس حينا من الزمن لبنى بويه ، وأصبح مصير العالم الاسلامى مرتبطا بهؤلاء السلاطين الجدد ، ولم يبق للخلفاء معهم نفوذ ولا سلطان ، وذهبت هيبة الخلافة طيلة هذا العهد [٢] .

فروع بنى بويه :

اقتسم بنو بويه على والحسن وأحمد المناطق التى تم لهم فتحها ، وتعاونوا على ادارتها والسيطرة عليها ، تاركين للأخ الأكبر على بن بويه (عماد الدولة) السلطان العام والتوجيه فى مهام الأمور ، ويروى لنا ابن مكسويه [٣] صورة توضح لنا سلطة عماد الدولة ومكانة أخويه منه ، قال :

وصل معز الدولة من العراق الى الأهواز ليلقى أخاه عماد الدولة ، فلما لقيه قبل الأرض بين يديه واجتهد به عماد الدولة أن يجلس بين يديه فلم يفعل ، وكان يتردد اليه كل يوم بالغداة والعشية فيقف ولا يجلس ... وكان عماد الدولة يقول عن الحسن وأحمد أخويه : أنهما أخواى بالنسب، وابناى بالتربية ، وصنيعتاى بالولايات .

وبجانب السلطان العام الذى ترك لعلى بن بويه ، كان له السلطان المباشر على الجزء الجنوبى من بلاد فارس (سجتان ومكران وكرمان) وكان للأخ الأوسط الحسن (ركن الدولة) الجزء الشمالى من بلاد فارس (بلاد الجبل والرى وطبرستان) أما الأخ الأصغر أحمد (معز الدولة) فكان له العراق (الأهواز وواسط وبغداد) .

وقد ظل الحال كذلك طيلة عهد هؤلاء الثلاثة الكبار ، وهو نظام يحمل فى طياته بذور الفرقة ولئن استطاع مؤسسو ملك البويهيين أن يتعاونوا فيما بينهم طيلة حياتهم فسرعان ما دب الشقاق بين أولادهم .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٣٤ .
(٢) أبو الريحان البيرونى : الآثار الباقية ص ١٣٢ .
(٣) تجارب الأمم جـ ٦ ص ١٣٢ .

الأجيال التالية من البويهيين :

اذا تركنا الثلاثة الكبار الذين أسسوا ملك البويهيين الفسيح وذهبنا الى الجيل التالى وجدنا ما يدعو للدهشة ، فعماد الدولة أبو الحسن على الذى كان له السلطان العام والــذى كان يرى نفسه أبا ومربيــا لأخويه وصاحب النعمة عليهما ، لم يكن لنسله من السلطان شىء ولا ذكر ، ثم أن معز الدولة أحمد الذي زحف الي بغداد ، وكان له السلطان علي الخليفة، والذى سمل عيني الخليفة المستكفى بعد أسابيع من دخوله بغداد وعزله وعين المطيع بديلا منه ، هذا الرجل لم يصل الي الحكم من أولادهم الا شخص واحد هو ابنه عز الدولة بختيار ، أما الذى قبض علي زمــــام الحكم فى بلاد البويهيين فهو عضد الدولة أبو شجاع بن ركن الدولة حسن الذي كانت له بلاد فارس ، وفى عهد عضد الدولة بلغ بنوبويه أقصى درجات قوتهم •

ولمــا توفى عضد الدولة سنة ٣٧٢ هـ قامت حروب بين أولادهم الثلاثة شرف الدولة وصمام الدولة وبهاء الدولة ، وانتهت حروب الأخوة الثلاثة سنة ٣٨٠ هـ بانتصار بهاء الدولة فلما توفى بهاء الدولة سنة ٤٠٣ هـ اشتعلت الحروب بين أبنائه الأربعة سلطان الدولة ومشرف الدولة وقوام الدولة وجلال الدولة ، واستمرت الحروب بين أخلافهم حتى هدت كيانهم جميعا وكان آخرهم السلطان الملقب « الملك الرحيم » الذى اقتحم السلاجقة بغداد فى عهده سنة ٤٤٧ وقبضوا عليه وأرسلوه أسيرا الى السجن ، وانتهى بذلك عهد البويهيين [١] •

بغــداد تفقد أهميتها :

وعندما امتــد نفوذ البويهيين الى بغــداد وسيطروا على الخلافة العباسية فقدت بغداد أهميتها السياسية ، وانتقلت هذه الأهمية الى شيراز

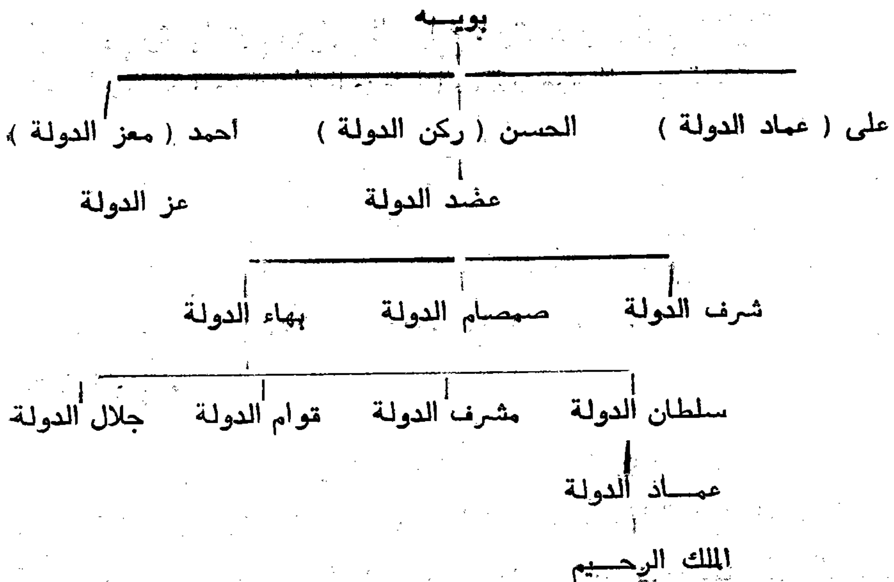
---

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٤٤٧ وعماد الدين الأصفهانى وتاريخ آل سلجوق ص ١٠ •

حيث كان يقيم على بن بويه عماد الدولة الذى كان له السلطان العام على دولة بنى بويه ، وبعد على لم تعد السلطة السياسية الى بغداد ، بل انتقلت الى أهم شخص بين البويهيين وهو عضد الدولة الذى اتخذ الرى بعد أصفهان عاصمة له ، وعضد الدولة يستحق مزيدا من الحديث فقد تعلم على أحسن المعلمين ، وكان يحب العلم والعلماء ، ويرتب الجرايات للفقهاء والمحدثين وسائر أهل العلم (١) .

وكانت له مكتبة عظيمة تحدثنا عنها فى كتابنا « التربية الاسلامية » وكان يقرض الشعروينشره (٢) وبهذا كان عهده نموذجا للتألق البويهى . ولم يخرج بيت بنى بويه بعد عضد الدولة جيلا يصلح للحكم (٣) .

وأهم سلاطين البويهيين هم :



(١) متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ج ١ ص ٣٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٧ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٢١ .

الغـــزنويون

٣٤٩ ـ ٥٧٩ هـ

فى غزنة وأكثر ايران وما وراء النهر وبعض الهند

ان قيام الأسرة الغزنوية يرجع الى نشاط بعض القادة الأتراك فى بلاط السامانيين ، فقد أصبح لهم سلطان واسع فى الجيش السامانى ، وهم الذين دبروا قتل أحمد بن اسماعيل السامانى وسيطروا على نوح الثـانى [1] .

وعلاقة الأتراك بايران قديمة ترجع الى عصر الدولة الأكمينية ، فقد اعتادت القبائل التركية أن تهاجر الى ايران لتعمـل بها ، وكان من أهم الأعمال التى وكلت للأتراك الحراسة والاشتراك فى الجيوش ، وذلك لصحة أجسامهم وشجاعتهم وميلهم للصراع ، وقـد وكل لهم الخليفة المعتصـم هذه الأعمال كما ذكرنا فى الجزء الثالث من هذه الوسوعة .

واذا كـان الأتراك قـد قنعوا فى بغـداد بالنفوذ فى ظل الخـلافة العباسية ، وحرصوا على أن ينفذوا أوامرهم من خلال الخلفاء الذين كان هؤلاء الأتراك يضعونهم فى دست الخلافة ، فان الأتراك ابتداء من الدولة الغزنوية لم يقتنعوا بذلك بل اتجهـوا لتكوين الدول والممالك بالعـالم الاسـلامى .

وكان من القادة الأتراك مملوك اسمه « البتكين » كان يقود جيش نوح الأول السامانى ، ثم ولاه عبد الملك بن نوح ولاية خراسان ، وأوصاه أن يكون الحكم من بعده لابنه ، ولكن منصور بن نوح قفز الى الحـكم بعد وفاة أخيه عبد الملك ، وحرم ابن عبد الملك من السلطة ، وهـذا أثار ثائرة « البتكين » الذى كان حريصا على تنفيذ وصية سيده ولكنه عجـز

---

(١) غرايبة : العرب والأتراك ص ٢٧ .

عن ذلك ، وأحس كل من المنصور بن نوح والبتكين بخطر الثانى عليه ، فلجأ البتكين الى مدينة « غزنة » حيث كان أبوه عاملا عليها ، وتبعه بعض رفاقه والساخطون على المنصور ، وأخفق المنصور فى القضاء عليه ، فعظم شأن البتكين فى هذه المنطقة ووسع ممتلكاته فى بعض النواحى المجاورة لها .

ومات البتكين حوالى سنة ٣٥٢ فتولى مكانه ابنه اسحق الذى لم تطل مدته ولا عــلا شأنه ، وتوفى سنة ٣٥٥ ، وتلاه بعض الأتراك الذين ليس لهم ذكر من التاريخ والذين سرعان ما أخلوا المكان الى المؤسس الحقيقى للأسرة الغزنوية وهو سبكتكين ... ويقال ان سبكتكين ينحدر من نسل يزدجرد الثالث آخر أباطرة فارس [١] ، وما ان وصل سبكتكين الى الحكم سنة ٣٦٦ هـ حتى أخذ يثبت سلطانه فى منطقة غزنة ثم انطلق منها الى البنجاب بالهند ، ثم استولى على خراسان ، وتقرب اليه نوح الثانى ابن منصور السامانى ، وعينه واليا على خراســان ، فاتسع ملكه وثبتت أركانه ، ولم يكن يربطه بالسامانيين الا خيط رفيع لا يقلل من مكانته ، فقد كان سلطانه أوسع من سلطان نوح [٢] . وأصبح له نفوذ فى بلاط السامانيين الى درجة أنه أصبح له تعيين الوزراء فى هذا البلاط [٣] .

وقبيل موت سبكتكين أوصى بالسلطة لابنه اسماعيل وتجــاهل ابنه الأكبر محمود الذى كان فى نيسابور آنذاك ، ولكن محمودا ثار لذلك عقب موت أبيه وحارب أخاه اسماعيل وانتصر عليه وبدأ بذلك أزهى عصور الغزنويين .

ويبدو أن السبب فى اختيار اسماعيل لولاية العهد هو ارضاء أخواله الذين كانت لهم سلطة فى الدولة ، أما أخوال محمود فلم يكن لهم سلطان

---

(١) المولوى : جامع الدول (مخطوط) .
(٢) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ١ ص ١٨١ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٤١ .

مثل هؤلاء ، هذا بالاضافة الى أن محمودا كان بعيــدا عن العاصمة قبيل وفاة أبيه ، فقد كان فى نيسابور قائدا لجيوش أبيه هناك [١] .

وعلى كل حال فقد حقق محمود النصر على أخيه دون كبير عناء ، ثم أسرع فوضع نهاية للدولة السامانية التى كانت تترنح فى أيامها الأخيرة .

وأتيحت لمحمود فرصة لمزيد من السلطان ، فقــد ذكرنا من قبل أن السامانيين رفضوا تصرفات بنى بويه مع الخلفاء العباسيين عزلا وتعيينا وبالتالى لم يخطبوا للخليفة القادر الذى كان البويهيون قــد وضعوه فى دست الخلافة ، فاتخذ محمود ذلك ذريعة له وهاجم الســامانيين وقضى عليهم ، وأرسل للخليفة رسالة يقول فيها : ... وجريت على عادتى مع هذا الأخير « يقصد عبد الملك بن نوح » أوفد اليه مرة بعد أخرى ، وثانية عقب أولى مَنْ يدعوه إلى الرشاد فلم يزده ذلك إلا ما زاد أخاه (أى منصور بن نوح) استعصاء واستغواء ، فلما يئست من فيئه الى واضح الجدد نهضت إليه بمن معى من أنصار مولانا أمير المؤمنين [٢] .

وبذلك حقق محمود آماله وآمال أبيه فى وراثة خراسان أهم ممتلكات آل سامان ، وولىّ عليها أخاه نصر بن سبكتكين الذى صار قائداً لجيوش خراسان وأصبح محمود أكبر قوة فى شرق العالم الاسلامى فأعلن نفسه « سلطانا » وأرسل اليه خليفة بغداد الألقاب والخلع وأقره على ما فى يديه ، واطاعه حــكام الأطراف فى خراسان وخطبوا له [٣] .

وحصل محمود بذلك من الخليفة العباسى بالاعتراف به وبسلطانه على الأرض التى يسيطر عليها ، ثم راح يزيد من ممتلكاته ، وبخاصة فى

---

(١) نظام الملك : سياسة نامة ص ١٢٥ .
(٢) تاريخ ابو هلال الصابى — مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠٤ ص ٣٧٤ .
(٣) العتبى = جـ ١ ص ٣١٤ ، وابن الأثير جـ ٩ ص ٥٤ و ٥٥ .

بلاد الهند ، وحطم الأصنام التى كانت فى المعابد الهندية وبخاصة فى المدينة المقدسة « سومنات » ولذلك سمى « محطم الأصنام » وأحضر الى غزنة أجزاء هذا الصنم الكبير فجعل منها درجات للسلم الذى كان يصعد الناس عليه الى مسجده العظيم بغزنة ، وفى العام التالى زحف الى كشمير فأخضعها ودخل أكثر سكانها دين الاسلام ، ثم زحف محمود الى بلاد ما وراء النهر فخضعت له سمرقند وبخارى ، ومد سلطانه الى أصفهان وكانت فى يد البويهيين ، ثم مد سلطانه الى كل أجزاء ايران الأصلية الا كرمان وفارس .

وفى عهد محمود كانت قوة السلاجقة قد أخذت فى الظهور ، ولكن قوة محمود كانت فى قمة مجدها فأحنى له السلاجقة الرؤوس ، ودخلوا فى طاعته .

وأصبح محمود بذلك يحكم مملكة واسعة جدا ، كما حصل على مال وفير من غزواته وبخاصة فى بلاد الهند التى كانت معابدها حافلة بالثروة ، ومن أجل هذا عاد محمود الى غزنة ليجعل منها عاصمة أوسع مملكة آنذاك ، فاهتم ببناء القصور والمساجد والصروح ، واقتدى به رجاله فى مجال البناء ، والتعمير حتى أصبحت غزنة درة العواصم ، وذاع صيتها فى جميع الأرجاء ويقال ان السلطان محمود أنفق القناطير المقنطرة على بناء مسجده الذى لم يكن هناك آنذاك ما يضارعه [١] .

واشتهر محمود بالعدالة بين الرعية لا يفرق فى ذلك بين أمير وحقير ، كما اشتهر برعاية العلماء وتقريبهم ، « فمما يلفت النظر أن محمودا كان حاميا للعلوم والآداب والفنون الجميلة بقدر ما كان قائدا ورجل سياسة ، وقد اجتمع فى صالونه بغزنة من الشعراء عنصرى وعسجدى وفرخى

---

(١) سنتكلم عن السلطان محمود وغزواته للهند فى دراساتنا عن « الاسلام فى شبه القارة الهندية » بهذا الجزء ان شاء الله .

والفردوسى وغيرهم من أدباء العصر وعلمائه بحيث عجزت كل العواصم عن منافسته فى ذلك ، وازدانت غزنة فى ذلك العصر بما لا مثيل له فى غيرها من القصور والمساجد والقنوات والمبانى الفخمة والآثار النافعة لأن محمودا عرف كيف يفيد من آثار الهند العمرانية بنفس القدرة التى عرف بها كيف يغير عليها » (١) .

قمم فكرية فى بلاط محمود :

يقول Wilber كان محمود يستدعى أشهر العلماء والشعراء الى غزنة ، فقد استدعى عنصرى الشاعر والبيرونى العالم المؤرخ والفردوسى الذى فاق الجميع ، وفى بلاط محمود بدأ الفردوسى ينظم ملحمته الشهيرة الشاهنامة أو كتاب الملوك وقد أتمها فى ٠٠٠ر٦٠ بيت من المنظوم ، والملحمة تحتوى على أمجاد أربع دول اثنتان منها خرافيتان مأخوذتان من أساطير الاوفستا واثنتان تاريخيتان هما البارثيون والساسانيون وان كانت الأساطير قد اقتحمت تاريخ هاتين الدولتين أيضا، وتهتم الملحمة بقصص البطولة والفروسية وكانت الشاهنامة مصدر الهام لكثير من شعراء الفرس المتأخرين ، كما كانت مصدر الهام لبعض الشعراء الغربيين ••••• وقد اشتهرت الشاهنامة فى ايران فقل من لم يحفظ منها قليلا أو كثيرا حتى الآن ، ويذكر المؤرخون أن محمودا الغزنوى كان مشغولا بتوسيع مملكته وبالأمجاد الحربية ، ثم أن وشايات قامت بينه وبين الفردوسى اعتمدت على أن الفردوسى يبالغ فى مدح قومه الفرس فى الشاهنامة ويفضلهم على الأتراك الذين ينحدر منهم الغزنوى ، وكان ذلكمن الأسباب التى جعلت هبة السلطان المالية للشاعر ضئيلة ، وبالتالى اندفع الشاعر يوزع هذه الهبة على الناس استخفافا بها ، فغضب عليه السلطان وطلبه ، ولكن الفردوسى هرب وراح شريدا يلجأ لهذا وذاك ولم يعرف الغزنوى قدره الا فى أخريات حياته ولكن بعد فوات الأوان .

(١) دكتور احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ج ٢ ص ٥٩٠

الشاهنامة إحيـــاء للغــة الفارسية :

كانت الشاهنامة مكتوبة باللغــة الفارسية ، ومن ثم كانت أساسا لاحياء هذه اللغة ، ويلاحظ أن بعض معــاصرى الفردوسى كتبوا كتبهم باللغة العربية لأن اللغة العربية بهرتهم بأساليبها ، كما أن الحروف العربية حلت تماما محل الحروف الفهلوية المعقــدة ، وبعد الفردوسى جــاء من العلماء من يكتب باللغتين العربيــة والفــارسية كالســعدى ، ثم غلبت الفارسية ، ولكن بعد أن ثبتت الحروف العربية ، وأصبحت اللغة العربية هى اللغة الثانية للمثقفين من الفرس ، ووجد كذلك بين العرب من عرفوا اللغة الفارسية واهتموا بها [١] .

ومما يدل على اهتمام السلطان محمود بالفكر والثقــافة ما يذكره Browne [٢] من أن السلطان محمودا كتب الى مأمون بن مأمون بن خوارزم كتابا يقول فيه ان جماعة من أهل العلم والفضل يعيشون عنده ، وانه يرغب فى أن يرسلهم اليه لينتفع بعلمهم وفنهم ، وقد عرض مأمون ذلك على العلماء الذين طلبهم محمود وكان ابن سينا والبيرونى منهم ، فرفض ابن سينا أن يذهب اليه خوفا من تسلطه ، وأما البيرونى فقد وافق وذهب الى محمود .

ويذكر كذلك [٣] أن رعاة الأدب آنذاك كانوا كثيرين ، ويعــد منهم السلطان محمود فى غزنة ، وأخاه نصر فى نيسابور ، وبخارى فى عهــد السامانيين ثم فىعهد الغزنويين ، وقصور العلويين والزيريين فىطبرستان ، وقصور ملوك خوارزم فى مدينة خيوة ، بالاضــافة الى قصر الصــاحب ابن عباد وزير البويهيين فى أصفهان .

---

(١) ايران : ماضيها وحاضرها ص ٥٥ — ٥٦ بتصرف .
(٢) تاريخ الأدب فى ايران : الترجمة العربية ص ١١٢ .
(٣) المرجــع السابق ص ١١٥ .

وكان أبو الريحان البيرونى من مشاهير العلماء ، وقد عاش فى كنف أمراء خوارزم فى خيوة ثم فى كنف شمس المعالى قابوس فى طبرستان وأخيرا فى كنف السلطان محمود وأفراد أسرته من بعده [1] .

الغزنويون فى طريق الانحدار :

كان للسلطان محمود ابنان ، أكبرهما اسمه مسعود وكان أبوه يعتمد عليه فى حروبه وفى ادارة مملكته ، والأصغر اسمه محمد وكان أقل كفاءة من مسعود ولكنه كان حظيا عند أبيه ، وقد وقع محمود فى السقطة التى وقع فيها أبوه فعين ابنه الأصغر ليكون خلفا له ، وتجاهل الابن الأكبر الذى كان أعظم شأنا وأعلى همة ، وسأل محمود" ابنه الأكبر عما سيكون موقفه من أخيه الأصغر بعد أن يئول له السلطان ، فأجاب مسعود اجابة جريئة كان حريا بها أن تجعل الأب يعود لتدبر أمره ،ولكنه لم يفعل ، قال مسعود لأبيه : سأعامله كما عاملت أخاك الأصغر عندما آثره أبوك عليك ، وكان تصرف محمود داعيا لصراع بين الأخوين سرعان ما انتصر فيه مسعود .

وقد فسر مسعود موقف أبيه منه بقوله : ان والدنا قد رغب عنا فى أواخر أيامه ، وأساء الظن بنا ، ولم تكن هذه الظاهرة خاصة به ، بل هى تظهر عند أكثر الملوك فى أواخر أيامهم بالنسبة الى ولاة العهود إذ يحسون أن هؤلاء سيحلون محلهم [2] .

وهكذا فان مسعود يرى الغيرة هى السبب فى انصراف أبيه عنه ، ولكن التاريخ يتجه اتجاها آخر فى هذه القضية فيذكر أن الصلة بين محمود وبين مسعود لم تكن طيبة . وأن الوشايات ظهرت بينهما فأعرض

---

(١) تاريخ الأدب فى ايران : ص ١١٦ — ١١٧ .
(٢) تاريخ البيهقى : ص ٨٠ ترجمة الدكتور يحيى الخشاب .

عنه أبوه : كما أن مسعود عرف عنه نوع من المجون جعل أباه يعرض عنه ، ويراه ليس كفئا لهذه المكانة (١) .

وقد انتهزت مناطق شتى من الهند فرصة النزاع بين الأخوين فثارت على الغزنويين ، كما بدأ السلاجقة فى الظهور بعد وفاة محمود وقيام صراع داخلى بين خلفائه ، وقد حاربهم مسعود ولكن جنوده ثاروا عليه لكثرة ما خاضوا من حروب ، ونادى بعضهم باعادة محمد بن محمود للسلطة وكان مسعود قد سمل عينيه وسجنه ، فأخرجوه من السجن وسلموه السلطة ، ووضعوا مسعودا فى السجن ، ولكن أولاد محمد قتلوا عمهم مسعودا انتقاما لعزل أبيهم وسمل عينيه ، ويقال أن محمدا لم يكن راضيا عما أحدثه أبناؤه بأخيه فبعث يعزى فيه أبناءه ، ولكن هؤلاء لم يغفروا ما حدث لأبيهم فزحفوا للثأر .. واتجهت الدولة الغزنوية للضعف فاستولى السلاجقة فى الفترة بين ٤٢٨ — ٤٣٧ على ما كان فى قبضة الغزنوية من المناطق الايرانية ومناطق ما وراء النهر ابتداء من بلخ وخوارزم الى الرى وأصفهان ، ثم استولى الغوريون على غزنة سنة ٥٥٣ ، فنقل الغزنويون عاصمتهم الى ما تبقى لهم فى الهند فجعلوا « لاهور » عاصمة لهم ، ولكن سرعان ما وقع « تاج الدولة خسرو » آخر حكام الغزنويين أسيرا فى يد الغوريين ، فسيق الى غزنة وهناك أعدم ، وآلت أملاك الغزنويين فى غزنة وفى الهند الى الغوريين .

وحكام الغزنويين هم :

البتكين	٣٥١ — ٣٥٢
اسحاق ابنه	٣٥٢ — ٣٥٥
حركات ثورية وقادة لا أهمية لهم	٣٥٥ — ٣٦٦
سبكتكين	٣٦٦ — ٣٨٧

---

(٢) الكامل لابن الأثير : ج ٩ ص ١٦٩ .

ابنه اسماعيل	٣٨٧ — ٣٨٧
محمود الغزنوى	٣٨٧ — ٤٢١
محمد بن محمود (أول مرة)	٤٢١ — ٤٢١
مسعود الأول	٤٢١ — ٤٣٢
محمد (مرة ثانية)	٤٣٢ — ٤٣٢
مودود بن مسعود الأول	٤٣٢ — ٤٤١
مسعود الثانى (ابن مودود)	٤٤١ — ٤٤١
على بن مسعود الأول	٤٤١ — ٤٤١
عبد الرشيد بن محمود	٤٤١ — ٤٤٤
فرخزاد بن مسعود الأول	٤٤٤ — ٤٥١
ابراهيم بن مسعود الأول	٤٥١ — ٤٩٢
مسعود الثالث بن ابراهيم	٤٩٢ — ٥٠٨
شيرزاد بن مسعود الثالث	٥٠٨ — ٥٠٩
أرسلان شاه بن مسعود الثالث	٥٠٩ — ٥١٢
بهرام شاه بن مسعود الثالث	٥١٢ — ٥٤٧
خسرو شاه بن بهرام شاه	٥٤٧ — ٥٥٥
خسرور ملك بن خسرو شاه	٥٥٥ — ٥٧٩

ثم جاء بعدهم السلاجقة والغوريون وسلاطين هنود .

السلاجقة (التركمان أو الأتراك أو الغز)
٤٣٢ — ٥٨٣ هـ

ما وراء النهر وخراسان وايران والعراق والشام والأناضول
(مكان السامانيين والغزنويين والبويهيين والروم)

نشأة الســلاجقة :

شهد القرن الثانى الهجرى ، وكذلك القرن الثالث والرابع أفواجا من قبائل الأتراك (الغز) تهاجر من أقصى تركستان تحت ضغط سياسى أو اقتصادى أو كليهما ، متجهة نحو الغرب ، محــاولة الاستقرار فى اقليم ما وراء النهــر واقليم خراسان ، ولم تكن هــذه القبائل فى أول أمرها موحّدة القيادة ، ولم تكن تنسب الى أصل تـُعـْرَف به ، فلما ظهر سلجوق فى النصف الثانى من القرن الرابع جمع شمل هذه القبائل ، ووحدها تحت زعامته فنسبت اليه وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده من بعده •

ونزل السلاجقة بالقرب من السامانيين والغزنويين ، فدخلوا الاسلام وتعصبوا للمذهب السنى الذى كان منتشرا بتلك البقاع ، والــذى هو أقرب الى العقل السلجوقى ، وكانت الحــروب مشتعلة بين الســامانيين والغــزنويين ، فانضم الســلاجقة للسامانيين وســاعدوهم ، وكافأهم السامانيون على ذلك بأن سمحوا لهم بالاستقرار قريبا من شاطىء نهــر سيحون ، وانهارت الدولة السامانية فى أواخر القرن الرابع (سنة ٣٨٩) أمام عنفوان الغزنويين ، فأتاح هذا للسلاجقة الفرصة للاستقلال بما تحت أيديهم من أملاك الدولة المنهارة •

ومات سلجوق وهو فى المائة من عمره أو تجاوزها ، فتولى رياسة هذه القبائل ابنه اسرائيل ، وبدأ محمود الغزنوى يتوجس خيفة من هذه القوة الناشئة ، ولكنه تظاهر بالمسالمة واستدعى اسرائيل لمفاوضته وقبض

عليه غدرا وألقاه فى السجن ، فاختار السلاجقة أخاه ميكائيل بن سلجوق لقيادتهم ، فمال هذا لمسالمة محمود الغزنوى ، اذ أدرك أن قوتهم لا تسمح بمصارعة قوة الغزنويين ، ومع هذا فان سياسة المسالمة لم تدم طويلا ، اذ هجم عليهم محمود الغزنوني وشتت شملهم سنة ٤١٨ ومات ميكائيل عقب ذلك ثم مات محمود الغزنوي ، وآلت أمور السلاجقة الي ابنى ميكائيل جفرى بك وطغــرل بك ، ومهّد موت السلطان محمــود الغزنوى الطريق لنجاح السلاجقة ، اذ لم يستطع ابنه مسعود أن يملأ الفراغ الكبير الذى كان يشغله أبوه ، فانهزم أمام السلاجقة فى موقعة سرخس سنة ٤٢٩ وعاد الي الهند تاركا خراسان وما وراء النهر للقوة الجديدة ، وأعلن طغرل بك قيام دولة السلاجقة في هذه السنة ، وبعد أن تم الاستقرار لهــا اعترف بها الخليفة العباسي سنة ٤٣٢ (١) .

واستمر اتساع سلطان السلاجقة بعد ذلك فشمل بخارى سنة ٤٨٢ ثم سمرقند بعد حصار أسهم الأهالى فى نجاحه بأن قدموا المؤن والذخائر لجيش السلاجقة كرمز للترحيب بهم ليخلصوهم من العنف الذي كان طابع الحكام الغزنويين فى هذه الفترة (٢) .

ولنقتبس من ابن طباطبا (٣) طرفا ممــا ذكره عن نشأة السلاجقة ، قال : هم قوم أصلهم من الترك والخــزر ، وكانوا يخــدمون مع ملوك الترك ، ونشأ زعيمهم سلجوق وكانت امارات النجابة لائحة عليه ودلائل السعادة ظاهرة على حركاته ، فقرّبه ملك الترك واختص به ، ولقبــه « شباشى » ومعناه فى لغتهم « قائد الجيش » فنبغ سلجوق بعلو همته ، واستمال قلوب الرجال بكرمه وعقله ، وانقادت الأكــابر اليه ، فيقال ان

---

(١) Barthold : Turkestan Down to the Mongal Invasion pp. 302 - 303

(٢) Barthold : Ibid p. 136.

واقرأ كذلك السلاجقة في ايران والعراق للدكتور عبد المنعم حسنين ص ١٦ وما بعدها .

(٣) الفخــري ص ٢٥٥ .

زوجة ملك الترك قالت لزوجها : إلى أتوسَّم فى سلجوق تغلبا عليك ، والرأى عندى أن نقتله فقد كثر ميل الناس اليه ، فقال لها : سأنظر فى أمره ، ثم أحس سلجوق بشىء من ذلك العزم ، وظهر له التغير ، فجمع عشيرته ومن اتبعه أو حالفه ، واستجلب من أطاعه ، وبخاصه من الغزّ ، ونفر بهم من بلاد الترك الى بلاد المسلمين ، فلما دخلها أظهر الإسلام ليكون المسلمون عونا له ، وليمكنوه من المراعى والمساكن ، فنزل فى (جَنْد) بدائر بخارى حيث يصبّ نهر سيحون فى بحيرة خوارزم (آرال) وشرع سلجوق فى غزو مَنْ قاربه من أمراء تلك المنطقة ، وكان لملك الترك اتاوة على تلك البلاد المتاخمة له فقطعها وطرد نوابه .

وبعد أن دخل السلاجقة بلاد الاسلام اشتهروا أيضا بلقب « المتركمان » وقد انحازوا الى مذهب أهل السنة الذى كان يتلاءم وعقولهم البسيطة ، فأقبلوا على هذا المذهب بكل ما فى نفوسهم الفظّة من قوة وحماسة (١) .

ونشب بعد ذلك نزاع بين الغزنويين بعضهم البعض ، فانتهز السلاجقة هذه الفرصة واحتلوا خوارزم وطبرستان ، وقاموا بحملات ضموا فيها أذربيجان ، واستطاعوا بجهد يسير أن يقضوا على بقايا البويهيين فى فارس ، ووقفوا بذلك على أبواب العراق .

السلاجقة فى بغداد :

بينما كان نجم السلاجقة يتألق كان نجم البويهيين فى طريقه الى الأفول ، وجدّت ظروف أسرعت بالسلاجقة الى بغداد ، فقد كان السلطان البويهى (الملك الرحيم) ضعيفا ، وكان أحد قواده الأتراك واسمه البساسيرى صاحب السلطان الحقيقى فى بغداد ، وقد تمرد هذا القائد على سيده البويهى وعلى الخليفة ، وحاول أن يستبد بالأمر وأن يدعو للخليفة الفاطمى (المستنصر) فاستنجد الخليفة العباسى (القائم) بزعيم

---

(١) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية ليروكلمان ج ٢ ص ١٢٥ .

السلاجقة (طغرل بك) وانتهز طغرل بك هذه الفرصة وسار بجيوشه حتى دخل بغـداد سنة ٤٤٧ وأحسن الخليفـة استقباله ، ولقبـه يمين أمير المؤمنين ، وخضع له الملك الرحيم ، واستقر الرأى على أن يذكر فى الخطبة اسم القائد السلجوقى بعد اسم الخليفة ثم يليه اسم الملك الرحيم ، ولكن طغرل بك سرعان ما قبض على الملك الرحيم وأرسله أسيرا الى الرى ، فألقى به فى السجن ، وحذف اسم الملك الرحيم من الخطبة وانتهى بذلك عهد البويهيين وبدأ سلطان السلاجقة [1] .

مشكلة البسـاسيرى :

هرب البساسيرى من وجه الجيش السلجوقى ، واتجه الى الشمال ، وهناك تحالف مع قريش بن بدران أحد أمراء الدولة العقيلية ، وهـاجم الموصل ودخلها ، ودعا فيها للخليفة الفاطمى ، فتبعه طغرل بك واقتحم عليه الموصل وتمكن من قمع فتنة البساسيرى سنة ٤٤٩ وبسط نفوذه على ديار بكر ، ثم عين أخاه لأمه ابراهيم ينال واليا على الموصل والجزيرة ، وقفل راجعا الىبغداد بينما فر البساسيرى صوب الشام [2] .

غير أن ابراهيم ينال تمرد على السلطان السلجوقى ، وغادر الموصل واتجه بجيشه مراغما الى همدان — وكان قد تمرد بها من قبل ثم استسلم وعفا عنه طغرل بك — فلحق به طغرل بك بجيشه ، وأوقع به هزيمة ساحقة بالقرب من الرى ، وقبض عليه وقتـله سنة ٤٥٠ ، وخلت العـراق من السلاجقة آنذاك ، فانتهز البساسيرى الفرصة وعاد الى بغداد ، واستولى على السلطة ، وأعلن تبعية بغـداد للخليفة الفاطمى ، واستجار الخليفة العباسى بقريش بن بدران فأجاره ، ونجا بذلك من القتل ، وظلت بغـداد تابعة للقاهرة أكثر من عام (٤٥٠ — ٤٥١) حتى انتصر طغرل بك على

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٤٧ والراوندى : راحة الصدور ص ١٠٦ نقلا عن عبد المنعم حسنين ص ٣٩ وعماد الدين الأصفهانى : تاريخ آل سلجوق ص ١٠ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ص ١٠٧ نقلا عن عبد المنعم حسنين ص ٤١ .

أخيه ، وعاد الى بغداد حيث هزم البساسيرى وقتله ، وأعاد الخليفة العباسى الى سلطانه واستقرت بذلك قدم السلاجقة فى بغداد حيث بدأ عهد جديد على الخلافة العباسية (١) .

العلاقة بين الخلفاء وسلاطين السلاجقة :

كانت العلاقة بين خلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة مغايرة للعلاقة التى كانت بين هؤلاء الخلفاء وسلاطين البويهيين ، ويذكر المؤرخون أن أهم سبب لذلك هو الاتفاق المذهبى ، فهؤلاء وأولئك يدينون بالمذهب السنى ، مما يسّر التعاون بين الجانبين ، ودفع السلاجقة الى اجلال الخلفاء واحترامهم احتراما عميقا ، ويبدو لى أنه بالاضافة الى هذا السبب كان البويهيون أجلافا قساة ، ولم يكن السلاجقة كذلك ، فمن الممكن أن يكون هناك اختلاف فى المذهب مع تبادل الاحترام ومع التعاون للخير المشترك والنفع العام .

ويقول الراوندى (٢) معللا ولاء السلاجقة للخلفاء العباسيين مايلى :

أثّرت بداوة السلاجقة فى تعصبهم الشديد للاسلام بعد اعتناقهم له ، كما أثّرت فى ميلهم المفرط الى أهل السنة والجماعة بعد اعتناقهم المذهب السنى ، ومن هنا ظهر تصرفهم تجاه الخلفاء فكانوا يظهرون لهم الولاء ..... ويدينون لهم بالطاعة والاحترام وبسبب تعصب السلاجقة لمذهب أهل السنة طال صراعهم مع الحشاشين (الاسماعيلية) الذين كانوا من غلاة الشيعة .

العاصمة الدينية والعاصمة السياسية :

فى خلال العهد السلجوقى استعادت بغداد بعض مكانتها فأصبحت العاصمة الروحية حيث يعيش الخليفة متمتعاً بسلطاته الدينية ، أما السلطة السياسية فكانت فى عاصمة السلاجقة ، نيسابور أولا ثم الرى بعد

(١) عماد الدين الأصفهانى : تاريخ آل سلجوق ص ١٥ ، ١٧ وابن خلكان ج ١ ص ٦١ — ٦٢ .

(٢) راحة الصدور ص ٩٨ نقلا عن سلاجقة ايران والعراق ص ٢١ .

ذلك [١] • ولعل انفراد الخليفة ببغداد مع اجلال السلاطين واحترامهم له هيأ له صورة من النفوذ ، وأعاد له ما كان قد فقد من هيبة وجلال •

فتح آسيا الصغرى ونتائجه :

لم يتقدم الفتح الاسلامى فى آسيا الصغرى طيلة العهود التى سبقت السلاجقة واكتفى المسلمون من جانب والبيزنطيون من جانب آخر ، بغارات لم يقصد بها الاقامة بقدر ما يقصد بها التخويف أو الاستيلاء على الغنائم والأمتعة ، ولكن السلاجقة دخلوا فى آسيا الصغرى معارك كان يقصد بها القضاء على البيزنطيين فى تلك البقاع وطَرْدُ سلطان الروم نهائيا ، وقد نجح السلاجقة فى ذلك فأوقعوا سنة ٤٦٤ هـ — ١٠٧١ م هزائم حاسمة بالجيوش البيزنطية ، واستولوا فى أثرها على معظم آسيا الصغرى التى لم يتح للعرب فتحها قط ، وجعلوها مقرًّا لنزول الأتراك فيها [٢] •

ومن المعارك التاريخية المهمة التى حدثت فى آسيا الصغرى معركة « ملاذكرد » وقد ألقى فيها الامبراطور الرومانى رومانوس ديوجينس بقواته وبأخلاط من العسكر المسيحى الذى استنجد به ليقف فى وجه زحف السلاجقة بقيادة ألب أرسلان ، وقد حاول السلاجقة — استعظاما لجيش الروم — عقد صلح مع الامبراطور الرومانى ، ولكن الامبراطور رفض هذا العرض مدعيا أن الصلح سيتم فى الرى عاصمة السلاجقة •

وهذا الموقف دفع السلاجقة للاستماتة فى المعركة ، والى خوضها بإصرار وعناد لا كمهاجمين فقط بل كمدافعين عن أرضهم وأهليهم الذين هددهم الامبراطور بالتدمير والأسر ، ونجح السلاجقة فى هذه المعركة نجاحا ضخما فمزقوا شمل جيش الروم ، وفرشوا أرض المعركة بالضحايا ، وأسروا الامبراطور نفسه ، وتمّ صلح اعترف فيه رومانوس بما

---

(١) كانت اصفهان كذلك عاصمة لبعض سلاطين السلاجقة وكذلك مرو •

(٢) Kirk : A short history of the midlle East p. 67.

فتحه المسلمون من اجزاء آسيا الصغرى ، وتعهد بدفع جزية سنوية للمسلمين

وتعد هذه المعركة نقطة تحول فى التاريخ الاسـلامى بصفة عامة وتاريخ غربى آسيا بصفة خاصة لانها يسرت القضـاء على نفوذ الروم فى أكثر أجزاء آسيا الصغرى ، وفتحت الطريق لزحف جديد [١] .

وقد كان هذا التصرف مثيرا لأوربا ، فكان من العوامل التى أدت للحروب الصليبية ، كما أن الأتراك العثمانيين كانوا ضمن الطوائف التى اشتركت فى المعارك ضد الروم ، وقد سمح لهم السلاجقة بالاستقرار فى بعض ما فتحـه المسلمون فى آسـيا الصغرى مما كان نواة لتكوين الامبراطورية العثمانية فيما بعد ، وبفتح آسيا الصغرى كان سـلطان السلاجقة يمتـد من بلاد ما وراء النهر الى البحـر المتوسط ، وأصبحت البلاد الأسيوية الإسلامية كلها تحت حكم شخص واحد ، وكان امتداد هذه السـلطة قد وصـل مداه .

وقُتِلَ ألب أرسلان وهو فى قمة النصر ، وكان قتله على يد أسير من أسراه وهو يوسف الخوارزمى الذى حارب بجسـارة ليدافع عن بلاده خوارزم عند زحف ألب أرسلان عليها ، ولما وقع يوسف فى الأسر أهانه ألب أرسلان فرد عليه يوسف ردًّا غليظـا غير مهتم بالأسر ونتائجه ، فحكم عليه ألب أرسلان بالاعدام ، وقرر أن يضربه بنفسه ، وحين وقف ليتلقى الضربة فاجأ الحاضرين بالانقضاض على ألب أرسـلان وطعنه طعنة قاتلة ثم قُتلَ بعـدها ، وعندما كان ألب أرسلان فى اللحظـات الاخيرة من عمره قال : **بالأمس كانت الأرض تهتز من تحتى بسـبب** ضخامة جيشى وكثرة جندى ، وكنت أقول لنفسى : أنا ملك العالم ، ولهذا **أسقطنى الآه القوى العظيم بيد واحد منفرد من أضعف خلقه ، فأنا التمس المغفـرة منه وأندم على تفكيرى [٢] وسنرى فيما بعد ماذا حـدث بعد اغتيـال ألب أرسـلان .**

---

(١) Muir : The Roman Impire Val 3 p. 217.

(٢) ايران : ماضيها وحاضرها ص ٦٠ من الترجمة العربية .

وزراء السلاجقة :

فى العهد السلجوقى أصبح هناك وزراء للخلفاء ، ووزراء لسلاطين السلاجقة بعكس ما كان عليه الحال فى عهد البويهيين اذ لم يكن هناك وزراء للخلفاء ، وكان وزراء سلاطين السلاجقة الأول من طبقة عالية جدا جعلت مقاليد الامور فى أيديهم أكثر مما كانت فى أيدى السلاطين ، وقد انحدر نفوذ هؤلاء الوزراء الى أبنائهم فأحفادهم ، وهذا النوع من الوزراء جعل السلاطين قليلى الخبرة فى شئون السياسة والدواوين ، ومن ثم كان لزاما عليهم أن يعتمدوا على الوزراء فى حمل هذه الأعباء ، وقد استتبع هذا أن نعم وزراء السلاجقة بنفوذ كبير وكان الوزير السلجوقى يلقب « خواجة بزرك » أى السيد الاعظم ، وله الاشراف على جميع الدواوين .

وقد تولى وزارة السلاجقة مجموعة من الرجال الافذاذ ، ويوضع فى قمتهم الوزير الايرانى الشهير نظام الملك وسبع من أولاده وأحفاده ، ومن وزراء السلاجقة من غير أسرة نظام الملك نذكر الآتية أسماؤهم :

تاج الدين أبو الغنايم — وزيرا لألب أرسلان بعد اغتيال نظام الملك
على بن الحسن الطغرائى — وزير السلطان سنجر
سعد بن على بن عيسى — وزير السلطان سنجر أيضا
شرف الدين القاشانى — وزير السلطان محمود بالعراق
الاستاذ الطغرائى — وزير السلطان مسعود بن محمد بالعراق (١)

ونعود لنظام الملك لنذكر لمحة عنه (٢) ، فالكلام عن السلاجقة لا يتم دون تخصيص فراغ لنظام الملك ، فقد تمت سلطنة ألب أرسلان بعون نظام الملك وتأييده ، فقد كان طغرل بك قد أوصى بالأمر بعده لسليمان بن داود أخى ألب أرسلان لأبيه ، ولم يكن ذلك لكفاءة سليمان بل لأن أمه

---

(١) انظر وزراء السلاجقة فى « معجم الانساب والأسرات الحاكمة » لزامباور ج ٤ ص ٣٣٨ — ٣٤٠ .
(٢) أوردت ترجمة وافية لنظام الملك فى كتابى « التربية الاسلامية » .

كانت حظية عنده فتبع هواها فى ولدهـا ، ولكن ألب أرسـلان صارعه بمعونة نظـام الملك وانتصر عليه ، وصحب نظام الملك السـلطان ألب أرسلان فى معظم حروبه ، كما غزا مع الأمير الشاب ملكشاه عدة غزوات استوليا فيها على كثير من حـاميات الأعداء وحصونهم ، وقاد وحـده الجيوش عدة مرات وخاض بها معارك كسب له فيها النصر (١) .

ولما اغتيل ألب أرسلان ازدحم أولاده على الملك ، ومرة أخرى لعب نظام الملك دورا هـاما حتى وطد الملك لملكشـاه ، وخاض فى سبيل ذلك كثيرا من المعارك ، ولذلك رد ملكشـاه كل الامور اليه وقـال له : أنت الوالد . وحلف له ، ولقبه أتابك ، وأقطعه اقطاعا زائدا ، وخلا ملكشاه لشـبابه وملذاته (٢)

ولم يكن نظام الملك سـياسيا فقط ، بل كان قائدا عسكريا ، وكان فيلسوفا وعالما ، واسـع الثقافة يحب العلمـاء ويقربهم ، وهو منشىء المدارس النظامية ، وهى من أقدم الجامعات فى العالم ، وهو مؤلف كتاب « سياسة نامه » حيث رسم فيه الطريق لادارة شئون الولايات بما يكفل نجاح الحـكام وصلاح الرعية .

ويدل على مكانة نظام الملك ، ذلك الموقف الذى وقفه عندما أحس بتغير ملكشاه عليه ونقده لسياسته ويروى لنا عماد الدين الاصفهانى (٣) وابن الاثير (٤) هـذا الموقف الذى نستطيع تلخيصه فيما يلى :

نُسِبَ تصرف خاطىء لأحد أحفاد نظام الملك ، فغضب لذلك ملكشاه وأرسل يقول للوزير : ان كنت شريكى فى الملك ويدك مع يدى فى السلطة فلذلك حكم ، وان كنت نائبى فيجب أن تلتزم حد التبعية والنيابة ...

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ٢٥ .
(٢) السبكى : طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٣٩ وابن خلكان ج ١ ص ٢٠٢ .
(٣) تاريخ آل سلجوق ص ٥٧ — ٥٨ .
(٤) الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ١٣٨ .

فأجـاب الوزير : **قولوا له ان كنت ما علمت أنى شريكك فى الملك فاعلم فإنك ما نلت هذا الأمر إلا بتدبيرى ورأيى .... وإن ثبات تلك القلنسـوة (التاج) مرتبط بهذه الدواة ، ومتى أطبقت هذه زالت تلك** [١] .

فروع السـلاجقة :

قسم السلاجقة دولتهم منذ إنشـائها إلى أقاليم ، وعيّنوا على كل إقليم منهـا حاكما من أفراد البيت السلجوقى ، كانوا يطلقون عليه لقب (شـاه) أى ملك ، ثم اختاروا رئيسا على الدولة جميعها أطلقوا عليـه لقب (السلطان) كان بمثابة ملك الملوك ، يخضع لنفوذه حكام الأقاليم ، وتنفذ كلمته فى جميع أنحاء الدولة .

وقـد اتّبع السلاجقة هـذا النظام منذ عهد طغرل بك ، وكان حاكم كلّ إقليم يستقل بشـئون إقليمه الداخلية ، كما كان له الحقّ فى فتـح ما يستطيع من المناطق المجاورة ، وضـمها إلى حَوْزته ، وكانت سيطرة السلاطين شاملة على مختلف الأقاليم ، فى إبّان قوة الدولة ، فلما ضعفت الدولة فقد السلاطين هذه السيطرة وأصـبح حـكام الاقاليم مستقلّين تماما فى جميع شئونهم [٢] .

وقد وضع هذا النظام بذورَ الانقسـام الذى آلت لـه الدولة السلجوقية ، ونشأ عن هذا الانقسام خمس فرق هم السلاجقة العظام ، وسلاجقة كرمان ، وسلاجقة العـراق وكردستان ، وسلاجقة سـوريا وسلاجقة الروم ، ومن الواضح أن بعضها تفرّع عن السلاجقة العظام كسلاجقة العراق ، وبعضها كان فى مناطق فتحت حديثا كسلاجقة الروم .

ومن أبرز سلاطين السلاجقة طغرل بك مؤسس الدولة (توفى سنة ٤٥٥) وابن أخيه ألب أرسلان (توفى سنة ٤٦٥) وملكشاه بن ألب أرسلان (توفى سنة ٤٨٥) وهم من السلاجقة العظام ، وعلى الرغم من بعض

---

(١) انظر كذلك المنتظم لابن الجوزى ج ٩ ص ٦٧ .
(٢) الدكتور عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ١٦١ — ١٦٢ .

حركات الانحلال التى هبت خلال عهودهم فقد كانوا أقوى من هذه الحركات واستطاعوا أن يقضوا عليها ، ويحتفظوا بسلطانهم على جميع الولايات السلجوقية .

تدهــور الســلاجقة :

تجمعت عوامل متعددة على إضعاف الســلاجقة ، بعضها خارجى وبعضها داخلى فالعوامل الخارجية تتمثل فى الحروب الصليبية ، وقد أوردنا لها دراســة مستقلة فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة ، ومن العوامل الداخلية ثورة الاسماعيلية ممثلة فى الحشاشين ، (قضى هولاكو على الحشاشين كما سنرى عند الحديث عن هولاكو) ومنها الانقسامات الداخلية التى كانت نتيجة طبيعية لاتســاع ملك السلاجقة وبخاصة فى عهد المواصلات البطيئة ، كما كانت نتيجــة طبيعية لحيــاة السلاجقة القبلية ، ومن العوامل الداخلية كــذلك تمرّد بعض الحكام الذين كانوا عبيداً لسلاطين السلاجقة وولاة من قِبَلهم ثم تمرّدوا عليهم وأعلنوا استقلالهم ، وذلك كشاهات خوارزم وشــاهات الغور ، على أن أهــم عوامل الانحــلال الداخلى تتمثل فى قيام امارات الاتابك ، وفيما يلى كلمة عن قيام هذه الإمارات :

كانت نواة هذه الامارات تلك الاقطاعات التى أقطعها الوزير نظــام الملك للقادة والمبرزين فى الدولة بدل رواتبهم ، ويحدثنا عنها عماد الدين الاصفهانى [(١)] ، فيقول :

وكانت العــادة جارية بجباية الأمــوال من البلاد ، وصرفهــا إلى الأجناد ، ولم يكن لأحــدٍ من إقطــاع ، فرأى نظام الملك أن الأمــوال لا تحصّل من البلاد لاختلالها ، ولا يصــح منها ارتفاع لاعتــلالها ففرّقها على الأجناد إقطاعا ، وجعلها لهم حاصلا وارتفاعا .

ولم يكن فى هذه الاقطاعات خطر على تماســك الدولة إبان قوتهــا

---

(١) تاريخ آل سلجوق ص ٥٥ .

فلما بدأ ضعفها ، عمد كل مالك إلى إقطـاعه وعاش فيـه سيدا وأميرا واستقل عن السلاجقة ، ومن هذه أتابكية دمشق ، وأتابكية الموصـل وأتابكية الجزيرة وغيرها ، وقد استغل بعض الأتابك أفراداً من البيت السلجوقى ، وحركوهم كالدمى وراح الأتابك باسم أمـراء السلاجقة ينشرون سلطانهم ويوسعون نفوذهم [١] .

نهـاية الســلاجقة وظهور من خلفهم :

يقول : Wilber [٢] : عجـز خلفاء ملكشاه عن الاحتفاظ بتماسـك الدولة ، ولذلك سرعان ما فقدوا سوريا وآسيا الصغرى وحل محلهم فيها آل زنكى فى الشام ، وملوك الطوائف ثم العثمانيون فى آسيا الصغرى ، ثم كانت هزيمة سنجر بن ألب أرسلان أمام الأتراك الغز الوافدين من أقصى الصين سنة ٥٣٦ هـ فوضعت هذه الهزيمة نهاية لحكم السلاجقة فى بلاد ما رواء النهر ، وسقط سنجر أسـيرا فى يد أعدائه ، وقد استطاع أن يفلت من الأسر ، ولكنه عندما عاد لبلاده وجدها فى أسوأ حال فمات كمدا ، وكان سنجر يعرف بالسلطان العادل ، ولكن حظه كان عاثرا ، وعقب وفاة سنجر اسـتولى شـاهات الخوارزمية عـلى أراضى الدولة السلجوقية بسرعة ، وكان أتسز أول سلاطين الدولة الخوارزمية ، وقد حكم فيما بين ٥٢٣ ، ٥٥١ هـ وكان فى الأصل حاكما على خوارزم من قبل السلاجقة، ولكنه تدرج الى الاستقلال فالغزو ، وقد بسط ابن حفيده السـلطان محمد (٥٩٧ — ٦١٧) نفوذه وسطوته على ايران كلها ، وكان على وشك التقدم لبغداد لولا ظهور المغول ، ولكن سلطان السلاجقة كان قد انتهى من العراق واستبد الخليفة الناصر بالأمر بعد سقوط السلاجقة فى ايران .

العمـارة فى العهـد السـلجوقى :

ان بداوة السـلاجقة جعلتهم ينشغلون بالمبـانى الفخمة والنقوش الجميلة واللوحات المزخرفة ، فقد كانت مثل هذه الأشياء تبهر أنظارهم

---

(١) تاريخ آل سلجوق ص ١٨٧ .
(٢) ايران : ماضيها وحاضرها ص ٦١ — ٦٢ من الترجمة العربية .

وترضى أذواقهم ، وتشد ما فى نفوسهم من فراغ ، وقد أثر هذا فى الفنون فراجت رواجا ملحوظا فى عصرهم فارتقت فنون النقش والتصوير والصنعة والمعمار (١) ، واشتهر أن السلاجقة يعشقون الفنون الجميلة ويرعونها ، وأن سلاطينهم يحمون الفنون ويشجعون عليها (٢) .

ومبانى السلاجقة بأصفهان كانت خير دليل على عنايتهم بالعمارة ، فقد شيدوا فيها أبنية شاهقة ، ورفعوا العمائر الضخمة ، ويروى أن ألب أرسلان كان إذا أمر ببناء أوعز أن يكون أسمى بنيان وأشرفه وكان يقول : آثارنا هذه ستبقى بعدنا لتدل على علو همتنا وموفور نعمتنا (٣) .

ويذكر Barthold أن فترة حكم ألب أرسلان امتازت بالتقدم المعمارى الهائل ، فقد أعاد تشييد قلعة بخارى وسور المدينة ، وبنى فى سمرقند مسجدا واسعا وقصرين عظيمين تحوّل أحدهما بعد ذلك الى مدرسة ، كما أنه أكثر من المساجد والمنائر فى المدن والقرى (٤) .

وأنشأ ملكشاه الذى تولى الحكم بعد ألب أرسلان المرصد الضخم الذى اشتغل فيه عمر الخيام وغيره من العلماء لدراسة الفلك والتقاويم ، وزين ملكشاه عاصمة اصفهان بعدد من المبانى الجميلة والحدائق (٥) .

النهضة الفكرية فى عهد السلاجقة :

شهد العصر السلجوقى نهضة فكرية واسعة ، وضع أساسها نظام الملك (٦) وزير ألب أرسلان وملكشاه ، فقد أنشأ هذا الوزير العالم شبكة من المدارس التى أخذت اسمها من اسمه ، فسميت النظامية ،

---

(١) كريستى ويلسون : تاريخ صنايع ايران (ترجمة ترياد) نقلا عن سلاجقة ايران والعراق .
(٢) M. S. Deland : A Hand book of Mohammadan's Art p. 113.
(٣) عماد الدين الأصفهانى : تاريخ آل سلجوق ص ٤٥ .
(٤) Turkeston down to the Mongal Invasion p. 319.
(٥) Wilber : ايران ماضيها وحاضرها ص ٦٠ .
(٦) اقرأ ترجمة له فى ابن خلكان جـ ١ ص ١٤٣ — ١٤٤ .

وكانت فى البلاد الآتية : بغداد — بلخ — نيسابور — هرات — أصفهان — البصرة — مرو — آمل — الموصل [١] ويقول السبكى انه كان لنظام الملك فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة [٢] .

وبالإضافة إلى ذلك رعى نظام الملك عباقرة عصره أمثال الغزالى الذى اشتهر فى محيط العلوم الإسلامية والتصوف ، وكان من ألمع مدرسى النظامية ، وعمر الخيام الذى اشتهر فى الدراسات الطبيعية والرياضية والتنجيم وعرف فى أوربا برباعياته [٣] .

وأعظم شعراء الصوفية فى هذا العصر هو فريد الدين العطار ومن مؤلفاته الشهيرة « تذكرة الأولياء » وهى تاريخ للأولياء والمتصوفة ، ومنها كتاب « منطق الطير » وهو كتاب يصور الأرواح كأنها طيور تبحث عن الخالق الأعظم .

ومن أهم آثار هذا العصر ما كتبه نظامى الكنجوى وتعرف مؤلفاته باسم « الخمسة » وتشمل المنظومات الرومانتيكية الأربعة هى :

١ — خسرو وشيرين .

٢ — ليلى والمجنون .

٣ — العرائس السبع وحكاياتها مع بهرام كور .

٤ — كتاب الاسكندر (اسكندرنامه) ويحوى القصص الخرافية المتعلقة بالاسكندر الأكبر .

وأما المؤلف الخامس فهو « مخزن الأسرار » وهو منظومة صوفية .

---

(١) عن المدارس النظامية : اقرا كتاب التربية الاسلامية للمؤلف .
(٢) طبقات الشافعية جـ ٣ ص ١٣٧ .
(٣) اقرا ما ورد عن الغزالى وعمر الخيام بكتاب « الفكر الاسلامى : منابعه وآثاره » للمؤلف .

ومن الشخصيات البارزة فى المجال التاريخى فى هذا العصر « ناصر خسرو » وكان شاعرا رحالة زار مصر فى عصر المستنصر الفاطمى وله كتاب مشهور هو سفرنامه وبه وصف مشاهداته خلال رحلاته .

ويمتاز عصر السلطان سنجر بنهضة علمية وأدبية رائعة ، وقد تم خلال هذا العصر تأليف عدد من أمهات الكتب العربية التى أخرجتها ايران ، وقد عاش خلال عهد سنجر عدد من كبار شعراء ايران ، ومن أهم المؤلفات المنشورة فى هذا العصر ترجمة كتاب كليلة ودمنة ، ويعتبر الامام الغزالى من أشهر كتاب العربية فى هذا العصر ، ومن أهم الشخصيات التى ارتبطت بهذا العصر الكاتب المتصوف القشيرى والحريرى كاتب المقامات والزمخشرى والميدانى جامع الأمثال ، والشهرستانى مؤلف الملل والنحل [1] .

---

(١) براون : تاريخ الأدب فى ايران ص ٤٥٨ وما بعدها .

الخـــــــوارزمية

٥٨٣ ـــ ٦٢٨ هـ

قلنا آنفا ونحن نتكلم عن « نهاية السلاجقة وظهور من خلفهم » انه بعد وفاة سنجر استولى شاهات الخــوارزمية على أراضى الدولـــة السلجوقية فى خــوارزم بسرعـــة وكان اتســـز أول ســـلاطين الـــدولة الخوارزمية ٠٠٠٠٠٠٠ وقد بسط ابن حفيـــده السلطان محمد (٥٩٧ — ٦١٧ هـ) نفوذه وسطوته على إيران كلها ، ولكن حكمه لإيران كان قصير العمر ، فقد داهم المغول بلاده ، ففر أمامهم ، وتوفى بائسا فى احدى الجزر سنة ٦١٧ هـ ولم يستطع أولاده استعادة سلطان الأسرة ، فالزحف المغــولى كان أعظم من أن يصمد له هــؤلاء الأولاد فانهزم علاء الدين منكبرتى سنة ٦٢٨ هـ وآل حكم إيران الى المغول ٠

تلك كلمة قصيرة عن الخوارزمية ، وهناك حديث أكثر تفصيلا عن هذه الأسرة سبق أن أوردناه فى الجزء الســـابع من هـــذه الموســـوعة ، وشاهات الخوارزمية هم :

انوشتكين	٤٧٠ — ٤٩١ تقريبا
قطب الدين محمـــد	٤٩١ — ٥٢٢
آتســــــز ؟؟	٥٢٢ — ٥٥١
سلطان شاه محمود (عزل وتوفى سنة ٥٨٩)	٥٦٨ — ٥٦٨
علاء الدين تكش	٥٦٨ — ٥٩٦
قطب الدين محمد (أخذ فيما بعد لقب أبيه	
علاء الدين)	٥٩٦ — ٦١٧
جـــلال الدين منكبرتـــى	٦١٧ — ٦٢٨

ثم جــاء المغـــول

مشـاهير وقمم فارسـية :

قبل أن نتحدث عن المغول ، وما جلبوه من خراب ودمار للمنـاطق التى احتلوها ، يجدر بنا أن نقدم بعض الأسماء اللامعة التى اشـتهرت فى ميادين الفكر فى القرون التى سـبقت المغول ولعلنـا ذكرنا بعضـهم فيما سبق ، ولكنا نجمعهم هنا كطاقة الزهر عندما تجتمع فى وعاء واحد . فمن هـؤلاء :

من الفقهـاء : مجـاهد وطاووس وقتـادة وابن سـيرين والطبرى وأبو حنيفة النعمان وأحمد بن حنبل .

ومن المحدّثين : البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى وابن ماجـه والنسـائى .

ومن علماء اللغة : سيبويه والكسـائى والزمخشرى والفيروزابادى والثعـالبى .

ومن الفلاسـفة : ابن سـينا والفارابى والغـزالى والسهروردى والـرازى

ومن الأدبـاء : بشـار وأبو نواس وأبو العتاهية ومهيـار وابن العميد والخوارزمى وأبو الفرج الأصفهانى .

ومن المؤرخـين : ابن مسكويه والمسعودى والبيرونى والبـلاذرى واليعقوبى وأبو حيان التوحيدى وأبو منصـور الثعالبى والاصطخرى ، وناصرو خسرو .

ومن أشهر الشعراء الذين ظهروا قبل المغـول عمر الخيام (توفى سنة ٥١٧ هـ = ١١٢٣ م) وكان عمر الخيام رياضيا فلكيا بالإضافة إلى

ما اشتهر به من شعره الصوفى الذى استهدف فيه الحقيقة البشرية ، والنفس الانسانية بكل خصائصها ومتناقضاتها ، ومن أجل هذا غلبت على شعره الحكمة ، وكان شعره من الرباعيات غالبا ، فيه فلسفة وغزل صوفى • وقد اشتهر شعره وموقفه فى الرياضة والفلك شهرة واسعة فى العالم الاسلامى •

وعمر الخيام والقشيرى ينتسبان إلى نيسابور [١]

ومن الملاحظ أن أكثر هؤلاء أو كلهم عاشوا فى بيئة عربية إسلامية ونبغوا فى ظلها وبتشجيع الخلفاء المسلمين فى وقت لم تكن هناك جنسيات مميزة فى الدولة الاسلامية ، ولكنا لا ننكر أن العنصر كان له أثر فى استجابة هؤلاء للفكر الاسلامى ونبوغهم فى معارفه ، وقد ظهر نظائر لهم فى الشام وفى مصر والمغرب واسبانيا ، وكانوا جميعا نبتا إسلاميا فى أرض إسلامية •

---

(١) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٧٦ •

المغـــــول

٦١٧ ــ ٧٨٢ هـ = ١٢٢٠ ــ ١٣٨٠ م

فى الصين وروســيا وشرق أوربا وما وراء النهر وشرقى إيران [١] .

تحدثنا عن المغول فى الجزء السابع من هذه الموسوعة ، ولكننا نعود هنا للحديث عنهم لنعطى مزيدا من التفصيلات عن حياتهم بإيران :

ولد تيموجين حوالى سنة ٥٤٩ هـ ونشأته غامضة ككل العصاميين ، وكان قومه من القبائل البدوية التى تسير باحثة عن الماء والعشب والصيد ، فى مناطق منغوليا .

وكان غذاؤهم يتكون من اللحم ولبن الخيل ، ومساكنهم من الخيام ، واستطاع أبوه « يسئُوكاى » أن يقوى سلطان قبيلته ، وأن ينال لها الاستقلال الذاتى مع الاعتراف بسلطة الحكومة الصينية .

وورث تيموجين عن أبيه السلطة على قبيلته ، وأخذ دون تردد يدعم وجوده فى الداخل والخارج ، فأعدَّ لنفسه جيشا أكسبه النصر فى عدة مواقع ، فهيأه ذلك إلى توسيع نفوذه والسيطرة على قبائل أخرى رأت فيه القائد الذى يُلْجَأ إليه وتعتَمد عليه ، ثم جمع مجلس القبائل ليعلن رئيس المجلس أن السماء قد أضفت على تيموجين اسماً جديداً هو « جنكيزخان » أى ملك الملوك ، واستطاع جنكيزخان أن يحقق الفتوحات الآتية : ــ

ــ الاستيلاء على بلاد خوارزم وبلاد ما وراء النهر .
ــ الاستيلاء على خراسان واجزاء من بلاد فارس والهند .
ــ الاستيلاء على جزء كبير من أراضى روسيا الجنوبية .

---

(١) سنتحدث فيما بعد عن امتدادات سلطان المغول الى العراق والشام .

وتوفى جنكيزخان سنة ٦٢٤ هـ بعد أن سيطر المغول على أرض تمتد من البحر الأصفر الى البحر الاسود وكانت تضم بلادا وقبائل تنتمى الى الصين والأفغان وايران والترك •

وقسمت الدولة بين أبناء جنكيزخان على الوضع الآتى تقريبا :

كان « توجى خان » الابن الأكبر لجنكيزخان قد مات فى حياة أبيه ، فأعطى لابنـه « باتوخـان » مملكة التتر الشـمالية التى كان يحكمهـا أبوه بما فى ذلك الأقاليم الواقعة بين بَحْـرَىْ آرال والخـزر وعند وادى الدون والبحـر الأسود ، وهذه الشعبة هى التى فتحت روسـيا وبولندا والمجر ووصلت الى البحر الادرياتى وأبواب فينا •

وأما « أوكتاى » وهو الابن الأصغر لجنكيزخان فقـد جعِلت لـه القيادة العامة واختير ليكون القائد الأعظم •

وأما « جغتاى » وهو الابن الثانى لجنكيزخان — فقد صـارت له بلاد ما وراء النهر وخوارزم وخراسـان والتركستان ، وكان جغتـاى فقيه المغـول ، وصاحب القدرة على فهم دستورهم « الياسـا » ولذلك مُنِعَ من خوض الحروب حرصا عليه ، وعين رئيس مجلس الأمراء •

وقد توفى الأخـوان اوكتاى وجغتاى سنة ١٢٤١ م ، وكان ابن أخيهما آنذاك يتوغل فى أوربا ، وبعد وفاة الأخوين حـدث صراع بين أمـراء الجيل الثانى من المغول فأعطى ذلك الصراع فرصـةً للبـلاد الاسـلامية ولأوربا أن تتنفس الصعداء •

بقى « تولوى خان » ابن جنكيزخان وكانت له خاقانية الصين وإيلخانية إيران ، وتلك الشعبة هى التى تهمنا هنا لأن منها هولاكو وهو أحـد أبنـاء أربعة لتولوى خان الذى سـار إلى الغرب وقضى على الخلافة العباسية •

هولاكـــــو وخلفـــاؤه

فى ايـــران والعـــراق ٦٥٢ ـــ ٧٤٤ هـ

كانت سلطة المغول قد وصلت من الجهة الغربية الى البحر الأســود كما ذكرنا آنفا ، ضامّة فى هذه الجهة الجزء الشرقى من إيران وقــد ورث هولاكو عن أبيه الجزء الغربى من امبراطورية المغــول ، وكتب لــه أخوه الخان الأكبر « منكوقا آن » نصيحة طويلة أوردها رشيد الدين مؤرخ المغــول وخلاصتها هى :

إنك الآن على رأس جيش كبير وقوات لا حصر لها ، فينبغى أن تسير إلى إيـــران ، وحافظ على تقاليد جنكيزخان وتعاليمه ، وخُصَّ من يطيع أمــرك من جيحون حتى مصر بلطفك وإنعامك ، أما من يعصيك فأغــرقه فى الذلة والــدم هو وآله ، وتوجه الى العــراق ، وأزل من طريقــك كل عقبة ، وإذا بادر الخليفة بتقــديم فروض الطاعة فــلا تتعرض له ، أما اذا تكبّر وعصى فألحقه بالآخرين .. (١) .

وقاد هــولاكو جيشا هائلا لينفذ رغبة منكوقا آن ، وبدأت القلاع والإمارات تسقط تحت سلطانه ، وبخاصة القــلاع الاسماعيلية العتيدة ، ثم زحف الى بغــداد سنة ٦٥٥ هـ ، وقبل أن يصلها كتب للخليفة يقول : لقد أرســلنا اليك ونحــن نتأهب لفتح قلاع الملاحــدة نطلب مددا من الجند ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند ...... ودارت أحــداث ذكرناها فى الجزء السابع من هذه الموسوعة ، وقد دونها رشيد الدين مفصــلة فى صفحات كثيرة ، وانتهت بأن أعْدِم الخليفة وآله ودمِّرت بغــداد ونهب كل ما كان بهـــا (٢)

---

(١) جامع التواريخ المجلد الثانى ج ١ ص ٢٣٦ ـــ ٢٣٧ .
(٢) جامع التواريخ المجلد الثانى ج ١ ص ٢٦٧ ـــ ٢٩٤ .

ومن العراق زحف هولاكو الى الشام فدمر وسلب ، وأباح « حلب » سبعة أيام وقتل خلقاً كثيرين .

ثم التقى المغول بالمصريين فى عين جالوت بفلسطين انهزم المغول هزيمة قاصمة ، وكان هذا أول كبح لجماح القوات المغولية (١) .

ويورد رشيد الدين مؤرخ المغول نص المناقشات التى أدارها قطز مع قواده وكيف أنهم انتهوا الى قرار الحرب — لأن المغول يدمرون من استسلم لهم ، ولا يمكن مغادرة البلاد أو التقصير فى الدفاع عن العالم الاسلامى وقال قطز ان المغول يحققون النصر بالمكر والخداع لا بالقوة والشهامة والفروسية .... وقضى المصريون على جيش المغول كله بين قتيل وأسير ، وقتلوا قائده .... ويذكر رشيد الدين أن انهزام المغول أمام المصريين قد تكرر ، فقد هزم المغول هزيمة منكرة أخرى أمام البندقدار حتى لم ينج من جيوشهم الجرارة الا عدد قليل ، وكان ذلك سنة ٦٧٤ هـ ، وفى سنة ٦٨٠ هـ أوقع المصريون بالمغول هزيمة يقول عنها رشيد الدين ، لقد تقهقر أمراء المغول وارتاع القادة وولوا الأدبار ، انهزم الجنود ، وهلك من جيش المغول خلق كثير ولم يجد المغول **وسيلة لتخفيف آثار هذه الهزائم إلا أنْ ادّعوا أن الرسول صلوات الله عليه قد أعطى سيفه الى قائد جيش مصر ، وكان سيفه ينتقل من قائد إلى قائد ليكون السيف مع من يقود المعارك ضد المغول** (٢) .

وكان هذا السيف البتّار سبب الانتصار الذى لا يتخلف .

وانسحب المغول بعد أن يئسوا من مصر ، واستقروا فى العراق وايران ، واتخذ هولاكو لقب « ايل خان » أى تابع الخان وهو اللقب

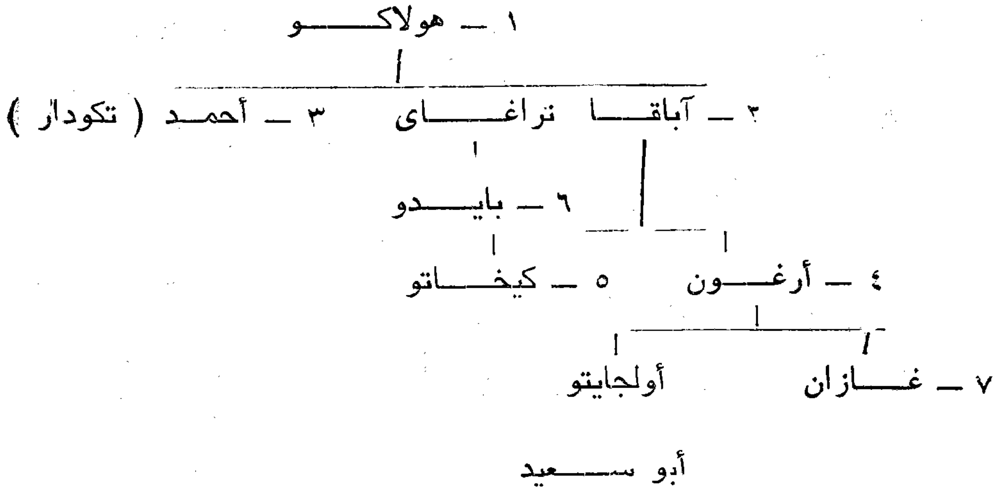
---

(١) Wilber : ايران : ماضيها وحاضرها ص ٦٦ من الترجمة العربية .
(٢) جامع التواريخ المجلد الثانى جـ ٢ ص ٦٢ و ٦٤ و ٨٣ .

الذى عرفت به هـذه الدولة اذ سميت « دولة الايلخانيين » وحـكام الإيلخانيين هـم : —

هولاكـــــو	٦٥٤ — ٦٦٣ هـ
آباقـــا	٦٦٣ — ٦٨٠ هـ
أحمد تكودار بن هولاكو	٦٨٠ — ٦٨٣ هـ اعتنق الاسلام
أرغـــون بن آباقـا	٦٨٣ — ٦٩٠ هـ
كيخاتو (تورجى) بن آباقـا	٦٩٠ — ٦٩٤ هـ
بايـدو بن آباقـــا	٦٩٤ — ٦٩٤ هـ
غازان محمـود بن ارغـون	٦٩٤ — ٧٠٣ هـ
اولجايتو خدابنده بن أرغون	٧٠٣ — ٧١٦ هـ
أبو سعيد بهادر بن أولجايتو	٧١٦ — ٧٣٦ هـ

ثم قامت منافسات بين أحفـاد هولاكو حتى سـقطت هذه الأسرة سـنة ٧٤٤ هـ .



ملامح عصر هولاكو وخلفــائه

كان عصر هولاكــو وخلفـِـه عصراً حافــلا بالاتجــاهات والنزعات والإنشاءات ، وبين أيدينا أدق مرجــع عن هذا العصر ، ذلك هو « جامع التواريخ » الذى ألّفه رشيد الدين فضل الله الهمدانى وزير غازان ابن حفيد هولاكــو ، والمطلع على هذا الكتاب يثنى ثناء عاطرا على المؤلف لدقتــه وعــدم تحيُّزه ، فقد وصف حياة هولاكو وصفا شــاملا دقيقا ، وأثبت ما له وما عليه ، وأثنى على جلد المصريين وقدرتهم فى عين جالوت ••••• ، ومن هذا الكتاب ومن سواه سنقتبس بضــع فقرات بقــدر ما يتســع منهــاج هذه الموســوعة :

أولا ـ الحشاشون (الاسماعيلية) ٤٨٣ ـ ٦٥٤ هـ
فى قلعة ألَموت وبلاد الديــلم

من أهم الجماعات التى سيطرت على بعض منــاطق إيران ونشرت الذعــر فى كثير من البلاد الاسلامية خــلال عهــد السلاجقة جمــاعة « الحشاشين » الذين اشتهروا بالتآمر والغدر والقتل حتى أصبحت الكلمة الانجليزية التى تحمل اسمهم Assassins تعنى الفتكة والسفاكين ويسمى هؤلاء فى التاريخ الإسلامى : الباطنية والملاحدة والألَموتية ، ويصفهم بعض المفكرين بأنهــم تجمعات لعنــاصر آرية مغلوبة تســتهدف الدسّ للعرب والكيد للإسلام حتى تتحقق مآربها (١) •

وزعيم الحشاشين هو الحسن بن الصباح ، وهو فى الراجح فارسى من طوس (٢) وان ادعى غــير ذلك ، وقد درس فى صباه مذهب الباطنية واعتنقه ، وسافر إلى مصر سنة ٤٧١ هـ (١٠٧٨) لمزيد من دراسة المذهب

---

(١) دكتور احمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٧٠ •
(٢) حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٥٣٦ •

الإسماعيلى ، وعاد سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠) إلى فارس داعية للفاطميين ، فاستجاب لدعوته كثيرون استطاع بهم أن يستولى سنة ٤٨٣ هـ على قلعة حصينة هى قلعة أَلمَوْت (عش النسر أو ملجأ العقبان) وهو حصن خطير فى أعالى الجبال بالشمال الغربى من بحر قزوين ، وكانت هذه القلعة أحد حصون السلاجقة ، وقد ربى الحسن بن الصباح أتباعه على المذهب الباطنى ، واتخذ لنفسه لقب « داعى الدعاة » وجعل أتباعه على درجات ، فالطبقة التى تليه هى طبقة الدعاة ، ويليها طبقة الفدائيين الذين كانوا دائما على استعداد لتلبية أوامر داعى الدعاة دون أن يسألوا عن سبب الأوامر ، وقد أوقعوا الرعب فى قلوب الناس وكانوا يقتلون غدراً وسراً كل من عاداهم ، كما كانوا يبالغون فى فرض الإتاوات على الناس ، وقد زار ماركو بولو سائح البندقية العالمى هذه البقاع فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ووصف لنا الوسائل التى كان الحسن بن الصباح يستعملها فى التأثير على أتباعه من طبقة الفدائيين ليحملهم على ما يريد ، وفيما يلى موجز لهذا الوصف (١) :

كان لداعى الدعاة بستان عظيم ، به مسابح ماء ، وطيور تغرد ، وزهور عاطرة وغابات كثيفة ، وأمكنة للاستراحة خلابة ، وكان على بابه قلعة عظيمة لا يستطيع أحدٌ أن يتخطاها ، وكان داعى الدعاة يختار من الفدائيين أقواهم وأشدهم بأسا وأمثلهم للطاعة ، ويقدم لهم الحشيش وأقداحاً من الشراب المسكر حتى يناموا ، ثم يأمر بحملهم إلى البستان ووضعهم هناك وهم سكارى ، ويفيق الفدائيون ليجدوا حولهم صنوف البهجة ، وفتيات كالحور العين ، ويظل الفدائيون فترة فى هذا النعيم ثم تسقيهم الغيد شراباً ينامون به ، وعندئذ يحملون مرة أخرى إلى قصر داعى الدعاة ، فإذا أفاقوا من نومهم حسبوا ما رأوه

---

(1) The book of Ser Marce Polo ff The Venetion Vol. 1. pp 146-148

حلمـاً ، أو ظنوه زيارة إلى جنة الخلد ٠ وكان داعى الدعـاة يذكر لهم أن من أطاع أوامره أو قـُتـِـلَ دونهـا ، حملتـه الملائكة إلى جنـات النعيم ، التى رأوا بأنفسهم صـورة منها ٠

وبعد قلعة أَلموت استطاعت هذه الجمـاعة الاستيلاء على حصـون أخرى فى فارس وسورية خـلال فترة قصيرة من الزمن ، وأخفقت جميـع محاولات الدولة السلجوقية فى القضاء عليهم ، حتى إذا كانت سنة ١٠٩٢ أنفذ الحشاشـون حكم المـوت فى نظام الملك ، وإن يكن ثمة مجـال « للاعتقاد بأن السلطان نفسه كان على علم بالمؤامرة بعد أن تخطى سنّ الرعونة والملذات ، وضـاق ذرعا بنفـوذ وزيره المتعـاظم وسـلطانه المطـلق » [١] وقد تصدى لهـم السلطان سنجر ولكنه فشـل فى النيـل منهم ، وتوفى الحسن الصباح سنة ٥١٨ هـ وخلفه بوصيته نائبه كيابزرك الذى تسلسل حـكم الإسماعيلية فى ذريته ويذكـر براون [٢] أن الحسن كان غليظ القلب خالفه ولداه فى بعض تعاليم مذهبه فأمـر بقتلهما وعيّن أحد أتباعه خليفـة له ٠

ومن الحصون التى استولى عليها الحشاشون فى سـوريا حصـن مصياد وحصن الكهف [٣] ومن أشهر دعاتهم فى الشام راشد الدين سـنان (المتوفى ١١٩٢) الذى كان مقيما فى مصياد ويلقب بشيخ الجبـل ، وقد أبلى الحشاشون بـلاء حسنا فى الحروب الصليبية ، ولكنهم حاولوا اغتيال صلاح الدين الأيوبى فرد على هذه المحـاولة بأن حاصر قلعـة مصياد ، **وأوشك على الإيقاع بهم ، ولكن شيخ القلعة قطع على نفسه عهداً لصلاح الدين بألا يتعرض له أحد من أتباعه ، فارتد عنهم صلاح الدين ، وبقى سلطانهم حتى اشترك فى القضاء عليهم المغـول والسلطان بيبرس**

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية جـ ٢ ص ١٣٧ — ١٣٨ ٠
(٢) تاريخ الأدب فى ايران ص ٥٧٧ ٠
(٣) انظر ابن الأثير جـ ١١ ص ٥٢ ٠

سلطان مصر والشام ، فاحتل هولاكو معاقلهم فى فارس حوالى ١٢٦٠ واحتل السلطان بيبرس حصونهم بسوريا سنة ١٢٧٢ فتشتت شملهم منذ ذلك الحين ، ولا يزال أكثرهم بالهند يعرف الواحد منهم بالخوجة أو المولى ، ويدينون بالولاء إلى أغاخان الهند [١] وينسبون أنفسهم للطائفة الإسماعيلية التى يرون نسبها ينتهى لإسماعيل بن جعفر الصادق [٢] .

وقادة الإسماعيلية هم :	الحسن الصباح	٤٨٣ — ٥١٨
	كيابزرك	٥١٨ — ٥٣٢
	محمد الأول بن كيابزرك	٥٣٢ — ٥٥٧
	حسن بن محمد الأول	٥٥٧ — ٥٦١
	محمد الثانى بن حسن	٥٦١ — ٦٠٧
	حسن الثانى بن محمد الثانى	٦٠٧ — ٦١٨
	محمد الثالث	٦١٨ — ٦٥٣
	ركن الدين بن محمد الثالث ويلقب خورشاه	٦٥٣ — ٦٥٤

ثم حل المغول محلهم

ويعطى رشيد الدين الهمدانى [٣] تفاصيل مهمة عن نهاية قلاع الحشاشين بإيران نوجزها فيما يلى : إن الأطباء والعلماء الذين كانوا يعيشون مكرَهين فى قلاع الحشاشين من أمثال نصير الدين الطوسى كانوا يدركون ما بهذه القلاع من جور وإلحاد وظلم ، ومن هنا اتجهوا بعواطفهم إلى هولاكو ، وحاولوا أن يحثّوا أمير الحشاشين

---

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٥٣٨ .
(٢) عن الاسماعيلية ومعتقداتهم اقرأ الجزء الثانى من هذه الموسوعة .
(٣) جامع التواريخ المجلد الثانى ج ١ ص ٢٥٠ وما بعدها .

بالتسليم مخافة سحق المغول للقلاع ومَنْ بها ، فاستجاب الأمير لنصحهم وأوفـــد أخاه الأصغر « شاهنشاه » مع طائفة من أعيان مملكته إلى هولاكو إظهاراً للخضوع والطاعة ، فطلب منهم هولاكو أن يُثْبِتَ الملك حسن نيته فى الخضـــوع وذلك بتدمير القـــلاع ، فاستجاب الملك وأحـــدث ألوانا من التدمير ، ولكنه طلب مهلة عام يغادر بعدها القلعة الرئيســـية ، فرفض هولاكو هـــذا الطلب واعلن أن وقت النكبة قـــد حان ، فنزل الملك من القلعة فى الحال ، وتوجه الى هولاكو وقبَّل الأرض بين يديه ، وترك بذلك هـــذا الحصن الذى ظلت أسرته تتخـــذه مقراً لها مدة قرنين •

وأرسل هولاكو بعض أتباعه ليتســـلموا من الملك جميع الحصـــون والقـــلاع التى كان يملكها آباؤه وأجـــداده فى قهستان وقومس وغيرهما والتى كانت مشحونة بالآلات والذخائر ، وقد بلغ عدد هـــذه القلاع نحو مائة قلعة ، وبعد إخراج السكان منها خُرِّبت جميعها ، ولم يبق من قلاع الإسماعيلية إلا قلعة « لمبسر » التى اعتصم بها بعض أمراء الإسماعيلية ورفضوا التسليم ، وظلوا يقاومون مدة سنة ، ثم انتشر الوباء بينهم فأهلك الكثيرين منهم ، واستسلم الباقون •

وتســـلم هولاكو الخزائن والدفائن الموروثة والمكتسبة فوزعهـــا على قواد جيشـــه •

ومن الملاحظ أن هولاكو قضى على هـــذه القلاع بالرهبة والتخويف وليس بالكدح والصراع •

ثانيا — اتساع مملكة هولاكو :

قضى هولاكو على الحشاشين ثم قضى بغدر وقســـوة على الخليفة العباسى المستعصم وعلى أسرته — وأنهى بذلك الخـــلافة العباســـية ، ثم تقدَّم إلى سوريا دون أن تصادفه أية مقاومة ، فقـــد كانت سوريا عزلت نفسها عن مصر قبل ذلك على أثر قيام دولة المماليك بمصر ، واستسلمت

سوريا لهولاكو فأعمل فيهـا التدمير والتخريب ، وأرسل أعظم قـواده « كيتوبوقا » بجيش جرّار إلى مصر ، ولكن المصريين حققوا نصراً هائلاً عليه فى « عين جالوت » ودمروا الجيش تماماً ، وأسروا القائد وقتلوه ، وعلى كل حال فقد كانت الإمبراطورية التى أسسها هولاكو واسعة جـداً تضم إمارات الجزيرة والأناضول والممالك المسيحية بجنوب قافقاسيا ، وهـكذا امتدت مملكته من نهر جيحون الى البحر الأبيض ومن قافقاسيا إلى المحيط الهندى [١] .

وكـان هولاكو ومن خلفه حتى غازان يحـكمون باسـم القانات (الخانات) الذين كانوا يتخذون مركزهم فى منغوليا ثم بعـد ذلك فى الصين [٢] ، أما غازان فإنه بعد أن دخل الإسلام أبطل الاعتراف بسيادة خاقان التتر وألغى وضع اسمه على النقود لأنه كان يعتبره لا يستحق ذلك لكفره ، وقـد هاجمه الخاقان لذلك ، ولكن غازان نجح فى رده .

ثالثا : علاقة الحـكام بالإسلام والمسلمين :

كانت علاقة هولاكو بالإسلام والمسلمين علاقة عداء وتدمير ، ولما جاء ابنـه آباقا اتجه إلى المزيد من سوء العلاقة بالمسلمين وإلى محاولة المزيد من النَّيل منهم ، فاتصل بملوك أوربا ليعقد معهم تعاونا ضـد المسلمين ، واقترح عَقْدَ حلفٍ عسكرى بين الشرق والغرب ضد المصريين والمسلمين الذين أوقعوا الهزائم بالصـليبيين وبالمغـول ، ولكن الهزيمة التى كان المصريون قـد أوقعوها بالمغول جعلت ملوك أوربا لا يهتمون بهـذه الدعوة وبخاصة أن الحروب الصليبية قد استنفدت كثيرا من جهد الغرب فلم يروا أن يثيروا هـذا النزاع من جـديد .

وجاء تكودار إلى الحـكم بعد أخيه آباقا ، وكان هـذا قد عُمِّدَ فى

---

(١) جامع التواريخ : المجلد الثانى ج ١ ص ٣١٢ وما بعدها .
(٢) د. أحمد السعيد سليمان : معجم الأسرات الحاكمة ج ٢ ص ٤٨٠ .

طفولته على المذهب الأرثوذكسى ولكنه وجـد بعد استلام الملك أن الأحسن أن يعتنق الإسلام ، فأعلن ذلك وسـمى نفسه أحمـد ، وتظاهر بالكره لطوائف المسيحيين مما جعل هؤلاء يجأرون بالشكوى منه مما تسبب فى خلعـه .

وجاء أرغون أخوه إلى الحكم فاتجه بعطفه إلى المسيحيين النسطوريين الذين كانوا يعيشون فى إيران والعراق .

وجاء غازان بعد ذلك فأعلن إسلامه وتبعه مائة ألف من جنوده فثبت الإسلام فى عالم المغول ، إلى حـد كبير ، وأصبح طابع البلاط إسلامياً .

وبعد غازان جاء أخوه أولجايتو ، وكان هـذا قد عمد نصرانيا فى طفولته ولكنه وجـد أن الجـو حوله إسلامى فاختـار الإسلام وسـمّى « محمـداً » ودرس كثيرا من المذاهب والفرق الإسلامية فعرف المذهب السنى والشيعى ، ومع حماسة غازان إلى الإسلام فقـد قام بمحاولة فى أواخر حياته لغزو سوريا ومصر فاستولى على حلب ، ولكن المصريين هزموه بالقرب من دمشق (١) .

واختمرت فى ذهن أولجايتو فكرة إحضار رفات الإمام على والإمام الحسين وسواهم من الأئمة إلى إيران ، فعمل لذلك مقبرة هائلة جعل اسم الإمام على بارزاً فيها ، ولكنه عـدل عن هذه الفكرة فى النهاية ، ربما لأن بداوة المغول تيسّر لهم فهم مذهب أهل السنة لبساطته أكثر من فهم مذهب الشيعة الحافل بالتعقيدات .

رابعا : الحضارة الإيرانية تغلب البداوة المغولية :

قابل المغول فى إيران حضارة لها جـذور عميقة متشعبة سـواء منها ما يرجع لما قبل الإسلام أو ما جاء به الإسلام ، ومع مر الزمن تأثر المغول بهـذه الحضارات ولم يستطيعوا الاستمرار فى مقاومتها ، فأخذوا لأنفسهم عادات جـديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل ، ودفعتهم

---

(١) Wilber : ايران : ماضيها وحاضرها ص ٦٨ .

المعتقدات الدينية التى كانت سائدة إلى أسلوب جديد فى حياتهم العامة ، حتى قبل أن يدخلوا الإسلام إذ فَرَضَ عليهم المجتمع الذى كانوا يعيشون فيه أن يلبسوا ملابس خاصة ، وأن يتجهوا فى عاداتهم إلى ما لا يثير الثائرة عليهم ، وبخاصة أنهم عَيَّنوا فى المناصب الإدارية كثيراً من الفرس .

وبعد جيل أو جيلين من هولاكو خفَّت روح القسوة والبطش ، وظهرت ملامح السماحة واللطف ، كما خفت روح التدمير ليحل محلها اتجاه للبناء والعمران ، فيروى رشيد الدين أن أرغون حفيد هولاكو كان ملكاً عاقلاً له طبع لطيف وخاطر وقاد ، وكل من يتحدث معه فى مقدمة عقلية أو مسألة نقلية كان يعجب به ، وقد استراح الناس فى ظل رأفته الظليل [١] .

ودخل المغول الإسلام بعد ذلك ملوكاً وجنودا فأصبح خُلُق الإسلام هو خلقهم إلى حد كبير ، فيروى أن غازان — وهو حفيد المدمر الأكبر هولاكو — أصبح يعنى بالإدارة الرشيدة ، وبالرخاء الشامل لشعبه ، وأصبح فرض الضرائب يخضع لنظام عادل ، وأصبحت الدولة تخضع لقوانين منسقة إسلامية وقد قطعت علاقاتها بالقوانين المغولية التى كانت مدونة فى « الياسا » .

وحفل عهد غازان بنهضة عمرانية هائلة ، فقد بنى مدينة السلطانية التى تقع على سهل فسيح بالقرب من قزوين ، فأصبحت هذه المدينة عاصمة جديدة بدل تبريز ، وقد تنافس السلطان والوزراء فى تمويل بناء القصور والمبانى العامة ، وشيد غازان بعض العمائر الفاخرة فى مدينة تبريز ووقف على صيانتها حبوسا عقارية هائلة [٢] ، وبنى خلفه أولجايتو ضريحاً هائلا لا يزال قائما حتى الآن ، وإذا كان المغول قد

---

(١) جامع التواريخ : المجلد الثانى ج ٢ ١٦٦ بالهامش .
(٢) جامع التواريخ : المجلد الثانى ج ١ ص ١٨ .

دمروا إيران فإن حركة عمرانية كبيرة بدأت بهـذه البلاد عقب انتهاء عملية الغزو واستقرار الدولة •

ولا يزال يوجد فى إيران حتى الآن عدد كبير من المنشآت العمرانية المهمة التى شـيدت فى المـدة من موت هولاكو إلى عصر أبى سـعيد بل هناك بعض منشآت ترجع إلى هولاكو نفسه وهى مرصـد المراغة ودار الخزانة ومقبرة هولاكو •

ومن الآثار البارزه لهـذا العصر المسجد الذى بنـاه الوزير على شاه وزير أولجايتو فى تبريز ، ويشتمل بناؤه الواسع على ساحة كبيرة مفتوحة وعلى حوض فيه نافورة فى وسطه ، وصومعة ومدرسة دينية ••• وكان هذا البناء حين تمّ يشبه القصر الساسانى المسمى « طاق كسرى » فى المدائن •

وقـد عَرَفَ هذا العصر — بالإضافة إلى المبانى — أنواعا من الزخرفة على نماذج من الفخار (القاشانى) ويمتاز هذا العصر بالبراعة فى فن « المينـاء » وهو استعمال ألوان متعـددة ببراعـة على الفخـار والذهب كما عرفت « المنمنمات » وهى الصور الصغيرة فى شيراز وهرات، وكثرت المنمنمات فى الجلود التى يجلد بها القرآن الكريم •

خامسا : أفـذاذ هـذا العصر :

حفل هـذا العصر بمجموعة عظيمة من رواد الفكر فى ميادين مختلفة وقـد عنى الباحثون بالحـديث عنهم والإشادة بذكرهم وبمؤلفاتهم ، وسنلم فيما يلى بأفراد منهم :

نصـير الدين الطوسى :

يُنسَب نصير الدين إلى طوس ، وهى مدينة شهيرة فى التاريخ

الإسلامى أنجبت مجموعة من العباقرة والمشاهير مثل الوزير ، نظام الملك والإمام الغزالى ، وفيها مات الخليفة هارون الرشيد [١] ومكانها الآن مدينة « مشـــهد » .

ويقول رشيد الدين عن نصير الدين الطوسى : كان مولانا السعيد نصير الدين الطوسى أكمل وأعقل عالِم ، وكان هو ومجموعة آخرون من الأطباء يقيمون لدى الإسماعيلية مكرهين ، وقـــد ملّوا اتجاهات الملاحدة ومالوا إلى هولاكو خان [٢] ، ولما اقتنـــع الأمير هولاكو خان أن هؤلاء الرجال الأجـــلاء لهم نوايا ســـليمة أمر بإخراجهم من القلعة ومعهم الأشخاص المتصلون بهم ، ثم ألحقهم بخدمته [٣] ، وشـــملهم بعطفه وإنعامه وأصبحوا مقربين للحضرة ، ومن خيرة رجال هولاكو خان وأفراد أسرته [٤] وأصدر مولانا الأمير أوامر لأستاذ البشر سلطان الحـــكماء الخواجه نصير الدين الطوسى أن ينشئ مرصداً للكواكب فى الموضـــع الذى يختاره فاختار مدينة مراغة لذلك وشـــيَّد مرصداً عظيما [٥] .

ونصير الدين الطوسى ــ بالإضافة إلى هذا ــ رجل واسع الاطلاع فى جميع فروع الفلسفة وكان يدير جميـــع المؤسسات الدينية فى البلاد الخاضعة للحكم المغولى ، وقد ألَّف كتباً كثيرة فى المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة ، كما كتب شروحاً على كتب إقليدس وأفلاطون وأرســـطو ، وتوفى نصير الدين الطوسى يوم الإثنين ١٧ من ذى الحجة سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٤ م) [٦] .

وقـــد ظلَّت ذكرى الطوسى موضـــع التكريم حتى بعد وفاته ، إذ يروى رشيد الدين أن آباقا خان بن هولاكو أفاض من إنعامه على

---

(١) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤١٢ .
(٢) رشيد الدين : جامع التواريخ المجلد الثانى ج ١ ص ٢٤٩ .
(٣) المرجـــع الســـابق ص ٩ .
(٤) المرجـــع الســـابق ص ٢٥٧ .
(٥) المرجـــع الســـابق ص ٣٠٣ .
(٦) جامع التواريخ المجلد الثانى ج ٢ ص ٦٦ .

ما يقرب من مائة عالم كبير من تلاميذ العالم نصير الدين الطوسى تكريماً له ، رحمه الله [١] .

بقيت كلمة تشغلنى دائماً عن نصير الدين الطوسى ، هى أنه مع مكانته الكبيرة عند هولاكو لم يستطع أو لم يرد أن يكبح رغبة هولاكو الجامحة فى الدم وفى التخريب والتدمير ، وبخاصة ما حصل فى بغداد وحلب ودمشق للناس وللمبانى ، فهل كان الطوسى عاجزاً عن ذلك ؟ أو كان راضياً عنه ؟ لست أدرى ولكن العلماء على كل حال ملتزمون بنصح الأمراء ، فإن لم يفعلوا فإنهم يكونون قد قصَّروا فى واجباتهم .

ومما يذكر بالخير لنصير الدين الطوسى أنه استطاع أن يستغل الخرافات التى كان يؤمن بها هولاكو وينقذ حياة علاء الدين الجوينى وجماعة آخرين حُكِمَ عليهم بالإعدام [٢] .

الجوينى :

كان الجوينى أحد أفراد أسرة مشهورة من المواطنين الفرس فى عهد المغول وكان هو نفسه حاكماً على بغداد سنوات كثيرة ، وقد اشتهر بكتابه الذى عنوانه « تاريخ جهان كشاى » الذى أتمه سنة ٦٥٩ ، وهو يشمل تاريخ جنكيزخان وحكام خوارزم والإسماعيلية ، وقد أتيح لكتاب الجوينى فارسى" آخر أكمل أحداثه إلى عهد غازان وذلك الفارسى هو عبد الله بن فضل الله وشهرته وصَّاف ، ولذلك سمى كتابه « تاريخ وصَّاف » .

جلال الدين الرومى : (٦٧٢ هـ) :

كان جلال الدين الرومى شاعراً صوفيا عظيما ، ومؤسسا للفرقة التى تسمى الدراويش أو الراقصين ، وكان نفوذهم كبيرا فى آسيا الصغرى طيلة عدة قرون ، وله منظومة طويلة تشغل ستة كتب

---

(١) المرجع السابق ص ١٢ .
(٢) براون : تاريخ الأدب فى ايران ص ٦١٦ .

اسمها « المثنوى » وهو اسم ضرب من الشعر يتكوّن من أبيات يكون البيت فيها مقفىً بين شطرية « الرجز » وقد خصص الرومى أجزاء كثيرة من منظومته لخدمة الأخلاق والحقائق الصوفية ، ويعتبر الرومى من أشهر شعراء الصوفية المسلمين ، وأعمقهم فكراً ، ويسميه Hegel الشاعر العظيم ، ويعتبره إقبال أستاذه الروحى ، وقد ترجم نيكسون « المثنوى » إلى الإنجليزية ، وترجمتُ إلى العربية جزءا منه فى كتاب « الفكر الإسلامى » منابعه وآثاره [١] وتوفى الرومى سنة ٦٧٢ هـ .

وقد ارتبط هذا النوع من الشعر المسمى (المثنوى) بالرومى ولا يكاد يذكر المثنوى إلاّ تبادر إلى الخاطر اسم جلال الدين الرومى صاحب المثنوى [٢] .

سعدى الشيرازى (٦٩١ هـ)

ولد سعدى سنة ٥٨٠ هـ فى شيراز ونُسِبُ إليها ، وأمضى بها شبابه دارساً ، ثم قام برحلات طويلة للاستفادة والإفادة ، ويُعدُّ الشيرازى ألمع جوهرة بين جواهر الأدب الفارسى ، وقد أسره الصليبيون فى الشام وهو فى رحلة إليها ، ولكن صديقاً افتداه وأعاده إلى شيراز حيث ظل ينعم بالتقدير والإجلال حتى وفاته سنة ٦٩١ هـ ، وله ديوان واسع يجمع آثاره اسمه « كلستان » « روضة الورد » وهو نموذج رفيع من النثر احتذاه الكتّاب فى العصور اللاحقة، أما « البستان » فشعر جميعه ، وهو يمجد العدل والمساواة والتواضع والبساطة والتربية والعبادة وغيرها من القيم الطيبة ، وقد أوصى سعدى بالاعتدال على أنه الفضيلة الأولى ، وأوصى بأن نقنع بنصيبنا فى هذه الحياة ، وأن نعيش ما أمكن عيشة فاضلة عفيفة استعداداً للحياة الأبدية .

(١) انظر هذا الكتاب ص ١٦٨ ، ١٨٢ .
(٢) صادق نشأت ومصطفى حجازى : صفحات عن ايران ص ١٨٨ .

ومن حـكم سعدى الشيرازى نقتطف ما يلى :

يا أخـى إن الدنيـا لا تبقى لإنسـان
فحسبك أن تجعل قلبك متعلقاً بخالق الكون
ولاتركن إلى ملك فى الدنيا فتتخذ منه ظهيرا
وعندما يعتزم روحـك الطاهر الرحيـل
يستوى الملك على عرشه بالفقير على الثرى

وتعتبر منظومة « أسرار خورى » أى أسرار النفس للشاعر إقبال من هـذا النوع الذى ابتكره سـعدى شـيرازى للمنظومات الخلقية التهـذيبية •

وقـد ترجم كلستان وبستان إلى كثير من لغات العالم (١) •

رشـيد الدين الهمدانى :

هو مؤلف الكتاب الذى أشرنا له من قبل « جامع التواريخ » وكان طبيباً ماهراً فأتاح له ذلك أن يدخل قصـور السلاطين ويكسب ودّهم ، وكانوا جميعاً يعاملونه بإجلال ، وقـد نقلته صلته بالقصور إلى الاشتغال بالتاريخ والسياسة فبرع فيهما كما برع فى الطب ، ومن أجـل هـذا كان يـُعَدّ واحـداً من العلماء الذين كرسوا حياتهم لتثقيف جيله والأجيال التالية ، ويقول رشيد الدين عن نفسه : إن الأنوار التى تطلّبَها تأليف كتبى كانت هبة من اللـه وأثراً من آثار رعاية رسوله ، وقد شمل كتابه تاريخاً مفصـلا للمغول كما خصص جزءا منه لتاريخ الهند ، وقد ساعده راهب كشميرى على كتابة تاريخ الهنـد •

وكان رشـيد الدين وزيراً لغـازان ، وعقب وفاته وتولّى أولجايتو

---

(١) براون : تاريخ الأدب فى ايران ص ٦٦٨ •
(٢) مقدمة جامع التواريخ المجلد الثانى ج ١ ص ١٨ •

العرش بقى رشيد الدين فى منصب الوزارة بالاشتراك مع سعد الدين ، واحتفظ رشيد الدين لدى السلطان الجديد بنفس المكانة التى كانت له عند سلفه ، لدرجة أن أولجايتو عندما تزوج الأميرة « كتلكشاه » اختار رشيد الدين لحضور حفل الزواج باعتباره وكيلاً للأميرة (١) .

ولنعد لكتاب جامع التواريخ لنذكر أن نسخاً منه زينت بالصور ، وأن رشيد الدين كان حريصا على هذا الكتاب فاتخذ كل الوسائل للمحافظة عليه ، فنسخ منه عدة نسخ وأرسلها الى عدة مكتبات ، كما جعل النُّسَخَ فى متناول الأيدى لكتابة مزيد من النسخ لمن يشاء (٢) .

وكما اهتم رشيد الدين بالتاريخ اهتم بالسياسة ، فأصبح المنظِّم الرئيسى لشئون الدولة فى عهدى غازان وأولجايتو ، كما أنشأ ضاحية خارج تبريز أسماها « الربع الرشيدى » وخصصها لترقية الفنون والعلوم فأسكن فيها رجال الدين والفقهاء والمحدثين ، وقراء القرآن والطلاب وأصحاب الحرف من كل نوع .

وللأسف أعْدِم رشيد الدين فى عهد الاضطرابات التى حلَّت بالبلاد إبان حكم أبى سعيد الذى تولى السلطة وهو صبى ، وكان إعدامه بتدبيرٍ من منافسيه وكان ذلك سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) .

ويعلق كاترمير فى مقدمة « كتاب جامع التواريخ » على المؤامرة التى أودت بحياة هذا الرجل بقوله : إن جميع من دبَّروا مؤامرة موته قد ماتوا كلهم فى نفس العام ، وكان موت بعضهم فى صورة تنكيل وتحقير (٣) .

وكان رشيد الدين يتوقع هجوم معاصريه عليه ، وقد نصحه السلطان أولجايتو أكثر من مرة بأنه ككل العلماء سيكون هدفاً لهجوم

(١) مقدمة جامع التواريخ ، المجلد الثانى ج ١ ص ١٨ .
(٢) المرجع السابق ص ١٦٥ .
(٣) جامع التواريخ المجلد الثانى ج ١ ص ٥٧ . وقد ترجم الدكتور محمد القصاص هذه المقدمة .

الجاهلين والحاسدين ، فينبغى ألا يفتح لهؤلاء ثغرةً للهجوم ، بأن يلتزم الدقة فى كل ما يكتب ، ولكن رشيد الدين أجابه بأن الكاتب الفــذ لا يمكن أن يـُسلم من الحاسدين ، وقــد لاقى الغزالى والفخر الرازى كثيراً من هجوم معاصريهم ، ولكن بقى اسم الغزالى والفخر الرازى وفنيت أسماء حسَّادهم ومهاجميهم (١) .

القــــزوينى :

اسمه حمــد الله مستوفى القزوينى ، وكان من أحب أصدقاء رشيد الدين ، وقــد كتب كتابين مهمين أحدهما جغرافى عنوانه « نزهة القلوب » والثانى منظومة تاريخية مطولة تسمى « ظفر نامه » أى كتاب الظفر (٢) .

سادسا : النقود الورقية فى هــذا العصر :

عقب وفاة أرغون أجمع أمراء المغــول على اختيار كيخاتو ليكون سلطاناً ، وكان هــذا حاكما على بلاد الأناضول فأسرع بالحضــور إلى العاصمة تبريز وتسلّم السلطة ، وكان الإجماع عليه من واقع الأمل أن تسير الأمور دون اضطرابات أو خلل ، ولكن هــذا الحاكم أصابه الطيش وتخطفت الفتيات قلبـه فاتجه للإغراء والإنفاق على ملذاته بإسراف وخبل ، وسرعان ما فرغت خزائنه ، فاتجــه إلى اقتباس اختراع كانت الصــين قــد سبقته إليه ، ذلك هو اللجوء للنقود الورقية ، وإذا كانت الصين تصدر النقود الورقية برصــيد ولتيسير المعاملات فإن كيخاتو أصــدر النقود الورقية بدون رصــيد مما جعلها عديمة القيمة ، وأرغم الناس على التعامل بهــا ، فكرهه الناس ، وثار عليه بايدو حفيد هولاكو فأيــده الناس ،

---

(١) المرجــع الســابق ص ١٥٩ .

(٢) انظر Wilber : ايران : ماضيها وحاضرها : فى عدة صفحات .

واستطاع بايدو أن يأسر السلطان ويقتله ، وكان كيخاتو قد ألغى العملة الورقية قبل وفاته ولكن ذلك لم يُغْنه شيئاً ، وقد كانت النفوس قد أعرضت عنه [١] .

نهاية أسرة هولاكو :

تولى أبو سعيد بن أولجايتو السلطة بعد أبيه وكان فى الثانية عشرة من عمره ، وعيّن الأمير جوبان وصياً عليه ووزيراً له ، وتزوج الوزير أخت السلطان فقوى بذلك نفوذه ، وكان للوزير ابنة من امرأته الأولى فطلبها السلطان لنفسه ، ولكن الوزير رفض لأنها كانت مخطوبة لأمير مغولى اسمه الأمير حسين ، واشتد الصراع بين الاثنين ، وسقط فيه الوزير ، وتزوج أبو سعيد الفتاة .

ولكن هذا الصراع أسلم إلى صراع آخر ، فقد ثار أهل شروان ضد أبى سعيد ، فتوجه إليهم لمحاربتهم ، ولكنه مرض ومات فى الطريق فى ربيع الآخر سنة ٧٣٦ هـ ، تاركاً ثورات واضطرابات فى المملكة ، وحدث لأسرة الايلخانيين ما حدث للغزنويين والسلاجقة ، وسواهم من صراع بين القواد والطامعين ، وحدثت أنواع من التولية والخلع ، وقد حققت جماعة تسمى « الجلائريون » بعض النجاح ، وكونوا أسرة تعرف باسم الأسرة الجلائرية ، ولكنها لم تستطع جَمْع الشمل الذى أنفرط ، واستقل وُلاة متعددون بولاياتهم ، حتى ظهر تيمور لنك ، فبدأ بإيران عهد جديد .

---

(١) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ص ١٣٦ .

التيمـــــــوريون

فى ما وراء النهر والهند وخراسان وإيران والعراق والشام والأناضـول

٧٧١ — ٩٠٧ هـ (١٣٨٠ — ١٥٠٠ م)

تُعَدّ قفزة تيمـور لنك من أسرع القفـزات فى التـاريخ ويشبّهها المؤرخون بزحف الإسكندر المقدونى السريع •

وتيمور لنك كان مغامراً تفوّق على أسلافه فى سياسة الإرهاب ، وهو معروف بأهرامات الرءوس التى كان يهتم بهـا وبالأعمال الوحشـية التى كانت تصـل إلى دفن الحاميات والجيوش التى ينتصر عليها وهى حيـة (١) •

ونَسَب تيمور لنك ليس مقطوعاً به ، ويغلب أن يكون تركيا ، ولكنه كان يدرك أن المغول لا ينقادون — كما يقول Lane Poole(٢) — لغير سلاطين المغول ، فعمد إلى سيورغتمش من خانات جغتـاى ومن أحفـاد أوكتاى فنصّبه خاناً بالاسم ، ونصّب بعـده ابنه محموداً ووزر لهما وإن كان النفـوذ كله كان فى يديه •

ويتجه بعض المؤرخين إلى الربط بين تيمور وبين المغول فيذكرون أن تيمـور ينحـدر من « قاجولى بهادر » أخى قبـلاى الجـد الرابع لجنكيزخان ، وعلى هـذا فإن تيمور لنك إذا صحت هـذه الرواية مغولى ولكنه ليس من نسل جنكيزخان •

وعلى كل حال فمثل تيمور لنك لم يكن يهتم بالنسب ، وإنما كان يعتمد على القوة والبطش وكان فيه من المغول الرغبة فى التـدمير والاسـتهانة بالأرواح والدمـاء •

---

(١) جاد طه : ايران وحتمية التاريخ ص ٤٨ •

(٢) Muhammadan Dynasties p. 314.

وأول ما يُعرف عن تيمور لنك أنه كان والياً على بعض مناطق ما وراء النهر للأمير المغولى « حسين » وكان ذلك حوالى سنة ٧٦١ هـ ، وتزوج تيمور لنك بنت الأمير « نوركان خاتون » ثم توفيت هـذه الزوجة وقامت خصومه بين الأمير وتيمور لنك ، ودارت حروب انتصر فيها تيمور لنك ، وبدأ نجمه يسطع ، وقـد لجأ — ليضمن النجاح — إلى سيور غتمش كما ذكرنا من قبل ليجعله واجهة يحارب باسمه ، وكانت هـذه الحيلة نافعة فتمّ انتصار تيمور لنك ، فى هـذه الحـرب ، وتمّ له الاسـتيلاء على ما وراء النهـر .

ومن هناك بدأ زحفـا ناجحا اسـتولى به على خراسـان وجرجان ومازندان وسجستان وأفغانستان وفارس وأذربيجان وكردستان ، ثم زحف إلى بغداد فأخذها من الجلائريين سنة ٧٩٥ ، واتـّجه إلى الشمال الشرقى فأخـذ شمال الهند ودلهى وكشمير سنة ٨٠٠ هـ ، واتجـه إلى الشـام فالأناضول فهزم العثمانيين فى موقعة « جوبوق » بجوار أنقره وأسر بايزيد الصاعقة سنة ٨٠٤ وفتح أزمير ثم عاد إلى سمرقند مقر السلطة وعاصمة هـذا الملك الفسيح . وحاول تيمور لنك أن يستولى على الصـين ، ولكن المنية فاجأته فى شعبان سنة ٨٠٧ هـ .

ونجح تيمور لنك فى فتح هـذه البلاد الواسعة ولكنه لم ينجح فى خلق إدارة لهـا ، بل كانت تخضع لإدارة إرهابية ، ومن أجل هـذا ما ان سقط هـذا الفاتح الجبار حتى بدأت دولته فى الانهيار .

وكان تيمور قـد أوصى لابنه « بير محمد » بأن يخلفه ، وكان هذا فى قندهار عند وفاة أبيه فانتهز « خليل سلطان » حفيد تيمور هذه الفرصة وأغرى القواد بالبيعة له ففعلوا ، وساعده الحظ إذ قتِل « بير محمـد » دون أن يصل إلى العاصمة ، ولكن « خليـل » لم يمتد نفوذه لكل الدولة ، ثم إنه أسـاء التصرف وشغل باللهو والعبث فعزله الأمراء ، وولوا مكانه « شاه رخ » ابن تيمور لنك الذى كان قـد استبد بخراسان وما وراء النهر بعد موت أبيـه ، فزحف إلى ما كان تحت يد خليل وطالت حيـاة

هـذا الحاكم وحسنت سيرته ، ويمكن القول أن الدولة التيمورية ارتكزت على تيمور لنك وعلى ابنه شاه رخ ، وأن من عداهما كانوا ضعفاء ، وقـد حـكم « شاه رخ » من سنة ٨٠٧ الى سنة ٨٥٠ ولما مـات خلفه ابنـه « أولوغ بك » ولكن ابنه عبد اللطيف ثار عليه وقتله ، ولكن الزمن ثأر للأب فسقط الابن ميتاً بعـد فترة قصيرة ، واستسلمت الدولة بعد ذلك إلى صراع وفتن وقلاقل وكان عصر « أبو سعيد » الذى جاء قبيل النهاية حافلاً بالاضطرابات لكثرة أولاده ولصراعهم ضد بعضهم البعض ، وكانوا يقولون إن دولتى « هولاكو » و « تيمور لنك » سقطتا على يد رجلين كل منها اسمه « أبو سعيد » فكأن هـذا الاسم كان يضع نهاية لدولة قامت على الظـلم وبـُنِيَت على الأشلاء ، واحتدمت الصراعات فى إيران بعد « أبو سعيد » واستقل كثير من الولاة بما تحت أيديهم ، ولم تعد إيران للاستقرار إلاّ على يد الصفويين الذين سنتحدث عنهم فيما بعد •

ولكن الأسرة التيمورية لم تنقرض تماماً ، فقد رحل بابر شـاه إلى الهنـد ، وهنـاك قام بتأسيس امبراطورية عظيمة سُميت « امبراطورية المغول الكبرى » ثم احتل أفغانستان حوالى سنة ٩١٣ هـ — ١٥٠٧ م ، وقـد احتفظت هذه الإمبراطورية بكيانها حتى زحف الإنجليز على الهند ، وقام صراع كبير بين الأباطرة المتأخرين وبين الإنجليز ، ولم يتمكن الإنجليز من القضاء نهائياً على هذه الدولة إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأعلنت الملكة فيكتوريا إمبراطورة للهنـد سنة ١٢٩٤ هـ — ١٨٧٧ م •

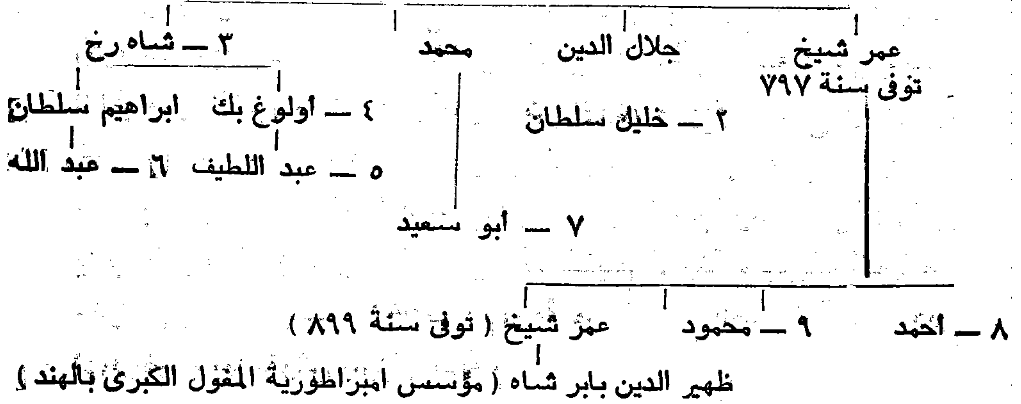
وحـكام التيمـوريين هم :

تيمور لنك (مع الاستتار خلف اثنين من المغول فى المـدة من ٧٧١ إلى ٨٠٠)	٧٧١ — ٨٠٧ هـ
خليل سلطان (فيما وراء النهر ٨٠٧ — ٨١٢ والرى ٨١٢ هـ)	
شـاه رخ	٨٠٧ — ٨٥٠ هـ
أولوغ بـك	٨٥٠ — ٨٥٣ هـ
عبد اللطيف	٨٥٣ — ٨٥٤ هـ

عبـــد اللـــه	٨٥٤ ــ ٨٥٥ هـ
أبو سعيد	٨٥٥ ــ ٨٧٣ هـ
أحمـــــد	٨٧٣ ــ ٨٩٩ هـ
محمـــود	٨٩٩ ــ ٩٠٠ هـ

قلاقل وفتن حتى قام الصفويون سنة ٩٠٧ .

١ ــ تيمـــور لنك



ملامـــح العصر التيمـــورى

صـــورة تيمور لنـــك :

إن أبرز صـــورة جثمانية لتيمور لنك هى ما روى من أنه كان طويل القـــد ، ضخم الرأس إلى درجة غير طبيعية ، وكان شعره أبيض طويلا ، ويقال إن شعره كان أبيض منذ طفولته ، ثم إن أبرز ما يقابله الباحث فى حياة تيمور لنك أنه كان سفاكا محباً للدماء ، لا يعرف للعهود والوعـــود قيمة ، وهناك تقرير ينقله Wilber [1] ونصـــه :

---

(١) ايران : ماضيها وحاضرها ص ٥٤ .

.... وبمجرد أن هزموا وسلموا أسلحتهم ، جرّد سيفه ضدهم ، وسلّط عليهم جميع أسلحة الموت ، ثم ترك المدينة خراباً فلم يترك فيها شجراً ولا حائطاً إلا حطّمها تحطيماً تاما ...

وليت شعرى كيف يستقيم هذا الظلم مع ما يروى من أنه كان مسلماً غيوراً ، فالإسلام لا يعرف هذا الباطل ، وبمناسبة الحديث عن إسلام تيمور لنك نقرر أنه كان مسلما شيعيا متعصباً .

وكان تيمور لنك ذا ملامح صارمة ، لا يحب المزاح والهزل ، ولهذا يكره الشعراء والندماء ، أما الناحية العلمية التى غلبت عليه ، فهى حبه للأطباء والفلكيين والفقهاء والكتب التى تروى تاريخ الوقائع والحروب وكان يستمع لرواياتها لأنه ما كان يجيد القراءة أو الكتابة ، وإن كان قد تعلم بالممارسة ثلاث لغات هى التركية ، والفارسية والمغولية ، وكان يحب الهواء الطلق ، ويفضل الحياة فى الخيام المترفة ، ووجّه كثيرا من عنايته إلى فن البناء فخلّف مجموعة من المبانى الضخمة متعددة الأغراض ، بها نقوش بارزة رائعة .

كلمة عن شاه رخ :

يقول Wilber [1] إن شاه رخ كان من أكثر الملوك الذين حكموا إيران ثقافة ، وقد جعل هراة المركز الثقافى لوسط آسيا ، وازداد الرخاء فى ظل حكمه الرشيد ، وعلت مكانة المهندسين المعماريين والرسامين والشعراء والموسيقيين ، فانتشرت الحركات الفنية والأدبية التى ظهرت فى هذا العصر ، وامتدت غرباً حتى بلغت ذروتها فى أصفهان بعد ذلك فى عهد عباس الصفوى ، وكان لشاه رخ زوجة اسمها « كوهرشاد » وكانت شخصيتها قوية ، وتعاونت مع المهندس المعمارى قوام الدين الشيرازى ، فنتج عن هذا التعاون مجموعة من المبانى الضخمة التى لا يزال بعضها موجوداً حتى الآن كمسجد الإمام على الرضا .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩ .

كلمة عن أو لوغ بك :

كانت مدة أولوغ بك قصيرة ولكنها كانت مدة مثمرة ، إذ كان هــذا الحاكم محباً للفن والأدب ، ولكن أهم ناحية سيطرت عليه هى علم الفلك، وقــد بنى لذلك مرصداً فى سمرقند لا يزال موجوداً حتى الآن •

من أهم افذاذ هــذا العصر :

حافظ شـــيرازى (ت ٧٩١ هـ) :

يقولون ان اللغة الفارسية لا تعتز بأى شاعر من شعرائها كما تعتز بحافظ شـــيرازى •

كان والد « حافظ تاجرا » ، ولكن « حافظ » عندما وُلِدَ كانت هذه التجارة قد كسدت ، وتوفى والده عقب ذلك فوجهته أمه الى حفظ القرآن الكريم ، ولعل تسميته بحافظ ترجع الى أنه أجاد حفظ القرآن وتفســيره ، وبعد ذلك قرأ كثيراً من الشعر العربى والفارسى حتى اكتملت مواهبه ، ثم بدأ ينظم الشعر وتطوّر به حتى وصــل إلى درجة لم يصــل لها سواه (١) •

وقد عاصر حافظ ألوانا من الاضطراب السياسى فى شيراز ، فأحيانا كان صــديق الوالى وأحياناً كان مطارَداً منه ، وغــرق حافظ فى شرب الخمر ، وكان يدافع عن الخمــر ويهتف بمن يحاولون إغــلاق الحانات بقوله : **هم أوصــدوا أبواب بيوت الصهباء ، فاللهم نعوذ بك أن يفتحوا أبواب التزوير والسلب والرياء** (٢) •

وبالغ حافظ فى اهتمامه بالخمر وهجومه على أعــداء الصهباء وانتهز رجال الدين والصــوفية هــذه الفرصة فهاجموه بقسوة وبخاصة أنه كان كثير السخرية منهم ، وقــد رموه بأنه باطنى ملحــد وترددوا فى الصلاة عليه عقب وفاته ، خلّف حافظ أشــعاراً كثيرة جُمِعت بعــد وفاته فى

---

(١) الدكتور ابراهيم أمين شواربى : اغانى شيراز فى أمكنة متعددة •
(٢) عبد الرحمن صدقى : الشرق والاسلام ص ٧٢ •

ديوان كبير فيها المزدوج (المَثْنَوى) والرباعيات والمقطوعات والقصائد [١] .

الجامى :

ومن الشخصيات البارزة كذلك « الجامى » الشاعر العظيم وهو من زعماء العلماء والشعراء والصوفية ويروى أنه ألف أكثر من أربعين كتاباً فى الشعر الغنائى والروائى والتصوف ، كما كان عالما بالموسيقى وتفسير القرآن .... مما جعله وحيد عصره فى الفكر الصوفى والإلهى وفى الشعر والأدب وعلوم الدين .

إيران من المغول للصفويين

عندما اشتدت الحروب بين أبناء تيمور لنك وأحفاده بعضهم والبعض الآخر ، وعندما اشتدت الفتن فى هذه الفترة استفادت القبائل التركية من هذه الفتن فتمكنت قبائل (القره قيونلو) (أصحاب الخراف السوداء) من الاستيلاء على أذربيجان عام ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) واتسع نفوذ القرة قيونلو حتى بلغ بغداد ثم تمكنت قبائل الآق قيونلو (أصحاب الخراف البيضاء) من هزيمتهم والاستيلاء على الإقليم الغربى من ايران . بينما كان أبناء تيمور يحكمون الإقليم الشرقى حتى عام ٩١١ هـ .

وظلت الحالة مضطربة فى ايران الى أن استطاعت قبائل تركية أخرى تسمى القزلباشية (أصحاب القلنسوات الحمراء) من الانتصار على الآق قيونلو ودخول تبريز عام ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) وكانت هذه القبائل تحت قيادة اسماعيل الصفوى [٢] فبدأت بذلك الدولة الصفوية التى سنتكلم عنها فيما يلى :

---

(١) تاريخ الأدب الفارسي للدكتور رضا زادة ترجمة الدكتور محمد موسى هنداوى ص ١٧٠ وما بعدها .
(٢) دكتور عبد النعيم حسنين : ايران فى ظل الاسلام ص ٢١ .

الدولة الصـــفوية

٩٠٧ — ١١٤٨ هـ = ١٥٠٢ — ١٧٣٦ م

تنسب الأسرة الصفوية الى « صفى الدين الأردبيلى » (٦٥٠ — ٧٣٥ هـ) وهو من شيوخ الصوفية ، وكان الاتجاه الصوفى قـد انتشر فى إيران نتيجة للخلافات السياسية والاضطرابات والدماء التى كانت تغرق فيها البلاد ، فاتجه الشعب للناحية الدينية ، وتجمعوا هنا وهناك فى جماعات كجماعات الدراويش حول شيخ من الشيوخ لعلّهم يجـدون الملاذ فى الاتجاه الصوفى بعد أن ضـعف الأمل فى الاستقرار فى البلاد .

وكان الشيخ صفى الدين الأردبيلي واحداً من هؤلاء الشيوخ الذين اجتمع حولهم المريدون والأتباع الذين كانوا يأتمرون بأمره ولا يخالفون له أمـراً .

وكان هذا الشيخ تقيـاً زاهداً يحترمه الملوك ويتقربون إليه وجـاء أولاده وأحفـاده على هذا النمط ، وحدث أن زار تيمور لنك أحدَ أبنـاء الشيخ وسأله تيمورلنك عن مطلبه ، فقال الشيخ : لا شيء إلاّ أن تطلق الأسرى وتحسن إلى الناس ، فاستجاب تيمورلنك لطلبه ، وعَظُمَ الشيخ في نفوس الناس عندما رأوا الحاكم الجبـار يصدع لمطالبه .

ثم إن الأحداث التي كانت سائدة فى إيران والعـراق عقب وفاة شاه رخ دفعت أحفـاد الشيخ صفى الدين إلى الصراع السياسى الذى أشترك فيه المتصارعون على الملك ، والأحـداث السياسية لاثبات لهـا ، ومن أجل هذا تقلّب أحفـاد الشيخ بين المعسكرات المتصـارعة وعرفوا النصر والهزيمة ، ثم آلت رياسـة الأسرة الصفوية إلى إسـماعيل وهو الابن الثالث لحيدر حفيد الشيخ صفى الدين ، فاستطاع اسـماعيل أن يحـقق النصر لأسرته وأتبـاعه وأن يؤسس الأسرة الصفوية سـنة ٩٠٧ هـ (١٥٠٢ م) واتخـذ تبريز عاصمة له ، ومنهـا خرج ليستكمل فتح

إيران كلها فخضع له التيموريون ثم خضع له المستبدون والغاصبون ، أو قهرهم بقوته ، فامتد ملكه من جيحون إلى البصرة ، وشمل خراسان وأفغانستان وبلاد الفرات ، وأصبح الصفويون يقفون على حدود مشتركة مع الامبراطورية العظيمة آنذاك وهى الامبراطورية العثمانية .

أسباب تشيع الصفويين :

وكانت إيران كما قلنا من قبل خاضعة للمغول عدة قرون ، وكان هؤلاء وثنيين ، كما أن بعضهم دخل النصرانية ، أو دخل الإسلام دون أن يعرف روحه وحضارته كما ذكرنا من قبل وغلب التشيع على من أسلم من حكام المغول ، أما الشعب فكان حائراً ضعضعته الأحداث ، فلما جاء الصفويون ووقفوا أمام العثمانيين وجهاً لوجه أعلنوا تشيعهم ليكوّنوا جبهة يواجهون العثمانيين ، السنيين ، ويبدو أن السياسة كانت من أهم العوامل التى دفعت بالصفويين إلى إعلان تشيع إيران فإن إيران بذلك وقفت بين جبهتين سنيتين هما منطقة الهند والأتراك فى الشرق ومنطقة الشام ومصر والعثمانيين فى الغرب ، ويقول Wilber [١] إن الضغط الخارجى على إيران كان عاملاً قوياً فى توحيد جميع أجزائها وإخلاص أهلها للملوك الصفويين وللمذهب الشيعى .

وقد أثبت التاريخ القديم وقائع مدمرة بين الفرس والروم ، وعادت القوتان للصراع بشكل أعنف وأقسى بعد دخولهما الإسلام متخذتين الاختلاف المذهبى سبباً لاقتال بعد ان أختفت عبادة النار من فارس واختفت المسيحية من الروم ، وهذا شيء يدعو للأسف الشديد .

وكانت بغداد هى منطقة الحدود التى عانت أشد المعاناة من الصراع بين القوتين ، ومن هنا عرفت التدمير والسحق ، وكان انتصار الصفويين يتيح لشيعة بغداد أن يذبحوا ويقتلوا السنيين فيها ، كما أن انتصار العثمانيين يضع الزمام فى أيدى أهل السنة فى بغداد ، وقد تحدثنا عن ذلك عند حديثنا عن تاريخ العراق فى الجزء السابع من هذه الموسوعة .

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها ص ٨٧ .

ولعل من أسباب الصراع بين هاتين القوتين أن الصفويين جهدوا لنشر التشيع فى الأناضول ، واعتبر العثمانيون أن ذلك سيمثل فى بلادهم ما سمى فيما بعد « الطابور الخامس » وكان ردّ فعل النشاط المذهبى للصفوية فى الأناضول أن قام السلطان سليم بقتل وحبس جميع الشيعة فى بلاده ، ثم سار فلاقى الشاه إسماعيل فى معركة « جالديران » سنة ٩٢٠ هـ التى حقق فيها العثمانيون أعظم نجاح فدخلوا تبريز وضموا ديار بكر وما حولها إلى ممتلكاتهم ، وكان سبب هذا الانتصار الساحق أن الأتراك العثمانيين كانوا يحاربون بالمدافع وكان الإيرانيون لا يزالون يستعملون السلاح القديم ، ويروى أن الشاه إسماعيل بعد أن هُزِم فى هذه المعركة ظلّ حزينا بقية عمره ، حتى أنه لم يضحك بعد ذلك أبدا ولم يخلع ملابس السواد (١) .

ومنذ ذلك الحين استمرت الحروب بين الجبهتين ، فكانت بلاد الكرج وأرمينية تلحق تارة بإيران ، وأخرى بالعثمانيين ، ولكن فتح بغداد فى عهد مراد الرابع وإلحاق أرض الجزيرة بالعثمانيين سنة ١٠٤٨ هـ ثبَّت حدود إيران الغربية ، فلم تتغير حتى الآن ، أما الحدود الشرقية فقد وقفت فيها أفغانستان تلحق تارة بالهند وتارة بإيران إلى أن أقام أحمد درانى حكومة مستقلة فى أفغانستان فكان ذلك بالإضافة إلى ضمّ هرات لأفغانستان وضعاً للحدود الشرقية الحديثة لإيران ، وأما الحدود الشمالية فقد ثبتت أيضاً بعد أن استولت روسيا على المناطق الشمالية .

ويمكن القول إن هذه هى الحدود الإيرانية الجديدة ، ولم تتغير إلا باتفاقية الجزائر سنة ١٩٧٥ التى قضت بمد الحدود غرباً إلى شط العرب ، تلك الاتفاقية التى كانت سبباً فى إشعال الحرب بين إيران والعراق سنة ١٩٨٠ والتى لا تزال دائرة حتى كتابة هذه السطور .

---

(١) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ص ١٤٩ .
(٢) د. أحمد السعيد سليمان : معجم الأسرات الحاكمة ج ٢ ص ٥٤٥ .

وحكام الصفويين هم

الشاه اسماعيل الأول	٩٠٧ — ٩٣٠ هـ
طهماسب الأول	٩٣٠ — ٩٨٤ هـ
اسماعيل الثاني	٩٨٤ — ٩٨٥ هـ
محمد خدابنده	٩٨٥ — ٩٩٥ هـ
الشاه عباس الأول	٩٩٥ — ١٠٣٧ هـ
صفي الأول	١٠٣٧ — ١٠٥٢ هـ
عباس الثاني	١٠٥٢ — ١٠٧٧ هـ
صفي الثاني (جلس على العرش باسم سليمان الأول)	١٠٧٧ — ١١٠٥ هـ
سلطان حسين	١١٠٥ — ١١٣٥ هـ
طهاسب الثاني	١١٣٥ — ١١٤٤ هـ
عباس الثالث	١١٤٤ — ١١٤٨ هـ

١ — إسماعيل الأول

٢ — طهماسب الأول

٣ — اسماعيل الثاني

٤ — محمد خدابنده

٥ — عباس الأول

— صفي ميرزا

٦ — صفي الأول

٧ — عباس الثاني

٨ — صفي الثاني (سليمان الأول)

١٠ — طهماسب الثاني

٩ — سلطان حسين

١١ — عباس الثالث

أهـم ملامح عصر الصـفويين

أولا — تحالف الشاه عباس الأول مع المسيحيين :

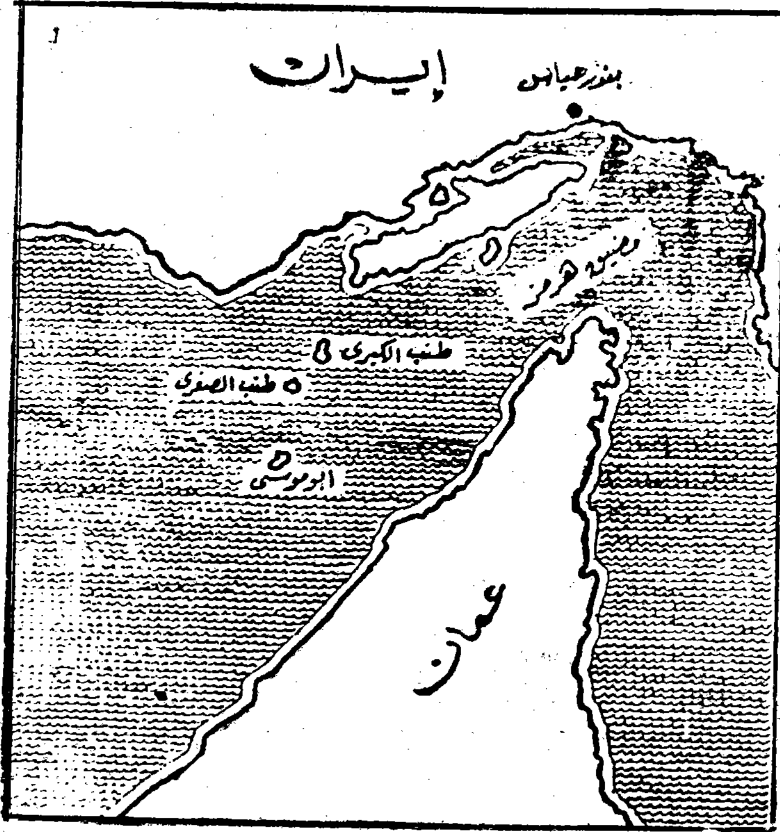
للشـاه عباس أهمية خاصة فى تاريخ الأسرة الصفوية وهو ينتمى إلى الفترة الزمنية المجيـدة التى أنجبت سليمان القـانونى ، وشاه أكبر حفيد بابر بالهند ، والملكة اليصابات ، ومما يؤخذ عليه أنه اتصل بالإنجليز وأخلص لهم الإخلاص كله ، ويبدو أن ذلك كان ليضمن المساعدات الفنية والعسكرية ضد العثمانيين ، وهى سقطة طالمـا وقع فيهـا المسلمون أن يستعين بعضهم ضد بعض بأعداء الإسلام الذين يسعدهم أن يقدمـوا العون للفرق الإسلامية ليضرب بعضهم بعضاً .

ويروى شاهين مكاريوس [١] مطلع الصلة بين الإنجليز وبين الشـاه عباس بقوله : وفد إلى إيران فى عهـد عباس اثنان من أكابر الإنجليز هما السـير أنتونى شيرلى وأخوه روبرت ومعهما خمسون فارساً من أصحاب البسالة ، فأحسن الشاه استقبالهم ، واستشار السير أنتونى فى أمر الحرب مع الأتراك فأشار عليه بتعليم جنوده مبـادىء العسكرية الحديثـة ، وبمحالفة دول أوربا ضد الأتراك فوافقه الشاه على ذلك ، وفوضـه فى تنظيم العملية ، فبدأ بواسطة فرسانه تدريب الجنود الإيرانيين ، وسافر إلى أوربا لتقوية علاقة أوربا بالشاه ، وتنفيذاً لهـذه السياسة المسـالمة للمسيحيين أصـدر الشاه منشـوراً إلى رعاياه يقـول فيه **إن النصارى أصدقاؤه وحلفاء بلاده ، وأنه يأمر كل الرعايا باحترامهـم وإكرامهم أين حلوا ، واستطراداً لهـذه السياسـة فتح موانى بلاده لتجـار الإفرنج وأوصى ألا تؤخذ الرسوم على بضاعتهم ، وألا يتعرض لهم أحـد من الحكام أو من الأهالى بسوء ، ويختم شاهين مكاريوس هـذه التصرفات بقوله أن الشـاه عبـاس كان أول من فعل هـذا من سـلاطين المسلمين فى إيـران .**

---

(١) تاريخ ايران ص ١٥٤ .

وكانت هذه السياسة من عباس أليمة عند المسلمين ، وعملت على توسيع الهوة بين شيعة إيران وبين أهل السنة فى الشرق أو الغرب ، وفى سنة ١٠٣٢ هـ جعل إيران تتحالف مع قوة بحرية انجليزية فى الخليج الفارسى لطرد البرتغاليين من جزيرة هرمز ، وشجع التجار الإنجليز والهولنديين على التجارة فى بندر عباس ، كما أنشأ علاقات دبلوماسية مع الدول الأوربية .



جزيرة هرمز ومضيق هرمز

ثانيا ــ التغيير المذهبى ونتائجه :

قلنا من قبل إن الصفويين جعلوا التشيع مذهب الدولة فى إيران ونضيف أن الإيرانيين استجابوا لهذا الاتجاه ، وعدوا هذا الانفصال

عن المسلمين استقلالاً لهم وهم كانوا حريصين على هذا **الاستقلال [١] ،**
ولم يعطِ إسماعيل الصفوى فرصة لامعارضة فى اعتناق هـذا المذهب ،
ويقول Wilber ان اسماعيل استعمل القوة الغاشمة فى تغيير مذهب رعاياه الى التشيع [٢] ويعطى Wilber إشـارة قوية لما حـدث بعد ذلك من سلطة رجـال الدين خلال حكم الشـاه رضـا بهلوى ، ويقـول : إن الرحالة ورجال الإرساليات الذين زاروا إيران فى فترة متأخرة من حكم الصفويين تركوا تقارير عن البلاط الملكى فى إيران وعن الحيـاة فى القرى والمدن وعن زمام الأمـور الذى انتقل بمـرور الزمن إلى أيدى كبـار رجـال الـدين [٣] .

وموقع إيران خلق انقساماً فى الجبهـة الإسـلامية ، فإن إعـلان التشيع والتعصب له فى إيران جعلهـا حاجزاً بين المناطق السنية فى الشرق حيث أفغانستان وباكستان وفى الغرب حيث العـالم العربى وتركيـا ، وقـد ذكرنا ذلك من قبـل .

ومع أن الصفويين ينتمون فى الأصل إلى الطرق الصوفية ، فإنهـم حـوروا الفكر الصوفى ليلائم اتجاههم الشيعى ، وليجعل من التصـوف سلاحاً لهم فى حربهم ضد أهل السنة ، يقول الدكتور عبد النعيم حسنين :

« حارب الصفويون التصوف بمعنى الزهد والاعتكاف والانقطـاع للخـلوة والعبادة لأنهم وجدوه يتنافى مع أهداف الدولة التى أحـاط بها أعداؤها من أهل السنة من الشرق والغرب ، وأخذ مفهوم التصوف يتطور ليتفق مع أهداف الدولة ، فراجت فكرة أن أسـمى هدف ينبغى أن يصل إليـه المتدين هو الجهاد المستمر للقضاء على الأعداء السنيين المخـالفين ونشطت «الفتوة» وكثر أنصار الفرق الصوفية التى كانت تؤمن بهذه الفكرة

---

(١) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ص ١٤٨ .
(٢) ايران : ماضيها وحاضرها ص ٨٦ .
(٣) ايران : ماضيها وحاضرها ص ٩٠ .

وتزوجها وكانت هذه الفرقة تسمى « الأخية الفتيان » ثم زعم الشيعة أن أول من لقب بها هو على بن أبى طالب ، وأن لقب فتى نزل على لسان جبريل يوم بدر أو أحد ، وأطلق على على بن أبى طالب لما أبلاه فى القتال من ضروب القوة البسالة .

« واتجه الصفويون بإيران بعد اعتناق التشيع إلى إحياء بعض التقاليد الزرادشتية كالاعتقاد بعودة الإمام الثانى عشر (محمد بن الحسن العسكرى) إلى الحياة وتلك فى الأصل فكرة زرادشتية وردت فى كتاب « الأفستا » ومثل كثير من عادات الزرادشتية بالنسبة للموت ، فقد كانوا يعتقدون أن الروح تبقى ترفرف على بيت صاحبها أربعين يوما ثم تصعد للسماء ومن هنا كانوا يحتفلون بيوم الأربعين بالنسبة الميت (١) .

عاصمة الصفويين :

قلنا فيما سبق إن الشاه اسماعيل عندما أقام الدولة الصفوية اتخذ تبريز عاصمة له ، ونقول هنا أن طهماسب الأول نقل عاصمته من تبريز إلى قزوين لينجو من التهديد التركى ، وقد ساعده ذلك البعد على الاهتمام بالعاصمة الجديدة وبخاصة أنه كان قد درس فن النقش وصار خطاطاً ماهراً ، ولكن عهد قزوين لم يكن طويلا ، فإن الشاه عباس الأول نقل العاصمة مرة أخرى إلى أصفهان ، واختصها عباس بكل عنايته ، فسرعان ما أصبحت تموج بالنشاط فى الفنون والصناعات .

العلاقات العائلية بين الصفويين :

مما يؤسف له أن هذه الأسرة التى نشأت نشأة صوفية ، وكانت لها جذور دينية ، وُجِدَ بها اتجاه عجيب ، هو قسوة بعض ملوكها ضد

---

(١) ايران فى ظل الاسلام ص ٤٢ — ٤٣ .

أبنائهم وفلذات قلوبهم ، فقد قلنا من قبل إن عباس الأول كان من أعظم ملوك الصفويين ، وكان شديد التسامح مع المسيحيين ، ولكن هذا الرجل كان متبلد القلب تجاه أبنائه وذويه ، وفى هذا المجال يقول Wilber إن الجانب الأقل نبلاً وحكمه فى الشاه عباس ظهر فى علاقاته العائلية ، فقد قتل بعض أبنائه ، وأهمل تعليم الآخرين وتدريبهم على طريقة الحكم حسداً وخوفاً من أن يحل أحد محله فى الحكم ، فقوض بذلك مستقبل الدولة الصوفية ، فقد خلفه على العرش سلسلة من الملوك غير اللائقين نسبياً حتى راج مثل ايرانى هو « حينما توقف الأمير الكبير عن الحياة توقفت إيران عن السير فى طريق الرخاء [١] .

ويقولون إن السبب الذى دفع الشاه عباس لهذا التصرف الشائن أن أولاده وصلوا فى حياته إلى درجة الشباب والنضرة ، وإن الشاه رأى أعوانه ورعيته يعظمونهم ويجلونهم فداخلته الشكوك منهم ، أن يثور عليه أحدهم ، فسطا عليهم ما بين قتل وتدمير .

وقد ورث صفى الثانى عن جده عباس هذا الخلق الكريه ، فكان ظالماً عاتياً سفاكاً للدماء ولا هم له غير الاشتغال بقتل الأبرياء حتى لم يبق لكبير أو أمير فى كل بلاد إيران أمان على نفسه فى مدة هذا الظالم ، وقتل من أعضاء الأسرة المالكة ما بين رجال ونساء حوالى ثلاثين شخصاً بلا ذنب يعرف غير الخوف من أن يثوروا عليه [٢] .

وهناك نقيصة كبرى عرفت فى هذه الدولة ، وربما تكون هى التى دفعت الشاه عباس إلى ارتكابه المنكر الذى ذكرناه ، تلك النقيصة هى فرار بعض الأمراء ولجوؤهم إلى العثمانيين أعداء الدولة لتجلسهم على كرسى الملك تحت سلطانها ، وقد بدأ ذلك منذ عهد طهماسب الأول بن اسماعيل فإن أخاه ميرزا لجأ إلى السلطان العثمانى وكان له

---

(١) ايران : ماضيها وحاضرها ص ٨٩ — ٩٠ من الترجمة العربية .
(٢) شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ص ١٥٧ .

أعـوان كثيرون •••• وقد تكرر هـذا التصرف فإن اثنـين من أبنـاء السلطان حسين لجآ للعثمانيين الواحـد بعد الآخـر ، ولا تعـرف الأسر المالكة العريقة أمثال هذه الانحرافات التى أثَّرت عـلى وجـه دولـة الصـفويين •

اتجـاهات حضـارية :

عظم النشاط المعمارى خلال الدولة الصفوية ، فبنيت مجموعة من المزارات والقبـاب فى هـذا العصر ، ولا يزال الكثير منهـا موجـوداً حتى الآن ، وقد امتازت مبانى هذا العصر بالألوان المتعـددة والفسيفساء الزاهية ، وكثرت الأبنيـة فى الحـدائق وعلى شـواطىء البحـيرات والأنهار « ويُعدُّ قبر محمد المحروق فى نيسابور مثالاً نموذجياً حيث تضم الحديقة نفسـها رفات عمر الخيـام ، وقد بُنيت قصـور كثيرة بواسطة الشاه عبـاس وملوك آخرين من الأسرة الصفوية فى الحدائق الملكية ، ولا يزال الإنسـان يرى فى أصفهان القصور العظيمة ويرى كذلك مجموعة من القصـور قائمة على طول ساحل بحر قزوين •

وشملت الحضارة الايرانية تقـدماً هائلاً فى صـناعة السـجاد والمنسوجات ، ولذلك أصبحت السجاجيد غالية غـلاء شديدا لما يُبْـذَل فيها من جهـد ليضفى عليها صورا من الجمال والقوة •

أما من ناحية التدوين والتأليف فقد انحـط فى هـذا العصر غالبـاً ، إذ اتجهت الجهـود إلى العناية بالألفاظ دون العنـاية بالموضـوع ، فأصبحت أهم متعة للكتّاب تتمثل فى استعمال الأسـاليب المزينة كالتورية والجناس والسجع والطباق والألغاز والتواريخ وأمثال هذه الأشياء التى تنتشر فى إعصور الضعف والانحدار ، وكتبت رسالات فلسفية فى هـذا العصر ولكنها لم يكن فيهـا إلاّ ابتكار قليل ، واتجهت فى الغـالب إلى إعادة كتابة التفسـيرات التى كتبها السابقون ، وفقـد التصـوف قوته

الموجّهة وأصبح عقيماً ، ووصلت الحال إلى القاع عندما ردد شعراء الصوفية اعتقادهم فى أنه ليست هناك قيمة حقيقية للدنيا وللعمل والشجاعة والمثابرة ، وعندما كرروا دعوتهم إلى الخضوع والتسليم والهرب من متاعب الحياة الجدية فى دنيا كلها أنانية وخداع (١) .

نهاية الصفويين :

اتجهت الدولة الصفوية نحو النهاية بعد عباس الأول ، كما ذكرنا من قبل ، ولكن هذا الانحدار زاد وضوحاً فى عهد السلطان حسين إذ رفع محمود بن ويس الأفغانى راية العصيان واستولى على هراة ومشهد ، ثم استولى على أصفهان العاصمة سنة ١١٣٥ هـ (١٧٧٢ م) وبعد وفاة محمود سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) خلفه أخوه أشرف ، وتعرف هذه الحركة بالقفزة الأفغانية وفى هذه الأثناء تعرضت إيران لغزو روسى وغزو عثمانى .

وحينئذ تقدم « نادر قلى » الذى ينتمى إلى قبيلة تركية هى أفشار أو أوشار كانت تسكن بلاد خراسان فطرد أشرف من إيران ووضع على كرسى الحكم طهماسب الثانى والد السلطان حسين الذى كان حاكماً قبله وحكم باسم هذه الأداة حوالى عشرة أعوام ، ثم خلعه ووضع مكانه ابنه عباس الثالث ، وتوفى عباس الثالث بعد فترة فقبض « نادرقلى » على الأمر باسم نادر شاه وانقرضت بذلك أسرة الصفويين .

---

(١) Wilber : ايران : ماضيها وحاضرها ص ٩١ — ٩٢ .

من الصفويين إلـى القاجاريين

شاهدت إيران خلال القرنين الهجريين الثـانى عشر والثـالث عشر (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) أقسى فترات الانحـلال والضعف والفوضى ، فقد كان ملوك الصفويين يترنحون من الضعف ، فظهرت بالبلاد قوى طامعة ، وفى نفس الوقت تعرضت إيران لهجوم روسى ، كما تعرضت لزحف النفوذ البريطانى ، بل لمحاولات من نابليون لينال فى إيران بعض النفوذ ليصارع النفوذ البريطانى فى الهند ، وسنلم فيما يلى بأهم الحركات فى هذه الفترة :

حـكم نادر شـاه :

ـ لقد وقفنا آنفا عنـد نادر شاه الافشارى الذى قضى على القفزة الأفغانيـة ، وأعلن نفسه فى النهـاية شـاهاً لإيران ، وقد حقق نادر شاه كثيراً من الانتصارات فاسـتولى عـلى أفغانستان وفتح دلهى واسـترد أرمينيـة وجورجيا من الأتـراك العثمـانيين واعترفت بذلك معاهـدة القسطنطينية سنة ١٧٣٦ م ، وأعلن نادر شاه المـذهب السنى مذهبـاً للبـلاد ، واضطهد زعماء الشيعة ، ولكن التشيع لم يمت فى ايران ، وضم نادر شاه جـزر البحرين لإيـران ، وفتح كثيراً من مدن العـراق • ،

ولكن نادر شاه الذى كان فى شبابه قاطـع طريق اتجـه للقسـوة العنيفة مـع رعيته ، فكانت النتيجـة أن قتل بيد أحـد ضباطه سنة ١٧٤٧ م وهوت البلاد من القمة إلى القـاع ، وليس للحكام الأفشاريين بعده ما يستحق الذكر فقد تمزقت البلاد ، وعلا شـأن القاجاريين وهى إحدى القبائل السبع التى ساعدت الشـاه اسماعيل فى جهوده لإقامـة الدولة الصـفوية •

أسرة الزنديين :

ـ استطاع كريم خان زعيم الزنديين أن ينتصر على ملوك الأفشاريين ويصبح ملكاً على إيران من سنة ١١٦٣ الى ١١٩٣ هـ (١٧٥٠ ـ ١٧٧٩ م) ولكن هذه الأسرة لم تمد سلطانها إلى خراسان حيث كان لا يزال للإفشاريين سلطان يمثله شاه رخ الإفشارى ، وبعد كريم خان جاء ملوك من الزنديين لم يكن لهم شأن وإنما كانوا أطرافاً فى نزاع متصل حتى انتهى نفوذ هذه الأسرة سنة ١٢٠٩ هـ (١٧٩٤ م) .

القاجاريون ١٧٧٩ — ١٩٢٥ م

جـــاء القاجاريون فحكموا بعـــد الزنديين ، والقاجاريون جـــديرون بكلمة أوســـع لطول عهدهم ولأنهـــم عاصروا الزحـــف الأجنبى وتقلصت البـــلاد فى عهدهم وأخذت روسيا أكبر نصيب من الأرض التى كانت تعتبر جـــزءاً من إيران ، كما استقلت أفغانستان فى عهدهم استقلالا تاما ٠

وزعيم القاجاريين هو آقا محمد خان ، وقد اســـتطاع هذا أن يوحد فروع قبيلته ، كمـــا استعمل العنف والقتـــل فى القضـــاء على خصـــومه حتى دان له الأمـــر ، وقد آل له السلطان سنة ١١٩٣ هـ (١٧٧٩ م) وكان قاسياً عربيدا مع أعـــدائه ويقال إنه سحل عيون عشرين ألفـــا من سكان كرمان لمحاربتهم له ، واستطاع آقا محمد أن يصبح ملكا لـــكل إيـــران ، وضم لها جورجيا ، واتخذ طهران عاصمة له ، وقُتِل آقا محمد ســـنة ١٢١١ هـ (١٧٩٧ م) ، وجـــاء بعده فتح على ابن أخيـــه وظـــل يحـــكم إيـــران من سنة ١٢١١ الى سنة ١٢٥٠ (١٧٩٧ — ١٨٣٤ م) ٠

وتسلسل حـــكام إيـــران من أولاد فتح على فجـــاء بعده حفيده محمد شاه ، ثم جـــاء الحكام من أبناء محمد شاه الابن بعد أبيه كالآتى :

آقـــا محمـــد	١١٩٣ — ١٢١١	=	١٧٧٩ — ١٧٩٧
فتح على (بابا خـــان)	١٢١١ — ١٢٥٠	=	١٧٩٧ — ١٨٣٤
محمد شاه بن عبـــاس ميرزا ابن فتح عـــلى	١٢٥٠ — ١٢٦٤	=	١٨٣٤ — ١٨٤٨
ناصر الدين شاه بن محمد شاه	١٢٦٤ — ١٣١٣	=	١٨٤٨ — ١٨٩٦
مظفر الدين شاه بن ناصر شاه	١٣١٣ — ١٣٢٤	=	١٨٩٦ — ١٩٠٧
محمد على شاه بن مظفر الدين	١٣٢٤ — ١٣٢٦	=	١٩٠٧ — ١٩٠٩
أحمد شاه بن محمد عـــلى	١٣٢٦ — ١٣٤٣	=	١٩٠٩ — ١٩٢٥

وكان فتح على ميالاً للسلم والهدوء ، ولكن باب إيران فـُتِحَ ابتداء من عهده للنفوذ الأجنبى كالآتى :

١ ـ ضمت روسيا جورجيا سنة ١٨٠١ واضطرت إيران إلى الاعتراف بذلك فى معاهدة كلستان التى عقدت بينها وبين روسيا سنة ١٨١٣ ٠

٢ ـ عقد معاهدة مع فرنسا (نابليون) سنة ١٨٠٧

٣ ـ أمضت إيران معاهدة تحالف دفاعى مع بريطانيا سنة ١٨١٤

٤ ـ تحاربت إيران وروسيا سنة ١٨٢٦ وحققت روسيا انتصارا واسعاً وفى معاهدة تركمان جاى التى تلت ذلك وافقت إيران على إعطاء روسيا إقليمى اريوان ونخجوان ٠

٥ ـ وقع الخليج الفارسى (العربى) محل أطماع روسيا التى كانت تحاول أن يكون لها مرفأ على المياه الدافئة ، وكانت بريطانيا تمنع ذلك بكل القوى ٠

٦ ـ استطاعت روسيا أن تستولى على القوقاز وتركستان فى عهد القاجاريين ٠

البابيه والبهائية :

وفى عهد محمد شاه حدثت حركة دينية خطيرة فى إيران تدل على عدم تغلغل الإسلام بعد ما عانت إيران من حكم المغول الوثنيين ، ومن حكم الصفويين الذين بالغوا فى التشيع ، وهذه الحركة هى حركة البابية التى تحولت إلى البهائية ثم أصبحت خير مُعين للصهيونية ٠

وقد تحدثتُ عن هذه الحركة ضمن حديثى عن « اليهود فى الظلام » بكتابى « اليهودية » : أحد أجزاء سلسلة مقارنة الأديان « ووضَّحتُ » أن البهائية امتداد للبابية ، وكلاهما له جذور يهودية ، ولكن هذه الجذور التى اختفت حيناً أعلنت عن نفسها أخيرا إذ أصبح زعيم البهائية أحد حاخامات اليهود ، وقد استنفدت هذه الحركة جهداً كبيراً من الحكومة الإيرانية ، ولم تنته إلا بعد دماء غزيرة من الجانبين ، ولما سقطت هذه الحركة بإيران بعد هذا الجهد برزت فى عكا وأسندت رياستها أخيرا إلى أحد الصهاينة (١) ٠

(١) اقرأ كتاب اليهودية للمؤلف ص ٣٤٩ وما بعدها ٠

وفى عهد ناصر الدين شاه حاول هذا أن يستعيد أفغانستان ، وتحرك فعلا بجيشه واستولى على هرات ، ولكن بريطانيا تدخلت عسكرياً وأعلنت الحرب عليه من الهند فانسحب من هرات واعترفت إيران باستقلال أفغانستان بمقتضى معاهدة باريس التى عقدت سنة ١٨٥٧ ٠

وفى سنة ١٨٦٥ استولت روسيا على طشقند وسمرقند وبخارى وخيوه وفى سنة ١٨٨٢ استولت روسيا على مرو ، وأقرت معاهدة فى نفس العام هذا الاستيلاء ٠ Akkal

ناصر الدين وجمال الدين الأفغانى[1] :

وفى عهد ناصر الدين كذلك زادت سيطرة رجال الدين وظهر جمال الدين الأفغانى ، وأعلن اتجاهاته الاصلاحية ، فدعاه ناصر الدين لزيارة إيران ربما ليستعين به ضد رجال الدين الذين لم يكن الأفغانى يحترم طريقتهم فى التفكير ، وحضر جمال الدين ، ولكن هذا كان عنيفا فى دعوته ، شديد الرغبة فى الحصول على نتائج سريعة ، ومثل هذا التفكير لا ينجح فى الأمور السياسية التى تحتاج إلى تهيئة النفوس ، فخاف الشاه منه وأعرض عنه ، فترك الأفغانى البلاد إلى روسيا القيصرية ، وهناك لم يُعْجِب سلوكُه القيصرَ فترك روسيا إلى المانيا ، وفيها تقابل مع ناصر الدين الذى اعتذر له ودعاه للعودة مرة أخرى إلى إيران فاستجاب ، ولكن هيهات أن تلتقى آراء ملك فى عصر استبدادى وثائر يريد أن تصبح الشورى أساس الحكم بين لحظة وأخرى ، وظهر الخلاف من جديد ، ولكن الأفغانى لم يرد أن ينسحب كما فعل فى المرة الأولى ، بل ذهب إلى ضريح مقدس فى إيران هو ضريح الشيخ عبد العظيم ، واستجار به ، وفيه أخذ يلقى الخطب ويكتب البحوث الثائرة ، ويستقبل المريدين حتى جعله بؤرة ثورية ، فاضطرت

---

(١) ايرانى الجنسية ينسب نفسه لأفغانستان أرض البطولات ٠

الحكومة للقبض عليه ونفيه ، ومن عجب أنه أقســم على أن ينتقم من الشــاه ، وبعد فترة ســقط الشاه بطعنه من أحد مريدى الأفغانى وكان ذلك ســنة ١٨٩٦ [١] .

وعندما اغتيل ناصر الدين شاه عام ١٨٩٦ كانت البــلاد فى حــالة إفلاس تام ، وكانت تلك هى النهاية الطبيعية لأكثر من خمســة وعشرين عاما أمضاها الشاه فى اللهو والاسراف الذى يصــل إلى حد الســفه ، ويكفى أن نعرف مثلا أن نفقات رحلاته الترفيهية إلى الدول الأوروبيــة كبدت الدولة الإيرانية رهن المناجم والطرق الحديدية وخدمات التلغراف والغــابات والأراضى البــور بالإضافة إلى كل الانشاءات العامة وعائد الجمارك لمــدة ٢٥ عاما إلى البريطانيين هذا فضــلا عن منح الــروس احتكار تجارة التبغ والأفيــون التى كانت تدر أرباحــا طائلــة .

ومما يذكر أنه عقب إعطاء الروس امتيازات التبغ والدخــان أصــدر العــالم الإيرانى « ميرزا شيرازى » فتوى أعلن فيهــا أن استعمال المؤمن للدخان بأى شكل من الأشكال يعتبر رذيلة ، وقد أطــاع النــاس هــذه الفتوى وراقب بعضهم بعضا مما قضى على هذا الامتيــاز . وما أحوجنا لعالم ذى نفوذ يستعمل نفوذه ضد الحكام الطغاة أو السلطات الأجنبية .

وجاء مظفر الدين شاه بعد والده ناصر الدين ، وقد سار على منوال والده ، الأمر الذى أدى بــه إلى منــح الروس مزيدا من الامتيــازات والتنازلات ، وكان ذلك دافعا للبريطانيين لإحــراز مزيد من المكاسب فى إيران ، فقد حصلوا على امتيــاز التنقيب عن البترول فى جميــع أنحــاء البــلاد مقابل مائتى ألف من الفرنكات الذهبية .

وفى عام ١٩٠٦ اضطر مظفر الدين شاه قبل اغتياله بأيام إلى قبول مبدأ الحكم الدستورى ، وأصدر فى هذا العام دستورا عرف بدســتور سنة ١٩٠٦ وكان ذلك تحت تأثير التطورات الدستورية فى تركيا العثمانية

(١) انظر الجزء الخامس من هذه الموسوعة ، وانظر كذلك :
Richard N. : IRAN p. 67.

المجاورة ، ولكن خلفه على العرش محمد على شـاه وسرعان ما عصـف بالدستور ، ووضعَ معارضيه وراء القضبان ، وعلى الفور اندلعت الحرب الأهلية فى تبريز وأذربيجان •

وهنا انتهز البريطانيون والروس والأتـراك الفرصـة ، فقسمت إيران إلى ثلاث مناطق : الأولى فى الجنوب وهى منطقة نفوذ بريطـانى ، والثانية فى الشمال وأخذها الروس تحت لوائهم ، بينما عبرت القـوات التركية الحدود غازية المناطق المتاخمة لهـا من إيران •

ولم يجـد محمد على شاه بدا من الالتجـاء إلى منطقـة النفـوذ الروسية مخلفا وراءه على العرش ابنه سلطان أحمد الذى لم يـكن عمره يتجاوز الثانية عشرة ، وكان سلطان أحمد شاه هـذا هو آخـر ملـوك أسرة قاجار فى إيران (١) •

وقد خلّفت الأسرة القاجارية كثيراً من المتـاعب والرواسب ، فإن الانقلاب الشيوعى فى روسـيا كان قد حدث قبـل نهاية هـذه الأسرة بعدة سنوات أى حدث سنة ١٩١٧ ، وأعلنت روسيا الشيوعية خروجهـا من الحـرب العالمية الأولى ، وانسحب الضباط الروس من إيران تاركين السـلطة فى أيدى ضباط الصف الإيرانيين وكان من أكثر هؤلاء وعيـا وذكاة الرقيب « رضا ميرزا » الـذى سيصبح رئيسا لإيران فيما بعـد

وبدأت روسيا آنذاك تتبع تخطيطاً طويل المـدى لنشر مذهبهـا **فأعلنت فى يناير سنة ١٩١٨ تنازلها عن كل الامتيازات التى كانت لروسيا القيصرية فى إيران ، وأضافت أنهـا مستعدة لمسـاعدة إيران عسـكريا واقتصاديا للتخلص من القـوى الأوربية ، وكان ذلك لتخلو إيـران من قوى الغرب لتصبح لقمة سائغة للسوفيت وهى السياسة التى أتبعهـا السوفييت مع كل الدول الصغيرة وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية •**

---

(١) الشـاه : ما له وما عليه . تأليف جيرار دى فيير ، وتلخيص عبد العظيم حماد •

وكان البترول قد انبثق فى إيران فزادت أطماع الغــرب فيهــا ، وموقع إيران ضرورى بالنسبة للأطماع الاستعمارية لبريطانيا وروسيا، وكل ذلك أحاط بإيران وجعلها تقف بين قوتين كبيرتين ، كل منهما تَشُدُّ وتجذب ، وكانت هناك نصوص معاهدة بين السوفييت وإيران ، ونصوص معــاهدة أخــرى بين بريطانيا وإيران ، وكانت المعاهدتان تنتظران التوقيع عندما بدأ زحف رضا بهلوى فى ٢١ فبراير سنة ١٩٢١ بقواته وأسقط الحــكومة كخطوة فى الطريق لإسقاط الأسرة القاجارية ، وقد آن لنــا أن نتكلم عن العصر البهــلوى .

العصر البهلوى (١٩٢٥ — ١٩٧٩)

ينسب هذا العصر الى رضا خان بهلوى الذى ولد سنة ١٨٧٨ فى إقليم مازندران الذى يقع على بحر قزوين ، وهو من أسرة عسكرية ، فقد كان عمه وجدُّه ضابطين فى الجيش ، وقد التحق رضا بهلوى بفرقة القوزاق ، وسرعان ما أبدى كفاءة عالية دفعته ليصبح فى مركز القيادة .

رأى رضا بهلوى ما آلت إليه الأمور فى إيران فصمَّم على التدخل بفرقته لإنقاذ البلاد التى كانت تترنَّح ، وللقضاء على الأسرة المالكة التى كانت فى أيامها الأخيرة ، واتصل رضا بهلوى — كما يفعل أكثر الثوار العسكريين — برجل سياسى شهير آنذاك هو ضياء الدين طباطبائى لتتوارى أهدافُ العسكريين الديكتاتورية [١] خلف رجال السياسة والدين ، وتنفيذاً لذلك زحف رضا بهلوى بفرقته فى ٢١ فبراير سنة ١٩٢١ وأسقط الوزارة ، وأسند رياسة الوزارة لزميله السياسى ، وقنع هو بوزارة الخارجية ، وصدَّق المجلسُ النيابى على المعاهدة الروسية فى ٢٦ فبراير ، ورفض المعاهدة الإنجليزية ، ثم أبْعَدَ رضا خان ضياء الدين عن رياسة الوزارة بعد أن استغل اسمه فى الفترة الأولى ، وعندما جاءت سنة ١٩٢٣ جعل نفسه رئيساً للوزارة ، ثم خطا خطوته لإسقاط الأسرة القاجارية وليصبح ملكاً لإيران ، فكوَّن جمعية وطنية أسقطت شاه إيران ونادت برضا خان ملكاً على إيران سنة ١٩٢٥ وتم تتويجه فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٦ وبهذا حقق رضا خان أعظم أطماعه [٢] ، واتخذ لقب « بهلوى » وهو اسم اللغة « الفهلوية » التى كانت موجودة قبل الإسلام ، وهو الذى غيَّر اسم البلاد من « فارس » إلى إيران وكل ذلك ليربط نفسه بالماضى ، وليبعُد عن الاتجاهات الإسلامية بطريق غير مباشر .

---

(١) نذكر القارىء بالثورة المصرية او عصابة سنة ١٩٥٢ التى توارت فى أيامها الأولى خلف على ماهر .

(٢) نفس الخطوات التى اتبعها عبد الناصر .

وفيما يلى أبرز خطوط الحياة الداخلية فى عصر رضا بهلوى :

— ألغى نظام الامتيازات الأجنبية ، وأخـذ حق إصدار العملة الإيرانية وكان هـذا الحق ممنوحا للمصرف البريطانى .

— **ألغى استعمال الألقاب .**

— أنشأ جيشا عظيما وزوّده بأحسن الأسلحة الحديثة .

— قلّل من سلطة رجال الدين ، وسنّ القوانين الحديثة بدل القوانين الدينية وجعل الزى الدينى لا يلبس إلا بتصريح خاص واستبدل بالمدارس الدينية المدارس المدنية وألغى الاحتفالات الدينية ، ويقول Wilber إنه كان يقصد بذلك أن يقضى على المظاهر الكاذبة التى ربطها رجال الدين بالدين .

— **كرّس بهلوى — للأسف — نفسه وجهده ليجمع المال لنفسه حتى أصبحت له ثروة هائلة ، وكان شرهه فى جمع المال أكثر من أسرة القاجاريين الذين سبقوه .**

— **كانت روح الاستبداد العسكرى هى نهجه ، وكان برلمانه موجوداً لينفذ اقتراحاته وبالتالى لم توجد حرية حقيقية للصحافة أو الرأى العام (١) .**

وفى المحيط الخارجى تتضح النقاط التالية :

— قام رضا بهلوى بزيارة كمال أتاتورك الذى كان ديكتاتوراً فى تركيا ، وكان موقف الاثنين متقاربا فى عدة مجالات .

— نظم الحدود مع العراق وتركيا وأفغانستان وعقد لذلك ميثاقا سنة ١٩٣٧ .

— كان يدرك أطماع الروس والبريطانيين فى بلاده ، ومن أجل هذا اتجه لألمانيا يستعين بخبرائها فى الشئون الفنية ، ثم قامت الحرب العالمية الثانية ، وهاجم النازيون الاتحاد السوفيتى فى يونيو سنة ١٩٤١ وقام حلف سوفيتى غربى ضد ألمانيا ، واستلزم ذلك أن تكون إيران طريقا لنقل المعدات من الغرب إلى روسيا ، ورفض رضا بهلوى ذلك

---

(١) نفس أسلوب عبد الناصر .

فزحف الروس واحتلوا شمال إيران وزحفت انجلترا واحتلت الجنوب وأصبحت إيران منطقتى نفوذ للاتحاد السوفيتى وبريطانيا ، فسيطرت روسيا على الولايات الشمالية الخمس وهى أذربيجان وجيلان ومازندران وجورجان وخراسان ، وسيطرت بريطانيا على ولايات الجنوب واستسلم الجيش الإيرانى بعد مقاومة واهية ولم ير رضا بهلوى بدًّا من أن يخلى الطريق بعد هذا الوضع فتنازل لابنه محمد رضا سنة ١٩٤١ ونقل إلى جنوب أفريقية حيث مات هناك سنة ١٩٤٤ وجىء بجثمانه فدفن بالقاهرة ثم نقل الجثمان بعد ذلك الى إيران .

عصر محمد رضا بهلوى :

بدأ محمد رضا عصره والحربُ العالمية الثانية على أشدها ، ولم يكن له خيار فى اختيار المعسكر الذى يؤيده ، فإن قوات الحلفاء كانت تحتل بلاده ، ثم كانت رياسة الوزارة لرجل عالم فيلسوف مؤلف هو « فردغى » وكان يدرك أن شرور بريطانيا أقلُّ من شرور النازى ، ولذلك اتجه إلى عقد معاهدة مع الحلفاء لهذا المعنى ولتتيح له كذلك التزامَ الحلفاء بالجلاء عن إيران بمجرد انتهاء الحرب . وقد وُقّعت هذه المعاهدة الثلاثية (إيران — الاتحاد السوفيتى — بريطانيا) فى يناير سنة ١٩٤٢ ويورد Wilber خلاصة لهذه المعاهدة ، هى تعهدُ بريطانيا وروسيا باحترام سيادة إيران واستقلالها السياسى ، والمحافظة على حدودها ، ورعايةُ الكيان الاقتصادى لها ، وتحديد التسهيلات المعطاة لبريطانيا وروسيا بمدة الحرب ، وتعهدُ الدولتين بالجلاء عن إيران خلال مدة لا تزيد عن ستة أشهر بعد انتهاء هذه الحرب [1] .

وسارت إيران فى هذا الخط ، فقطعتْ علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا وإيطاليا واليابان ، وفى سبتمبر سنة ١٩٤٣ أعلنت إيران الحرب على ألمانيا .

---

(١) ايران : ماضيها وحاضرها ص ١٢٢ .

وفى نوفمبر سنة ١٩٤٣ عُقِدَ بإيران أخطر مؤتمرات الحرب ، وقد حضره ستالين وروزفلت وتشرشل ، واعترفوا بالجهود التى بذلتها إيران لقضية الحلفاء ، وتعاهدوا على تعويضها عما قدّمت من جهد ، وذلك لإصلاح مسارها الاقتصادى .

وبدأت اتجاهات ديمقراطية تطلّ على الحياة فى إيران بعد أن هدأت نار الحرب ، فظهرت الأحزاب ، ولكنها كانت قد صبغت بروح الاحتلال ، فالحزب الذى نشأ فى أذربيجان وولايات الشمال اتجه للشيوعية وهو حزب « تودة » (أى الجماهير) وأحزاب الجنوب اتجهت اتجاهاً غربيًّا ، وقد حاول حزب تودة أن يُظهر التمرد على الحكومة المركزية ، فأرسلت الحكومة بعض فرق الجيش والبوليس للقضاء على حركة هذا الحزب ، ولكن القوة السوفيتية لم تسمح لهذه الفرق بالمرور إلى مناطق الأحداث . وكان مما قوّى نفوذ الروس فى المناطق التى احتلوها أن الروس أقاموا من صنعهم حكومات إيرانية تخدم مصالح السوفيت .

وعندما وضعت الحرب أوزارها خرجت قوات الغرب ، وتباطأت قوات الاتحاد السوفيتى فى الخروج فشكَت إيران ذلك إلى مجلس الأمن ، ولم تخرج هذه القوات إلاّ فى منتصف عام ١٩٤٦ بعد ضغط شديد .

وكان هناك حزب آخر ألّفه ضياء الدين طباطبائى يسمى « حزب مشيئة الأمة » ولكن الحكومة قبضت على ضياء الدين ، ثم ضعف حزب تودة بوسيلة أو بأخرى ولم يبق فى الميدان إلا حزب واحد يؤيده الإمبراطور ، وكان ذلك عودةً إلى الديكتاتورية ، فتتابعت الوزارات دون استقرار ، وأصبح الامبراطور أبرز شخصية على مسرح الحياة بإيران ، فتخطّى مجلسَ الشعب ، وأخذ يؤلف الوزارات والأحزاب حسب هواه ، واتجه للحكم المطلق ، بدون أى أساس لاشرعية القانونية وكان يلجأ للاستفتاءات من حين الى آخر بدعوى الديمقراطية وكانت إرادته تحدّد نتائج هذه الاستفتاءات (١) .

---

(١) نفس اتجاهات أنور السادات فى آخر أيامه .

زيجات الامبراطور وعقدة ولى العهـد :

ومن الناحية الشخصية نجد أن الامبراطور سيطرت عليه عقـدة ولى العهد فطلق زوجته الأولى الامبراطورة فوزية أخت الملك فاروق ، لأنها لم تنجب ولدا وربما لأسباب أخرى ، وقد تمّ الطلاق فى نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، وتزوج الإمبراطورة ثريا سنة ١٩٥١ بعد حب اسطورى ولكنها لم تنجب على الاطلاق فطلقها سنة ١٩٥٨ وتزوج فرح ديبا سنة ١٩٥٩ التى أنجبت له الأولاد والبنات ولكن عندما شب ابنه الأكبر « رضا » كان العرش كله قد ضاع كما سنرى بعد قليل ، وكانت الامبراطورة فرح ديبا هى وأسرتها مركزا مهما من مراكز النفوذ والسلطة فى إيران منذ أنجبت أول أطفالها حتى نهاية عهـدها بإيران •



الشـاه وزوجتـه الأخـيرة

عصر الدكتور مصـــدق :

وفى مطلع الخمسينات آلت رياسة الوزارة إلى رجل يمتاز بالإخلاص والوضوح وهو الدكتور محمــد مصــدق ، ولكنــه مع إخلاصــه لم يكن عميق السياســة ، فسرعان ما اصــطدم بقوىً لا يســتطيع النجاح فى معارضتها ، وبهر ْنا به آنذاك لأنه أوقف الامبراطور عند حــده ، وأمم البترول الإيرانى ، ولكنه لم يكن قــد أعدّ للأمر عدته ، فقد قوطع البترول الإيرانى بضغط الإنجليز فسبب للبلاد الكساد ، وكانت المدة من سنة ١٩٥١ إلى سنة ١٩٥٣ هى فترة الدكتور مصــدق الذى كان يعبِّر عن آلام الشعب وثورته ضــدّ حكامه وضــد الاستعمار الغــربى ، لا فى إيران وحــدها بل فى الشرق كــله .

ووصل مصدق إلى القمة ، ولم يجــد الشاه من وسيلة إلا إقالته ، وكان بذلك يعبرّ عن شعور الغرب وبمساعدته ، وعيّن فضل اللــه زاهدى رئيساً للوزارة ، ولكن مصدق رفض الإقالة وعاونه الشعب أعظم معاونة ، ولم يَقْوَ زاهــدى على مواجهــة هــذا الموج الهادر فاختبأ ، وهــرب الامبراطور وزوجته إلى خارج البلاد ، وجأر الشعب بإسقاط الملكية وإعلان الجمهورية وحطّم تماثيل الامبراطور ... ، ويبدو أن الغرب رأى أن آخر فرصة اوشكت أن تضيع من يده فساعد الجنرال زاهــدى مساعدة عظيمة جعلت كفته ترجــح ، وقبض على مصــدق وعاد الامبراطور الهــارب ، وعادت سمعة الشاه إلى الوراء لأنه جاء على أسلحة أعداء البلاد .

نتائج هزيمــة مصــدّق :

وعقب هزيمة مصدق أصبحت طهران تعطى انطباع المدينة المهزومة ، فقوات الجيش والبوليس الموالية للشــاه كانت تعقــد محاكمات فورية لأى شخص يشك فى أنه من مؤيدى مصــدق ، وقتل مئات من الطلبة واليساريين رمياً بالرصاص ، كما قتل حسين فاطمى وزير خارجية مصدق ، وهو مواطن مثــالى ، كان عــدواً للشيوعية ولنفــوذ الغــرب جميعاً ، وكانت سلطة إدارة هذه العمليات ضــد الشعب الإيرانى فى يد السفارات

الغربية ، وبخاصة السفارة الأمريكية التى تولت الإعداد لانتصار الشـاه وعـودته •

ولاقت المدن الدينية التى ارتفعت فيها أصـوات رجال الدين ضـد الشاه كثيرا من الاضطهاد فكانت مـدن قم وشـيراز وتبريز واصـفهان (مسقط رأس حسين فاطمى) مسرحاً لعمليات تفتيش واعتقال على نطاق واسـع •

أما الدكتور مصـدق فقد حُكِمَ عليه بالسجن ، ووضع فى زنزانة بها ميـاه ، مما ألحق به كثيراً من الأمراض أدّت إلى وفاته بعد قليل ، وقـد أزيل بيتـه فى طهران تماماً ، حتى لا يتحول الى رمز للمعارضة •

ومثلما تمّ الأخذ بالثأر من أعـداء الشاه كوفىء أعوانه ، فكل رجال السياسة الذين اختفوا عن الأضواء فى أثنـاء حـكم مصدق ، والأثرياء الذين صودرت ممتلكاتهم ، والضباط الذين وقفوا مع الشاه ••••• كل هـؤلاء حصـلوا على تعويضـات كبيرة ومكافآت واسـعة ، أزالت ما لحق بهـم من الأضرار (١) •

الشـاه وإسرائيـل :

واعترف هـذا الشاه للأسف بإسرائيل وتبادل معها التجارة والمصالح متناسياً العلاقات التاريخية والدينية التى تربط إيران بالعرب ، وقام تعاون بين « السافاك » وهى هيئة المخابرات الإيرانية التى اُنيطت بها أعمـال العسف والطغيان ، وبين « الموساد » وهى هيئة المخابرات الإسرائيلية ، وكان هـذا التعاون لصالح الشاه ضـد المواطنين •

وقـد وصف الشاه علاقته بإسرائيل بقوله : إن تعاوننا مع إسرائيل لا يقتصر على المخابرات فقط ، بل إنه أوسع من هـذا بكثير ، ولقد أرسلت مجموعاتٍ من كل أسلحة الجيش وفروع الإدارة للتدريب فى إسرائيل •

---

(١) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله ص ٩٠ — ٩١ بتصرف •



« السافاك » الذين دُرِّبوا فى إسرائيل لم يسلم منهم حتى النساء

ومن الناحية الاقتصادية وصل ميزان التبادل التجارى بين إسرائيل وإيران ٤٠٠ مليون دولار سنوياً ، واشترى الشـــاه أسلحة من إسرائيل بمئـــات الملايين من الدولارات .

وللأسف الشديد لقد تعامل نظام الإمام الخمينى أيضاً مع إسرائيل ، وأعاد فتح الباب ، ونطمع ألا يستطرد هذا النظام فى التعـــامل مع هـــذه الدولة التى تبرز كل لحظة نياتها السيئة ضـــد الإسلام والمسلمين .

الشـــاه والاســـلام :

وبمناسبة الحـــديث عن علاقات الشاه بأعـــداء الإســـلام والمسلمين نعدد بسرعه بعض تصرفات الشاه التى تنمٌّ عن اتجاته اللاإسلامية :

١ — ألغى الشـــاه استعمال التقويم الهجرى ووضـــع بدله التقويم

الامبراطورى المرتبط بالتقويم الاخمينى ولم يرجع عن ذلك إلا بالضغط العنيف الذى واجهه فى شهوره الأخيرة .

٢ ــ ذكرنا من قبل ظهور الفرقة المنحرفة عن الإسلام والمتجهة للصهيونية وهى فرقة البهائيين ، وقد احتضن الشاه بقايا هذه الفرقة ، ووضع فى أيديهم أخطر أعمال المخابرات ، ومن هنا لم يستجب هؤلاء أبدا للتعاون مع نظام الإمام الخمينى .

٣ ــ فى نُصُب الشاهيار الذى أقيم بمناسبة تتويج الشاه أُقيمت شاشة" بانورامية متحركة تعرض تاريخ إيران من عهد قورش الى أسرة بهلوى ، وتمّ فى هذا العرض تجاهلُ المراحل الأولى من العصر الإسلامى ، وأى شىء يربط بين إيران والعالم العربى (١) .

ثورة الشاه الإصلاحية :

وفى ٦ يناير سنة ١٩٦٣ أعلن الشاه ثورته الإصلاحية التى وضع لها مبادىء خمسة هى :

ــ الخبز للجميع
ــ المسكن للجميع
ــ الملبس للجميع
ــ الصحة للجميع
ــ التعليم للجميع

ونسى للأسف أن يجعل فى القمة منها أعظم مبدأ وهو الحرية للجميع .

وتنفيذاً لهذه الثورة الإصلاحية وزّع الشاه ممتلكات واسعة على الفقراء ، وكان من بينها أراضيه الموروثة ، كما أنشأ جيش المعرفة

---

(١) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله فى صفحات ١٤٣ — ١٦٠ — ١٩١ — ١٩٧ — ٢٠٤ .

لنشر التعليم بالقرى ، وقد نجح هـذا نجاحا عظيما ، وأنشأ جيش الصحة وجيش التعمير ، ••• وهـذه اتجاهات طيبة ، ولكن يبدو أن الشـاه كان يتجه ليفاخر بإيران ويخوّف بها ولا يتجه لرفع شأن الانسـان الإيرانى فى ذاته ، فذلك الانسان كان نصيبه الإذلال والحياة فى خوف ، ولم يُعْطِ الشاه للإنسان الايرانى حقوقه الدستورية ، ولا سمح بالأحزاب الحرة ، وإنما أراد أن يسيطر على عقول الشعب نظير إطعامهم وإسكانهم وثقافتهم ، وكانت الثقافة تُبْرِز جيـلا جديداً يتطلع للحرية ، وهـذا الجيل غفل عنه الشاه كما غفل عنه أغلب حـكام الشرق •

وقد هاجمت روسيا هـذه الإصلاحات اتّباعا للفكر الماركسى الذى يرى الإصلاحات وسيلةً لتعطيل الثورات ، لذلك عمدت روسيا السوفيتية إلى مهاجمة هـذه المشروعات مدّعية أنها لصالح الاستعمار ومساعديه •

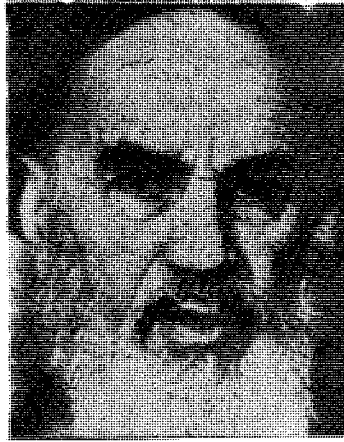
ثورة ودمـاء :

وفى يونيو سـنة ١٩٦٣ هبّت بإيـران ثـورة عارمة ، كان الاعتراف بإسرائيل من أهم أسبابها ، أما السبب المباشر فكان الخطاب الذى استعد لإلقائه «آية الله الخمينى» فى الذكرى السنوية لموت الإمام جعفر الصادق ، وكان الإمام الخمينى معروفا بعدائه للشاه وهجومه عليه ، ولذلك حاولت مؤسسة « السافاك » أن تمنعه ، وحصل تصادم بين أتباع الشاه وأتباع الإمام ، وقـد أشـعل المتظاهرون بعض الحرائق ونزل الجيش ليعيـد الأمن ، ولكنه عجـز ، فاستعمل الرصاص والأسلحة المختلفة مما تسبب فى سـقوط عـدد من المواطنين ، وكانت هتافات المتظاهرين « تسـقط اسرائيل » « تسقط الديكتاتورية » •

ورأى رجال الدين هـذه الثورة فرصة لأن الحـكم البهلوى أضعف امتيازاتهم أو أزال سلطانهم ، فإن الحـكم البهلوى هو الذى ألغى دستور ١٩٠٦ الذى كان يعطى أئمة المذهب الشيعى حق الاعتراض على أى قانون

يرونه مخالفا للشريعة الإسلامية ، ولأن قوانين الإصـــلاح حـَــرَمتْ رجال الدين من سيطرتهم على النظام القضائى ، فانتهز رجال الدين فرصة هـــذه الثورة وأصـــدروا منشوراً يدعو للجهاد المقدس ضد الإمبراطور ٠

الامـــــام الخمينى :



آية الله العظمى الإمام الخمينى

إن الإمام الخمينى أعاد إلى الاذهان تاريخ الثورات الشعبية التى تنتصر بدون سلاحٍ على أقوى الأسلحة وعلى جيوش ومعدات كانت تهـــدد وتزمجر ، فمن هو الإمام الخمينى ؟

إنه فى كلمات قصيرة رجل آمن بالفكرة ، ولم تكن له أطماع شخصية ، وهو يتجـــه للزهد اتجـــاها تامـــا فى طعامـــه ولباســـه وسكنه ، لا يهتم بممتلكات ، ولا يسعى لمـــال ، وَهـَبَ نفســـه لأهـــداف أمتـــه ، وذلك سر عظمتـــه ٠

أما عن كفاءة الإمام الخمينى فهى فوق الوصف ، فعـــلى الرغم من

سنّه واعتلال صحته نجده يحيط بالأمور ، ولا يخشى التهـديد ، ويجيد توجيه أجهزة الإعـلام واستغلالها أكثر مما يفعل أى متخصص فى الدعاية والإعـلام ، ثم هـو قلب ثابت عنـد الشـدائد ، لا تروّعـه الكوارث ولا تزلزله الآلام •

والإمام الخمينى يضع الهدف أمامه ويصرّ على بلوغه ، ولا يعـرف اليأس ، ويتخذ من الاضطهاد الذى يتجه ضده ، ومن دماء أتباعه التى تراق ظلما ، دوافع لمزيد من الحماسة والإصرار ، حتى دم ابنه « مصطفى » زاده تصميما ، وجعـله يهتف بالمعزّين قائلا : كفى دموعا وهيّا بنا نعمل •

ان رجلا كهـذا كان لابدّ ان ينتصر ، وليت الذين يطمعون فى الزعامة يتعلمون منه هذه الجوانب المضيئة من الأخلاق •

وكان الإمام الخمينى يهاجم رجال الدين الانتهازيين ، ويصفهم بأنهم « فقهاء السلطان » ويدعو رجال الدين للتعفف وعدم السير فى ركاب الملوك وعدم السعى للمال أو المنصب فذلك شىء أقل بكثير من جاه العلم الذى حصـلوا عليـه •

وقد كانت ثورة رجال الدين فى هذه الفترة بزعامة الإمـام الخمينى الـذى يلقب « آيـة اللـه » و « روح اللـه » وقـد وقف هـذا فى يوليو ١٩٦٤ فى أحـد مساجد « قـم » يدعـو على الشـاه وزوجتـه وأولاده وأسرته الذين يملكون (مؤسسة بهلوى) التى تضـم أكثر من مائتى بنك ومؤسسة فى إيران وفى أمريكا •

وفى أكتوبر ١٩٦٤ أصدر البرلمان الإيرانى قراراً بمنح الحصـانة الدبلوماسية للخبراء الأمريكان ، فثار الخمينى وهاجم الأمريكان والأسرة الحاكمة والثـورة البيضاء التى أعلنهـا الشاه ، وأعلن أن الشـاه لم يحقق الاشتراكية الإسلامية ، وإنمـا حقق التسوّل للشـعب الإيرانى •

ويعتمد الخمينى على ١٨٠ ألفا من الخطباء فى ثمانين ألف مسجد وعلى « الأسياد » أى رجال الدين وعددهم ٨٥٠ ألفا ، ويعتمد كذلك على طلبة المعاهد الدينية وعـــددهم مائتا ألف ، وكلهم قادرون على إثارة النـــاس ودفعهم إلى المظاهرات وإلى تعطيل العمل • وليس عجيبا طبعاً أن يؤيد الشيوعيون هذه المظاهرات فالعدوّ واحد وإن اختلفت الأهداف •

وعقب هذه التحركات من الإمام الخمينى صدرت الأوامر باعتقاله ، ولكن آية الله محمـــد بهبهـــائى تزعّم رجـــال الدين ووالى المنشـــورات المعادية للحكومة وللشاه ، واشتركت الجامعات وبعض الهيئات فى هـــذه المظاهرات ، وكانت ترمى إلى الهجوم على المكان الـــذى اعتقل فيـــه آية الله الخمينى لإطلاقه حتى يقود الجماهير الثائرة •

وفى هـــذه الأثناء أجيزت الرســـالة العلمية التى تقدم بهـــا الإمام الخمينى وحصل بها على لقب « آية الله العظمى » وهذا اللقب يمنع اعتقاله ، ومن أجل هذا اتجهت الحـــكومة إلى نفى آية الله الخمينى إلى خـــارج البلاد ، فذهب إلى النجف الأشرف بالعراق حيث بقى أربعة عشر عامـــا كان نشـــاطه محددا حيناً وواسعاً حينا آخر ، واحتجت إيران على نشاط الخمينى المنبعث من العراق ، فأخرجه العراق ، وحـــاول أن يذهب إلـــى الكويت فرفض الكويت دخوله ، فسافر إلى سوريا ومن سوريا انتقـــل إلى فرنسا فى السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٨ ومن هنـــاك لعبت أشرطـــة التسجيل دورها الهائل ، فإن خطب الزعيم ودروسه كانت تسجل عـــلى أشرطة ، وتصل إلى إيـــران بوسيلة أو بأخـــرى ، حتى كان صوت هذا الزعيم يـــدوّى فى كل بيت •

ومع صوت الزعيم عن طريق الأشرطة كان فى إيران مريدون متحمسون للإمام مثل ابراهيم يازدى وقطب زاده يحملون مع رجال الدين مسئولية ترويج أفكار الإمام فى الداخل •



ابراهيم يازدى .. كان مع قطب زاده من أكبر
مروجى أفكار الخمينى فى الداخل

وخلال نفى الإمام حـدثت ثورات (سنة ١٩٧٥ وسنة ١٩٧٦ وسنة ١٩٧٧) وسقط فيها مئات القتلى ، ودُفع إلى السجون والمعتقلات عشرات الآلاف وانتصر الشـاه بالقسوة على هذه الثورات ، كما كان من وسـائله للانتصار أن يكثر من الوعود والعهود بأنه سيعمل على القضاء على الفساد وأنـه سيعيد دستور سنة ١٩٠٦ ، وأنه سيجرى انتخابات حـرة ، ولكن الشـاه كان ينسى هـذه الوعود عنـدما تهدأ الأمور ، ولم تكن الثورات فى إيران فقط بل قام الطلبة بثورات صاخبة فى نيويورك وباريس

الشـهور الثـلاثة الأخـيرة :

وجاءت الشهور الثلاثة الأخيرة فى حكم الشاه ، وهى الشهور التى بدأت من أكتوبر سنة ١٩٧٨ والتى قامت بها ثورات زعزعت نظـاماً يقال إن عمره ٢٥٠٠ سنة ، وقد شهد شهر أكتوبر ذاك ثورات جارفة ومقاومة عنيفة من « السـافاك » وسقط كثيرون قتلى وجرحى .

وشهد شهر نوفمبر التالى حركات مماثلة وقسوة هائلة من الشاه ، واتضح أن الرجل فقد الزمام ، وقد أقام الشاه حكومة عسكرية بقيادة جنرال « غلام رضا أزهرى » فى السادس من نوفمبر ولكن ذلك لم يُغْنِ عنه شيئا • وأعلن الشاه القبض على بعض أعوانه ومحاكمتهم بتهمة الفساد ، وكان يحاول بذلك أن ينقذ نفسه عن طريق التضحية بهم • ولكن ذلك لم يخدع الثوار •

ثم أهلّ شهر ديسمبر سنة ١٩٧٨ وكان يوافق شهر المحرم سنة ١٣٩٩ هـ وشهر المحرم شهر الحزن والمظاهرات فى المناطق الشيعية ، ففى العاشر منه سنة ٦١ هـ قُتِل الإمام الحسين ، وتسير فيه عادةً مواكبُ الحزن والثورة ، وقد أدرك الشاه أن هذا الشهر لو مرّ بسلام فإن الأزمة يمكن أن تنفرج ، ولكن هيهات أن يمر هذا الشهر بسلام ، لقد قامت به أعنف الثورات وسقط عدد عظيم من الضحايا •

وأحسّ الشاه أن أيامه قد حانت فاتجه لتهريب الأموال للخارج وأشيع ذلك فنشجع الثائرون وانكمش أمل الشاه فى البقاء بإيران ، وبمناسبة الحديث عن ثروات الشاه نذكر أن الأسرة المالكة فى إيران ومؤسسة بهلوى كانتا تمتلكان ٨٠ ٪ من صناعة الأسمنت فى إيران و ٧٠ ٪ من الفنادق السياحية ، و ٦٢ ٪ من البنوك وشركات التأمين ، بالإضافة إلى نصيب كبير فى صناعة النسيج والسيارات وغيرها ، وكان للشاه ثروات هائلة خارج إيران ، منها مثلا ٢٥ ٪ من أسهم مؤسسة كروب الألمانية ، وقد اشتراها الشاه بمبلغ ٥٥٠ مليون مارك ألمانى •

أما الجواهر التى كان يمتلكها الشاه فأعلى من الوصف ، وهى تشمل الكنوز المذهلة التى انحدرت إليه من العهود السابقة ، وتشمل عرش الطاووس وهى جوهرة مصنوعة من الذهب الخالص المرصع بالماس والأحجار الكريمة الأخرى الثمينة •

وقد حاول الشاه أن يأخذ معه ما يسمى « جواهر التاج » وهى

تشمل التيجان التى استخدامها فى تتويج نفسه ، وتتويج الامبراطورة وولى العهد سنة ١٩٦٧ ، ولكن هذه الذخيرة الثمينة كانت مودعة فى خزائن على بعد ٢٠ متراً تحت الأرض ، وكان مؤمَّناً عليها بمبلغ رهيب يصل إلى ٥٠٠ بليون دولار ، وقد أخَّر الشاه مغادرته لإيران يوم ١٦ يناير على أمل أن يحصل عليها ، ولكن الموظفين الذين كانوا يعرفون أسرار الوصول لها كانوا فى إضراب مع باقى موظفى الدولة ، وغادر الشاه طهران فى اليوم التالى دون أن يأخذها معه .

الأيام الأخيرة للشاه فى إيران :

جاءت ثورات يناير سنة ١٩٧٩ وكانت من أعنف الثورات ، كانت تطالب بتنحية الشاه ونظام أسرته والسلطة البوليسية الخانقة التى يعتمد عليها (السافاك) وكذلك بإخراج النفوذ الأمريكى والإسرائيلى ، ويبدو أن الولايات المتحدة يئست من الشاه ومن نجاحه فأوعزت إلى الجيش الإيرانى بألا يتعرض للثائرين ، وكان معنى هذا أن تصبح الثورات هائجة مائجة ، وفى نفس الوقت أشارت على الشاه أن يترك البلاد مؤقتا ريثما تعالِج الأمور ، فعيَّن الشاه رئيساً للوزراء من زعماء المعارضة هو شاهبور بختيار ، وفى ١٦ يناير سنة ١٩٧٩ اقترع مجلس النواب بالثقة على حكومته ، فاطمأن الشاه لذلك وأخذ طائرته ومعه أسرته واتجه لمصر فى اليوم التالى معتقداً أنه يوما سيعود ، ولكنها كانت رحلة الوداع .

وفى مصر تلقى دعوة من المغرب فذهب إليها فى ٢٢ يناير ، وكان ملك المغرب يعتقد أن الشاه سيعود لبلاده ، فأراد مجاملته بدعوته لزيارة المغرب ، وسرعان ما اتضح أن الشاه لن يعود ، مما جعل ملك المغرب يهمس للوسطاء بأن بقاء الشاه فى أرضه شىء غير مرغوب فيه .

محاولات الدكتور شاهبور :

حاول الدكتور شاهبور بختيار أن يهدِّىء العاصفة الداخلية والخارجية ، فأعلن وقف مدّ اسرائيل بالبترول ، وأن عائدات البترول الإيرانى ستصرف لصالح الشعب والطبقة المتوسطة ، كما أعلن أنه لن يسير مع أحلام الشاه التى كانت فيها مبالغات شديدة ، وحلّ منظمة « السافاك » ونقل العاملين بها إلى وظائف أخرى ، وطمأن جيران إيران بأن سياسة إيران الجديدة لا تضعها حارساً للخليج ، وتبعاً لذلك أوقف العقود المبرمة بين إيران وبين كل من أمريكا وألمانيا وبريطانيا لتسليح الجيش بمليارات الدولارات ، وَحِسبَ شاهبور أن هذه الاتجاهات تُرْضِى الشعب الإيرانى وتُسْكِت الثورة ، ولكن هيهات فان معنى هذه الإصلاحات هو أن يسحب شاهبور بختيار البساط من تحت أقدام الثورة ، ويقف دون الحصول على الأهداف الحقيقية للجهاد الطويل ، ولكن هيهات .



شاهبور بختيار : المعارض الذى حاول
أن يتعاون مع الشاه ويحرس عرشه

الإمـــام الخميـــنى : رحـلة العودة والانتصار :

أما عن الإمام الخمينى فإنه لم يُضعْ فرصة فقد أعلن أن شاهبور بختيـــار خائن لأنه قَبــل أن يتعـــاون مع الشاه وأن يحـــرس عرشـــه المنهـــار ، وركب الخومينى الطـــائرة وعاد إلى طهران عندما كان الشــــاه بالمغرب على الرغم من إرادة شاهبور بختيار الـــذى قفل مطارات طهـــران خمسة أيام من ٢٥ يناير الى ٣٠ يناير ثم أرغم على فتحها ، وكانت طائرة الإمام من أولى الطائرات التى وصلت المطار فى أوائل فبراير ، واستقبلته الجماهير استقبالا حافلا ، ومن الواضح أن شاهبور بختيار كان يعتمد على الجيش فى بقائه بالحـــكم ، ولكن الجيش أعلن فى ١١ / ٢ / ١٩٧٩ وقوَفه على الحياد إزاء الصراع الدائر فى البلاد ، وكان هذا استجابة لدعـــوة رجال الدين ، ونداءات الإمام ، ووجد شاهبور بختيار أنه لا يقـــدر على مواجهـــة قوة الشـــعب التى تهـــدر فاختفى فى ١٢ / ٢ / ١٩٧٩ ونشر استقالته وظهر بعد فترة بأوربا ، وأعلن الإمام الخمينى أنه عين الدكتور



مهـــدى بازرجـــان
أول رئيس للـــوزراء بعد نجـــاح الثورة

مهدى بازرجان رئيسا لحكومة مؤقتة فى نفس اليوم وصدر قرار بحل البرلمان ، وبدأ بإيران عهد جديد .

أما الجيش الذى كان عُدّة الشاه ضد الشعب ، فقد أخذ ينحاز تماما للثورة وانضم الجنود وصغار الضباط إلى العهد الجديد ، أما كبار الضباط الذين كانوا قد تورطوا فى أعمال غير إنسانية تبعا لأوامر الشاه فقد جاءت نهايتهم ، فبعضهم هرب واختفى من الميدان ، وبعضهم انتحر ، وبعضهم قُبض عليه ولاقى جزاءه .

نهاية الشاة :

ولنعد إلى الشاه لنذكر أنه فى هذه الأثناء أصيب بمرض خطير وأضيف المرض إلى التشرد ، وأخذ ينتقل من مكان إلى مكان للعلاج أو الإقامة دون أن يجد مكاناً للاستقرار . ياالله لقد ضاقت الأرض كلها بهذه الأسرة التى كانت يوماً موضع كل الإجلال والتقدير ، والتى تمتلك أعظم القصور والفيلات فى أكثر أرجاء الأرض ، ولم يكن انتقال الشاه وأسرته سهلا ، فقد ألغت الحكومة الإيرانية الجديدة جوازات السفر الخاصة التى يحملها الشاه وأسرته ، ولم يجد النجدة إلا لدى الأمم المتحدة التى صرفت لهم جوازات سفر كلاجئين .

وأخذ الشاه ينتقل بأسرته من مكان إلى مكان ، يقذفه قطر ويتلقاه آخر فانتقل من مصر إلى المغرب ، فإلى جزر بهاما . فالمكسيك ، فالولايات المتحدة ، وأخيراً إلى بنما ، ولكن سرعان ما ضاقت بنما به ، بل طلع على العالم خبر فى ٢٣ يناير سنة ١٩٨٠ يذكر أن كارتر حاول أن يجعل من الشاه ثمنا للافراج عن الرهائن الأمريكان الذين كانت سلطات الخمينى قد اعتقلتهم فى ٤/ ١١ / ١٩٧٩ ، فاتفق كارتر مع حكومة بنما على أن توّقع مع إيران معاهدة تسليم المتهمين ، وتمت اتصالات كارتر بإيران ، وسافر إلى بنما ممثّل إيران فى التوقيع على هذه المعاهدة ، ولكن الجهود المخلصة أنقذت الشاه قبل التوقيع على هذه المعاهدة بوقت قصير ، فقد أعلن الرئيس السادات أن طائرة الرياسة المصرية سوف

تنطلق فوراً إلى بنما لنقــل الشــاه وأسرته إلى مصر ، ولــكن بحســاب الوقت تبين أن وصــول طائرة السادات سوف يتأخر ، واستطاع روكفلر وكيسنجر أن يستأجرا للشاه طائرة خاصــة بثلاثمائة ألف دولار ، وكان الشاه مترددا فى أن يدفع هذا المبلغ الكبير لنقل ثمانية أشــخاص (وهو وأسرته) وكان يفضّل انتظار طائرة السادات لولا أن الاثنين حذّراه بأن البقاء بضع ساعات معناه القبض عليــه ثم تسليمه ، لأن ممثل إيران كان فى الطريق ومعه توقيع المسئولين فى إيران على معاهدة تسليم المتهمين .

وهكذا عاد الشاه إلى مصر ، بعد اتفــاق غير أخلاقى مع كارتر .

وفى الحقيقة كان موقف الرئيس السادات صــدى لموقف مصر ذات التاريخ المجيد ، فقــد رأت مصر أن واجبهــا الإنســانى يحتّم عليهــا استضافة الشاه ، وأعلنت أن حرصها على حسن الصلة بالشــعب الإيرانى لا يمنعهــا من هذا العمل الإنســانى ، فلابد لهــذه الأسرة من إقامــة ولابد لهذا المريض من علاج ، ولم يكن للشاه خيار فإنه لم يبق أى بلــد آخــر يقبله ، فحضر إلى مصر فى ٢٤ مارس سنة ١٩٨٠ ، وقدّم له العلاج اللازم ، ولكنه كان يشفى من داء ليندفع له داء جديد ولذلك أسلم الروح فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٨٠ ودُفن فى مصر حيث كان أبوه قد دفن من قبل .

وكانت هذه هى النهاية الأليمة لعرش الطاووس والشاه الذى جلس على هــذا العــرش ثمانية وثلاثــين عاما .

طموح كاذب واحتفالات برسوبوليس :

وقبل أن ندع الشاه نسجل موجزاً عن احتفالين باهرين قام بهما ، أحدهما سنة ١٩٦٧ والثــانى ســنة ١٩٧١ .

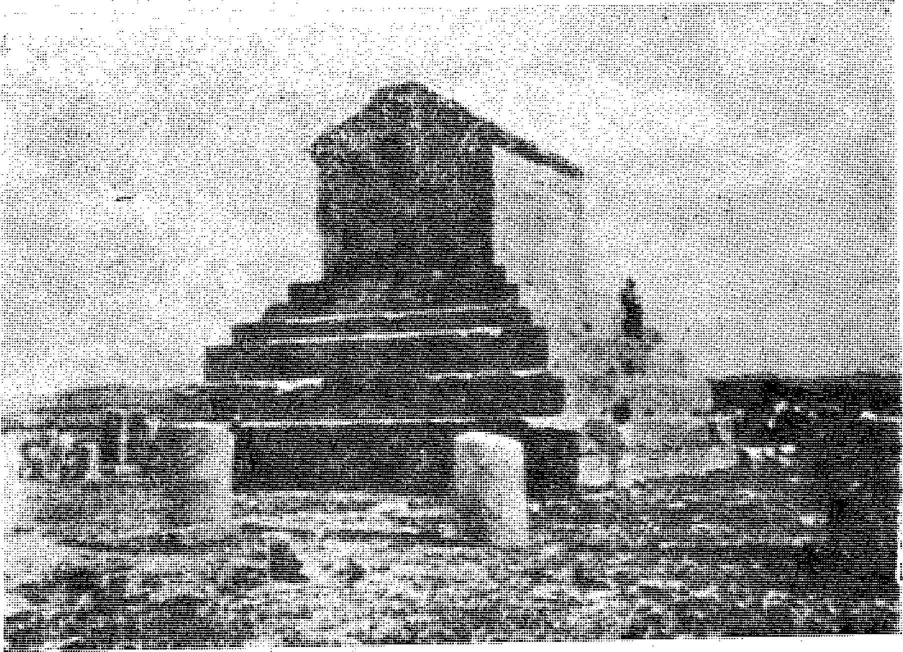
أما الاحتفال الأول فقد أقامه فى عيــد ميلاده الثــامن والأربعين ، وفيه توّج نفسه ، كمــا توّج زوجته وابنــه بتيجان بلغت الغــاية فى الجلال والعظمة ، وكانت التيجان الثلاثة حديثة الصنع ، رُصّع التــاج

الملكى منها بجـواهر نادرة بلغت ٣٣٨٠ جوهرة ، أما تاج زوجتـه وتاج ابنـه ، فرُصّعا بجواهر أقل قليلا من جواهر تاج الإمبراطور ، وفى هذا الاحتفال أطلق الإمبراطور على نفسه لقب (آريامهر) أى نور الآريين بالإضافة إلى لقب شاهنشاه أى ملك الملوك ، وهـكذا نجد الرجـل الذى ألغى أبوه الألقـاب يخلق لنفسه ألقـاباً جديدة ، ويجعل ألقابه سلسلة طويلة ، وهو نوع من الكذب على الشعوب تبناه بعض الثوريين فيما بعد •

وقد ذكرنا من قبل أن الشاه بذل أقصى الجهد ليأخذ هذه استيجان معه قبل رحلته الأخيرة ولكنه فشـل فى ذلك •

أما احتفالات برسوبوليس فيصفها الباحثـون بأنها كانت احتفالات أسطورية ، وقد أقامها الامبراطور بمناسبة مـرور ٢٥ قرناً على تأسيس الامبراطـورية الإيرانيـة على يد قورش العظيم ، وقـد أقيمت هـذه الاحتفالات بين أطـلال عاصمة الاخمينيين السـابقة « برسوبوليس » وحضر هذه الاحتفالات عشرون ألف مدعوٍّ يضمون ستة وثمانين ملكاً وأميراً ورئيس دولة ، كان من بينهم من ملوك أوربا ملك النرويج والسويد والدانمرك وبلجيكا واليونان ، ومن ملوك آسيا الملك حسين وملك تايلاند ، ومن ملوك أفريقيا الامبراطور هيلاسلاسى ، ومن رؤساء الدول الرئيس بودجورنى من الاتحـاد السوفييتى والرئيس فرنجية من لبنان والرئيس بورقيبة من تونس ، وكل حكام دول الخليج ، كمـا حضر الأمير فيليب زوج ملكة بريطانيا ، والأميرة آن ابنته وحضر عدد من رؤساء الوزراء •

وقد أقيمت فى « برسو بوليس » مدينة من خيـام الترف فى عاصمة قورش ، ومع أن أمجـاد قورش قد انتهت منذ عهد بعيد ، وحلّتْ بإيران ظروف من الآلام والمعاناه والانكماش كما رأينا من دراساتنا السـابقة ، فإن الشـاه فيما يبدو كان يحـلم باسترجاع الماضى ، وقد بدأ بتخويف جيرانه وإعداد الجيوش التى ذكر أنها تفوق جيوش بريطانيا فى منطقـة الخليج وأحيا اتجـاهات قورش فى التعاون مع اليهود فكان ذلك الحفـل الأسطورى له مغزى رهيب •



البناء الشاهق لضريح الامبراطور قورش
الذى شيده الشاه بمناسبة الاحتفالات الاسطورية



استعراض للطالبات
بشوارع ايران فى الاحتفالات الاسطورية
بمناسبة مرور ٢٥ قرنا على تأسيس امبراطورية قورش

ولنعد الى الاحتفالات الأسطورية فى مهرجان قورش لنذكر أنهـا تكلّفت بليارات من الدولارات ، لأن الشـاه أعاد الحيـاة إلى ذلك الماضى السحيق ، فالملابس والمظاهر كانت تحمل طابع ذلك العهد البعيد ، وقـد صَنَعَت فرنسا أجمل الملابس للجنود وللمشتركين فى العرض من المدنيين كما صَنَعَت الخيـامَ الخلابة المكيفة الهواء ، وحملت الطائراتُ الطعام الساخن من مطعم مكسيم بباريس وأضـاءت انجلترا شـوارع طهران فجعلتها تموج بالبهجة ، وكان الشاهنشاه يستقبل ضيوفه وهو فى قمـة الأناقة والفخامة والأبهة ، كان ذهبى الألوان ماسى اللمعان ، ولم يـكن يدرى أنه سيسقط فى نفس العقد الثامن من القرن العشرين ، ذلك العقد الذى شـهد الأبهة وشـهد النهاية . ولله فى خلقـه شئون ، وسبحان الـدائم .

وقد نشر الأستاذ مصطفى أمين (١) تحليلا لموقف الشاه قبيل نهـايته ووضّح بعض أخطاء الشاه وقـد ذكرنا الكثير منها فى دراستنا السابقة ، ولكنا نقتبس فيما يلى قليلا من أفكار مصطفى أمين ، فلهذا الكاتب اتجاهاته القوية تجاه الديمقراطية واحترام حق الشـعوب ، وهو لهـذا ينال من المخلصين أعمق تقـدير ، ويرى مصطفى أمين أن أخطر أخطاء الشاه هى ما يـلى :

١ — كان سىء الاتجاه نحو جيرانه ، ويحاول بعث الخوف الدائم فى حياتهـم .

٢ — كان يَعِدُ ولا يفى ووعوده تجاه الديمقراطية ونزاهة الانتخابات كثيرة ولكنهـا لم تر النـور .

٣ — اهتم بالمصانع والمبانى ونسى الإنسان الإيرانى ، وأول شرط فى المدنية هو الاهتمام بالإنسان .

٤ — تجاهل أو جهل مولد طبقة جـديدة من الناس فى إيران لا تخضع كما خضعت الأجيال السابقة .

(١) أخبار اليوم : فى ٦ يناير سنة ١٩٧٩ .

٥ — حمى عرشه بالحرس والجنود ، والعرش لا يحرســه إلا حب الشــعب •

٦ — صَّدق تقاريرَ رجاله الذين أوهموه أنه محبوب ، وكان مكروهاً ملعــوناً •

وقد انتهى الرجل ، وخلّف أسوأ الذكريات ، وترك لأولاده عبئا ثقيلا لعلهم يستطيعون مواجهته بوجه غير وجه أبيهم ليعيشوا فى شىء من الأمن بعد ما لا قــوة من عنــاء •

السفارتان : السوفييتية والأمريكية بإيران فى عهد الشاه :

لعل مما يوضــح نفوذ روسيا وامريكا بايران فى عهد الشاه أن نورد وصفا لسفارتيهما فى طهــران فى ذلك العهد نقلا عن شاهد عيان :

تتكون السفارة السوفيتية من مجموعة من المبانى يحيط بها سور مرتفع توجــد بداخله عدةُ قصور ، وعدةُ منازل صغيرة ، وعدة بيوت كل منهــا من طابق واحد ، كما توجــد عمارات ســكنية ومستشفى ومحطة لتوليد الكهرباء ، وتوجد أيضاً بحيرة فيها قوارب للتجديف ، وفيها كثير من البَجَع ، كما توجد داخل هذه الأسوار أيضا غابةٌ بهــا قطيع " من الغزلان ، وفى أحد الجوانب يوجد قصر اسمه قصر الأتابك ، وهو يشير إلى أنه فى هــذا القصر كان أحد المماليك يتولى تربية ولى العهد حتى يبلغ سنّ الرشد ، وقد تحوّل هذا القصر حاليا إلى مُتْحف يعقــد فيه السفير السوفييتى حفلتى استقبال كبيرتين مرتين فى العام ؛ الأولى فى احتفالات عيد العمال فى أول مايو ، والثانية فى احتفالات ذكرى ثورة اكتوبر •

وفى هذه المستعمرة السوفيتية الواسعة دعا ستالين سنة ١٩٤٣ الرئيس روزفلت ليقيم معه فيها خــلال المؤتمر الذى حضره الثلاثة الكبار آنذاك فى طهــران •

ومما يذكر أن السور المرتفع حول هذه السفارة سور مكهرب ، وأن جميع العاملين فى هذا المجمع من السفير إلى الخدم مواطنون سوفييت .

أما السفارة الأمريكية فمنطقة غاية فى الفخامة . تقـع على مساحة شاسعة قدرها ٦٠ هكتارا (حـوالى ١٤٣ فدانا) وتضـم ثلاثين مبنى متعددة الأشكال ، أحدها مكتب رئيسى ضخم ، والثانى مقر السفير ، والثالث مركز قيادة البعثة العسـكرية ، والرابع مركز الاستعلامات ثم القسـم التجارى ، ومنازل الملحقين وغيرها [١] .

والسفارتان توحيان بالرهبة ، وكانتا فى عهد الشاه توحيان بالسيطرة والاذلال .

(١) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله ص ٢٥ — ٢٦ .

الجمهـــورية بإيــران

كان خروج الشاه من إيران وعودة الإمام الخمينى إليها بمثابة انتهاء الملكية بإيران وبدء نظام جـديد ، وكان الشاه قد كوّن مجلس وصـاية للقيام بعمل الملك إلى أن يعود ، ولكن عودة الإمام الخمينى قضت على آمال الشاه ، وقضت على نظام حـكمه ، وبدأ العالم يتطلع إلى النظام الجديد وإلى الحكومة الإسلامية التى ستشرق فى إيران •

وقبل أن نتتبع الأحداث فى إيران العهـد الجديد ، أقرر أننى رأيت **الناس فى مصر يستقبلون الثورة الإسلامية التى حققت النجاح بألوان من الغبطة والسرور ، وكان كل مصرى يحس أن الثورة ثورته ، وأن نجـاح الزحف الإسلامى نجاح" له ، وعلى الرغم من موافقة الشعب المصرى أو أكثره على استضافة الشاه لحمايته من التشرد وتقديم العـلاج له ، فإن الشعب المصرى كلّه كان فرِحا بنهاية عهده الأسود ، ووقْف أعمال المظالم التى حفل بها عهده ضد الإيرانيين ، وضد عرب الخليج والجزيرة العربية ، وضـد المسلمين الذين اعترف بألد أعدائهم الصهاينة ، وتبادل معهم التمثيل الدبلوماسى ، دون حاجة تدعو إلى ذلك •**

وفى وسط هـذا الفيضان من السرور استجبتُ أنا واستجاب سواى من المفكرين المسلمين لنشرح الاتجاهات الدينية للشيعة ، ولنوضـح أن الدراسات الجديدة قرّبت الفروق بين أهل السنة وبين الشيعة ، وأن على المسلمين جميعاً أن يتعاونوا لخدمة أهدافهم المشتركة • وبَذَلْنا جهـودا كثيرة لكشف عيوب نظام الشاه الذى اتجـه الأفول ، ودعونا من الأعماق لقادة العهـد الجديد بالتوفيق والسداد •

ذلك كان إحساسى كمسلم وكمصرى ، وهو فى الحق كان إحساس الجميع حولى ، وفى وسـط هـذا الإحساس بدأت الأمور تسير على نحوٍ توضحه الدراسات التالية التى نسجلها من يوم إلى يوم •

يوميـــات الحيـــــاة فى إيـــران الجـــديدة

فى ٣ فبراير سنة ١٩٧٩ أعلن الإمام الخمينى أنه تمّ تعيين أعضــــاء المجلس الثورى الإســـلامى الذى سيقوم رئيسه بتشكيل حكومة مؤقتة •

وأعلن أنه سيتم إجراء استفتاء شعبى حول اعـــلان جمهورية إسلامية بالبلاد عقب تشكيل الحـــكومة التى ستشرف على هـــذا الاستفتاء •

وطالب الإمام الخمينى رجال الجيش بعـــدم إطلاق النار على الشعب والوقوف إلى جانبه ، فالجيش من الشعب وينبغى أن يكون موقفه أن يحمى الشعب لا أن يعاديه ، وذكر أن الذين فروا من كبار القواد سيقبض عليهم ، ويعاقبون على ما ارتكبوا ضـــد الشعب ، وكان ذلك بمثابة تهديد للآخرين •

وفى أوائل ابريل ١٩٧٩ : أجرى استفتاء عام لقيام الجمهورية وقـــد أَجْرَتْه حـــكومة مهدى بازرجان التى كانت قد تكوّنت كحكومة مؤقتة ، وقـــد ذكرت الأنباء أن أكثر من ٩٩٪ وافقوا على قيام الجمهورية الإسلامية بإيـــران •

واختير أبو الحسن بنى صـــدر رئيساً للجمهورية فى انتخاب عام ، نال فيه ٧٥ ٪ من أصـــوات الناخبين ، وذلك لأن الإحساس الذى كان معروفا آنذاك أن الإمام الخمينى يؤيده فهو رفيق المنفى فى فرنسا •

وأعلن دستور سمّى « الدستور الإسلامى » وفيه كثير من نصـــوص دستور ١٩٠٦ ، وقـــد وضـــع فيه نص يقرر أنه فى حالة وجود فقيه اكبر كالخمينى فإنه يكون له السلطة العليا فى الدولة ، وفى حالة غياب الفقيه تنتقل السلطة الى لجنـــة من الأمناء •

لُوحظ للأسف الشديد أن روح الثأر كانت عاتية ، فقد قبض على بعض الناس بشكل تعسفى ، وأعـــدم ٣٥٠ شخصا فى الشهور الثـــلاثة الأولى

واستمر تنفيذ أحـكام الإعدام بعد ذاك لأوهى الأسباب ، وبعد محاكمات تعد ضربا من السخرية بالعـدالة [١] ، وكم كنا نتمنى أن يسود الإحساس بالرحمة والعدل وألا تسود الرغبة فى الثأر ، وبخاصة أن المحاكمات التى عقـدت كانت سريعة وجماعية أحيانا ، ولم تـُعْطَ ضمانات" كافية ليدافع المتهمون عن أنفسهم ، ثم أن الشـاء هو الذى يتحمل أكبر المسئولية أو كلها ، وعلى كل حال فقد كنا نتمنى ألا تـُصْبَغ الثورة بالدم وأن تتخذ من الرسول نموذجاً لها حينما هتف بأهل مكة الذين طالما أسرفوا فى تعـذيبه وتعـذيب المسلمين : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقـاء ، وكان هـذا هو كل الحسـاب بين المنتصرين والمستسلمين .

الرهائن الامريكيـــون :

ـفى ٤ من نوفمبر سـنة ١٩٧٩ احتـل الطلبة الموالون للإمام الخمينى والعاملون بإرشاده السفارة الامريكية بطهـران واحتجزوا سـتين موظفاً كرهائن لتسليم الشاه وأمواله ، وكان هـذا عملا استنكره الناس جميعـا تقريبا ، فلم يحدث له نظير فى التاريخ ، وكان ذكر الطلاب مثيراً للاشمئزاز ، وكان على الثورة أن تواجه الأمور بوضوح فتقرر أن هذا التصرف بإرادتها . وقـد صدرت قرارات بإطلاق هؤلاء الرهائن من محكمة العـدل الدولية ومن مجلس الأمن ومن الهيئـات المختلفة ولكن إيران لم تستمع لهـذه النـداءات .

وقد عجب العالم لأن إيران قررت إطـلاق الأمريكان من أصل افريقى ، وهذا التفريق لم تعرفه المدنيات ، وقد رفض هؤلاء أن يخرجوا دون إخراج الجميع ، ولكن تعليمات صـدرت لهم من الولايات المتحدة بقبول ما عرض عليهم تقليـلاً للمأسـاة .

وهدد الطـلاب بأن الولايات المتحدة لو حاولت إطلاقهم بالقوة ، فإنهم سيقتلون الرهائن . .

(١) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله ص ٢٤٥ .

وقد ظل هؤلاء الرهائن حديث الناس جميعا أكثر من عام واعتبر هذا التصرف منافياً للاتجاه الحضارى ، ولم يطلق الرهائن إلا عشية انتهاء عهد كارتر وبدء عهد ريجان فى يوم ١٩٨١/١/٢٠ .

ولم تستفد إيران أى شىء من حجز هؤلاء الرهائن ، ومن العجيب أن أول رئيس لجمهورية إيران « أبو الحسن بنى صدر » صرّح بأن إيران هى التى أصبحت رهينة ، إذ توقف تصدير البترول منها ، وجُمّدت أرصدتها فى الخارج ، وعانت شر عناء من جراء هذا العمل الأهوج .

وقد استقال مهدى بازرجان بعد يومين من القبض على الرهائن أى فى يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٧٩ وذلك للصدام الذى ظهر بينه وبين العناصر المتطرفة التابعة للإمام الخمينى .

ويقول محمد حسنين هيكل انه قال للإمام الخمينى إن القبض على الرهائن عمل يخالف القانون الدولى . فأجاب الإمام الخمينى :

هل منع القانون الدولى الشاه من وضع يده على ثروات البلاد ؟

هل منع القانون الدولى الحكومة الأمريكية من الاطاحة بحكومة إيرانية شرعية (حكومة مصدق) وقتل زعمائها ؟

إننا نرى أن القانون الدولى لم يُحترَم قط فى حالة إيران ، وبالتالى لا نرى أى مبرر يفرض علينا أن نحترمه الآن [١] .

أبو الحسن بنى صدر :

« أبو الحسن بنى صدر » هو الرئيس الأول للجمهورية الإيرانية الذى حمل أكبر أعباء الثورة سياسيا وعسكريا وهو قبل ذلك زميل الإمام الخمينى

---

(١) مدافع آية الله ص ٢٥٠ .

فى المنفى ولكنه أخيرا اعتبر خائناً ، وطُلِبَ القبض عليه فاستطاع الهرب وظهر فى فرنسا فى شهر يونيو سنة ١٩٨١ •

وقد كان التناقض واضحا منذ البداية بين الدكتور أبو الحسن بنى صدر والتيار الذى يمثله داخـل الثورة الإيرانية من ناحية ، وبين بقية العناصر الأخرى التى شاركت فى صنع الثورة وخاصة رجال الدين من ناحية أخرى •

وقد قيل إن من مصلحة أى ثورة أن تستوعب داخلها أكبر عدد ممكن من الاتجاهات والأفكار السياسية فى حالة ما إذا كانت كلهـا متفقة على ضرورة التغيير •• وقيل أيضا أن بنى صدر بمثابة « الابن » لآية اللـه الخمينى •• ولذلك فربما يكون هو مستقبل الثورة الإيرانية •

وفى خضم الحماس الثورى الذى أحاط بسقوط الشاه اتضـح الفرق الكبير بين دعوة بنى صـدر للاتجاه بكل قوة **نحو المستقبل** ، وبين ما تتمسك به العناصر المتطرفة التى تطالب شعب إيران بأن يظل إلا ما لا نهاية ينظـر **إلى الماضى** فى غضـب •

وفى يناير ١٩٨٠ تم انتخاب بنى صدر (٤٨ سنة) رئيسـاً للجمهورية ومُنِى (حسن آيات) مرشـح المتطرفين بهزيمة ساحقة •• وهنا أدرك « آيات اللـه » خطورة ذلك الرجل الهادىء الذى يبتسم دائما فى ثقـة • ومما زاد من خطـورة بنى صدر بالنسبة للمتطرفين أنه كان يحظى بثقـة الخومينى نظراً لأنه عاش معه فى منفاه فى (نوفيل لوشاتو) بفرنسا •

ولما تمَّ احتجاز الرهائن الأمريكان داخل السفارة الأمريكية فى طهران انطلقت الخطب الحماسية التى حاول المتطرفون المزايدة بهـا على رئيس الجمهـورية الشرعى •

ووسط هذا الصخب الهادر كان بنى صدر هو الوحيد الذى طالب باعداد طائرة تقل الرهائن إلى بلادهم بعـد أن أدرك مدى الخسارة التى لحقت بإيران بسبب هـذا العمل •

ورفضوا رأى بنى صدر وقال صـــادق خلخالى قاضى المحاكم الثورية الشهير أن رئيس الجمهورية يمكن الإطاحة به •

والغريب أن جميع المتطرفين وافقوا بعد شهور على إطلاق سراح الرهائن وبلا شروط تقريبـــا !!

ومن بين المواجهات التى شهدها الصراع بين المتطرفين من أنصار حزب الجمهورية الإسلامية وبنى صدر موقعة تعيين محمـــد على رجائى رئيساً لوزراء إيران ، وكان بنى صدر يدرك أن رجائى شخصية غاية فى التطرف ، وأنه قام بحملة تطهير ظالمة داخل وزارة التعليم عندما كان على رأس هذه الوزارة • وطالب رئيس الجمهورية بأن يتولى هذا المنصبَ أحدُ الشبان ذوو الكفاءة ليساعده فى تحقيق أهـــداف الثورة ورخاء الشعب الإيرانى • ولكن البرلمان الذى يسيطر عليه المتطرفون أصدر قراراً بتعيين رجائى فى هذا المنصب ، وأعلن « بنى صـــدر » أنه يرفض ذلك ولكنه يحنى هامته لإرادة البرلمـــان •

وأخذ المتشددون يضيِّقون الحلْقةَ على بنى صدر وقرروا ضَرْبَ أحد الأعمدة القوية فى جناح رئيس الجمهورية ، ألا وهو صادق قطب زاده ، الذى كان يشغل منصب وزير الخارجية ، وانتهزوا فرصة حديث أدلى به للتليفزيون الإيرانى وقالوا إنه هاجم الثورة واعتقلوه • ولم يجد بنى صدر ما يفعله ســوى أن يتوجَّه الى السجن الذى اعتُقِلَ فيه قطب زاده ليعلن أنه سيبقى فيه هو أيضا ما لم يفرج عن وزير الخارجية •

وخرج قطب زادة من السجن ولكن بعد أن فقد منصبه (١) •

وتفجرت الحرب بين العراق وإيران وأصدر خومينى قراراً بأن يتولى بنى صدر منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة ورغم أن بنى صدر ليست

---

(١) قبض عليه عقب ذلك فى ابريل سنة ١٩٨٢ واتهم بمحاولة قلب نظام الحكم والتخلص من الامام وحكم عليه بالاعدام مع متهمين آخرين ونفذ فيه حكم الاعدام فى سبتمبر ١٩٨٢ .

له خبرات عسكرية إلا أن جميع المراقبين أشادوا بحسن أداء الجيش الإيرانى فى هذه الحرب وبخاصة بعد الضغوط التى تعرض لها الجيش والمشكلات التى واجهته بسبب نقص الذخيرة وقطع الغيار ، وعاش بنى صدر معظم هذه الفترة فى جبهة القتال بين الجنود وفى وسط الخطر .

وكانت الفرصة الذهبية لخصومه الذين بدأوا يشيرون إلى مسئوليته عن عدم نجاح الجيش الإيرانى فى شن هجوم مضاد لطرد العراقيين ، رغم أنهم كانوا أول من يعرف أن المسئول الحقيقى عن ذلك هو نقص الذخيرة ومعاداة الغرب .

وهنا أدرك بنى صدر أن أسلوب المهادنة لم يعد صالحاً مع أمثال خلخالى وبهيشتى فتوجه الى الشعب ليكشف له عما يحدث فى إيران ، ففضح ما يفعله المتطرفون داخل السجون من تعذيب وحشى للمعتقلين . قال إن نفس أساليب الشاه تعود الى إيران ، وإن الديمقراطية التى دفع الإيرانيون ثمنها من دمائهم فى الشوارع وتصدوا بصدورهم لطلقات الرصاص من أجلها تداس بالأقدام .

وجن جنون « آيات اللـه » فها هو رئيس الجمهورية يحاول أن يلقى القفاز فى وجوههم وأن يتخطاهم ويصل إلى الشعب ، . وكان كل شىء معداً والاتهامات جاهزة . فهوجم « بنى صدر » أشد هجوم ، وأعدمت السلطات ١٥ من أقرب معاونيه وألقت القبض على زوجته « أزرا » (٣٦ سنة) وهى توزع المنشورات فى الشوارع تدعو الشعب لإعلان موقفه تجاه ما يحدث لرئيس انتخبه الشعب .

كذلك أعتقلت أيضا السيدة (غازان قاربور) وهى زوجة عضو بالبرلمان وهى تصرخ فى الناس « دَمُ بنى صدر سيكون فى أعناقكم » واستطاع أبو الحسن الفرار (١) . وقد اختير بعده لرياسة الجمهورية محمد على رجائى

---

(١) انظر تحقيقا نشرته صحيفة الأخبار فى ١٩٨١/٦/٢٣ .

الذى سنذكر مصرعه بعد قليل ، وبعد رجائى اختير على خامينى وهو رئيس الجمهورية حتى الآن (يوليو ١٩٨٢) .

حركات ضـــد الثـــورة :

حدثت — للأسف الشديد — حركات" مروعة ضد ثورة الإمام الخمينى وكانت صدىً لحركات الثأر التى سبق الحـــديث عنها ، أو كانت بإيعـــاز شيوعى لتدمير هذه الثـــورة ، ومن أخطر هذه الحركات ما حدث فى ٢٩ يونيو سنة ١٩٨١ ، فقد أعلن فى طهران أن ٧٢ من الوزراء ونوابهم وأعضاء البرلمان وكبار المسئولين فى حكومة خومينى لقوا مصرعهم فى حادث الانفجار المروّع بمقر حزب الجمهورية الإســـلامية ، ومازال البحث مستمراً تحت الأنقاض عن ضـــحايا آخرين .

وقد تضمنت قائمة" القتلى أية الله محمد بهيشتى زعيم حزب الجمهورية الإسلامية ورئيس المحـــكمة العليا وعضو مجلس الرئاسة الثـــلاثى الذى خلف بنى صدر .. كما أن بين القتـــلى ٤ وزراء و ٦ نواب وزراء و ٢٠ عضواً بالبرلمان الإيرانى و ٣٠ على الأقل من أفراد الحرس الجمهورى .

وقد أعدَمت السلطات الإيرانية ٢٠ شخصا رمياً بالرصاص بعد ساعات قليلة من الانفجار وبذلك بلغ مجموع من تمّ إعدامهم خـــلال ثمانية أيام ٧٩ شخصا .. وينتمى هؤلاء الأشخاص إلى منظمات المعارضة التى أيدت الرئيس الإيرانى السابق أبو الحسن بنى صـــدر التى أشـــار المسئولون الإيرانيون إلى مسئوليتها عن نسف مقر حزب الجمهورية الإسلامية .

وبعد شهرين من هذا الحادث الأليم ، وقع حادث آخر أشد إيلاما ، ففى آخر أغسطس من نفس العام أذاعت طهران أن كلا من محمد على رجائى رئيس الجمهورية الذى انتخب بعد « أبو الحسن بنى صدر » وأن رئيس الوزراء « محمد جواد باهونار » قد لقيا مصرعهما فى الحريق الهائل الذى شبّ فى مبنى رئاسة الوزراة الإيرانية نتيجة" لانفجار شحنة ضخمة من القنابل الحارقة مما أسفر عن مصرع ٥ أشخاص آخرين وإصابة ١٥ من بين كبار المسئولين .

وأجمعت تحليلات المراقبين السياسيين فى العواصم العالمية على أن نظام الإمام الخمينى الذى نفّذ عمليات الإعدام الجماعية فيما يزيد على ٧٥٠ شخصا فى غضون الشهرين الماضيين وحدهما ، يلاقى مقاومة شـديدة من المعارضة الإيرانية ، ولكن الإمام الخمينى كان أكثر تجلداً وشجاعة إزاء هذه الأحداث فقد تحدث إلى جماهير الشعب الإيرانى التى كانت تردد أمام مبنى البرلمان الذى يضم جثمان الرئيس رجائى ورئيس الوزراء باهونار (احمنا يا خمينى حتى يعود لنا المهدى) ، فقال أن عمليات الاغتيال لن ترغم الثورة الإسلامية على التراجع عن مسيرتها كما أنها لن ترغم إيران على الاستسلام ، وقال أن طوابير من الشهداء مازالت على استعداد لأن تفتدى الثورة الإسلامية بحياتها وأرواحها •

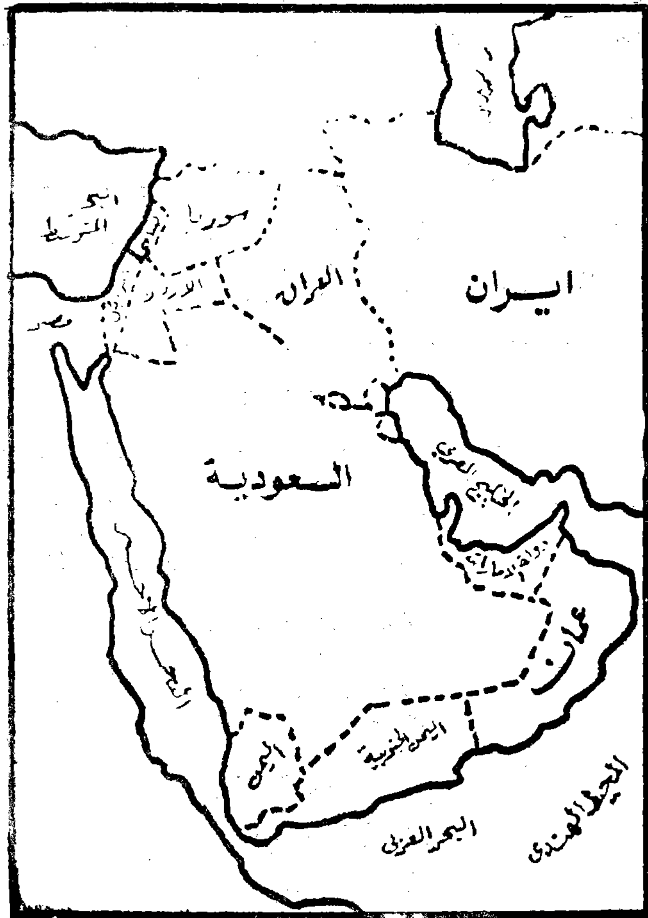
ودعا الخمينى أبناء الشعب الايرانى الذين ظلوا يتوافدون على مقره الخاص فى ضواحى العاصمة طهران إلى الاشتراك فى الانتخابات القادمة التى تجرى فى البلاد فى غضون ٥٠ يوما من الآن لتكون شاهداً على استمرار الثورة وتحدّى أعدائها فى الداخل والخارج •

الحرب مع العـراق

فى أوائل سبتمبر سنة ١٩٨٠ كانت العلاقات بين ايران والعراق قد وصلت الى أقصى درجة من السوء لأسباب متعددة سنتحدث عنها فيما بعـد ، وتقول المصادر العراقية إن الطائرات الإيرانية بدأت تقصف مدن العراق ابتداء من الخامس من سبتمبر •

وفى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٨٠ اجتازت قواتُ العراق حـدودَ إيران ، واستولت على منطقة بجوار شط العرب رداً على عدوان ايران ، ولاسترداد منطقة كانت العراق قد تنازلت عنها لإيران طبقاً لمعاهـدة الجزائر سـنة ١٩٧٥ ، إذ أن إيران لم توفّ بتعهداتها فى هذه المعاهدة تجاه العراق • ويقول محمد حسنين هيكل إن الاتفاق الذى كان قد تمّ بين إيران والعراق

كان يضمن اعادة تخطيط كامل للحدود تحصل العراق من خلاله على مائة كيلو متر مربع من الأرض يستقيم بها خط الحدود العراقية وأقيمت لجان مشتركة لتحديد المناطق التى ستحصل عليها العراق .



العــراق وإيــران
وعمليــات عسكرية بين دولتين مسلمتين

وعندما قامت الثورة بإيران توقفت أعمال اللجــان فجأة ، وأحس العراقيون أنهم نفذوا الجزء الخاص بهم فى اتفاقية الجزائر ، ولكنهم لم

يتسلموا الجزء المقابل الذى يستحقونه ، ولم يجدوا أى تشجيع من خلال كلمات « الخمينى » أو أفعاله ، واضطرت العراق لذلك أن تستعيد الأرض التى كانت قد تركتها لإيران [1] ، وقد اعتبرت إيران هذا التصرف عدواناً عليها ، وأن هـذه المنطقة أصـبحت بحكم هذه المعاهدة التى وقّعها صدام حسين نفسه أرضاً إيرانية ، وستحارب حتى تستردها من العراق .

وفى أواخر ديسمبر سنة ١٩٨٠ حصل تطور جديد فى هذه الحرب فقد قرر صدام حسين رئيس العراق أن تغـزوَ قواتهُ كردستان ، فتقدّمت القواتُ العراقية فى هذه المنطقة وتوغلت كما تقول الأنباء عشرات الكيلو مترات ، وأعلن الرئيس العراقى فى البيان الرسمى الذى ألقاه آنذاك أمام مجلس قيادة الثورة فى بغداد أن أوامره الجديدة للقوات العراقية بغزو إقليم كردستان قد وضعت القوات التابعة لبلاده على جبهة تمتد ١٩٣ كيلو مترا فى مناطق الحدود العراقية الإيرانية التركية المشتركة حتى يتمّ إرغام النظام الإسلامى الحاكم فى إيران على التخلّى عن عناده والاعتراف بحقوق السيادة العراقية على الممر المائى لشط العرب .



صـــدام حسين : وقفة بين الهجوم والدفاع

وهكذا بدأت الحرب وتطورت ، ولنقف هنا وقفة لنستنكر أن تقـوم حرب بين دولتين اسلاميتين ، وأن يريق المسلم دم المسلم ، فالقاتل والمقتول خسارة كبيرة على الأمة الإسلامية ، والقرآن الكريم يقـول « وان طائفتان

---

(١) مدافع آية الله ص ٢٦٧ .

من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر اللـه ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن اللـه يحب المقسطين » وقد حاولت بعض الرياسات الإسلامية أن تُوقف المعركة ولكن المتحاربين لم يستجيبوا ، فقد كان كل من الجانبين يضع شروطا تعرقل الطريق للسلام ، **واقترح بعض المفكرين أن يتولى عملية المصالحة فريق من العلماء ، إذ عجز رجال السياسة عن الوصول إلى حل ، ولكن أحداً لم يسمع لاقتراح العلماء فقد أضاع الساسة هيبة العلماء منذ أمد بعيد** ، واستمرت الحرب بضراوة منذ ذلك التاريخ حتى كتابة هذه السطور فى أواخر يوليو سنة ١٩٨٢ وإذا كنا قد عجزنا عن المصالحة فإننا نستنكر الحرب والدم •

ولهذه الحرب أسباب تاريخية ، ودوافع مباشرة ، وسنقوم بعرض هذه وتلك فيما يلى :

الأسباب التاريخية للحرب :

هناك أسباب تاريخية لهذه الحرب ، وهذه الأسباب تتلخص فيما يلى :

أولا : قضية الحدود :

فى ٣١ مايو سنة ١٨٤٧ تمَّ توقيع معاهدة « أرضروم » بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية بعد صراع طويل ، وبناء على هذه المعاهدة أعطت الدولة العثمانية التى كانت العراق آنذاك جزءا منها مدينة «المحمرة» إلى الحكومة الفارسية ، وغيَّرت الحكومة الفارسية اسم هذه المدينة فجعلته « خورمشهر » وأصبحت هذه المدينة شديدة الأهمية بالنسبة لإيران لأنها أشهر ميناء على شط العرب ، ومنها يصدر ٦٤٪ من صادرات إيران البترولية •

ومن التنازلات المهمة التى كسبتها إيران من العراق منطقة « جزيرة خضر » التى أسمتها إيران « عبدان » ومنها كذلك الأرض العراقية الواقعة على الضفة الشرقية لشط العرب وهى منطقة عربستان وقد أسمتها ايران

« خوزستان » أو « الأهواز » ، وفى مقابل ذلك تنازلت إيران للعراق عن بعض مناطق « السليمانية » التى تقع إلى الشمال من العراق •

وفى نوفمبر سنة ١٩١٣ حققت إيران مكاسب جديدة فى معاهدة جديدة أجرتها مع الدولة العثمانية كذلك ، وبمقتضى هذه المعاهدة تنازلت الحكومة العثمانية لإيران عن جزء من مياه شط العرب وكان ذلك بضغط بريطانيا التى كانت تعادى الدولة العثمانية وكانت هذه الدولة تعرف آنذاك بالرجل المريض •

ونقضت إيران هذه المعاهدات من جانب واحد ، وبحكم القوة وبحكم أن العراق كان يكافح من أجل الاستقلال عن بريطانيا التى حلّت فى السيطرة عليه محل الدولة العثمانية ، استطاعت إيران أن تحصل على مزيد من التنازلات فيما يتعلق بمياه شط العرب وذلك فى معاهدة ١٩٣٧ •

وفى سنة ١٩٦٩ ألغت إيران هذه المعاهدة من جانب واحد وبدأت تطلب تنازلات جديدة على أساس الأمر الواقع ، وهو اعتبار شط العرب مياهاً دولية ، بل فى فترة من الفترات مياهاً إيرانية يتحتم أن ترفع السفن العابرة به علم إيران •

وفى سنة ١٩٧٥ تمت الموافقة فى معاهدة الجزائر على حدود جديدة وقد ذكرنا من قبل ما أورده الأستاذ محمد حسنين هيكل من أن العراق وفىّ بالتزاماته فى هذه المعاهدة ، ولكن الجانب الإيرانى لم يقم بالوفاء بالتزاماته لا فى عهد الشاه ولا فى عهد الثورة ، فاضطر العراق أن يسترجع ما تنازل عنه ، وأن يستعيد المنطقة التى كان قد تنازل عنها •

ويلاحظ أن اتفاقيات ١٨٤٧ و ١٩١٣ و ١٩٣٧ تمّت دون أن يكون للعراق صوت ، فقد تمّ بعضها مع الحكومة العثمانية وبعضها مع بريطانيا •

ثانيـــا : قضية النفوذ فى الخليج :

تعتبر هذه القضية من أخطر القضايا ، فإيران كان لها فى التـــاريخ القديم وبعض مراحل التاريخ الوسيط نفوذ فى منطقة الخليج ، وقـــد قام صراع طويل حول تســـمية الخليج فرأت إيران أنـــه يسمى « الخليج الفارسى » وكان لها هدف السيطرة من وراء هذه التسمية واتجهت الدول العربية إلى تسمية « الخليج العربى » وقنعت عـُمـَان بتسمية « الخليج » دون وصف ، وقد حققنا هـــذه التسمية وأهداف إيران من تسمية الخليج فى الجزء السابع من هذه الموسوعة فليرجع لذلك من يشـــاء .

واتجه العراق أيضا لمـــد نفوذه إلى دول الخليج ومنطقة الخليج ، وقد جرى نزاع مبكر بين العراق فى عهد عبد الكريم قاسم وبين الكويت ، وتطلعت العراق لفرض سيطرتها على الكويت بل ذكرت أن الكويت جزء من منطقة البصرة ولعل ذلك كان فاتحةً لتطلعات أوسع فى المنطقة ، ومن أجل الصراع على النفوذ بين إيران والعراق على الخليج أسرعت إيران واحتلت الجزر العربية الثلاث عقب أن أخلاها البريطانيون سنة ١٩٧١ وهذه الجزر هى طنب الصغرى وطنب الكبرى وأبو موسى ، وقد قطعت العراق علاقاتها الدبلوماسية مع إيران عقب ذلك ولم تـُعد العـــلاقة إلا ســـنة ١٩٧٣ . (١)

أما الدول العربية بالخليج فيمـــكن القـــول إنها تقع بين أمـــرين أحلاهما مُرٌّ كما يقـــولون ، ولكنهـــا كانت مرغمـــة إلى الوقوف بجانب العراق فذلك أنسب لها .

ثالثـــا : قضـــية الأقليـــات :

كانت قضية الأقليات ، وازدواج الولاء فى كل من إيران والعراق ، عاملا من العـــوامل الأساسية لبـــداية النزاع بين العـــراق وإيران . .

---

(١) انظر موقع الجزر الثلاث على الخريطة التى أوردناها من قبل لمضيق هرمز والجزر الثلاث .

فهناك مسألة الأكراد بين العراق وإيران ومسألة العرب فى إيران ، والشيعة بالعراق الذين تطلعت إيران الى ولائهم لها معتبرة نفسها مركز التشيع .

وفى شهر يونيو عام ١٩٧٩ ، أى بعد أربعة شهور من قيام الثورة فى إيران ، بدأت اتهامات إيران للعراق بأن طائراته تقصف مناطق فى أذربيجان الكردية — الإيرانية فى أثناء مطاردتها المتمردين الأكراد الذين نشطوا بعد الثورة الإيرانية .

كما اتهمت إيران شقيق صدام حسين (مدير المخابرات فى العراق) بأنه يحصل على الأموال من عملاء الشاه فى العراق والكويت لتهريب الأسلحة إلى الأقلية العربية فى خوزستان (عربستان) . وكشف العراق بعد ذلك عن موقفه فى عرب خوزستان ، وعبرت عن هذا الموقف صحيفة الثورة العراقية فى ١٤ يونيو سنة ١٩٨٢ بقولها : من الطبيعى أن يتضامن العراق مع شعب عربستان « خوزستان » فهم أشقاؤنا . ويدافعون عن قضية عادلة ضد الظلم والقهر . وقالت الصحيفة : إن إيران اختارت سياسة حمام الدم فى معالجة مشكلة عربستان ...

الدوافع المباشرة للحرب

بعد أن ذكرنا الأسباب التاريخية للخلافات بين إيران والعراق نجىء للدوافع المباشرة التى دفعت العراق لهذا الغزو الذى أثبتت الأيام أنه غزو أهوج لم يبن على تخطيط سليم ، ولم يكن فيه أى ضمان حقيقى للنصر .

وأول هذه الدوافع أن العراق انتهز فرصة ما كانت تعانيه إيران من اضطرابات داخلية منذ رحيل الشاه ، تلك الاضطرابات التى شملت إقصاء عدد كبير من ضباط الجيش ومحاكمة عدد آخر ، والخلافات التى اتضحت بين آيات الله وبين رئيس الجمهورية الأول « أبو الحسن بنى صدر » والقتل بالجملة الذى جعل الدم لا يجف بإيران ، فحسبت العراق أن هذه فرصة ستجعل النصر مؤكداً وسريعاً .

وثانى هذه الدوافع حجز الرهائن الأمريكيين فى ٤ / ١١ / ١٩٧٩

وقد استطاعت الدعاية الأمريكية والحق الشرعى لهؤلاء أن تجعل هـذه القضية قضية عالمية ، وأن تثير سخط المجتمع الدولى ضد نظام الحـكم الجـديد فى إيران •

ومن هذه الدوافع أن الرئيس صدام حسين تطلع إلى إثبات مجد له لو حقق للعراق ما كانت تأمل فيه •

ومن هـذه الدوافـع ما برز من بعض الأطراف الدولية ، من تحبيذ لأى عمل ضـد إيران ، وبخاصـة من المجالات الصهيونية ، إذ طـردت إيران فى عهدها الجديد ممثلَ إسرائيل وسحبت اعترافها بهـذه الدولة • وظروف غامضة كثيرة وقعت العراق فريستها فزحفت إلى إيران فى ٢٢ / ٩ / ١٩٨٠

دوران الحـــرب :

لقد مرت الحرب بين إيران والعراق بعدة مراحل هى :

المرحـلة الأولـى :

هجوم كاسح قامت به العراق واستعادت به الأماكن التى فَقَدَتْها فى معاهدة الجزائر سنة ١٩٧٥ والتى ترى العراق أنها فقدتها تحت ضغط القوة وليس العدل ، كما أن العراق لم تحصل على ما نصَّتْ عليه هـذه المعاهدة من امتيـازات لها •

وكانت العراق تأمل أن تتم مفاوضة سريعة بينها وبين إيران تعترف إيران بمقتضاها بحقوق العراق فى هذه المناطق ، ولكن ذلك لم يحدث •

المرحـلة الثالثـة :

اندفعت العراق للتقدم مرحلة أخرى فاحتلت منطقة « خورمشهر » التى ذكرناها من قبل وأوقفت بذلك دفع الخفط الإيرانى ، وكانت العـراق تأمل أن تكون هذه الخطوة باعثة لإرغام إيران على طلب المفاوضة ، كما صرح بذلك صدام حسين ولكن ذلك لم يحـدث •

المرحــلة الثالثــة :

المرحلة الطويلة التى قصد بها التدمير والتخريب والدم ، وقد قامت الدولتان بأقصى الدرجات فى هــذه المرحلة مما جعلهــا تتسم بالفــراغ العقلى والاجتماعى ، ونشطت كل دولة فى هذا المجــال أعظــم نشــاط ، فانطلقت الطائرات العراقية تدمر كل شئ إيرانى ، وتقضى على ما تستطيع أن تصل إليه من أهداف عسكرية أو مدنية ، وتريق فيضان الدم هنا وهناك ، وانطلقت الطائرات الإيرانية تحقق نفس الهدف بقسوة وشراسة .

وخلال فترة طويلة كانت المعركة تدور طبقا لقانون ((محلك سر)) فلم يحصل هناك تقدم يُذكر خلال هذه المرحلة من الإيرانيين أو العراقيين ، وقد لعبت بعض الدول دوراً هائلا ليستمر دمــار هذه الحرب أطــول مدة ممكنة ولتقضى على الدولتين جميعا ، وكان الإحساس العام هو رغبة غير المسلمين فى أن يقضى بعض المسلمين على بعضهم الآخــر ، بل إن بعض من ينسبون للإســلام أدلوا بدلائهم ليزداد فيضان الدم .

وخلال هذه المرحلة انقلبت اسرائيــل التى كانت إيران قد أعلنت قطع العلاقات الدبلوماسية معها ، وطرد ممثليها من الأراضى الإيرانية ، وتسليم دار الســفارة الإسرائيلية بطهــران إلى ممثلى منظمــة فتح الفلسطينية ، قامت إسرائيل بمساعدة إيران ضد العراق واتخذت مساعدتها جانبين مهمين ، فى الجانب الأول انقضت طائرات اسرائيل فى غفــلة من العراق وقضت على المفاعل النووى الذى كانت العراق قد شيدته واعتقدت أنه من مفاخرها ، ولم تتركــه الطائرات الإسرائيلية إلا وهــو كومة من الرماد ، وعادت هذه الطائرات إلى قواعدها سليمة تماماً كأنها كانت فى نزهة هادئة ، وكان ذلك فى سنة ١٩٨١ .

أما المجــال الثانى الذى قدمت فيه اسرائيل لإيران مســاعداتها فهو الجانب العسكرى ، فقد حصلت إيران على أسلحة كثيرة من إسرائيــل نشطت جهودها ، وهيأت لها صورا من الكسب الحربى وحصــلت إيران كذلك على أسلحة من الاتحاد الســوفيتى ، ومن ليبيا وســوريا للأســف الشديد وكذلك من بعض دول الغرب .

بل حصلت إيران على أكثر من ذلك ، على نوع من التدريب والخطط ، يقال أن بعض الدول التى سبق ذكرها قد قدمته للجيش الإيرانى .

أما العراق فقد حصلت على أسلحة وذخائر من دول الغرب ، بل حصلت على أسلحة من كثير من الدول التى أمدّت إيران بالأسلحة والذخائر فيما عدا الاتحاد السوفيتى وإسرائيل وليبيا وسوريا وهكذا وُجِدت دول تَمُدُّ المتحاربين جميعا بالأسلحة والذخائر ، ووجدت العراق فى دول الخليج البترولية ملجأ هائلا لها من الناحية المالية ، فقد فتحت هذه الدولُ خزائنها للعراق ، حتى حصلت العراق على عشرات البليارات من الدولارات من هذه الدول ومن المملكة العربية السعودية .

وقامت مصر بدور هائل فى نجدة العراق على الرغم من أن مقاطعة العرب لمصر أُخِذَ القرار بها فى بغداد ، ولكن مصر تناست هذه الخطيئة وقدّمت العون للعراق فى أحرج الأوقات ، وكان عون مصر أنواعا من الأسلحة والذخائر وقطع الغيار ، وقد قامت مصر بذلك وهى تعلن أنها لا تريد حربا بين مسلم ومسلم ، ولكنها فى الوقت نفسه لا تريد انهيار دولة عربية إسلامية ، ومعنى هذا أنه لم يكن لمصر خيار فيما اختارته ، فإيران دولة مسلمة ولكن العراق دولة مسلمة وعربية .

وقد نشرت الأنباء أن عون مصر للعراق جاء فى أخطر الأوقات وأحرجها حتى أن زعامات العراق بَكَتْ تقديراً لهذا الدور المصرى الكبير .

ومرة أخرى لقد أثبتت الحرب بين إيران والعراق أن العالم كله تقريبا كان يتوق للقضاء على الدولتين جميعاً وإن اختلفتْ أسباب هذا الاتجاه .

ما الخسائر التى منى بها الطرفان المسلمان فى هذه الحرب ؟

إن الخسائر أعظم من الوصف ولو صدّقنا بيانات العراق لكانت إيران قد انتهت ناساً ومتاعاً ، ولو صدقنا بيانات إيران فإن معناها كذلك

إن العراق قد انتهت كذلك ناسا ومتاعا • والمطلعون يقررون أن الخسائر حتى الآن هى : —

— ٥٠٠ بليار من الدولارات (ويلاحظ أن الحديث عن الملايين لم يعد موجوداً ، وأن الأرقام أصبحت تذكر بالبليارات لفداحة الخسائر) •

— ١٠٠ر٠٠٠ ألف قتيل من الجانبيين •
— ١٥٠ر٠٠٠ ألفا من الجرحى والمشوهيين والمشردين •
— حقد وبغض يصعب على الزمان أن يزيله •

وفى هذه المرحلة الثالثة ذكرت الصحف والأنباء أن الزعيم الإمام آية الله خومينى أعلن أن الحرب العراقية الإيرانية أسفرت حتى أواخر سنة ١٩٨١ عن مقتل ٦٠ر٠٠٠ إيرانى ، وإصابة حوالى ١٠٠ر٠٠٠ آخرين • بإصابات خطيرة أدت إلى تعويقهم ، وفقدان ٥٠ر٠٠٠ أسرة إيرانية لعائلها فضلا عن تشريد أكثر من مليون ونصف مليون من المدنيين •

وهذا التصريح يوضح أن الأرقام التى ذكرناها آنفا عن الخسائر خالية من المبالغة •

مساعى الوساطات :

قامت فى هذه الفترة محاولات من المساعى والوساطات عن طريق الأمم المتحدة ودول عدم الانحياز ، والمؤتمر الإسلامى ، ولكن إيران أعلنت أن انسحاب العراق يجب أن يتم أولا وأنه لا مفاوضات وأرض إيران عليها أقدام العراقيين ، وبهذا باءت كل محاولات الصلح بالفشل ، وقد أعلنت العراق أنها مستعدة للانسحاب بشرط أن تكون مطالبها موضع نظر ، ولكن إيران طالبت بانسحاب غير مشروط •

المرحلة الرابعة :

استطاعت إيران خلال الشهور الأخيرة من سنة ١٩٨١ والشهور

الأولى من سنة ١٩٨٢ أن تتغلب على مشكلاتها الداخلية . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الخلافات الداخلية بإيران بدأت تنكمش فى مواجهة العدوان الخارجى ، وهكذا قدّمت العراق لإيران أعظم خدمة لتكوين جبهة داخلية شبه موحدة لمواجهة الغزو ، وكانت الجبهة الداخلية شبه ممزقة عقب نهاية حكم الشاه . ؟

وبعد أن تغلبت إيران على مشكلاتها الداخلية ، وتكوّنت بها قوة موحدة ، وحصلت على تأييدات من هنا وهناك عسكرية وسياسية ، قامت إيران بهجوم كاسح على جيش العراق بالأرض الإيرانية ابتداء من أول مارس سنة ١٩٨٢ ، وقد حقق هذا الهجوم نجاحاً عظيما لإيران فَطرَد العراق من خوارمشهر واستعاد الإيرانيون أخطر الأماكن التى كانوا قد فقدوها .

ويقال إن ايران فى هذه الحرب حذت حذو الصين فى دفع كتل بشرية لا عدّ لها لتكسب المعركة ، ولم تبال بالخسائر نظير طرد العراقيين من أرضها ، وقد قلبت هذه المعارك ميزان القوى وأصبح واضحاً أن كفة إيران رجحت فى ميدان القتال .

المرحلة الخامسة :

قررت العراق أن تنسحب من إيران تماما كإجراء من جانب واحد وبدأت الانسحاب فعلا ، وفى أواخر يونيو أعلن صدام حسين أن قواته قد استكملت انسحابها من كافة الأراضى الإيرانية التى كانت قد احتلتها خلال حرب الخليج التى دامت حوالى عامين .

وقالت وكالة الأنباء العراقية أن القوات العراقية أعيد نشرها على امتداد الحدود الدولية بين البلدين وأنها وُضِعَتْ على أهبة الاستعداد . وحذّر بلاغ عسكرى عراقى الإيرانيين من مواصلة القتال ، وأكّد أن القوات العراقية على استعداد لتلقين المعتدين درساً قاسياً إذا حاولوا انتهاك السيادة العراقية .

وكان الرئيس العراقى صدام حسين قد أعلن قرار الانسحاب من الأراضى الإيرانية يوم ٢٠ يونيو ١٩٨٢ •

المرحلة السادسة :

فى منتصف يوليو سنة ١٩٨٢ أعلنت وكالات الأنباء أن إيران بدأت تهاجم العراق فى أرضه ، وقد ذكرت طهران وبغداد ما يلى عن هذه المرحلة :

اقتحمت القوات الإيرانية أراضى العراق أمس لأول مرة منذ اندلاع الحرب بين البلدين ، وتقدمت قوات الغزو الإيرانية مسافة عشرة كيلو مترات فى قطاع ميناء البصرة على جبهة عرضها عشرة كيلو مترات • وأعلن العراق أن قواته أوقفت الهجوم الإيرانى وأنها شنت هجوماً مضادا ، وقال بيان للقيادة العراقية أن القوات الإيرانية تتقهقر مخلفة وراءها أعداداً كبيرة من القتلى والجرحى والأسرى •

وأعلن بيان عسكرى إيرانى أن القوات الإيرانية تقدمت فى الأراضى العراقية عدة أميال وأنها أبادت فرقتين وكتيبة عراقية • وقال أن الجنود العراقيين يقعون فى الأسر أو يلقون مصرعهم بينما تزحف القوات الإيرانية فى أراضى العراق • وكان بيان عسكرى إيرانى سابق قد ذكر أن مئات من الجنود العراقيين وقعوا فى الأسر •

وأعلن متحدث عسكرى إيرانى أن الطائرات العراقية شنت غارات متواصلة على ٣ مدن رئيسية فى غرب إيران وأصابت أهدافا مدنية • وقال المتحدث أن المدن الثلاث هى كيرمنشاه وخورم أباد وعيلام •

وأضاف أن المدن الإيرانية الثلاث تعرضت لقصف الطائرات العراقية بعد اقتحام القوات الإيرانية للأراضى العراقية فى قطاع البصرة • وأضاف المتحدث أن ستة أشخاص لقوا مصرعهم وأصيب ٥٠ آخرون فى الغارات العراقية على مدينة خورم أباد الواقعة على طريق الامدادات العسكرية للقوات الإيرانية التى تقاتل على الجبهتين الشمالية والجنوبية ، وقد استطاعت قوات العراق أن تطرد الإيرانيين خارج حدودها تماما •

رسالة من الخمينى الى الشـعب العراقى :

ووجه الزعيم الدينى الإيرانى آية الله خومينى رسالة إلى الشعب العراقى يطالبه فيها بالإطاحة بحكومته • ودعا خومينى الجيش العـراقى إلى تحويل نيران أسلحته إلى صدور قادته واسقاط الرئيس العراقى •

وكانت التقارير قد ذكرت أن إيران حشـدت ٨٠ ألف جندى عـلى حدود العراق قبل الهجوم الإيرانى الذى كان متوقعا فى أوساط المراقبين •

وقد أعلنت إيران أن قواتها بدأت هجوما واسع النطـاق فى الجبهة الجنوبية من القتـال ضد العـراق وأنها ستواصل الهجـوم حتى تحقق المطالب التاليـة :

١ — إسقاط النظام الحاكم بالعـراق •

٢ — أن تدفع العراق تعويضاً لإيران يصـل إلى ٠٠٠ر١٥٠ بليـارا من الدولارات لتعويض الخسائر وإعادة بناء المدن التى دُمِّرت وتعويض أسر القتـلى •

أمـل فى الختـام :

لا تزال المعـارك دائرة ، وقلم المؤرخ يتجه بقـوة إلى الحيـاد ، والدولتان مسلمتان وأعداء المسـلمين كثيرون ، والعالم الإسلامى يخسر بخسـارة الأرواح والثراء هنا وهنـاك ، من أجل هذا لا نملك إلا الدعـاء من الأعمـاق أن يكون الله مـع المسلمين حتى لا تتضاعف خسـائرهم أو حتى يقف الشر عند هذا الحـد •

وقد اندفعت اسرائيل إلى أرض لبنان لتقتل الجيوش الفلسطينية فى جنوب لبنان ، وأيدت أمريكا للأسف هـذا التصرف أو ربمـا أسهمت فى التخطيط له ، والذى يهمنا هنا أنه مع تورط أمريكا فى هذا العمـل المشين ، اندفع الاتحاد السوفيتى لتحقيق نجاح فى هذه الظـروف يوازى نجـاح أمريكا دون أن يصطدم بها ، فساعد إيران ضـد العراق ودفـع أثيوبيـا لتهاجم الصومال ، والضحايا من العـرب فى كل ميدان ؛ فى ميدان لبنان وميدان العراق وميدان الصومال •

وتحاول مصر أن توحد جبهة العرب ، ولكن من حق مصر أن تتوحّد جبهةً واحـدة أولا ، وأن ينـال شـعبها كامل حريته السياسية ، وحينئذ فقط تستطيع مصر أن تتقدم لدعوة الوحدة ، وبدون ذلك لن يُسْمَع لهـا صوت ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، ولن تتحد جبهة العـرب اتحـادا حقيقيا إلا بعد أن يتحقق لكل قطر عربى حريته الداخلية الكاملة •

وبعـد :

فى ختام حديثنا عن إيران وعن الجمهورية الإسلامية التى بزغت فى هذا القطر الإسلامى الكبير ، نحب أن نسـأل الأسئلة التالية :

ـ هل ستظل إيران تهدد جيرانها فى عهد الجمهورية الإسلامية كما كان الحـال فى عهد الشـاه أو أنهـا سترعى حق الجـار كمـا أوصى بذلك الإسـلام ؟

ـ هل ستظل تستعين بالصهاينة كما فعـل الشاه من قبل ؟ أو أنهـا ستعادى من يعادى الإسلام وتصادق من يصادقه ؟

ـ ما موقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية من دول الاستعمار التى تعادى الإسـلام والمسلمين ؟ وهل ستقف هـذه الجمهـورية مؤيدة للدول الإسلامية أو أنهـا ستنظر إلى نفسها فقط ، وتحـاول تصـدير الثورة وبعث القلق هنا وهنـاك ؟

ـ لقد سفك الشاه كثيراً من الدماء البريئة حتى سقط ، فمتى ستكف الثورة عن سفك الدماء وتتجه للعدالة بل للرحمة والحب ؟

ـ ما خطة الجمهورية الإسلامية بإيران تجاه التعـاون بين السـنة والشيعة ؟ إننا نطمع فى قيام تعاون وثيق بين الطائفتين المسلمتين ، فعناصر الوئام والتعاون أكثر جـداً من عناصر اختلاف الرأى •

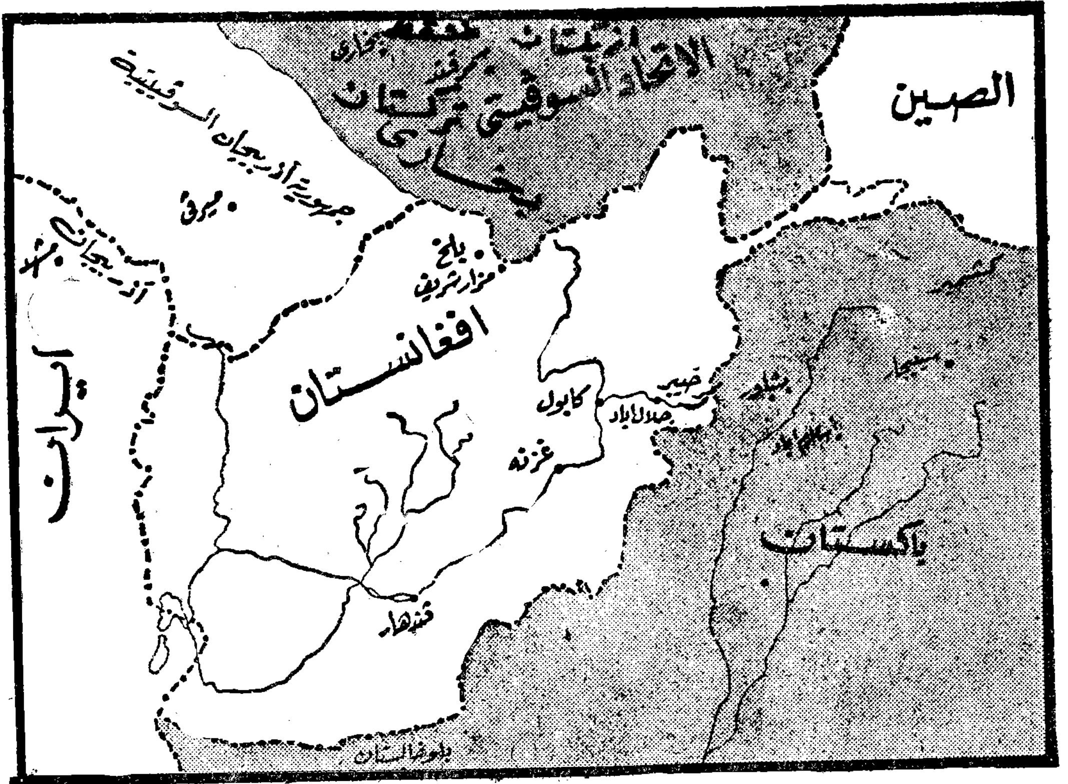
وأخـيرا فإننا ندعـو الله أن تكون إيران الجـديدة عـونا للعـرب والمسلمين وليست حربا عليهم والله المستعان •

أفغانستان

المساحة والموقع والسكان :

أفغانستان قطر يقــع فى قلب آسيا ، ويتألف من بقعة غير منتظمــة الشكل يَحُدُّها من الشرق الهندُ ، ومن الغــرب إيران ، ومن الشــمال الاتحاد السوفيتى ، ومن الجنوب باكستان ،

وأفغانستان ليست متصلة ببحار ، ولكنها تسيطر على طرق بريّة مهمة عالميــة كالطــرق المؤدية إلى الهند وفارس وآسيا الوسطى •



ومساحة أفغانستان نحو ٢٧٠٫٠٠٠ ميل مربع ، وعدد سكانها حوالى ١٥ مليون نسمة ، وهم يمتازون بالقـوة والكرم والإباء ، فمن المؤكد أن الإسكندر فتح بـلاد فارس بسـهولة ولكنه قابل فى أفغانستان مقـاومة شديدة عنيدة ، وكذلك فتحت انجلترا أقطـاراً متعددة فى آسيا وأفريقية واستطاعت أن تستقر بها بسبب تفوقها الحربى ، ولكنها مُنيت بهـزائم ساحقة على يد الأفغان عدة مرات ، سيأتى الحديث عنها .

وتكوّن أفغانستان القسم الشمالى الشرقى من هضبة إيران الكبرى ، وتقع إلى الشـمال منهـا سلسلة جبـال تفصل مقاطعات التركستان عن مقاطعات كابل وهرات وقندهار التى فى الجنوب ، والجـزء الشرقى من هذه الجبال يسمى « هندوكش » والجزء الغربى يسمى « جبل بابا » ، وتكثر الأنهار فى أفغانستان كثرة عظيمة وأهمها نهر جيحون ، وهو الذى يفصل بين أفغانستان والاتحاد السوفييتى ويصب فى بحر أورال ، ثم نهر كابول وهو أعظم أنهـار المنطقة الشرقية ويصب فى نهر السند ، ثم نهـر هرى رود ، الذى يمر وسط هضاب أفغانستان الوسـطى ، ونهـر هيلمند الذى ينبع من جبال هندكوش ويصب فى صحراء سيستان .

وفى أفغانستان توجد أعلى درجات الحـرارة فى المناطق المنخفضة فى الصيف ، وتوجد أعلى درجات البرودة فى المناطق العالية فى الشتاء حيث تكثر العواصف الثلجية ، ويذكر التاريخ أمثلة عديدة لجيوش قاست البرد الشديد فى هذه المناطق ، ويسمى جبل هندوكش « قاتل الجنود » لهذا السبب ، فقد هلكت به عدة جيوش مثل كتائب شاه جهان ، ومثل لجنة الحدود البريطانية سنة ١٨٨٥ ، والاختلاف اليومى لدرجة الحـرارة كبير جـداً ، وطقس الأودية العليا للنجد لطيف فى الربيع والخريف ، وهذا يساعد كثيرا عـلى نمو الحبوب والفاكهـة بأنواعهـا المختلفة كالبرقوق والمشمش والجـوز والفستق مما جعل الرحالة المحـدثين يذكرون أن المنطقـة المحيطة بكابل تستحق الإطراء الذى ينسـب قوله الى الملك بابر . وتكثر الغـابات فى منحدرات جبال هندوكش .

وفى أعلى جبال « هندوكش » يوجـد إقليم يشـبه جبـال الألب ، وتسكنه قبائل تسمى « قبائل كافر » .

وتنقسم أفغانستان سياسياً إلى خمس كور والى مقاطعتين يقال إنهما لم يَتِمّ تنظيمهما بعـد لتصبحا فى عـداد الكور (١) والكور هى كابل ، وقندهار ، وهرات ، وتركستان ، وبذخشان ، والمقاطعتان هما كافرستان ووخـّان ، وفيما يلى تعريف سريع بالكور والمقاطعات :

كابـول : تشمل الأودية العليـا التى تقع حول المجرى الأعلى لنهر كابول وغزنة ، كما تشمل القسم الأسفل لوادى كابول قرب جـلال آباد ، وكانت غزنة أهم مدن هذه المقاطعة ، ولكن قامت مقامها كابول منذ حـوالى ٤٠٠ سـنة .

قندهـار : تشمل هذه المقاطعة الأودية السفلى لمجموعة من الأنهـار وعاصمة هذه المقاطعة اسمها قندهار ، وتقع على نهـر أوغنداب ، وقـد أخـذت هذه العاصمة مكانةَ المدن الأقدم منها مثل كرشك وبست .

هرأت : تحوى هذه المقاطعة منطقة مهمة من المناطق الخصبة وتسكن بها قبائل هزارة وجهار ايماق ، وعاصمتها هى مدينة هرات وهى من أشـهر المدن فى التاريخ الإسلامى ولكنها فى العصر الحـديث فقـدت الكثير من أهميتها .

والمنطقة التى تنسب لها قبائل هزارة تعـرف بـ « هزارستان » وهى منطقة جبلية يَحُدُّها من الشرق « جبل بابا » ومن الغرب مقاطعة هرات وكانت هذه المنطقة تعرف ببلاد الغور ، وبها آثار « فيروزكوه » وهى عاصمة الملوك الغوريين فى القـرن الثانى عشر وليس فى هـذه المنطقـة مدينة ذات بال فى الوقت الحاضر .

---

(١) Encyclopoedia of Islam : Art : Afghanestan.

تركستان : وتقع شمال « جبل بابا » حتى نهر جيحون وعاصمتها بلخ وكانت لها أهمية كبيرة فى التاريخ ولكنها فقدت أهميتها فى العصر الحديث وأهم مدينة بها الآن « مَزار شريف » •

بذخشان : تقع شمال هندوكش وشرق تركستان على الساحل الأيسر لنهر جيحون •

كافرستان : وهى منطقة جبلية من هندوكش فى شمال وادى كابل ، وتسكنها قبائل « كافِرْ » •

وخان : يطلق هذا الاسم على الوادى الطويل فى الشرق إلى « بامير » •

وسكان أفغانستان يتكوّنون من أجناس أربعة هم :

١ ــ الأفغان ٢ ــ الفرس ٣ ــ الترك والمغول
٤ ــ سكان هندوكش الآريون •

ولكن هذه الأجناس قد تمّ بينها اختلاط وامتزاج يصعب معه الآن التمييز بينها •

اللغات فى أفغانستان :

ولغة أكثر السكان هى اللغة الفارسية ويتكلم بها أهل كابول وهرات وهزارة ، وهناك كذلك لغة « البشتو » وتسمى لغة الأفغان وتنتشر فى كل ربوع الدولة ، ويتكلم بها الأفغان الذين ضمت مناطقهم إلى أقطار أخرى كالمناطق الأفغانية التى ضمت للهند فى عهد الاحتلال البريطانى •

ومع دخول الإسلام دخلت اللغة العربية أفغانستان ، وانتشرت خلال القرنين الأول والثانى مع انتشار الإسلام ، واستطاعت أن تزاحم لغة البشتو واللغة الفارسية ، ثم صارت اللغة الأكاديمية التى يسعى العلماء

والأدباء الأفغان إلى إتقانها ، وتدرس الآن فى جميع مدارس أفغانستان ، لا على أنهـا لغة أجنبية ، بل على أساس أنها جزء متمم للغتين البشـتو والفارسـية ، إذ يوجـد فى هاتين اللغتين أكـثر من ٤٠ ٪ من الكلمـات العربيـة (١) .

الإسـلام وعلمـاء الإسـلام فى أفغانستان :

والدين الإسلامى هو دين سكان أفغانستان جميعا ، وكانت قبائل كافر ستان هى آخر القبائل التى دخلت الإسلام فأصبح الإسـلام دين القطر كله ، ومعظم القبائل الأفغانية تتبع مذهب أهل السنة ، وتوجد بعض القبائل الشيعية مثل قبائل هزارة ومثل نسبة قليلة من القبائل الأخـرى ، والأفغان متعصبون للإسلام جداً ، وهم كذلك يكرهون من ليس على دينهم ، ورجل العلم فى بلاد الأفغان يسمى « ملا » وهو مسموع الكلمة ، ودعـوته للجهاد فى سبيل الدين تعتبر دعـوة مقدسة يستجيب لها الجميع ، وللعلماء فى تلك البلاد شُأن عظيم ، وسلطة روحية تامة ، ونفوذ هائل بين الأهالى ، بحيث يخشاهم الكبراء والعظماء والأمراء ، لأن قلوب العوام فى قبضتهم ، ولهم أن يثيروا الشعب على أى أمير أو كبير متى شاءوا ، والكثير منهـم يستنكف أن يلاقى الأمراء ، ويتنزه عن قبول هداياهم وإن كان يقبـل هدايا غيرهم من الناس (٢) وعلمـاء أفغانسـتان يحرِّمون التدخـين بجميع أنواعـه (٣) .

والدراسات الإسلامية فى أفغانستان ليست عالية المستوى فى العهد الحاضر ، ولذلك ينتشر تقديس الأولياء والأدعية والتمائم .

جمـال الطبيعـة فى أفغانسـتان :

لقد أطلق بعض الكتاب على أفغانستان اسم « سويسرا الأسيوية » وهى تسمية موفقة إلى حد كبير ، فأفغانستان من أجمل أقطـار آسـيا

(١) فاروق حامد : تاريخ أفغانستان ص ٤١ .
(٢) جمال الدين الأفغانى : فتحة البيان فى تاريخ أفغانستان ص ١٥٧ .
(٣) المرجع السـابق ص ١٦٠ .

الوسطى ، وقـد لا يدانيهـا فى سحر مناظرها الطبيعية سـوى مقاطعة كشمير فى شمال باكستان ، وفى أفغانسـتان الشمالية والوسـطى بوجه خاص تبدو الطبيعة أينما سرت ساحرة رائعة : فهنـاك الجبال الشـم ، والغابات الظليلة ، والأحراش البرية الفسيحة ، تأوى إليها سلالات عجيبة من الحيوان الوحشى والطير البرى • وفى أفغانسـتان المراعى الواسـعة النضرة تمرح فى جنباتها قطعان السائمة فى دعة وطمأنينة ، وأفغانستان هى بلاد الزهور العطرة ، والورود الفيحـاء ، والحدائق الغناء ، والبسـاتين ذات الظلال الوارفة ، وهى بلاد تكثر فى ربوعها جـداول المـاء الرقراقة العـذبة ، والشلالات الهـادرة ، والممـرات الجبلية الشاهقة ، والمفـاوز الوعـرة ، والأخاديد السحيقة ، وتحتضن جبالها وهضابها مجمـوعة فريدة من البحيرات ذات الجمـال الساحر الأخاذ ، ويستطيع المـرء فى أحضان الطبيعة الحانية فى أفغانستان أن ينعم بجو معتدل لطيف وهـواء صاف عليل فى كل وقت من أوقات السنة (١) •

---

(١) حسن محمد جوهر وعبد الحميد بيومى : أفغانستان ص ٩١ — ٩٢ •

تاريـــخ أفغانســـتان

إن عرض تاريخ أفغانستان قبل الإســـلام وبعـــده ليس صعبا بعد ما قدمنا من دراسات عن تاريخ إيران ، فان دراستنا عن إيران فيما سبق شملت مناطق كثيرة محيطة بها ومن أهمها أغانستان ، اذ لم تكن هناك حدود فاصلة كالحدود التى تفصل بين إيران وأفغانستان الآن، وتقول دائرة المعارف الاسلامية ان « البـــلاد المعـــروفة الآن باسم أفغانستان لم تحمل هـــذا الاسم الا منذ أواسط القرن الثامن عشر » •

وكانت المقاطعات المختلفة تحمل قبل ذلك أســـماء متعددة ، ولم تكوّن وحدةً سياسيةً خاصة ولم تكن الأقسامُ التى تتألف منها مربوطا بعضهـــا ببعض بأى رباط جنسى أو لغوى ، وقبل القرن الثامن عشر كانت المناطق التى تتكون منها الآن بلادُ الأفغان تابعة للشرق أو للغـــرب أى لإيران أو الهند ، وغالبا كانت تكوّن مع إيران دولة واحدة [1] •

وتبعا لذلك نستطيع أن نقرر أن أفغانستان الحالية مرت بها قديمـــا ظروف الحياة التى مرت بإيران من نصر وهزائم ، سواء كانت هذه الظروفَ نابعة من الداخل كملوك العصر الأكمينى (الاخمينى) أو وافدة من الخليج كالزحف الآرى أو زحف الإسكندر المقدونى ، وكانت ديانة زرادشت والديانة البوذية لهما نشاط واضح فى منطقة أفغانستان •

فإذا جئنا إلى أفغانستان الإسلامية وجدنا أن استجابة هذه البـــلاد للدين الإسلامى كانت سريعة وقوية منذ دخـــل الإسلام هذه البلاد فى عهد عمر ، لأن شعب هذه البـــلاد وجد فى الإسلام فرصة ليتخلص من الاضطهاد والظلم الذى كان أسلوب رؤساء هذه المناطق ، ومن هنا فقد رحّب السكان بهذا الدين ، وأقبلوا عليه •

---

(١) Encyclopoedia of Islam Art : Afghanestan.

ولما ظهرت الأسر الإسلامية الحاكمة كانت أفغانستان جزءاً من الولايات التى حكمها الطاهريون والصفاريون والسامانيون والغزنويون والخوارزميون والمغول من أسرة هولاكو ، ومن التيموريين ، فلما قامت إمبراطورية المغول فى الهند كانت أفغانستان تتبعهم أحيانا وتتبع شاهات إيران الصفويين أحيانا أخرى ، أو كانت تُقَسَّم بين الدولتين ، وفى سنة ١١٥٠ (١٧٣٧) استولى حاكم إيران الأفشارى « نادر شاه » على كل مقاطعات أفغانستان وانقض على الهند (١) •

ويلخص بروفسور رومين تاريخ أفغانستان قبل الاستقلال بقوله : « خضعت أفغانستان خلال قرون طويلة حتى القرن الثامن عشر مرة لحكم الأمراء الهنود » ، ومرة أخرى لحكم الفرس ، وثالثة لملكة بخارى (جمهوريات تركستان وأزبكستان وتاجستان السوفيتية حاليا) •

« ومنذ بداية القرن الثامن عشر ظهرت حركة تعمل للاستقلال وقد نشأت هذه الحركة فى قندهار وانتهت بالنصر بسبب ضعف الإمبراطوريات التى تحكم ألفغانستان آنذاك • وقد امتدت حدود أفغانستان أحيانا فأخذت أجزاء من الهند ومن فارس ، وكان ذلك حوالى سنة ١٧٧٥ وفى مطلع القرن التاسع عشر بدأت تتقلص حدودها • وحدثت صراعات بين إيران وأفغانستان انتهت بمعاهدة باريس سنة ١٨٥٧ التى اعترفت فيها إيران باستقلال أفغانستان ونظمت الحدود بينهما عام ١٨٧٢ • » (٢)

وسنتحدث فيما بعد عن أفغانستان المستقلة ، ولكنا هنا نريد أن نذكر بعض الدول التى ذكرناها آنفا والتى حكمت مناطق أفغانستان ضمن ما حكمت من بلاد ، وكان لها فى مناطق أفغانستان نشاط خاص يجعل الأفغان يحرصون عليه ويشيدون به ، ومن هنا لزم أن نعود لتصوير هذا النشاط قبل أن نواصل دراستنا عن أفغانستان المستقلة :

---

(١) معجم الأسر الحاكمة جـ ٢ ص ٦٥٥ من الترجمة العربية .
(٢) آسيا المعاصرة : يقظة العملاق ص ١٣٥ — ١٣٦ .

مآثر أفغانيـــة فى الدولة السامانية :

وأول ما نذكـــره هو الدولة السامانية ، وقد ظهر خلالها فى « بلخ » إحدى مناطق أفغانستان شـــاعر عظيم هو « دقيقى البلخى » وقد أعطى دفعة قوية للشعر الحماسى بتمجيده الأعمال البطولية لأمراء السامانيين ، كما أن هــذه المدينة تزدهى بمسجد « حج بياده » ذى التســع قبـــاب ، وهــذه القباب شاهدة إلى اليوم على عظمة الفن المعمارى فى هذه الفترة .

الأسرة الغزنويــة :

أما الأسرة الغزنوية التى تنسب إلى غزنة إحدى مدن أفغانســتان وينسب لها حاكمها الأعظم محمود الغزنوى ، فقد حرص الأفغان على ربط صيتها ببلادهم ، على الرغم من أن الأسرة الحاكمة تركية الدم ، وعلى الرغم من اتساع مُلكها وبخاصة فى عهــد محمود الغزنوى ، ومن هنــا يتحدث الأفغان عن هذه الأسرة على أنها من الأسر الإســلامية العظيمة المرتبطة ببلادهم ، ولهذا فمن الطبيعى أن نقتبس من كلامهم بعض ما يذكرون عن هــذه الأسرة ، نقــلا عن الدراســة التى نشرتهــا وزارة الاعــلام الأفغانيــة : (١)

« تأسست الأسرة الغزنوية فى سنة ٩٦٢ م فى غزنة ، وهى من أهم الأسر فى تاريخ أفغانستان والإمبراطور محمود من أعاظم الأبطال شــبه الأسطوريين ، جلس على عرش غزنة سنة ٩٩٣ م فى الوقت الذى كانت فيــه الإمبراطورية السامانية قد انهارت • وقــد فتح محمود خراســان وسار شرقاً نحو الهند ، وكان عدوّه الرئيسى راجا البنجاب ، وقد هزمه محمود واستولى على ولاية ملتان فى عام ١٠٠٠ م ، وبعــد هذا النصر توّج نفسه سلطاناً عليهــا وفى عام ١٠٠٨ م تكّون حلف" كبير يضــم الرؤساء الإقطاعيين الهنود ضد محمود ، ولكنه تغلّب عليهــم جميعــاً بسهولة • ومن ثم كان نادراً ما يمــر عام بدون حملة منتصرة فى وادى إندوس فى الحوض الغربى لنهر جنح أو فى كجرات • وفى ١٠٢١ م حمل محمود مشعل الإسلام إلى كشمير ، وفى ١٠٢٦م سقط معبد شيفا بين يديه•

وقد كانت أفغانستان أمينــة فى صفتها التاريخية ، فنقلت رســالة التوحيد المبشّرة بالإخاء والمساواة بين جميع الناس إلى الهند • وقد كان إسلام الهند بلا شك أكبر حــدث عرفته شبه القــارة الهندية منذ الغــزو الآرى •

---

(١) تاريخ أفغانستان ص ١٨ — ١٩ بتصرف •

وإن نشر دين قوى كالإسلام قد أدخل فى البلاد قوة جديدة وأوجد ضرورة ملحة لرسالة التسامح الدينى وللمجهودات الرامية الى التعايش السلمى بين الجماعات الدينية والثقافية المختلفة .

وإلى الشمال ذهب السلطان محمود بجيوشه إلى ما وراء النهر التى اعترفت به ملكاً عليها فى ١٠٢٣ م ثم بعد ذلك بقليل استولى على العراق العجمى بانتزاعها من أسرة بويه ، ثم على أصفهان ، وبذلك وجد نفسه على رأس امبراطورية شاسعة الأطراف تمتد من أفغانستان وتضم فى نفس الوقت أراضى إيران الحالية وشمال غرب الهند . وقد عمَّر السلطان محمود غزنة مدينة أفغانستان الجبلية التى أصبحت فجأة بفضله إحدى عواصم آسيا الكبرى الجميلة .

هذا وقد أخرجت الحفريات إلى النور بقايا قصر مسعود الثالث الذى حكم من ١٠٩٩ م إلى ١١١٥ م . وإن أشعاراً رائعة وجدت مكتوبة على حائط القصر الرئيسى بحروف كوفية قديمة يمتد طولها ٢٥٠ مترا . تمجد انتصارات الغزنويين فى الهند ، وتدعو إلى التقاليد الحماسية وإلى التمسك بعقائد الإسلام ، ومن بين الاكتشافات الأخرى نجد فخاراً يلمع كالمعادن يشهد على ما كان عليه السكان العاديون من تقدم .

وعلى بعد ستة كيلو مترات من مدينة بست على الضفة الغربية من هلمند بنى محمود قصره الفخم ومدينة لشكر جاه (المعسكر) التى وسعها ابنه مسعود ، وإن هذه الآثار الباقية التى ظلت مجهولة مدةً طويلة اكتشفت سنة ١٩٤٨ م ، وأُخرجت إلى النور فيما بعد ذلك .

وإن منارتى أو مئذنتى غزنة المدوّن عليهما آيات قرآنية بالحروف الكوفية أقيمتا فى عهد حكم مسعود الثالث وبهرام شاه ، وكذلك يوجد نموذج جميل من المآذن المصنوعة من الآجر فى منارة زاديان بالقرب من دولة آباد شمال شرقى بلخ ، أمر بتشييدها وزير من وزراء السلطان سنجر السلجوقى سنة ١١٠٨ م .

وأما اليوم فإن غزنة ولشكرجاه أصبحتا أنقاضا • وقد دمرتهما نار الحروب التى أشعلها القادة الغوريون ، وإن مسجد غزنة الكبير والشهير قد اختفى ، ولكن بعض القبور والرسوم الباقية تظهر تطور الفن فى الإمبراطورية الغزنوية • وإن الصور الفخمة فى قاعة استقبال قصر محمود فى لشكرجاه (الآن فى متحف كابل) الممثلة للحرس الخاص للسلطان ، تبين كيف احترم الحكام المسلمون التقاليد المتوارثة لمدارس الفن البوذى الآرى •

وفى أواسط القرن الثانى عشر عندما دمر الغوريون غزنة كان الفن الغزنوى قد أصبح فناً هنديا مسلما فى الهند حيث استمر يزدهر مئات السنين•

وتحت حكم الأسرة الغزنوية أنتج بعض العلماء مثل أبى ريحان البيرونى وحسن الميمندى (وهو من بلدة ميمند بالقرب من بست الحالية) أعمالاً أدبية عظيمة • كما أن فردوسى الطوسى كبير شعراء العصر أنشد الشاهنامه إحدى روائع الأدب العالمى وأهداها إلى السلطان محمود •

وسقطت الأسرة الغزنوية ، فقام على أعقابها كما ذكرنا من قبل السلاجقة فى إيران وما وراء النهر والغوريون فى أفغانستان والهند ، وكان الغوريون من القوى النازحة من جبال أواسط أفغانستان ولم تشملهم أحاديثنا السابقة ولذلك سنفرد لهم حديثاً فيما بعد •

المغـــول

المغول أو التتر قبائل من البدو الرحـــل استوطنوا سهول آســيا الوسطى المترامية الأطراف منــذ آلاف السنين ، وكانت غاراتهم عــلى المناطق الزراعية المجاورة ذات المــوارد الغنية تتسم بطــابع الســلب والنهب ، على أن يعودوا إلى ديارهم بمــا سلبوا ، ولــكن ما إن ظهــر جنكيز خان على مسرح الأحداث حتى استطاع أن يجمع شتات هــؤلاء ويوحد كلمتهم ، ويؤلف منهم قوة عسكرية هائلة •

ومدّ جنكيز خان سلطانه فشمل بلاد الصين • وبعد ذلك تطــلع الى الدولة الخوارزمية التى كانت تحكم تركستان وأفغانستان وغربى إيران ، وكانت تسمى بالخوارزمية نسبة إلى بحر خوارزم الذى يســمى الآن « بحر آرال » ويصب فيه نهرا سيحون وجيحون •

وقد أرسل جنكيز خان قافلة كبيرة للشاه علاء الدين ســلطان الدولة الخوارزمية ، وكان مظهر القافلة يتجه للتجارة والصداقة ، ولكن أعماقهــا كانت تتجه للغزو ، فقتل حاكمُ إحدى المدن الخوارزمية رجالهــا وبذلك فُتح الباب لجنكيزخان ليزحف زحفاً مروّعاً على هذه البــلاد ، ويشبهون زحفــه بالأعاصير المدمــرة ، وأرجــال الجراد التى تأتى عــلى الأخضر واليابس (١) •

وهكذا جاء المغول إلى هذه المناطق بما عُرِفَ عنهم من تدمير وخراب فدَمر جنكيزخان مدن بخارى وسمرقند وجرجان ، كما دمَّر بلخ وهرات وغزنة ونيسابور الجميلة ، وكان التخريب مروعاً ومصحوبا بفظائع مرعبة ، فلما رجع جنكيزخان إلى وسط آسيا ترك وراءه أفغانستان وشمالى إيران رماداً • وبسبب تدمير القنوات والســدود وشبكة الرى أصبحت الأرض

---

(١) حسن جوهر وعبد الحميد بيومى : افغانستان ص ٦٨ ــ ٦٩ .

الخصبة صحارى ، ولم يعد أكثرها للخضرة حتى يومنا هذا ، وعانت مقاطعات أفغانستان من تيمور لنك بعد ذلك مثل ما عانته من جنكيزخان وهولاكو من قبل •

الأسرة التيمورية فى أفغانستان :

أسس الأسرة التيمورية فى هراة ابن من أصغر أبناء الإمبراطور المظفر شاه رخ (١٤٠٤ م) الذى كان من نصيبه خراسان عند تقسيم امبراطورية تيمور لنك ، وقد عاش فى هرات وحكم فيها من ١٤٠٩ م ، إلى ١٤٤٦ م ، وقد أظهر قدرة فائقة كحاكم ، وأنشأ عاصمته فى هراة ، وجعل من ابنه أو لوغ بيك نائبا للملك فى سمر قند • وتحت الادارة الحكيمة لشاهرخ وابنه ضمدت خراسان وما وراء النهر جراحهما المتسببة من الحروب السابقة ووصلنا إلى درجة عالية من الأزدهار •

وكان السلطان حسين بايقرا أحد ملوك الأسرة التيمورية ملكاً ممتازا جداً حكم فى هراة من سنة ١٤٦٨ م إلى ١٥٠٥ م ، وكان وزيره على شيرنوابى راعياً للفنون وكاتبا من الكتاب الممتازين •

وإن تقدم فن التصوير فى ذلك العهد كان ناحية هامة فى النهضة الإسلامية وكان بهزاد الشهير رائداً لهذا الفن • وكان من كبار شخصيات هذا العصر فى الفنون الأدبية المولوى عبد الرحمن جامى وصديقاه الوزير على شيرنوابى وميرخاوند •

بعد الأسرة التيمورية :

ظهر بابر كما تحدثنا من قبل وزحف إلى الهند [1] وحكمها وأقام فيها « إمبراطورية المغول الكبرى » وحكم معها شرقى أفغانستان ، أما غربى

(١) سيأتى فيما بعد حديث مفصل عن دولة المغول فى الهند التى أسسها باير •

أفغانستان فكان تابعاً للدولة الصفوية ، وقد استطاعت الأفغان تحت قيادة ميرويس الهوتكى أن يحرروا الجزء الشرقى لبعد إمبراطورية المغول عنه ، وأن يحرروا الجزء الغربى من بلادهم من سلطان الصفويين عندما بدأت دولتهم تترنح ، ثم استولى الأفغانى على إيران نفسها مادّين سلطاتهم من أفغانستان إلى إيران وذلك ما يعرف فى التاريخ « بالقفزة الأفغانية » ولكن نفوذ الأفغان فى أفغانستان وإيران كان قصير العمر لأن نادر شاه الأفشارى قفز إلى السلطة وسيطر على أفغانستان وإيران ومناطق أخرى واسعة فى الشرق والغرب كما ذكرنا من قبل عند الحديث عن الفترة التى جاءت بعد الصفويين ، وعندما قُتِل نادر سنة ١٧٤٧ ظهرت أفغانستان الحديثة دولة مستقلة ، وتكونت من المقاطعات التى ذكرناها من قبل هذه التسمية ، ولم تعد أفغانستان تذوب فى غيرها ، بل استقرت دولة ذات سيادة ستكون موضع حديثنا فيما يلى ، ولكن قبل أن نتحدث عن أفغانستان الحديثة يجدر بنا أن نتحدث عن الأسرة الغورية التى حكمت أفغانستان ولم يرد عنها حديث أوضح فيما سبق .

الغــوريون فى أفغانســتان

٥٤٣ ــ ٦١١ هـ = ١١٤٨ ــ ١٢١٥ م

كان إقليم الغــور ــ فيما يُظَنّ ــ فى مكان أفغانستان الحاليــة ، وكانت مناطقه الجبلية الواقعة بين هرات وغزنة مركزاً لدولة صغيرة مستقلة استقلالا تاماً ، وكانت عاصمتها هى قلعة « فيروزكوه » (١) .

وفى عهد الغزنويين عيَّنَ مسعود الثالث ولاة من الغــور على غزنة وما حولها ، وكان أول هؤلاء عز الدين حسين الذى يعــرف بأنه مؤسس أسرة الغوريين ، وكان لعز الدين عدة أولاد ارتبط بهم تاريخ هذه المنطقة ، يهمنا منهم فى منطقة أفغانستان أربعة هم سيف الدين ســورى ، وقطب الدين محمد ، وعلاء الدين وبهاء الدين ، وقد تولى سيف الدين سورى بعد أبيه إمارة منطقة فيروزكوه ، كما أصبح قطب الدين محمد ملكاً على الجبال ولُقّب بملك الجبال واتخــذ من غزنة عاصمة له ، وعيَّن أخاه علاء الدين قائداً لجيشه .

وحدث أن بهرام شاه الخوارزمى قتل قطب الدين بالسم غــدراً ، واستولى على غزنة ، فثار لذلك سيف الدين سورى وهاجم غزنة وأخذها ، ولكن بهرام انتصر عليه بعد ذلك وقتله ، وبهذا يكون بهرام شــاه قد قتل الأخــوين .

لهذا ثار الأخ الثالث علاء الدين ، وهاجم غــزنة بوحشــية شنيعة ودمرها تماماً حتى تركها كومة من الرماد ، ولذلك سمى « جهانسور » ، أى « محرِّق العالم » فكأن غزنة كانت تساوى العالم كله فى رأى أهليهــا .

---

(١) معجم الأسرات الحاكمة جـ ٢ ص ٥٦٤ .

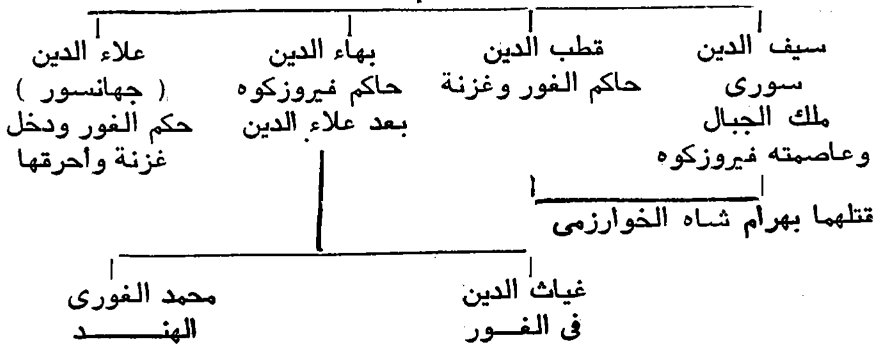
وبدأت بعد ذلك أسرة الغوريين فى الضعف والتداعى ، فقد كرهها السكان لقسوتها وقامت حروب داخلية بين أمرائها وهاجمتها قبائل الغز ، وشاهات خوارزم الذين بدءوا زحفهم القصير الذى أعقبه الزحف الطاغى الذى قام به المغول ، فانتهت بذلك دولة الغوريين .

وعن نهاية الدولة الغورية تقول دائرة المعارف الإسلامية :

كان يمكن أن يُنتظر للملوك الغور عهد طويل من السلطان فى أفغانستان ، ولكن قوات همج آسيا الوسطى المتزايدة أوقفت تقدمهم فجأة، فقد أغار الغز وشاهات خوارزم والمغول بقيادة جنكيزخان على البلاد فى تعاقب سريع ، ونتج من هذا أن الغور فقدوا كل قواهم فى بلادهم الخاصة ولو أنهم فتحوا امبراطورية واسعة فى الهند وأرثوها لسلسلة طويلة من خلفائهم الذين لم يكونوا من نسلهم وإنما كانوا من مماليكهم الترك (١) .

وهناك أثر" مهم فى عاصمة الغور « فيروزكوه » وهو المنارة الرائعة فى جام فى هرات التى بُنيت فى عهد الملك غياث الدين (١١٥٣ — ١٢٠٣) وهى ترتفع أكثر من ستين متراً . وفيما يلى رسم لأهم أمراء الغوريين :

عز الدين حسين (فى الغور) (٢) .



(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة افغانستان .
(٢) خلاصة ما يرتبط بالغوريين فى أفغانستان من معجم الأسرات الحاكمة (اللوحة التى تقابل ص ٥٩٧) .

أفغانســتان الحديثـــة

قلنا من قبل إن مقتل نادر شاه أعطى فرصـــة لانفصـــال أفغانستان عن إيران وبدء قيام أفغانستان الحديثة دولةً مستقلة ، وكان ذلك ســـنة ١٧٤٧ م ، فقد التف الأفغـــان حول زعيم من زعماء القبـــائل الأفغانية هو أحمد خان رئيس قبيلة « أبدالى » التى كانت تسكن بجوار هرات خـــلال أيام الشاه عباس الصفوى ، وهو ابن محمد زمان خان الذى كانت له رياسة هذه القبيلة ، وكان أحمد ملتحقاً بجيش نادر شاه ، وعندما اغتال الفرس نادر شاه سنة ١٧٤٧ كان أحمـــد خان فى فرقة قوية من الابدالية على مقـــربة من مكان الحـــادث ، فسار الى قندهار حيث نادى بنفســـه ملكا ، وتلقب « در درانى » أى درة الدهر فأصبحت قبيلته تســـمى « دُرّانية » واتخذ قنـــدهار عاصـــمة له ، واســـتولى على الجانب الشرقى من امبراطورية « نادر شاه » حتى نهر السند ، وامتد سلطانه الى هرات ، ثم مدّ سلطانه إلى وراء نهر السند وضمّ ولايات كشمير ولاهور وملتان •

وصار الملك فى أسرته فى المدة من ١٧٤٧ إلى ١٨٤٢ كالآتى :

١ — أحمد شاه ١٧٤٧ — ١٧٧٣

٢ — تيمور شاه ١٧٧٣ — ١٧٩٣

٣ — زمان شاه ١٧٩٣ — ١٨٠٠

٤ — شاه شجاع تولى ثلاث مرات بين ١٨٠٠ — ١٨٤٢

٥ — محمود شاه تولى مرتين بين ١٨٠١ و ١٨١٨

٦ — سلطان على ١٨١٨ سقط فى نفس العام (فى كابول فقط)

٧ — أيوب شاه ١٨١٨ — ١٨٢٩

٨ — كافران ١٨٢٩ — ١٩٣٩

٩ — فتح جنك ١٨٤٢ سقط فى نفس العام

ويعتبر أحمد شاه مؤسس أفغانستان الحـديثة واحـداً من مشاهير التاريخ وقـد كان قائداً حازماً وإدارياً ممتـازا ، وراعياً للأدب والفن ، وباعثا لنهضة سياسية عظيمة ، وقد اسـتطاع أن يجمع حـوله القبائل ، وأن يعمّر البـلاد ، ويرفع عن النـاس المظالم حتى لقبّه الأفغانيون بلقب « بابا » .

وعندما توفى أحمد سنة ١٧٧٣ ترك لولده تيمور ملكاً واسعا ، وقـد نقـل تيمور عاصمة هذه المملكة من قندهار إلى كابول ، ولكن الاستعمار البريطانى فى الهند كان قد بدأ وشجّع السيخ على الثورة على الحـكم الأفغـانى ، وكانت فى إيران صحوة هددت استقلال أفغانستان ، وتطلع الروس لجارتهم أفغانستان بعين لا تعرف حسن الجـوار ، وبخاصـة أن أفغانستان كانت مطمع الإنجليز الرابضين فى الهند ، فأثار ذلك رغبة روسيا فى أن تمد نفوذها إلى هذه البلاد قبل أن تلتهمها أطماع الانجليز .

وليس هذا فقط هو ما عانته أفغانستان آنذاك ، فإن صراعاً داخلياً قد بدأ بين الأمراء من أولاد تيمور شـاه بعضهم والبعض الآخر ، وبينهم وبين منافسيهم من أبناء قبيلة أخرى كانت تتولى الوزارة لهم هى قبيـلة « باركزائى » ويقال إنها فرع من قبيلة الدارنى .

وجاء زمان شاه بعد أبيه وكثر انحرافه وارتكب كثيراً من الجرائم ، فعزله أخوه ولكن بعد أن قوى الأساس القضاء على الأسرة .

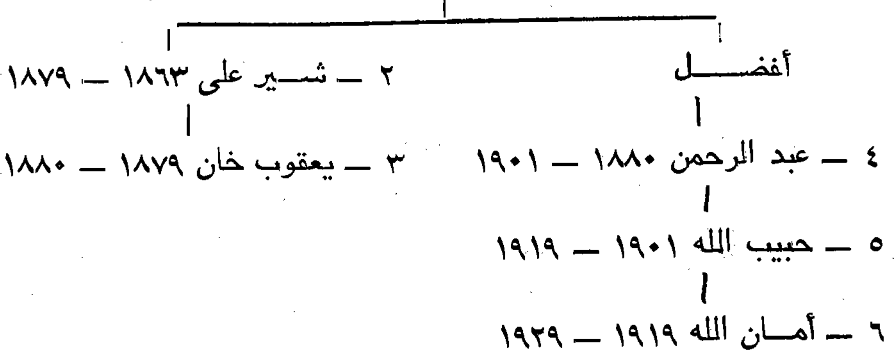
وبعد ذلك أصبح الشاه يتولى الحكم ثم يعزل ، وقد يعـود مـرة أخرى أو أكثر من مرة كما يتضح من التخطيط السابق ، وبعضهم كان يقنع بأن يصبح حاكماً على جزء يسير من الدولة مثل سلطان على الذى قفـز على السلطة فى كابول وحدها وسقط فى نفس العام ، ومثل شـاه شجاع الذى اعتلى العرش للمرة الثانية فى بيشـاور فقط ولم يستطع أن يوسع دائرة نفـوذه ، وينسب له أنه استعان بالإنجليز لينصروه على دوست

محمد ، وقد ساعده الإنجليز وأجلسوه على العرش للمرة الثالثة سنة ١٨٣٩ ، ولكن ذلك أثار عليه مزيدا من سخط الشعب .

الأسرة الباركزائية : ١٨٢٦ — ١٩٧٣ م

وفى الصراع بين الأسرة الحاكمة « الأسرة الدرانية » وأسرة « باركزائى » أُعدم الوزير فتح خان الباركزائى بعد أن سُملت عيناه ، وكان هذا التصرف من الأسباب التى دفعت الشعب للإعراض عن هؤلاء الحكام القساة ، واتجهت القوى الشعبية لتأييد الباركزائيين ، فاستولى على السلطة دوست محمد أخو الوزير القتيل سنة ١٨٢٧ م أى قبل أن تسقط نهائياً الأسرة الدرانية ، إذ أن بعض رجالها احتفظوا وقتا ما ببعض الأمكنة حتى تفرّغ لهم الحاكم الباركزائى الجديد وأقصاهم عنها ، وآل له ولأسرته الحكم فى أفغانستان ، وحكام هذه الأسرة هم :

١ — دوست محمد ١٨٢٦ — ١٨٦٣ (مع تداخل مع الدارنيين)



وعندما جاء دوست محمد إلى الحكم كانت كل الولايات الخارجية قد استقلت عن أفغانستان ، وهذا ساعد دوست محمد أن يحكم دولة موحدة لا تكثر فيها الصراعات وقنع دوست محمد هو وخلفاؤه بقلب « أمير » ولم يضع لنفسه لقب الشاه أو الملك وعلى ذلك سار خلفاؤه من بعده .

وعلى الرغم من هذا فإن تاريخ هذه الأسرة يعتبر تاريخ الصراع بين

أفغانستان وبين القوى الغازية من الخارج ، وبخاصة أن بريطانيا — كعادة الاستعمار — اتخذت الخـلافات الداخلية وسـيلة للتـدخل فى شـئون أفغانستان ، فأيدت الحكام الضعاف من أسرة الدارنية ، وعن هذا الطريق دخلت حامية" بريطانية" أفغانستان لتساعد الشاه شجاع ، وتمركزت فى كابول وغزنة وقندهار ، ولكن أفغانستان ألحقت بهـذه الحامية هزيمـة ساحقة وأبادتها عن آخرها سنة ١٨٤١ عند ممر « خرد كابول » وسـجل هذا الحدث فى بريطانيا كأكبر مصيبة ألمّت بها آنذاك .

وفتحت هذه الهزيمة معـارك جـديدة ليثأر الإنجليز لجنـودهم ، وليستعيدوا مكانتهم ، فقامت حروب متعددة بينهم وبين القوى الأفغانية وبخاصة أن الأمير شير على اتجه للتعاون مـع روسيا ليرد" بهـم زحف بريطانيا ، وقد زاد هذا التصرف اشتعال النيران ، فاستولت بريطانيا على كابول ، ففر شـير على إلى مزار شريف ومات هناك سنة ١٨٧٩ ، وتولى بعده ابنه يعقوب خان ولكن بريطانيا أسَرتْه وأرسلته إلى الهند ، ولكن أخاه سردار أيوب قاد الأفغان وحقق بهم انتصارا جديداً على بريطانيا فى معـركة « ميونـد » .

وبعد يعقوب خان جاء عبد الرحمن بن أفضل بن دوست محمد وكـان هذا من فرع آخر من فروع الأسرة الحاكمة ، ورضى الإنجليز عنه نكاية فى فرع شـير على الذى قاد الصراع ضـد البريطانيين وتقـول المراجـع الأفغانية أن عهد عبد الرحمن خان كان عهد تقوية السلطة المركزية وعهـد هدوء نسبى .

حبيب اللـه :

وفى عهد حبيب الله : (١٩٠١ م ١٩١٩ م) الملقب بسراج الملة بدأت فى أفغانستان خطوات التعليم الحديث لأن الأمير كان من أصحاب العقول المستنيرة ، كما كان حسن الصلة بجيرانه ، وقد عاش فى هذا العصر الكاتب

الأفغانى محمود طرزى الذى عاش فى القسطنطينية ودمشق فترة ثم عاد لبلاده ليسهم فى حركة التطور السياسى والثقافى .

أمان الله :

وقتل حبيب الله فى مؤامرة سنة ١٩١٩ فخلفه ابنه أمان الله الذى لقب « باد شاه » ويعتبر عهده من أزهى عصور أفغانستان فقد أعلنت بريطانيا انتهاء حمايتها لأفغانستان بعد ما لاقت من هزائم متعددة (١) ، واعترفت بكل حقوق الدولة الأفغانية ومن ضمنها إقامة علاقات ديبلوماسية مع الدول ، وحققت أفغانستان فى هذا العهد إصلاحات عميقة فى مجال التعليم والتشريع والمالية والإدارة .

ومن الأحداث التى برزت فى عهد أمان الله خان أن الثورة الشيوعية فى روسيا التى نجحت سنة ١٩١٧ بدأت تتظاهر بعلاقة حسن الجوار بينها وبين أفغانستان ، مما أدى إلى توقيع معاهدة صداقة بين البلدين سنة ١٩٢١ ، وكان من بنودها اعتراف روسيا باستقلال بخارى ، ولكن الروس بعد أن هدأت الأمور حولهم نقضوا هذا الاتفاق واحتلوا بخارى سنة ١٩٢٣ .

وكان استقلال أفغانستان يحتاج من أمان الله إلى جهد لحماية هذا الاستقلال ولكن الملك انغمس فى حياة اللهو والترف ، ونقل أكفأ قادته العسكريين محمد نادر خان فوضعه سفيراً لبلاده فى باريس ، ثم إن هذا الملك استخف بالعلماء وسخر من بعضهم أحيانا ، مما جعلهم يعرّضون به فى أحاديثهم .

---

(١) نشبت حروب ثلاثة بين الانجليز فى الهند وبين الأفغانيين ، وقد حقق الأفغانيون النصر على الانجليز كالآتى :

(أ) فى حروب ١٨٣٨ — ١٨٤٨ فقد الانجليز جيشهم بأكمله .

(ب) فى حروب ١٨٧٨ — ١٨٨١ أنزل الأفغان بالقوات البريطانية الهندية هزائم متتالية ومروعة .

(ج) فى حروب ١٩١٩ — ١٩٢١ حقق الأفغان الوانا من النصر على الانجليز واعترفت انجلترا على أثر هذه الحرب باستقلال بلاد الأفغان فى اتفاقية « روالبندى » .

وقام الملك برحلة خارج بلاده كلفت الدولة مبالغ كبيرة ، وفى نفس الوقت لم يخضع أمان الله لتقاليد بلاده وهو فى الغرب ، فانغمس فى مظاهر تثير رجال الدين ، وعندما عاد من رحلته أصدر أوامر بالسفور للنساء وأوامر ترغم العلماء بارتداء ملابس غير الملابس الدينية • وكان هذا من أسباب قيام ثورة عليه سنة ١٩٢٩ مما دفعه إلى الفرار من العاصمة بعد أن تنازل عن العرش لأخيه ، ولكن هذا الأخ لم يستطع أن يصمد فى وجه الأحداث فسقطت كابول العاصمة فى يد قاطع طريق حكم أفغانستان عدة شهور ذلك هو « باتشه سقا » •

قاطع الطريق الذى حكم أفغانستان ١٩٢٩ م :

وهكذا وقعت أفغانستان فى يد « باتشة سقا » وهو رجل جاهل ، كان قاطع طريق فدفعته الفوضى فى أفغانستان ليصبح حاكما لها ، وتصرف باتشه سقا فى البلاد على النحو الذى يتوقعه الإنسان من رجل مثل هذا ، فألغى قوانين الإصلاح ، وأوقف العمل بالقانون ، وألقى القبض على أفراد الأسرة الحاكمة ، والقى بهم فى السجون •

محمد نادر شاه :

لم تستسلم أفغانستان لحكم باتشة سقا ، فإن واحدا من الأسرة الحاكمة هو محمد نادر شاه الذى كان سفيرا فى باريس آنذاك أسرع لبلاده ، وقاد جيشا من أتباعه استطاع به أن يأخذ السلطة ويطرد هذا الغاصب ، فنودى به ملكاً فى أكتوبر سنة ١٩٢٩ ، وفى عهده استؤنفت الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التى كانت الاضطرابات قد أوقفتها ، وقد اغتيل نادر شاه سنة ١٩٣٣ فخلفه ابنه محمد ظاهر شاه الذى ظل فى الحكم حتى عزله محمد داود مؤسس النظام الجمهورى •

وفى عهد محمد ظاهر شاه أصبحت أفغانستان عضوا فى ميثاق « سعد اباد » سنة ١٩٣٧ وانضمت لهيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٦ وفى خلال حكم ظاهر شاه كانت رياسة الوزراء للشاه محمد هاشم ثم من بعده لأخيه الشاه محمود وهما من الأسرة المالكة •

النظـام الجمهورى فى أفغانستان

النظام الجمهورى أو قل النظام الموالى للاتحـاد السوفيتى الـذى ظهر سنة ١٩٧٣ يرجع تاريخه الى حـوالى ربع قرن قبل ذلك ، ففى سنة ١٩٥٠ ، وقّعت أفغانستان اتفاقيةً تجارية مع الاتحاد السوفيتى ، وهذه الإتفاقية أدّت الى روابط اقتصـادية وثيقـة بين أفغانستان والاتحـاد السوفيتى ، وأصبحت أفغانستان بمقتضاها شديدة الاعتماد اقتصـادياً على السـوفييت ، وتبعـاً لذلك تأثرت سياسـة أفغانسـتان بالنفـوذ الاقتصادى السوفييتى ، فظهرت جماعات يسـارية ، وبدأ شأنها يقوى رويداً رويداً •

محمد داود رئيسـاً للوزراء :

وفى سبتمبر ١٩٥٣ قام الجنرال محمد داود ابن عم الملك « ظاهـر شـاه » وزوج شقيقته بانقلاب ضد عمه رئيس الوزراء « محمود شاه » ، واستولى على المنصب لنفسـه ، واتجـه محمد داود الى توطيد علاقاته بالاتحـاد السـوفيتى •

وفى سنة ١٩٦٦ أصدر « نور محمـد تراقى » أول صحيفة يسـارية فى أفغانستان ، وكانت هذه الصحيفة لسان حال حزب « خلق » أى الشعب الذى كان له اتجـاه يسارى واضح وإن حـاول ان يتظاهر بتمسـكه بالإسـلام •

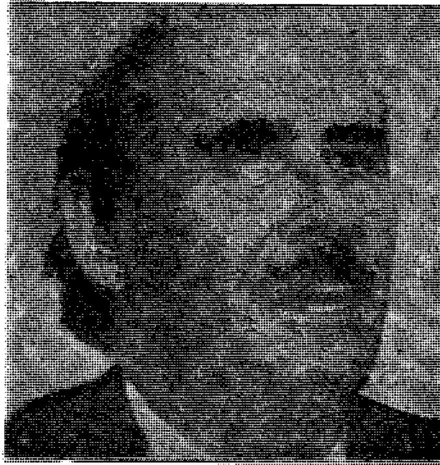
محمـد داود رئيساً للجمهـورية :

وكان محمـد داود مضطرباً فى موقفـه بين السياسـة اليسـارية أو اليمينية ، ولم يكن الملك ذا نفـوذ يستطيع أن يرجّح هذا الجـانب أو ذاك ، وهـذا الوضع شجع محمد داود فقام بانقـلاب فى ١٧ يونيـه سنة ١٩٧٣ عزل فيـه الملك وأعلن النظـام الجمهـورى ، ورحـل الملك السابق إلى أوربا وأقام فى روما ، وأصبح محمد داود رئيساً للجمهورية •

وفتح النظام الجمهورى باباً أوسع للنشاط السوفييتى • ولم يكن النظام الجمهورى الذى خلقه محمد داود حريصاً على الديمقراطية لأن مؤسسه عضوُ الأسرة التى كانت مالكه للبلاد ، ولأنه هو كان رئيساً لوزراء الملك عدة سنوات •

انقلاب نور تراقى سنة ١٩٧٨ :

كان الانقلاب الذى قام به محمد داود فاتحة انقلابات متتالية فى أفغانستان ، والانقلابات كانت ذات طابع شيوعى إلحادى والشعبُ متمسك" بالإسلام عدو" للإلحاد ، ومن هنا توالت الانقلابات فقام انقلاب فى ابريل سنة ١٩٧٨ بزعامة نور محمد تراقى وحفيظ الله أمين •



نور الدين تراقى : أول انقلاب شيوعى سافر

وهما من زعماء حزب « خلق » أى الشعب وكان يؤيدهما حزب « بار تشام » أى الراية بزعامة بابراك كارميل ، وأصبح تراقى رئيساً للدولة وحفيظ الله رئيساً للحكومة ، واتجه هذا الانقلاب بكل جهده إلى اليسار وفتح حفيظُ الله أبواب السجون والمعتقلات لمن بقى فى البلاد من أفراد الأسرة التى كانت مالكة ، كما أُلقى فى السجن عدد كبير

من الفنيين والمثقفين الذين كانت تهمتهم أنهم عملوا فى ظل النظـــام الملكى ، ولكن « حزب خلق » واجه حركتين قويتين متضادتين الحركة الأولى بزعامة بابراك كارمل الذى انشق على الأئتلاف الحاكم ، وأخـــذ يهاجم حـــزب « خلق » مما جعل الحكومة تقف منه موقف عداء سافر ، فهرب هذا الى أوربا الشرقية وواصـــل هجومه على حـــكومة بلاده ، فجرّدته الحكومة من الجنســـية .

أما الحركة الثانية فقـــد كانت بحوافز إســـلامية ، إذ ظهرت عـــدة جمعيات إسلامية تعلن عداءها للنظـــام الأحمر ، وفى مقدمتها « الجمعية الإسلامية » بزعامة الشيخ إبراهيم المجددى ، و « الثورة الإسلامية » بقيادة الشيخ ابن محمدى ، و « الجماعة الإسلامية الأفغانية » بزعامة برهـــان الدين الربانى « وجماعة مجاهدى الثورة الإسلامية » بزعـــامة سيد أحمد جيلانى بالإضافة إلى جبهة وطنية اسمها « الجبهة الوطنيـــة لتحـــرير أفغانستان » .

ولم يستطع تراقى أن يواجه هاتين الحركتين المتضاديين فاندفع الى الانحياز الكامل للاتحاد السوفييتى ليجد فى ذلك خلاصاً له مما يعانيه من هجمات يسارية واسلامية .

وتنفيذا لهذا الاتجـــاه وقّع معاهدة صداقة مع موسكو فى ديسمبر سنة ١٩٧٨ كانت روحها تِنمّ عن استسلام واضح .

وشهد عـــام ١٩٧٩ ثورات طاحنة ضـــد الحـــكومة الشـــيوعية فى أفغانستان ، وانضمّ الكثير من فرق الجيش إلى القوات الوطنية ، وقـــام اتحاد بين المنظمـــات الإسلامية المختلفة ، وواجـــه تراقى هذا الاتجـــاه بطلب المزيد من المعـــونة من الاتحاد السوفيتى ، كما قام زميله حفيظ الله باعتقال الآلاف من الأفغانيين وزجهم فى السجون واغتيال الكثيرين منهم .

انقلاب حفيظ الله ســـنة ١٩٧٩ :

وفى وسط هذا الصراع قام خلاف صامت بين تراقى رئيس الـــدولة

وحفيظ الله امين رئيس الوزراء ، انتهى بقيام الأخير بحركة انقلاب مسلَّح ضد تراقى فى سبتمبر سنة ١٩٧٩ ، وفى هذه الحركة قُتِل تراقى وبعض وزرائه وأنصاره وَوَضعَ حفيظُ الله أمين نفسَه رئيساً للدولة •

ويقال إن هذه الحركة كانت من خلف الاتحاد السوفييتى ، فاتجه السوفييت للانتقام لعميلهم تراقى والثأر له ، أو أنهم أيَّدوا حفيظ الله سراً ليتخلصوا من تراقى ثم أعلنوا سخطهم على خلفه ليوقعوا به ، وعلى كل حال فقد شجعت الخلافات بين الزعماء اليساريين على مزيد من تحركات الوطنيين ، وفقد حفيظ الله أمين ثقة الكثيرين حتى من الشيوعيين ، فاتجه إلى القمع ، فأعدم الآلاف وسجن عشرات الآف من معارضيه ، وكل هذا أتاح فرصاً للسوفييت فزادوا تدخلهم فى أفغانستان ، ونُقِلَ العديد من الخبراء ، والجنود السوفييت إلى أفغانستان لمساعدة النظام اليسارى فى البلاد •

عهد مصبوغ بالدم :

اتخذ حفيظ الله أمين سفك الدماء سياسة له طيلة عهده على مسرح السياسة قبل قضائه على تراقى وبعد ذلك •



حفيظ الله أمين : السفاح

وفى أوائل نوفمبر سنة ١٩٧٩ أذاعت وزارة الداخلية الأفغانية قائمة تحوى ١٢ ألف اسم لأشخاص — أغلبهم من المعتقلين السياسيين — ماتوا خلال اعتقالهم فى سجون كابول خلال الثمانية عشر شهراً التى مضت منذ تولىّ الحكومة الماركسية الموالية لموسكو السلطة هناك بعد انقلاب ابريل ١٩٧٨ •

ويقول تقرير تلقته المصادر المطلعة فى العاصمة الهندية من كابول إن حالةً من الحزن والحداد تسود العاصمة الأفغانية ، حيث فقدت كل أسرة واحدا على الأقل من أفرادها ، ولا يشمل هذا الرقم عدد القتلى بسبب الحرب الأهلية المستمرة بين الثوار والحكومة ••

وذكر التقرير أن مئات من النساء والأطفال ، أخذوا ينوحون ويبكون ويصفون الرئيس الحالى حفيظ الله أمين بأنه « قاتل » بعد قراءة القائمة التى أعلنتها وزارة الداخلية ، وقد عاملهم البوليس بقسوة وضرب بعضهم بكعوب البنادق •

والأغلب الذين لقوا حتفهم هم من الأشخاص المتعلمين ، كأساتذة الجامعات ، والمدرسين والطلبة ، والموظفين ، والزعماء الدينيين والتجار وأصحاب الحوانيت • وكانت منظمة العفو الدولية قد أذاعت تقريرا فى هذا الموضوع قالت فيه إن كثيرين من المعلقين السياسين أُعدِمُوا بعد محاكمات سريعة • ولا غرو فى ذلك فالشيوعية لا تعترف بحرمة الدم ولا بحرمة الانسان •

انقلاب سوفييتى فى أفغانستان باسم (بابراك) :

لم يقنع الاتحاد السوفييتى بالانقلابات السابقة ، وقرر أن يلقى بثقله مباشرةً فى هذه البلاد ، فنقل عدداً هائلاً من الجنود السوفييت بمعداتهم إلى كابول وإلى قاعدة « باجرام » الجوية ، وفى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٩ قام رجال المظلات السوفييت بهجوم على قصر الرياسة ومحطة الإذاعة ، وأعلنت الإذاعة السوفيتية أن انقلاباً حدث فى أفغانستان

أطاح بحفيظ الله أمين ، وأن محاكمة جرت له تمّ على أثرها إعـدامه ، واستدعت موسكو عميلها « بابراك كارمل » الذى كان آنـذاك هارباً فى أوربا الشرقية فجعلته رئيساً للدولة •



بابراك كازميـل
باسمه تدفق الزحف السوفيتى على أفغانستان

وأعلن السوفييت أنهم تدخلوا تنفيذاً لطلب تقدمت بـه الحـكومة الأفغانية بزعامة « بابرك كارميل » ، وفى الأيام الاخيرة من ديسمبر ١٩٧٩ كانت القوات السوفيتية المنقـولة جـواً تسيطر على كابول ، كما أن فرق الرماة السوفييت فرضـوا سـيطرتهم على هرات وبعض المـدن الأخـرى •

وقد ثارت شـعوب العالم ضد الاتحـاد السـوفييتى وتدخله فى أفغانستان ، وأعلن كارمل أنه امتداد لنظـام تراقى وأنه ضـد نظـام حفيظ الله أمين الذى قاد البلاد الى صراع دموى مرير •

القـوى العالميـة وأثرها :

كانت أفغانستان تعانى هذه الانقلابات الطاحنـة فى نفس الوقت

الذى كانت الحياة فى إيران تتغير ، فقد خرج الشاه من طهران فى رحلته النهائية فى يناير سنة ١٩٧٩ وترك البلاد تغلى ، وجاء نظام الخومينى فقبض على الرهائن الأمريكيين كما وضحنا من قبل ، واستطاعت أمريكا أن تجعل من مشكلة الرهائن الـ ٥٢ مشكلة عالمية ، فأتاحت بذلك الفرصة للقوات الروسية أن تتسلل فى غفلة من الناس وأن تتوغل فى أفغانستان وأن تشدّد قبضتها على تلك البلاد الإسلامية .

ولم تبال موسكو بقرارات مجلس الأمن ، أو الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، ولكن الشيء الذى صمد فى وجه الاتحاد السوفييتى كان تلك المقاومة الشعبية الهائلة التى لم تضعف أمام نيران العدو ومعداته ، وقاومت وستظل تقاوم حتى يتم لها النصر إن شاء الله ، وسنعيش مع هذه المقاومة الإسلامية العنيدة فى الصفحات التالية :

المقاومة الأفغانية :

ذكرنا من قبل أن أفغانستان صمدت فى وجه الاسكندر قديماً ، وغزت مع محمود الغزنوى فحققت أطماعاً واسعة ، وسيطرت على جزء كبير من العالم فى العصر الوسيط ، وحققت هزائم ساحقة ضد الامبراطورية البريطانية فى العصر الحديث ، وفى أيامنا الحالية يقوم حفدة الأفغان بدورهم الخالد الذى قام به أجدادهم من قبل ، ولذلك نجدهم يصارعون دون هوادة السوفييت الذين احتلوا بلادهم ، كما يصارعون الجماعات اليسارية التى تسير فى ركاب كارمل أو غيره من الزعماء الأفغان الذين اعتنقوا الشيوعية .

وتتخذ المقاومة الأفغانية أغنية أفغانية قديمة دستوراً لها ، وكلمات الأغنية هى :

خير لك أن تعود إلى منزلك مخضباً بالدماء .
بدلاً من أن تعود صحيحاً معافىً مخضباً بأوحال العار .

شبه القارة الهندية

- تعريف بها وذكر نبذة عن تاريخها القديم .
- الإسلام فى شبه القارة من مطلع الإسلام حتى نهاية الاحتلال البريطانى .
- باكستان منذ قيامها - عقب نهاية الاحتلال - حتى الآن .
- بنجالاديش منذ قيامها حتى الآن .
- الأقلية الإسلامية فى الهند بعد التقسيم .

ويشق الهند عند منتصفها تقريباً سلسلة من الجبال والأدغال تبدأ من الغرب ، وتسير حتى قرب الساحل الشرقى ، وهذه السلسلة تَقْسم الهند قسمين يختلف أحدهما عن الآخر فى طبيعته وفى سكانه وحضارته •

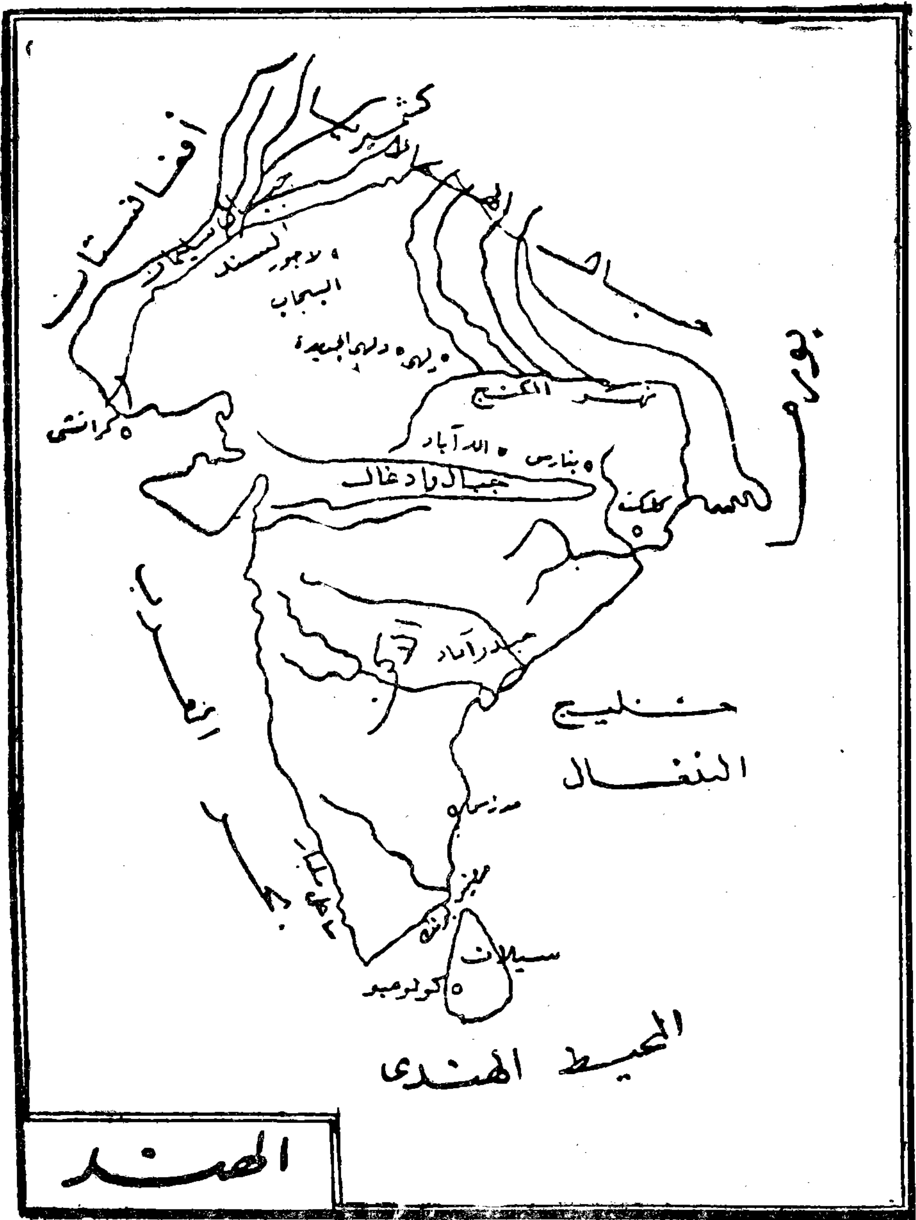
ومن نهر الإندوس (السند) اشتق اسم الهند ، وظهرت كلمة إند وهند ، ومعناها الأرض التى تقع فيما وراء الإندوس ، وسمى سكان هذه البلاد : الهنود أو الهندوس (١) •

وعن تسمية الهند يقول غوستاف لوبون (٢) : يرى الغربيون أن نهر السند أعار من اسمه اسماً للبلاد الحافلة بالأسرار الواقعة فيما وراءه • ولا يشككم بهذا تماماً بل يحتمل اشتقاق اسم الهند من اسم الإله (اندرا) •

ويجاور الهند دول أفغانستان فى الشمال الغربى ، والتركستان فى الشمال ، والصين فى الشمال والشمال الشرقى ، وبورما فى الشمال الشرقى كذلك •

---

(١) حقائق عن الهند (من منشورات قلم الاستعلامات الهندى) •
(٢) غوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٢٥ •


أفغانستان
كشمير
السند
لاهور
البنجاب
دلهي
دلهي الجديدة
نهر الكنج
الله آباد
بنارس
كراتشي
كلكتا
حيدر آباد
خليج
البنغال
مدراس
سيلان
كولومبو
المحيط الهندى
بورما
الهند

فمن الباب الشرقى دخلت الشعوب الصفراء (التورانيين) أفواجا منذ آلاف السنين يضيق الزمن بينها أو يتسع ، وقد فرّ من وجهها بعض السكان الأصليين واعتصموا بقمم الجبال ، أما أغلب السكان الأصليين فقد ارتبطوا بالزاحفين وتم بين الجنسين ألوان من العلاقات أنتجت ما أصبح بعد حين يُعرف بالسكان الأصليين ، وكان هذا المجتمع الجديد يتكون من جماعتين : إحداهما يغلب فيها الدم التورانى ، والثانية يغلب فيها الدم الهندى أما الذين أووا إلى قمم الجبال فقد أُطلق عليهم « زنوج الهند » .

ومن الباب الغربى اقتحم الآريون بلاد الهند وبهم ارتبط تاريخ الهند القديم وأصل الآريين (الجنس الأبيض) مشكوك فيه ، فيرى بعض الباحثين أنهم نشأوا ببلاد الدانوب بأوربا ، ثم هاجروا إلى آسيا عندما ضاقت بهم الأرض ، متخذين طريق الشرق حتى بحر مرمرة ، ثم عبروا البسفور أو الدردنيل إلى آسيا الصغرى ، واستمروا فى سيرهم شرقا متجنبين مناطق الحضارة المزدهرة التى كانت قد نشأت فى طريقهم ، حتى نزلوا فارس بالقرب من تبريز ، ومن هناك انحدروا إلى الهند (١) .

ويرى الباحثون الآخرون — وهو الأرجح — أن الجنس الآرى أسيوى الأصل ، كان يعيش فى وسط آسيا فى بلاد التركستان بالقرب من نهر جيحون ، ثم زحفت أفواج ضخمة من هذا الجنس فى أزمنة غير واضحة ، واتجهت نحو إيران عبر الهند واتجهت كذلك نحو أوربا (٢) .

ويبدو أن الزحف الآرى إلى الهند قد تمّ فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وقد حارب الآريون الممالك التى أقامها الجنس الأصفر بالهند

---

(١) الهجرات الآرية ص ٤ . من منشورات وزارة التربية والتعليم بالهند
(٢) René Sedillot : History of the world p. 32.
وانظر كذلك : G F. Allen : The Buddha's Philosophy p. 24-25.

وانتصروا على الكثير منها ، وكونوا لهم بها مناطق نفوذ ، ولم يتصل الآريون بسكان الهند بطريق التزاوج ، بل حافظوا غالباً على سلالتهم البيضاء وساقوا سكان الهند إلى الغابات والجبال ، وأخذوهم أسرى ، وسمّاهم الأدب الآرى المبكر « أمة العبيد » واستنصر الآريون عليهم بإلههم اندرا ، ومن دعائهم فى ذلك : يا إلهنا إندرا ، إننا قد أحاط بنا قبائل داسيو (عبيد) من جميع الجهات ، وهم لا يقدمون الضحايا ، وليسوا بآدميين ، ولا يعتقدون فى شىء ، يا مهلك الأعداء أهلكهم وأهلك نسل داسا (العبيد) .

والسبب فى أن الآريين لم يتم التزاوج بينهم وبين الهنود ، هو أن الآريين دخلوا الهند كشعب مهاجر لا كجيش محارب ، والفرق كبير بين الحالتين ، فالجيش يكون عماده الرجال الذين سرعان ما يتصلون بنساء الشعب المغلوب ، أما الآريون فقد دخلوا بثرائهم ونسائهم وأطفالهم ، فلم يحتاجوا لنساء الهند للزواج بهن ، وكان عدم الحاجة للنساء مع الاستعلاء الذى يصحب النصر من دواعى نشأة الطبقات ، كما كان هذا من أسباب كثرة الألوان فى الهند [1] .

أما مدى نفوذ الشعوب الصفراء (التورانيين) والبيض (الآريين) على الهند فيوضحه غوستاف لوبون بقوله [2] : والتورانيون أشد الغزاة تحويلا لعروق الهند من الناحية الجثمانية ، والآريون هم الذين تركوا أقوى الآثر فى عروق الهند من الناحية المدنية ، فمن التورانيين أخذ سكان الهند نِسَبَ أجسامهم وتقاطيع وجوههم ، وعن الآريين أخذ سكان الهند لغتهم ودينهم وقوانينهم وسجاياهم وطبائعهم .

ولم يتوار الآريون بالامتزاج فى الهند بسرعة كما توارى العرب فى مصر ، لأن عدم التزاوج ، ثم نظام الطوائف الحاسم حال دون

---

(1) Weech : The Peoples and Religions of India p. 311.

(2) حضارة الهند ص ١٠٤ .

اللغـــات فى الهنـــد

رأينا فيما سبق اختلاف عناصر السكان واختلاف ألوانهم ، ولكن اللغـات فى الهند كانت أكثر اختلافا وأكثر عدداً ، وكانت الحياة القبلية المنتشرة بالهند من أهم أسباب كثرة اللغـات ، فقد كانت كل قبيلة تـكاد تكون مستقلة ، تعزلها الجبال أو الغـابات أو الأنهـار عن سـواها من القبائل ، ولها لغة خاصـة بها لا يعرفها سواها من القبـائل أيضـا ، وعلى هذا بلغت اللغات فى الهند نحو ٢٤٠ لغة و ٣٠٠ لهجة إذا صـح ما يقوله غوستاف لوبون [1] بالإضافة إلى الفارسـية التى كانت لغـة رسمية للقصـور والمجتمعات الراقيـة فى الهندوستان ، والبهلوية وهى لغة المجوس الذين رحلوا إلى الهند من إيران قبل الاسلام .

وعلى هذا لم يكن من الممكن التفاهم بين سكان المناطق المختلفة ، وهذا مهّد الطريق للغة الإنجليزية لتكون لغة عامة بجـوار هذه اللغات المحليـة .

وهناك لغة أخرى تكونت فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وأصلها آرى ، ثم دخلت عليهـا كلمات كثيرة من اللغـات الفارسـية والعربية والهندية والتركية وتسمى الآن اللغة الأوردية نسبة إلى (الأوردو) وهو المعسكر إذ كانت لغة معسكرات المغول أولا ، وانتشرت هـذه اللغـة بين المسـلمين وغـير المسـلمين ، وشجّعهـا المـلوك والسـلاطين حـتى ضـارعت اللغـة الإنجلـيزية ، ولمـا تـمّ تقسـيم الهنـد إلـى دولتى الهنـد والباكسـتان اعتبرت هـذه اللغـة لغـة إسـلامية ، فاحتضنتها الباكستان ، وترعرعت هذه اللغة فى الدولة الإسلامية الكبرى ، أما فى الهنـد فقد عانت الأوردية صـوراً من الاضطهاد فى بعض الولايات ، ولكن ولايات أخرى هندية اعترفت بها مثل بومباى وأندر ومدراس ، ومن

---

(١) حضارة الهند ص ٤٧٧ .

العجب أن الذين كانوا يهاجمون الأوردية من الهنود كانوا يهاجمونها بها كما قال الباندبت نهرو (١) .

أما عن اللغات فى الهند بعد التقسيم فقد اتخذ الدستور الهندى اللغة الهندية لغة رسمية للبلاد ، وهى لغة قامت على أنقاض السنسكريتية ، ولما كانت هذه اللغة غير شائعة فقد رؤى الاستمرار فى استعمال اللغة الانجليزية كلغة رسمية للبلاد حتى تصل اللغة الهندية إلى الانتشار الكافى ، وإلى جانب اللغة الهندية ، اعترف الدستور بثلاث عشرة لغة فى مختلف ولايات الهند ، وكل منها لغة حية ذات ذخيرة وفيرة ، ولها أدب يانع مترعرع (٢) .

الأديان فى الهند

نقلنا فى « موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية » رأى مجموعة من علماء مقارنة الأديان مؤداه أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهى وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية ... كما ذكرنا أن هناك عوامل تقوّى هذه الغريزة ، من أهمها قوى الطبيعة ، ومواجهة الإنسان لهذه القوى وجهاً لوجه ، وإحساسه بالضعف تجاهها (٣) .

والهند حقل رائع لتطبيق هذه المبادىء ، فقد نشطت قوى الطبيعة ، وواجهها الإنسانُ الهندى وجهاً لوجه ، وأحس بالضعف تجاهها ، فأصبح « متدينا بطبيعته يُشْغَف بالروحانيات ، ويسعى دائباً إلى معرفة الله ، ويتخذ الزهد وسيلة ليتخلص من دنيا المادة وينتظم فى دنيا الروح (٤) » ، وهيهات أن تجد هندوسيا لا يعبد عددا من الآلهة ، فالعالم عنده زاخر بها ،

(١) انظر تاريخ الاسلام فى الهند ص ٢٢ — ٢٣ .
(٢) محيى الدين الألوانى : الأدب الهندى المعاصر ص ٥٩ .
(٣) انظر الجزء الأول ص ١٦٧ — ١٦٨ من الطبعة العاشرة .
(٤) أديان العالم الكبرى ص ٢٤ لخصه عن الانجليزية حبيب سعيد .

حتى أنه يصلى للنمر الذى يفترس أنعامه ، ولجسر الخط الحديدى الذى يصنعه الأوربى ، وللأوربى نفسه عند الاقتضاء (١) .

وقد عرف الهنود القدماء عبادة الحيوانات وبخاصة البقرة ، كما عرفوا عبادة قوى الطبيعة ، وعرفوا كذلك عبادة عضو التلقيح معتقدين أنه سبب الخلق ، وكان هذا الإله يسمى عندهم Linga وهى من اشتقاق الكلمة الانجليزية Link أى صلة ورابطة ، وفى العصور الآرية اندمج هذا الإله فى الإله الذى تكون منه الثالوث الهندى (٢) .

وعبادة الهنود للحيوانات نشأت عن الفكر الطوطمى ، أو عن اعتقادهم بأن الله يتجلى فى بعض الأحياء فيحل فيها حلوله فى هذا الحيوان أو ذلك ، أو لأنهم آمنوا بالتناسخ فجاز عندهم أن يكون الحيوان جَدًّا قديماً أو صديقاً عائداً إلى الحياة (٣) .

وقد كان للبقرة — من بين الحيوانات — قدسية خاصة بين المعبودات سالفة الذكر فقد حظيت البقرة فى الهند بأسمى مكانة ، وهى من المعبودات الهندية التى لم تضعف قداستها مع كرّ السنين وتوالى القرون ، ففى الويدا حديث عن قدسيتها والصلاة لها ، ولاتزال البقرة حتى الآن تحتفظ بهذه القدسية ، وقد أثبتنا فى كتابنا « أديان الهند الكبرى » لمحة أدبية تنسب للمهاتما غاندى تفسر ما حظيت به البقرة قديماً وحديثاً من نفوذ دينى (٤) .

---

(١) غوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٣٦٨ .

(٢) Weech: The People and Religions of india p. 310

(٣) الأستاذ عباس العقاد : الله ص ٧٧ .

(٤) أديان الهند الكبرى للمؤلف من سلسلة « مقارنة الأديان » ص ٣٢ .

كلمة عن تاريخ الهنـد قبل الإسـلام

فى القرن الخامس ق م استولى الفرس على إقليم السند والقسـم الشـمالى الغـربى من الهنـد ، وأقاموا به حـوالى قرنين من الزمان ، واستخدموا إمكانيات الهند البشرية والحيوانية فى حربهم ضد اليونان .

وفى القرن الرابع ق م غزا الإسكندر بلاد فارس ثم واصـل سـيره فوصـل كابول فالسند ، وعبر الهند كوش ، وكان ذلك سـنة ٣٢٦ ق م . وأخذ يتجول فى البنجـاب ، لكن جنـوده توقفوا عن التعمق ببلاد الهنـد إذ غلبهم الحنين للوطن وضاقوا بحرارة الهند وطقسها .

وكان وصول الإسكندر برجاله وعلمائه إلى الهند من الأسباب التى ربطت بين حضارة اليونان وحضارة الهند .

وبعد عـودة الإسكندر وضياع إمبراطوريته ظهر بالهند فى أواخر القرن الرابع ق م إمبراطورية الموريا الهنـدية التى اتخـذت الطاووس شعاراً لها ، وكانت تمتد من الهندوكش إلى البنغـال ، ومن ملوك هـذه الدولة أزوكا (٢٧١ — ٢٣١ ق م) الذى قتل إخوته خوفاً من أن ينازعوه الملك ، ثم حزن لذلك وتبتل ، وأصبح داعية للبوذية ، وقد انتهت هـذه الأسرة على يد أسرة « اندهانا » سـنة ١٨٤ ق م (١) ، ثم تلتهـا أسر ملكية أخرى ليس فى ذكرها غناء ، ولكن الـذى يهمنـا أن نذكره هنا هو إقليم السند الذى سيطر عليه ملك برهمى هو الملك « داهـر » بعد أن انتزعه من القبائل الآرية التى كانت تحكمه ، ودخل الإسلام بلاد الهنـد فى أثناء حكم هذا الملك على ما سنسجل فى الصفحات التالية :

---

(١) انظر د أحمد الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القـارة الهندية جـ ١ ص ٢٨ وأديان الهند الكبرى للمؤلف .

الإســـلام فى الهنـــــد

تاريخ الإسلام فى الهند له مراحـــل :

١ ـــ مرحلة الاتصالات التجارية ٠
٢ ـــ مرحلة الحركات العسكرية والولايات والإمارات الإســـلامية بالهنـــد ٠
٣ ـــ العهد الغزنوى وانتشار الإسلام فى أكثر شبه القارة ٠
٤ ـــ عهد الغوريين الأفغـــان ٠
٥ ـــ ســـلاطين دلهى ٠
٦ ـــ امبراطورية المغول بالهند التى أسسها بابر ٠

وسنتحدث عن هذه المراحل فيما يلى :

المرحـــلة الأولى :

الاتصـــالات التجـــارية

وُجِدَت علاقات تجارية بين الهند والعرب قبل أن يظهر الإســـلام فقد كانت الهند من المحطات التجارية المهمة لدى العرب ، كمـــا كانت فى الطريق لتجارتهم مع ماليزيا وإندونيسيا والصين ، وكانت التجارة العربية مع الهند تسير براً من مصر والشـــام على ساحل البحر الأحمر إلى اليمن ، ثم تبدأ المرحـــلة البحـــرية عن طريق حضرموت وعمـــان والبحرين إلى كراتشى أو عن طريق المحيط الهندى إلى الموانى المختلفة بالهنـــد ، ويقول غوستان لوبون : إن التجـــارة كانت تصل مراكز الشرق كسمرقند وبغداد ودمشق ، بالهند مارة ببلاد فارس وكشمير (١) ٠

وقد ذكر ابن خرداذبة أن البضائع الهندية كانت توجـــد فى الأسواق العربية قبل الإسلام ، وهو فى ذلك يقول عن ميناء عـــدن إنه كان بهـــا

---

(١) حضارة الهند ص ٢٣٧ ٠

العنبر والعود والمسك ، وغيرها من الهند والصين والحبشة ... (١) .

وعندما جاء الإسلام ظلّت صلة الهند بالعرب قوية ، ويستدل على ذلك بوجود بعض كلمات من اللغة الهندية فى القرآن الكريم مثل (٢) :

مسك : يُسْقَوْن من رحيق مختوم ختامه مسك (٣) .
كافور: إن الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافورا (٤) .
زنجبيل : ويُسْقَوْن فيها كأسا كان مزاجُها زنجبيلا (٥) .

ويروى أن أحد ملوك الهند أرسل هدية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكانت عبارة عن جرة فيها زنجبيل فأخذ الرسول يطعم أصحابه منها (٦) .

ويشير الجغرافيون العرب كثيراً إلى السند والبنغال وإلى جزيرة الياقوت (سرى لانكا) وهم يتحدثون عن الصلات التجارية بين المسلمين وشبه القارة الهندية ، وقد وجدت فى حفائر بهاربور وغيرها من البقاع الهندية عملات معدنية إسلامية مبكرة (٧) .

وعن طريق هذه الصلات التجارية دخل عدد من الهنود الإسلام وبخاصة من طبقة المنبوذين وأمثالهم الذين كانوا يضيقون بنظام الطبقات فى الهند وفرحوا بما حقّقه الإسلام من مساواة بين أتباعه .

كما وجدت مراكز إسلامية نتيجة للتزواج بين العرب المسلمين والنساء

---

(١) المسالك والممالك ص ٦١ .
(٢) محمد يوسف نجرامى : العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ص ١٨ (رسالة ماجستير باشرافى) .
(٣) سورة المطففون الآيتان ٢٥ — ٢٦ .
(٤) سورة الانسان الآية الخامسة .
(٥) سورة الانسان الآية ١٧ .
(٦) النجرامى : المرجع السابق ص ٢٩ .
(٧) باكستان : من مطبوعات سفارة الباكستان بالقاهرة ص ١٦ .

الهنـديات وهـذا النشاط يمثل المرحلة الأولى من مراحل الانتشار في الهنـد .

المرحـلة الثانيـة :

الحركات العسكرية والولايات والإمارات الإسـلامية بالهنـد

إن الدارس لمنطقة بـلاد إيران وأفغانستان وغرب الهنـد يدرك أن صـلات وثيقة قامت بين هذه المناطق قبل الإسلام وبعـده مما يؤكد أن الحـدود بينها لم تكن ثابتـة ولا قوية ، وكانت القـوة التى تنجح في منطقة منهـا يكثر أن تمتد إلى المناطق الأخرى ، ومن هنـا فإن دخـول المسلمين المبكر بلاد العراق وفارس كان خطوة نحو دخـول الإسلام إلى الهنـد وبخاصة أنه في معركة القادسية سنة ١٦ هجرية ، اسـتنجد ملك الفرس الذى كانت تتبعه العراق ببعض ملوك البلدان المجـاورة ، ومنهـا مملكة السند ، وقد أمدّه ملك السـند بالمال والرجـال ، ولكن النصر تمّ للمسلمين ، وفَتَحَ هذا النصرُ البـابَ للمسلمين لمهاجمة السـند رداً على تدخلهـا ضدهم في معركة القادسية (١) .

ثم إن فتح المسلمين لبـلاد فارس جعلهم يتطلعون إلى ماوراءهـا فامتدت فتوحاتهم إلى خراسـان ثم أسلمتهم خراسان إلى بلاد السند ، وعلى هـذا بدأت حمـلات المسلمين على بلاد السـند مبكرة منذ عهـد عمر بن الخطاب ، وكان الذى قام بذلك في عهد عمر عامله عثمـان بن أبى العـاصي عامل البحـرين وعمان ، وكان هـذا قد أرسـل لها جيشـا بحريا ولذلك تعرّض للـوم عمر الذى كان يكـره أن يركب المسلمون البحر ، إذ كتب إليـه عمر يقـول : يا أخـا ثقيف ، حملت دودا على عود ، وانى أحلف بالله لئن أصيبوا لآخذن من قومك مثلهم (٢) .

---

(١) محمد يوسف النجرامي : المرجع السابق ص ٣٠ .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٢٠ .

وفى عهد على توجه الحـارث بن مرة العبدى متطوعاً إلى بلاد السند ومعه جيش من المتطوعين وأذن لهـم علىٌّ بذلك ، وقد انتصرت الحمـلة وغنمت كثيراً من الغنـائم ، ووصـل الحارث بجيشـه إلى ممـر قيقان (قلات الآن) ثم وقعت معركة بين أهالى قيقـان والمسلمين وتمّ النصر فيها للمسلمين وكان ذلك سنة ٣٨ هـ (١) ولم تكن هذه الغزوات حتى الآن غزوات استقرار وإنما كانت للردع والتهديد .

وغزا معاوية كذلك هذه البلاد بواسطة قائده الشـهير المهلب بن أبى صفره (٢) . الذى أرسل عبـد الرحمن بن سـمرة ففتح بلاد السـند واستقربها .

وجاء عهد الوليد فجاء عهد الفتح المنظـم لهـذه البلاد الواسـعة وكانت العراق وفارس وخراسان تحت سلطان الحجاج بن يوسف الثقفى .

وحدث أن ساءت العـلاقات بين المسلمين وبين داهر ملك السند مما استدعى صداماً مسلحا ، أما سبب سوء العلاقات فهو أن الحجّاج أرسل سعيد بن أسـلم إلى مكران ، فخـرج إليه معاويةُ ومحمدٌ ابنا الحارث العلافى فقتـلاه ، اذ كانا من الخارجين على سـلطان الأمويين فى هـذه الجهات ، وكانا قـد لقيـا عند داهـر ملك السـند البرهمى كل ترحيب حين لجآ إليـه ومعهما رجالهما الخمسمائة ، وما لبثا — وقد نصراه فى بعض حروبه — أن صارا من أصحاب الحظوة عنده .

وبلغ الحجاجَ الخبرُ فسأل الخليفةَ أن يأذن له بمهاجمة السند ملجأ الخارجين على الدولة ، ولكن الخليفة لم يأذن له ، ثم بعـد ذلك تعرّض قراصنةٌ من دَيْبُل لسفن كانت قادمة من جزيرة الياقوت (سيلان) وفيها بنات وأرامل لتجار من المسلمين وافاهم الأجـل هنـاك ، فأسر القراصنةُ هؤلاء النسـاءَ ، ولما طلب الحجاج من داهر تخليص نسـاء

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٠٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٢١ .

المسلمين من الأسْر لم يستجب له ، وادعى أنه لا يسيطر على لصوص البحر هؤلاء (١) فكان هذا وسواه باعثاً للحجاج أن يُلحَّ على الخليفة ليثأر لهذا العدوان ، وليؤمِّن طريقَ التجارة وحدودَ البلاد الإسلامية من غارات المعتدين ، ولما استجاب الخليفة لرغبة الحجاج أعدَّ هذا حملة كبيرة لغزو بلاد السند ووضع على رأسها القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفى وهو صهر الحجاج وابن أخيه ، وانقسمت الحملة قسمين ، سار قسم منها بطريق البحر ، وقاد محمد القسم البرىَّ ففتح فى طريقه بعض البلاد حتى التقى بسفنه المحملة بالجنود عند ميناء الديبل ، واتجه محمد بجنوده إلى الشمال فخرت له الحصون والبلاد صلحاً أو عنوة ، وأخيرا التقى بملك السند (داهر) الذى كان يقود جيشا كثيفا واجه به جيش المسلمين ، وقد دارت بينه وبين المسلمين معركة كبيرة فرَّ منها داهر وانهزم جنده ، ووقع كثيرون منهم أسرى فى أيدى المسلمين ، وبالقضاء على هذا الجيش أصبح الطريق ممهداً لمحمد بن القاسم ليسيطر على بلاد السند كلها دون كبير عناء حتى وصل إلى كشمير (٢) .

وكان مما ساعد المسلمين على تحقيق النصر السريع مالا قوه من عون من قبيلتى الميد والجات (الزط) السنديتين اللتين انضمتا للجيوش الإسلامية ، ووجَّهتْها إلى أيسر الطرق ، وبذلت عوناً واضحاً فى معارك القتال ، وكانت هاتان القبيلتان قد هاجر أكثر أفرادهما إلى خارج السند لفرط ما كانوا يعانونه من سوء معاملة الحكومة البرهمية ، إذ كانوا فى عداد المنبوذين الذين يُحرَّم عليهم امتطاء الدواب أو ارتداء غالى الثياب ، ولم يكن يُباح لهم من المهن والحرف إلا أحقرها .

وقد أفاد المسلمون من رجال الميد والزط إلى جانب شجاعتهم فى

---

(١) دكتور أحمد الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ١ : ٥٧ — ٥٨ .

(٢) البلاذرى : فتح البلدان ص ٤٢٤ وما بعدها .

الحرب وشدة جلدهم فيها ، معرفتهم بمسالك السند ودروبها وأحوال أهلها وأساليبهم فى النزال (١) .

أما عن صلة المسلمين بأهل السند بعد فتحها فيحدثنا عنها مؤلف هندى بقوله :

وقد أكرم القائد المسلم رؤساء الهنادكة من رجال الدين ، وأطلق للناس حرية العبادة ، على أن يوالوا المسلمين ويدفعوا الجزية عن طيب نفس (٢) . وتكونت من فتوحات هذه المرحلة ولاية السند التى كانت يتبعها جزء من ملتان (البنجاب) .

ولم يتجه الخلفاء الأمويون المتأخرون للفتوحات لكثرة ما عانوا من الصراعات الداخلية ، فلما جاء العباسيون لم يحرصوا على فتح مزيد من البلاد ، ووجهوا اهتمامهم للمحافظة على المملكة الإسلامية التى كانت قد اتسعت فى عهد الأمويين .

عصر الولاة :

وبفتح السند بدأ ما يعرف بعصر الولاة فى السند ، وأهم هؤلاء الولاة الذين سيطروا على السند هم كما أوردهم زامباور (٣) .

فى العهد الاموى :

عبد الرحمن بن سمرة (الفاتح الأول)	سنة ٤٢ هـ
عبد الله بن سوّار العبدى (من قبل معاوية)	سنة ٤٣ هـ
سنان بن سلمه الهذلى (فتح مكران)	سنة ٤٨ هـ
راشد بن عمرو الجُديدى الأزدى (توفى سنة ٤٩)	سنة ٤٩ هـ

(١) دكتور أحمد الساداتى : المرجع السابق ص ٥٩ .
(٢) Passad : Medieval Muslim Rule in India. 29.
(٣) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ج ٢ ص ٤١٥ — ٤١٦ .

المنذر بن الجارود العبدى ، أبو الأشعث (حتى سنة ٦١) سنة ٥١ هـ
ابن حـرّى البـاهلى سنة ٦١ هـ
سعيد بن أسلم بن زرعـة الكلابي سنة ٧٥ هـ
عبيد اللـه بن أبى بـكره سنة ٧٩ هـ
محمد بن القاسم الثقفى (صهر الحجاج بن يوسف) سنة ٨٩ هـ
حبيب بن المهلب بن أبى صفرة سنة ٩٥ هـ
عمرو بن مسلم الباهلى (أخوقتيبة) سنة ٩٩ هـ
الجنيد بن عبد الرحمن المرى (نائب خالد بن عبد الله) سنة ١٠٧ هـ
عمرو بن محمد بن القاسم (مؤسس المنصورة التى أصبحت عاصمة الولاية)
سليمان بن هشام بن عبد الملك (أموى توفى سنة ١٣٢) (١)
منصور بن جهور الكلبى (آخر عمال بنى أمية) سنة ١٣٢ هـ

فى العهـد العبـاسى :

عبد الرحمن بن مسلم العبـدى سنة ١٣٤ هـ
المسّيب بن زهـير سنة ١٣٤ هـ
موسى بن كعب بن سفيان الخثعمى (أمر بتوسيع مسجد المنصورة) (حتى سنة ١٤١) سنة ١٣٤ هـ
أبو جعفر عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة المهلّبى سنة ١٤٢ هـ

وفى عهد عمر بن حفص ظهر نشـاط علوى فى إقليم السند إذ أنـه فى ذلك الوقت قامت ثورة محمد النفس الزكية وأخيـه إبراهيم ، وقـد أرسل هؤلاء عبد الله الأشتر لينشر الدعـوة العلوية فى الهنـد ، وكان مجىء عبد الله الأشتر إلى السند فى عهد عمر بن حفص فرصـة مواتية لأن عمر كان ميالاً للفكر العلوى ، فسمح لعبد الله الأشـتر أن يباشر نشاطه ، فأخـذ هذا يتجول هنا وهناك وينشر دعـوته ، وكان دخـول مذهب الشيعة إلى الهند مرتبطاً بهذا الحادث .

هشـام بن عمرو التغلبى سنة ١٥١

(١) لم يذكر زامبادر تاريخ تولية بعض الولاة واكتفى بذكر أسمائهم .

وكان هذا الوالى أيضا ميــالا للاتجــاه العــلوى ولذلك توانى فى القبض على عبد الله بن الأشتر ، بيد أن أخاً له قَتَلَ عبد الله بناء على أوامر الخليفة ودون موافقة أخيــه .

وفى عهد هشــام هــذا تمّ فتح كشمير وملتان فى البنجاب ، كمــا استولى هذا الوالى على كجــرات وبنى بها مســجداً يعتبر من أهــم مســاجد الهنــد .

روح بن حاتــم المهــلبى	سنة ١٦٠
نصر بن محمد بن الأشعث	سنة ١٦١
إسحق بن سليمان بن على عبــد الله العبــاسى	سنة ١٧٤
	حتى سنة ١٧٧
داود بن يزيد بن حاتم المهلبى	سنة ١٨٤
موسى بن يحيى البرمكى (نائبا عن غسّان بن عياد) حكم البلاد بكفاءة بالغة	سنة ٢١٣
عمران بن موسى بن يحيى البرمكى	سنة ٢١٧
حيدر بن كاووس الأفشــين	سنة ٢٢٣
عمر بن عبد العزيز الهبارى	سنة ٢٤٠

كان عمر زعيم الحجازيين ، وقد استولى على السلطة بفضل جــاه الحجازيين بالهند ، وكان ذلك فى عهد المتوكل عــلى الله (٢٣٢ — ٢٤٧) ولما تقلّد عمر بن العزيز تقاليد السلطة ، أرسل خطاباً إلى الخليفة المتوكل يطلب الاعتراف به حاكماً على السند ، فوافق الخليفة على ذلك وأصــبح عمر يستمتع بسلطة واسعة فى المناطق الهندية الإســلامية ، ولا يرتبط بالخلافة العباسية إلا من الناحية الشكلية فقط ، شأن الولايات الإسلامية المتعددة التى استقلت داخليــا عن الخــلافة العباسية بسبب ســيطرة الأتراك على الخلافة .

عصر الإمارات الإسلامية بالهند :

وبدأ بعمر بن عبد العزيز بالهند عهد جديد هو عهد الامارات المستقلة التى ظهر فيها توارث فى الحكم ، ولم يعد للخليفة من السلطان إلا أن يُذكر اسمه فى الخطبة أو ترسل له بعض الهدايا .

وكان قيام هذا العهد مرتبطاً بنقطتين مهمتين هما :

أولا : امتداد الحكم الإسلامى فى الهند بعد ضمّ كشمير وملتان وكجرات فى عهد هشام بن عمرو التغلبى كما ذكرنا من قبل .

ثانيا : الصراع الذى دار بين المضريين والقحطانيين بالهند على نمط الصراع الذى دار بينهما فى خراسان وغيرها ... فكأنّ القبائل العربية أخذت معها الصراع أنّى حلّت ، وللأسف كانت نتائج هذا الصراع دائماً مصدر ضرر كبير على الإسلام والمسلمين .

والإمارات الإسلامية التى قامت بالهند كان بعضها تحت حكم مسلمين من عنصر هندى وبعضها تحت حكم مسلمين من العرب الذين استوطنوا الهند منذ عهد الفتوحات الأولى .

وقد قامت بعض هذه الإمارات قبل عهد المتوكل إذ أن نوعاً من الاستقلال حدث قبله هنا وهناك كاستقلال الأدارسة والأغالبة فى عهد الرشيد ، واستقلال الدولة الطاهرية والزيادية فى عهد المأمون (١) وقد كانت هذه الحركة الاستقلالية نموذجاً زاد نطاقه فى عهد المتوكل لاستيلاء الأتراك على السلطة من يد الخليفة مما جعل مركز الخلافة قليل الهيبة .

---

(١) انظر الجزء الثالث من هذه الموسوعة ص ٢٥٦ .

وأشهر الإمارات الهندية التى وُجدت آنذاك هى :

الدولة الماهانيــة بالسندان سنة ١٩٨ هـ :

وقد أسسها فضل بن ماهان فى السندان ، وهى منطقــة بعيدة عن السند ، وتقــع فى أراضى كجرات ، وقــد استطاع فضــل بن ماهان أن يَدْخل هذه المنطقة ، ويخضعها لسلطانه ، وأعلن اعترافه بالخلافة العباسية، مع استقلاله التام فى أمور الداخــل .

يقول البلاذرى : كان الفضــل بن ماهان مولى بنى سامة قد فتح ســندان وسيطر عليها وبعث إلى المأمون رحمه الله بفيل وبعض الهدايا ودعا له فى مسجدٍ جامعٍ أقامه بهــا (١) .

ولما مات الفضل بن ماهان قام ابنــه محمد مقامه ، وظــلّ على صلة طيبة بالخليفة العباسى المعتصم بالله .

وبعد محمد بن الفضل جاء أخوه ماهان بن الفضل .

وانقطع ذكر هذه الدولة ، حتى جــاء الغزنويون فاقتحموا هــذه المناطق ضمن ما اقتحموه فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى .

الدولة الهبارية بالسند ســنة ٢٤٠ هـ :

وتُنسب هذه الدولة إلى عمر بن عبد العزيز الهبارى الذى تحــدثنا عنه من قبل ، وقد استطاع هذا أن يقضى على العامل العباسى فى السند ، وأن يضع نفسه أميراً على الولاية ، وكتب للخليفة المتوكل بذلك ، فأقره على ولايته وبدأت بذلك الإمارة الهبارية .

وبعد وفاة عمر بن عبد العــزيز الهبــارى ســنة ٢٧٠ هـ تولى ابنــه عبد الله زمام الأمور فى الإمارة .

وبعد وفاة عبد الله تولى موسى بن عمــر الإمارة ســنة ٢٧١ هـ ،

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٣٣ .

وقد بعث الأمير ببعض الهدايا الهندية إلى المعتمد على الله (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ) الخليفــة العبــاسى .

وبعد موسى جاء حفيد عمر بن عبد العزيز واسمه عمر بن عبد الله ، وكان ذلك سنة ٣٠٣ هـ ، وعاصمة هذه الإمارات كانت تسمى « المنصورة » .

وقد عاشت هذه الإمارة حتى اقتحم السـلطان محمـود الغزنوى الهند وضمّ إماراتها لسلطانه حوالى سنة ٤١٦ هـ .

الدولة السامية بملتــان سنة ٢٧٩ هـ

كان أميرها محمــد بن القاسـم السـامى وقــد انتهـز فرصـة ضعف الخلافة العباسية وأعلن هذا الوالى استقلاله الداخلى فى الملتان .

ومن عيوب أمراء هذه الدولة أنهم أبقــوا على صنم الملتــان حرصاً على الثراء الضخم الذى كانوا يحصلون عليه عن طريق الذين يحجون لهذا الصنم من جميع أنحاء الهند (١) .

ويبدو أن هذه الدولة سقطت على يد النفــوذ الاسماعيلى الذى كان قد قوى فى هذه المنطقة عند ازدهار الخلافة الفاطمية بمصر وكان ذلك حوالى سـنة ٣٧٥ هـ .

الدولة الإسماعيلية فى ملتان حوالى سنة ٣٧٥ هـ :

ذكرنا من قبل أن الفكر الشيعى ظهر بالهنـد منـذ مطلع الخـلافة العباسية ، وكان ذلك على يد عبد الله الأشتر ، وقــد ضعف الفكر الشيعى عقب ذلك ، بسبب قضــاء الخلفــاء العباسـيين الأول على قادة الشيعة « محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ... »

---

(١) ابن رستة : الأعلاق النفسية ص ١٣٥ .

واتخـذ دعاة الشـيعة عقب ذلك « التقيّة » وسيلة لهم فأخـذوا ينشرون الدعوة سراً ، وكانت الملتـان منطقة نشاطهم السرى ، حتى لقى الفكر الشيعى قبولا لدى الكثيرين ، وفى حوالى سـنة ٣٧٥ هـ أصبحت الدعوة الشيعية علنية بعـد أن قامت الدولة الفاطمية فى مصر ، وأيدت الـدولةُ الفاطميةُ النشـاط الشـيعى فى اليمن وفى الهنـد ، ووجهت الدعـوةَ الشيعيةَ تجاه المذهب الفاطمى ، فأصبحت دعـوة إسماعيليةً واستطاعت هذه الدولة أن تُسقط الدولةَ السامية ، وأن تقوم على إثرها ، واعترفت الدولة الإسماعيلية بالفاطميين ، وكانوا يخطبون باسم الخليفة الفاطمى ، ويقول المقدسى فى ذلك : وأما الملتان فيخطبون للفاطميين ويتبعـون أمره ، وإليه تذهب هداياهم فى مصر ، وهو سلطان قوى . ويقول فى موضع آخر : وأهل ملتان شيعة يهوعلون فى الآذان (١) . أى يقـولون حى على خـير العمـل » .

ومن حكام الدولة الإسماعيلية جلم بن شيبان الذى لم يقبل أن تبقى أصنام الهند ومعابدهم فى إمارته فهدم المعبد وحوّله إلى مسجد يُخْطَب فيه باسم الخليفة الفاطمى (٢) .

وسقطت دولة الإسماعيلية على يد الغزنويين ، ولكنها عادت للحيـاة مرة أخرى عقب ضعف الغزنويين ، وامتد نشـاط الشيعة فشمل الملتـان والمنصورة حتى جـاء الغـورى فقضى على هذا النشـاط وكوّن الدولة الغـورية .

الدولة المعـدانية فى مكران سنة ٣٤٠ هـ :

تظهر مكران فى التاريخ الإسلامى فى القرن الرابع ويتزعمها رجل اسمه عيسى بن معدان ، ويُلقّب « مهـراج » ويقول عنه الإصطخرى : والمتغلب

(١) أحسن التقاسيم : ص ٤٨٠ .
(٢) المسالك والممالك : ص ١٧٧ .

على مكران رجل اسـمه عيسى بن معدان ولقبـه مهراج وذلك فى سـنة ٣٤٠ هـ (١) .

وتولى بعد عيسى ابنه معدان الذى توفى سنة ٤٢٢ هـ ، ثم حدث خلاف بين ولديه عيسى وأبى العسـاكر وكان النصر للأخـير بمساعدة الغزنويين كما يقـول ابن خـلدون (٢) .

وقد انقرضت دولة بنى معدان على يد السلطان غياث الدين الغورى .

تلك كلمة سريعة عن عصر الولاة والأمراء بمناطق الهند وقد جاء عقب ذلك زحف الغزنويين الذى قضى على هـذه الإمارات واتسـع اتسـاعاً كبيراً فى الهند كما سنرى فيما يلى :

المرحـلة الثالثـة :

العهـد الغـزنوى

تحدثنا من قبل عن قيام الغزنويين ، وجهود السلطان محمود بوجـه خاص ، وفتوحاته الواسعة ، وكان ضمن هذه الفتوحات زحفه إلى الهند ، وقد غزا محمود الغزنوى الهند سبع عشرة مرة خلال حكمه الطـويل ، فكانت كلّ سنة تقريباً تشهدُ إحدى غزواته لتلك البـلاد حتى خضـع له شمال شبه القـارة الهنـدية من غـزنه إلى بنارس ، ومن الهمـالايا إلى الدكن (٣) ، وامتدت بذلك مملكة محمود الغزنوى من بلاد فارس إلى بهار فى شرق الهند .

وهذا التوسع العظيم بشبه القـارة الهندية يحتـاج منا إلى بعض التفاصيل فقد كانت الهند قبل هذه الفتـوح منقسمة إلى إمارات وممالك متعددة وكان الشمال بوجه خاص منقسـماً بين أمراء كثيرين من الراجبوت يعترفون لراجا دلهى بالغلبة والتفوق، وكان هناك راجا قنوج وهو يملك إمارة

---

(١) البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٥٧٤ .
(٢) العبر : جـ ٤ ص ٤٧٣ .
(٣) دكتور الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية جـ ١ ص ٨٧ .

أودها وإمارة وادى الكنج ، وكان آل بال يملكون البنغال وبهار ، أما جنوب الهند فكانت تسيطر عليه إمارات هندوسية ثلاث هى : جيرا وراجول ، وبيندرا ، وكانت هذه الإمارات متحاربة وفى صراع دائم (١) .

ويذكر المؤرخ الهندى بانيكار (٢) أن الأمراء الهنود لم يخطر ببالهم أن زحفاً إسلامياً سيندفع نحو بلادهم ، فقد كانوا يعيشون فى طمأنينة كاذبة أفقدتهم الشعور بالخطر الذى كان يتجمع فى شمال إيران ، ولهذا كانت الغزوات الإسلامية آخر القرن الرابع الهجرى مفاجأة لهم .

وبينما كان شبه القارة الهندية يغط فى نومه كانت القوة الغزنوية تغلى وتبحث عن منفذ لنشاطها بقيادة البطل محمود الغزنوى ، وكان شبه القارة الهندية هو المنفذ الوحيد المناسب آنذاك للقضاء على الوثنية بالهند ، وذلك بعد أن أسلم الأتراك الشرقيون ، وغلب الإسلام على آسيا الوسطى ، وأسلم الغور والخوارزمية ، وكل هذا جعل أنظار المجاهدين المسلمين تتجه إلى شبه القارة الهندية (٣) .

ويضيف الأستاذ محمد حبيب أحمد إلى هذه العوامل ، عوامل أخرى فيذكر أن السلطان محمود الغزنوى شهد خيرات الهند أيام حملات أبيه ، ورأى أن فى الغرب أملاك الخليفة العباسى وهو لا يريد الزحف عليها ، وأن فى الشمال قوة تركية دخلت الإسلام وهى أشد تماسكا مما يجعل من الصعب قهرها ، وكل هذا وجه نشاط محمود الغزنوى تجاه الهند (٤) .

وبوجه عام يذكر ابن خلكان أن السلطان محمود الغزنوى بعد أن

---

(١) غوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) A Survey of Indian History p. 112.

(٣) دكتور حسن محمود : الاسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ص ٢٠٩ .

(٤) بين الهند وباكستان ص ٤٠ .

حارب فى جبهات إسلامية متعـــددة ، وأراق الكثير من الدماء الإسلامية ، اتجـــه للتكفير عن ذلك بمحـــاربة الوثنيين فى الهند (١) .

أما عن غزوات محمود إلى الهند التى يسميها المؤرخون « حوليات » فإننا نتجـــه بالحديث عن أشهرها وأهمّها فيما يلى :

أولى غزوات محمود كانت فى شـــهر المحرم سـنة ٣٩٢ هـ (نوفمبر ديسمبر ١٠٠١ م) وبهـــذا كانت هذه الغــزوة فى فصل الشتاء ، ولــكن شتاء الهند دافىء مما جعل غزوات محمود تتجـــه للشتاء بوجه خاص ليكون موعداً لها ، وفى هذه الغزوة التقى محمود بجيوش الملك (جيبال) وأسرع محمود بالهجوم قبل أن ينضم إلى الملك الهندى حلفاؤه الهنود ، وتمـــكن محمود من إحراز النصر وأسر الملك وحصل على غنائم كثيرة ، وقد أطلق محمود الملك الأسير نظير فدية ، ولكن الملك خضع لتقاليد الهند فتخلى عن الملك وحلق شـــعر رأســـه وانتحر (٢) .

وهناك غزوة أخرى مهمة حدثت سنة ٣٩٦ هـ واتجهت الى الملتان وكان يحكمها والٍ من بقايا غـــزاة المسلمين الذين استوطنوا هنـــاك ، ويسمى أبا الفتوح ، وكان يعتنق مذهب الباطنية ويدعـــو الناس إليـــه ، وهـــذا الاعتقاد الباطل دفع السلطان محمود أن يتجه إليـــه ، ولكن كانت هنـــاك مملكة تقـــع فى الطريق إلى الملتان هى مملكة (إنديال) وقد طلب السلطان محمود من حاكمها أن يسمح لجيوشه بالعبور إلى الملتان ، ولكنه رفض ، وبهذا اتجـــه محمود إلى القضاء عليه أولاً ، فانتصر على المملكتين وغنم غنائم كبيرة (٣) .

ومن غزوات محمود المهمة غزوته أمام تجمع هندى بزعامة الملك بيدا ، وكان هـــذا الملك قد اتصـــل بالملوك الذين استسلموا موبخـــاً ومشجعاً ،

---

(١) وفيات الأعيان : جـ ٢ ص ٨٥ .
(٢) محمد عبد الحميد رفاعى : الدولة الخوارزمية ص ٨٤ (رســـالة دكتوراه باشرافى) .
(٣) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ص ٧٢ وابن الأثير : جـ ٩ ص ٧٠ .

فاجتمعوا حوله ، وقبلوا قيادته ووعـدهم بإعادة أملاكهم ، بعـد طرد الغزنويين وقد أسرع السلطان محمود لمواجهـة هذا التجمـع ، وكان على جيشه أن يعبر نهراً عميقاً لمواجهة المتحالفين الذين اتخذ جيشهم مواقعـه خلف النهر ، وقد استطاع جنود السلطان محمود أن يعبروا هـذا النهـر مستخدمين القِرَبَ المنفـوخة أو متعلقين بأعناق الخيـل ، وكان النبّالة يحمونهم وقت العبور كما اسـتطاع هؤلاء النبالة من إصابة كثير من أفيال العدو وبعد معركة حاسمة كُتِب النصر للساطان محمود (١) .

ومن أشهر معـارك السلطان محمود معركته فى (سمنات) وكانت هذه الغزوة سنة ٤١٦ هـ وهى خاتمة غزواته فى بلاد الهند ، وفى هذه الغـزوة استولى محمـود على عدة مدن وحصـون ، ثم اقتحم المدينـة المقدسـة « سومنات » ودمّر صنمها الهـائل ، وقد حاول بعض الهنادكة أن يعرض على السلطان أموالاً طائلة على ألا يهدم هذا الصنم ، ولكنه رفض قائلا : إنه يفضـل أن ينعتـه الناس بأنه محطـم الأصنام على أن يصفوه بأنـه بائـع الأصـنام .

ويوضح القزوينى أن هـذا الصنم كان اسـمه « سَوَمنَاة » فقـد سمى باسم البلدة أو سميت البلدة باسمه ، ويذكر القزوينى أنه كان يوجد بهذه البلدة هيكل ضخم يوجد به هذا الصنم ، وكان الصنم معلقـا وسط الهيكل دون حامل يحمله من أعلى أو قائمة تحمله من أسـفل مما يجعـل من الممكن أن يسمى « الصنم الطائر » ، وكان يشاع ان الملائكة تحمـله ، فكان الهنود يحملون له أعظم القرابين والهدايا ، فلمـا اقتحم السـلطان محمود المدينة أخذ سكانها يتضرعون لهـذا الصنم أن ينصرهم ولكن هيهات واستولى المسلمون على الحلى والجواهر التى كانت تزيّن الهيكل ، ووقف السلطان فى دهشة أمام الصنم المعلق ، وتأكد أنه ليس هناك حامل من أعلى ولا من أسفل ، وجمع السلطان حوله العلماء ليروا رأيهم قبـل أن يهـدم الصنم ، فقال أحد العلماء ان القبة من حجر المغناطيس والصنم من الحديد ،

---

(١) محمد عبد المجيد رفاعى : المرجع السابق ص ٩١ بتصرف .

والصانع بالغ فى تدقيق صنعته ، وراعى تكافؤ قوة المغناطيس من كل الجوانب ، فوقف الصنم فى الوسط يخدع الناس ، ويرهن على ذلك برفع بعض الحجارة من الهيكل ، فمال الصنم إلى أحد الجوانب ، ولما رفعت أحجار كثيرة من الهيكل سقط الصنم ثم تمّ تدميره (١) .

وقد تمكن خلفاء محمود الغزنوى من القيام بعدة غزوات أخرى ، ففتح مسعود الأول قلعة هانى سنة ٤٢٨ هـ ، وكانت تسمى « القلعة العذراء » إذ لم يتمكن أحد من فتحها قبل ذلك .

وتمكن ابراهيم بن مسعود من الاستيلاء على قلعة « أجودو » وكذلك على قلعة « رويال » التى كان بها بعض بقايا الآريين (٢) .

ويؤخذ على الغزنويين فى فتوحاتهم بالهند ما يلى :

أولا — لم تكن فيهم سماحة الجيل الأول من المسلمين ذلك الجيل من العرب الذى كان يتحاشى الدماء بقدر الإمكان . وذلك هو الفرق بين حملة الإسلام من العرب وحملته من الأتراك ، وكانت فلسفة الغزنويين تتجه كما يصفها توماس أرنولد إلى الدعوة للإسلام أولاً ، فلما كان الهندوس يرفضونها كان السلطان المسلم يرى أن الفتح فتح عنوة ، يستبيح الفاتحون ما يملكه المغلوبون من كنوز وثروات (٣) .

ثانيا — لم يستقر الغزنويون فى الهند ، وكانت حروبهم انتصاراً يعقبه عودة المنتصرين إلى غزنة التى مثلت دائماً حلمهم الجميل .

ومن أفضال الغزنويين على الهند أنهم وضعوا الأساس لقيام دولة موحدة بدل الدويلات والإمارات الكثيرة التى كان يحكمها حكام متعادون متصارعون ، وقد جعل الغزنويون من الهند ولاية واحدة تشمل الإمارات

---

(١) القزوينى : آثار البلاد واخبار العباد ص ٩٦ — ٩٧ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص ٤٢ .
(٣) الدعوة الى الاسلام : ص ٢٨٨ .

الإسلامية التى كانت موجـودة قبلهم ، كما تشمل المناطق الكثيرة التى فتحها الغزنويون ، وعيَّن الغزنويون على هذه الولاية والياً من قبلهم ، كما وكلوا شئون الخراج لعامل الخراج الذى جعلوه مستقلا عن نفوذ الوالى (١) •

وقد اهتم الغزنويون اهتماماً كبيراً بنشر الإسلام بالهند ، وكان محمود الغزنوى يَعُدّ نفسه داعية إسلامياً ، وعندما سأله مندوب أحد ملوك الهندوس السؤال التالى : أى رجل أنت ؟ كانت إجابته إنى رجل أدعو إلى الله وأجاهد من خالف دين الإسلام من عبدة الأوثان ، وسأله المندوب : فماذا تريد منا ؟ أجاب : أن تتركوا عبادة الأصنام وتتعرفوا على دين الله • وكان الغزنويون يعينون معامين ودعاة فى كل منطقة يفتحونها ،

وكان مما سبب انتشار الإسلام فى الهند أن الغزنويين شجعوا على التزاوج بين الجيش الفاتح وبين الهنديات ، فكونوا بذلك أسراً إسلامية بالهند ، كما قربوا لهم عدداً من الهنود وعينوهم فى وظائف مناسبة ، مما قرّب المسافة بين الفاتحين والبلاد المفتوحة •

الهنود فى مجال الحضارة الإسلامية :

وقد لعب عدد من الهنود أدواراً مهمة فى الحضارة الإسلامية ومن هؤلاء أبو عطاء السندى الذى نبغ فى الشعر نبوغاً عظيماً ومدح به خلفاء بنى أمية وأوائل الخلفاء العباسيين ، ومنهم كذلك ابن الأعرابى وكان من أعلام اللغة العربية ، وهو مؤلف كتاب أسماء الخيل ، ومنهم أبو معشر السندى صاحب المغازى ، ومنهم الفزارى الذى نبغ فى علم الفلك ، ومنهم صالح بن بهلة الهندى وكان بارعاً فى الطب (٢) •

وإذا كانت هذه الأسماء اللامعة ترجع إلى عصور الإسلام الأولى

---

(١) البيهقى : تاريخ البيهقى الترجمة العربية للدكتور يحيى الخشاب ص ٥٨٠ •

(٢) الذهبى : سير اعلام الاسلام •

فى الهند فإن العصر الغزنوى ضاعف الارتباط بين الهنود وبين المسلمين ، وفتح الباب أمام الهنود ليبرعوا فى الفكر الإسلامى ، وليكتبوا فى مجالاته المتعددة حتى وجدت منافسة بين مدرسة الهند والمدارس العلمية فى القاهرة وبغداد (١) .

المرحلة الرابعة :

الغوريون الأفغان :

تحدثنا من قبل عن الغوريين فى أفغانستان ، وكان عصرهم هناك قصيرا ، أما الغوريون هنا فى الهند فكان دورهم عريضا ، فإنه عندما ضعف الغزنويون فى آواخر عهدهم ، قفز أمراء الهنادكة لسلب السلطة ، واستعادة النفوذ ، كما هبّ الإسماعيلية لإثارة الاضطرابات والفتن (٢) .

وكان الغوريون يَعُدّون أنفسهم الورثة الحقيقيين لهذه المناطق من العالم الإسلامى فهبوا للقضاء على بقايا الغزنويين الذين لم يَعُد فى طاقتهم حراسة الأرض الإسلامية ، وكذلك للقضاء على امراء الهنادكة الذين انتهزوا فرصة ضعف الحكام المسلمين فتحركوا للنيل من الإسلام والمسلمين .

وكان الغوريون قد أقاموا سلطانهم فى أفغانستان بزعامة السلطان غياث الدين ، بعد القضاء على الغزنويين بأفغانستان ، ثم أرسل غياث الدين أخاه شهاب الدين إلى الهند ليقضى على آخر امراء الغزنويين ، وليرد تمرد الهنادكة ، فزحف شهاب الدين إلى لاهور وكان بها تاج الدين خسرو آخر سلاطين الغزنويين الذى اتخذ منها عاصمة لبقايا ملك الغزنويين وقد استطاع شهاب الدين أن يقبض على خسرو وأن يبعث به إلى غزنة ، وانتهى بذلك ملك الغزنويين ، ثم اتجه شهاب الدين لتوطيد سلطان الغوريين فى الهند فبذل لذلك جهداً كبيراً حتى تمّ له خضوع الهند الشمالية كلها من السند والبنجاب إلى البنغال ثم شملت سلطاته جميع

---

(١) Majurmbar and others : Advanced History of India p. 402.

(٢) الدكتور الساداتى : المرجع السابق ص ٨٦ .

المناطق التى كانت خاضعة لمحمود الغزنوى بالهند ، ولما مات غياث الدين سنة ٥٩٩ هـ أخذ شهاب الدين (محمــد الغورى) مكانه ، فأصبح ملكا لأفغانستان والهند ، وسار فى الهند يكمل زحفــه ونشــاطه حتى أصبح شبيها بمحمود الغزنوى فى نجاح فتوحاته بالهنــد وفى تحطيم أصنامها وجذب كثيرين من سكانها لدين الإسلام .

ومن علماء عصره الفخر الرازى صاحب التفسير القرآنى المعروف ، وكان الفخر الرازى يعظ فى دار شهاب الدين ،وكان هذا يجلس أمامه جلسة المريد ويبكى لعظاته وحكمه (١) .

وكان شهاب الدين ملكا عادلا حسن السيرة ، فكان يقعد مع القاضى حتى يفصــل قاضيه فى الخصومات بحضوره ، ومن مــات من رعيته وعليــه دين وفىّ عنه الدين ان عجزت ثروته عن الوفاء (٢) .

وقد وفد إلى الهند فى عصره الصوفى الشهير بالهند « معين الدين شيستى » واستقر فى « آجمير » بعد تجوال طويل ويقــال أنه دخــل الإسلام على يده عدة ملايين من الهنود ، ولكن قبر معين الدين شيستى أصبح لدى أتباعه ومريديه المتأخرين كعبة يحجون لها كما يحج المسلمون إلى البقاع المقدسة بالحجاز معتقدين أن من لم يستطع الحج إلى مكة المكرمة يكفيه أن يحج لهذا الضريح (٣) .

وعندما عاد شهاب الدين محمد الغورى إلى غزنة ترك بالهنــد قائده قطب الدين أيبك لإدارة تلك البلاد الشاسعة ، فاستطاع قطب الدين أن يملأ هذا الفراغ بقــدره هائلة ، فزاد فى الفتوحات كمــا هيأ مزيداً من الاستقرار بالبــلاد .

---

(١) ابن الأثير جـ ٢ ص ٨٤ .
(٢) القزوينى : آثار البلاد واخبار العباد ص ٤٣٠ .
(٣) انظر ما كتبناه عنه أخذا من الوثائق بكتابنا المجتمع الاسلامى .

المرحـــلة الخامسة :

ســـلاطين دلهى

لم يترك شهاب الدين محمد الغـــورى وريثاً للعرش ، ولذلك فإنه عندما مات سنة ٦٠٢ هـ أعلن قطب الدين نفسه سلطاناً على الهنـــد وكان قطب الدين جديرا بذلك ، فقد عُرِفت فيـــه أسمى الخصـــال وأعظم السجايا قيادة وإدارة ، وكان فى حياة سيده محمد الغورى موضع الثقة والتقدير ولما عهد له الغورى بإدارة الهند قبل أن يغادرها الغورى ، عمل قطب الدين على مزيد من توسيع الرقعـــة الإســـلامية كمـــا قام ببعض المنشآت العمرانية ، ولذلك كان جديراً به أن يصبح السلطان المســـلم عقب وفاة محمد الغورى ، وبدأت بذاك دولة المماليك فى الهند •

وبابتداء دولة المماليك ، بدأت أسر حاكمة فى الهند وحدها واستمر حكم الهند بواسطة هذه الأسر أكثر من ثلاثة قرون وبالضبط من ســـنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٦ م) إلى ســـنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٦ م) إلى أن قامت بالهنـــد إمبراطورية المغـــول الكبرى سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٦ م) التى ظلت حـــتى استولى الإنجليز على الهنـــد ، ثم أعلنت الملكة فيكتوريا إلحـــاق الهنـــد بالممالك البريطانية ، وكان ذلك سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧) كما سنرى فيما بعد •

والأسر الخمس التى حكمت الهنـــد فى الفـــترة من الغـــوريين إلى المغـــول هى :

١ ـ المماليـــك	٦٠٢ ـ ٦٨٦ هـ	(١٢٠٦ ـ ١٢٨٧ م)
٢ ـ الخلجيـــون	٦٨٩ ـ ٧٢٠	(١٢٩٠ ـ ١٣٢٠)
٣ ـ التغلقيـــون	٧٢٠ ـ ٨١٥	(١٣٢٠ ـ ١٤١٢)
٤ ـ السادات (الخضرخانية)	٨١٧ ـ ٨٤٧	(١٤١٤ ـ ١٤٤٣)
٥ ـ اللـــوديون	٨٥٥ ـ ٩٣٢	(١٤٥١ ـ ١٥٢٦)

ويلاحظ على حـكم هذه الأسر ما يلى :

أولا : كانت هناك فترات اضطراب وفراغ أحيانا بين سـقوط أسرة وقيـام أخـرى •

ثانيا : اتخذت هذه الأسر الخمسة (دلهى) عاصمة لها ولذلك تسمى هذه الأسر بسلاطين دلهى •

ثالثا : خلال حكم هـذه الأسر ظهـرت فترات ضعف كثيرة أتاحت الفرصة لاستقلال بعض المنـاطق عن حكومة دلهى ، وقيـام أسر حاكمة متعددة فى تلك المناطق ، وكان يحدث أن يقوى سلاطين دلهى فيستردون سلطانهم على هذه المناطق التى كانت قد أعلنت استقلالها ولكن سرعان ما يظهر الضعف من جديد على سلاطين دلهى فتعود هـذه المناطق إلى الاسـتقلال مـرة أخـرى •

وأشهر الدول التى قامت فى الأقاليم الهندية هى : البنغال وجنبور ومالوه وكشمير وكجرات وخاندش والدكـن •

وسنذكر فيما يلى سـلاطين كل دولة من الدول الخمس الكبرى ، ثم نتحـدث عقب ذكـر قائمة سـلاطين كلّ دولة عن أبرز الأحـداث خـلال حكمهـا •

١ ـ سـلاطين المـاليك فى دلهـى

قطب الدين أيبـك	٦٠٢ هـ = ١٢٠٦
شمس الدين ايلتمش	٦٠٧ = ١٢١٠
رضية خاتـون	٦٣٣ = ١٢٣٧

معز الدين بهـــرام شـــاه	٦٣٧	= ١٢٤٢
ناصر الدين محمـــود شـــاه	٦٤٤	= ١٢٤٦
غياث الدين بلبـــان	٦٦٤	= ١٢٦٥
معز الدين كيقبـــاد	٦٨٦	= ١٢٨٧(١)

وفيما يلى بعض المعلومات عن دولة المماليك بالهند :

عهد المماليك هو بدء استقلال الهند الإســلامية ، فقبل المماليك كانت الهند تابعة لـمُلك الغزنويين أو الغوريين ، ولكن المماليك استقلوا بالهنـد ولم يكن لهم وطن سواها وبهذا استقر ثراء الهند فى الهند ، وأصبح الحاكم والمحكوم إنسانا هندياً يعمـل لرفعة شـأن بـلاده ويكدح لضـمان ازدهارهـا .

وكان قطب الدين أول سـلاطين المماليك بالهنـد مثـالا للعـدالة والشهامة والكرم ، وقد قام بكثير من الإصلاحات وبنى المسـجد الكبير بدلهى الذى اشتهرت منارته باسم « قطب مينـار » أى منـارة قطب ، وتقع بجانبهـا بوابـة علاء الدين المعـروفة فى الهنـد باسم « علائى دروازه » (٢) وبنى كذلك مسجداً آخر فى آجمـير .

وقد اهتم قطب الدين بتحسـين صلته بالهنادكة ، واستطاع بهيبته أن يجعل الأمن يعمّ البـلاد .

وعندما توفى قطب الدين أيبك سنة ٦٠٧ دون أن يكون له أبنـاء كان شمس الدين ايلتمش أجـدر من يصـبح خلفاً له ، فقـد كان مملوكاً له وتربّى تحت رعايته حتى أصبح أهم قواده ، وقـد زوجه قطب الدين ابنتـه ، وكان طبيعياً أن يخلفـه ، وقـد اجتمـع لـه الفقهـاء وقاضى القضـاة ونظروا له نظرة فهمها ايلتمش فأخـرج لهم من تحت البساط

(١) لين بول : معجم الأسرات الحاكمة جـ ٢ ص ٦٠٣ .
(٢) دكتور عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ص ١٠٦ .

الذى يجلس عليه وثيقة عتقه ، فقرأها القاضى والفقهاء وبايعــوه عقب ذلك وبايعه الناس واستقل بالملك ، وكانت مدته عشرين سنة ، وكان عادلا صالحا فاضلا ، ومن آثاره أنه اشتد فى ردّ المظالم وإنصاف المظلومين (١) .

وقد اســتطاع أيلتمش أن يُخْضِع الذين ثاروا عليه فى الســند والبنغال كما قهر الهنادكية الذين طمعوا فى الاستبداد ببعض المنــاطق ، وحصل على تصديق من الخليفة ببغداد بقيام أول دولة إسلامية بالهند ، وأن يكون حاكمها أيلتمش وقد وصـــل من العظمة أمــداً جعــل الدولة تسمى باسمه (الدولة الأيلتمشية) (٢) .

وفى عهده أسقط المغول الدولة الخوارزمية ، وفرّ جلال الدين حاكمها يرجــو العون من أيلتمش فتعرضت البنغال لذلك لهجــوم كنجيزخان سنة ٦١٣ ولكن لم يطل مقام جنكيزخان فى الهنــد وبخاصــة أن أيلتمش لم يتورط فى الدفاع عن حاكم الدولة الخوارزمية — ولئن نجت الهنــد من جنكيزخان فقد استمرت هدفاً للمغول يطرقون بابها ويدخلونهــا من حين إلى آخــر حتى آل أمرها إليهم كما سنرى فيما بعد .

وعنــد وفاة شمس الدين كان له من الأبنــاء ثلاثة هم ركن الدين ومعز الدين وناصر الدين ، وكان له بنت اسمها « رضــية » وقــد تولى ركن الدين بعد أبيه ، وسرعان ما قتل أخــاه معز الدين ، فاستنجدت رضية بالناس فقبضوا عليه وقتلوه قصاصا ، وكان الأخ الثــالث صغيرا فبايعها الناس بالسلطان ، وحكمت مدة أربع سنوات قادت خلالها حملات ناجحة ضد الأمراء الذين ثاروا عليها من مسلمين وهنادكة ، وكانت تجوب الأسواق وتستمع لشكاوى الناس ، ثم غلبت عليها أنوثتها ، فأحبت أحد عبيدها من الأحباش فثار عليها الزعماء وعزلها القواد (٣) .

---

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار جـ ٢ ص ٢٥ .
(٢) لين بول : المرجع السابق ص ٥٩٨ .
(٣) ابن بطوطة : المرجع السابق ص ٢٦ .

وبعد رضية حدثت ارتباكات ومنازعات ومناقشات انتهت بسلطة ناصر الدين محمود ، وكان حاكماً صالحاً يسير على نمط الخلفاء الراشدين وكان له وزير صالح هو غياث الدين بلبان وليس هذا من نسل أيلتمش وقد طال حكم ناصر الدين فبلغ عشرين عاما ، وعقب وفاته استبد وزيره بالسلطة فأصبح سلطان البلاد وقد استطاع بلبان أن يرد غارات المغول عن الهند وأن يقضى على منافسيه واشتهر بلبان بحب الخير وحسن استقبال الأمراء الذين كانوا يفرون من المغول ، وكان يبنى لهم منازل مناسبة ويغدق عليهم •

وبعد بلبان حكم كيقباد وهو حفيد بالبان وكان والده بفراخان حاكماً فى البنغال ، وقد حدث صراع بين الوالد وأبيه ولكنه انتهى بالصلح •

وكان كيقباد يميل للهو والشرب ففقد صحته ومكانته وانتهى الأمر بانتقال السلطة إلى أسرة الخلجى التى سنتحدث عنها فيما يلى :

٢ — سلاطين الخلجية

أورد لين بول قائمة السلاطين الخلجية مترددا وبدون جزم ، وفيما يلى ما ذكره لين بول (١) :

جلال الدين فيروز شاه	٦٨٩ هـ = ١٢٩٠
ركن الدين ابراهيم شاه	٦٩٥ هـ = ١٢٩٦
علاء الدين محمد شاه	٦٩٥ = ١٢٩٦
شهاب الدين عمر شاه	٧١٦ = ١٣١٦
قطب الدين مبارك شاه	٧١٦ = ١٣١٦
ناصر الدين خسرو شاه	٧٢٠ = ١٣٢١

(١) معجم الأسرات الحاكمة حـ ٢ ص ٦٠٥ •

والخلجيون هم مؤسسو الأسرة الإسلامية الثانية التى حكمت فى دلهى وقد وسع هؤلاء نطاق المنطقة الإسلامية بالهند فشملت الدكن فيما وراء جبال ويندهيا وأصبحت الدكن ولاية مرتبطة بدولة دلهى كما امتد سلطانهم إلى البنغال فقد فتح علاء الدين منطقة الكجرات سنة ٦٩٦ هـ ومنطقة جيتور سنة ٧٠٣ هـ ، ثم استولى قواده على مدينتى (إديوكير) و (رينكل) .

وكان قيام دولة السلاطين الخلجية على يد جلال الدين فيروز شاه الذى كان نائباً لكيقباد إذ رفض تولية الطفل ابن « كيقباد » بعد أبيه واستولى على السلطة لنفسه وبذلك انتقلت السلطة من أسرة إلى أسرة ، وكان جلال الدين واسع الأفق مشهوراً بالحلم والكرم ، ومع هذا فقد كانت نهايته أليمة إذ قتل غدراً بمؤامرة دبرها ابن أخيه وزوج ابنته علاء الدين الذى اشتهر باسم اسكندر الثانى وقد بذل هذا جهداً فى التنكيل بأسرة عمه ، وبخاصة بابن عمه ركن الدين الذى حاول أن يتولى السلطة بعد أبيه ولكنه فشل ، وفى أيام علاء الدين زحف المغول على الهند ، ولكن علاء الدين استطاع أن ينتصر على المغول وأن يقتل منهم عدداً كبيراً، ويلقى بهم تحت أرجل الفيلة ، وكان اتساع الدولة الإسلامية بالهند فى عهد علاء الدين ، وانتصاراته الحاسمة على المغول مما جعله يلقب بالإسكندر الثانى .

وكان علاء الدين قاسياً فى معاملة من تحوم الشبه حولهم من الرعية ، وبخاصة من أسرته ، ولعل موقفه من عمه زرع فى نفسه بذور الشك نحو أقاربه .

وبعد علاء الدين قامت ألوان من الصراع بين أولاده فنكل بعضهم ببعض ، ولم يكونوا جديرين بالسلطة ، مما جعل الدولة ينفك عقدها ، فقفز للسلطة أحد القواد واسمه (خسروخان) وأخذ يقتل ويدمر ، مما دفع سكان دلهى إلى الاستعانة بحاكم لاهور (طغلق) ، وقد انتهز هذا تلك الفرصة فزحف إلى دلهى وقضى على خسروخان ، وأسس طغلق دولة جديدة هى الدولة الطغلقية التى سنتحدث عنها فيما يلى :

٣ — الدولة الطغلقية

حكمت الدولة الطغلقية بلاد الهند حوالى مائة عام وسلاطينها هم :

غياث الدين طغلق شاه الأول (طغلاق)	٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م
محمد بن طغلق	٧٢٥ هـ = ١٣٢٥ م
فيروز شاه	٧٥٢ هـ = ١٣٥٠
غياث الدين طغلق شاه الثانى	٧٩٠ = ١٣٨٨
أبو بكر شاه	٧٩١ = ١٣٨٩
محمد شاه	٧٩٢ = ١٣٩٠
اسكندر شاه	٧٩٦ = ١٣٩٤
محمود شاه	٧٩٧ = ١٣٩٤
نصرت شاه	٧٩٧ = ١٣٩٤
محمود شاه (المرة الثانية)	٨٠٢ = ١٣٩٩
دولت خان اللودى (١)	٨١٥ = ١٤١٢

وغياث الدين طغلق مؤسس هذه الدولة كان من الأتراك الذين يسكنون بين بلاد السند والترك ، وفد إلى السند مع جماعة من التجار ، والتحق بحاشية أمير السند ثم ترقى حتى وصل إلى منصب كبير بين رجال البلاط ، وقد ظهرت كفاءة طغلق فى الحروب ضد المغول حتى سُمِىَ « الغازى » ويقول ابن بطوطه (٢) : إنه دخل المسجد الجامع بملتان • فوجد مكتوبا على مقصورته : إنى قاتلت التتار تسعاً وعشرين مرة فهزمتهم ، وحينئذ سميت « الملك الغازى » وقد استطاع طغلق أن يقضى على خسرو آخر ملوك الدولة الخلجية كما ذكرنا من قبل •

---

(١) لين بول : معجم الأسرات الحاكمة جـ ٢ ص ٦٠٦ .

(٢) ابن بطوطة : مختصر رحلة ابن بطوطة جـ ٢ ص ٣٦ .

ولم يطل عهد غياث الدين إذ تآمر ابنه عليه ، وقضى عليه وجاء بعده هذا الابن الذى نقل عاصمة البلاد من دلهى إلى مدينة (ديوكير) وسماها (دولت أباد) ، ولكن الخلاف والتوتر كانا بارزين بين السلاطين وكانت حركات العصيان مستمرة مما قلل نفوذ العاصمة، ودفع للتفكك واستقلال كثير من الولايات ، وهذا كله آذن بنهاية الدولة الطغلقية .

بقى أن نذكر أن ابن بطوطه زار هذه الدولة فى عهد محمد بن طغلق شاه ، وسجل ما رآه من كرم خارق لهذا السلطان ، ومن قسوة بالغة ارتكبها كذلك ، ويقول عنه ابن بطوطة إنه أحبُّ الناس فى إسداء العطايا وإراقة الدماء ، فلا يخلو بابه من فقير يغتنى أوحىٍّ يُقتل ، وقد اشتهرت فى الناس حكاياته فى الكرم والشجاعة ، وفى الفتك والبطش ، ويروى ابن بطوطة نماذج متعددة من الجانبين (١) .

ولعل هذا التصرف كان هو الذى وضع أساسا لاضمحلال هذه الدولة واتساع الاضطراب فيها ومن أخطر أعماله التى قام بها انه أخلى مدينة دلهى من السكان ، وقضى عليها بالخراب والدمار ، مما يدل على حمق فى الرجل ، واضطراب فى عقله ، وقد حاول فيروز شاه أن يصلح مما فعله سلفه فواسى المنكوبين ، وخفف عن الرعية ما عانوه من ضغط محمد بن طغلق ، وقام بمشروعات عمرانية واسعة وغير ذلك من الأعمال الطيبة مما جعل الحياة تدبُّ من جديد فى الدولة الطغلقية ، وقد طالت مدته فبلغت حوالى أربعين عاما وقد سجل التاريخ له صورة مشرفة .

وبعد فيروز شاه حدثت اضطرابات فى خلفائه ، وماجت الهند بالخلافات ثم حدثت حادثة بعيدة الخطر فى الدولة الطغلقية وفى تاريخ الهند بوجه عام ، وهى هجوم تيمور لنك على الهند ، ذلك الهجوم الذى سنتحدث عنه بعد قليل .

---

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار جـ ٢ ص ٤٠ وما بعدها .

وأكثر سلاطين بنى طغلق كانوا يحرصون على توثيق صلتهم بالخلافة العباسية التى كانت القاهرة مركزها آنذاك بعد سقوط بغداد ، وكان سلاطين بنى طغلق يحرصون على توطيد سلطانهم بنيلهم اعتراف الخليفة العباسى ، وقد أرسل السلطان محمد بن طغلق رسالة إلى الخليفة بالقاهرة ومعها ألوان من الهدايا الثمينة ، وطلب منه إقراره على السلطان فى بلاد السند والهند فوافقه الخليفة وأرسل له وثيقة بذلك مع أحد الشيوخ ، ولما قدم هذا الشيخ على السلطان محمد بن طغلق أكرمه السلطان إكراما عظيماً وأعطاه أموالا طائلة وهدايا ثمينة وقد بلغ الأمر بسلاطين بنى طغلق إلى الاعتقاد بأن الحكم بدون إقرار الخليفة العباسى غير شرعى وأن الذى يحكم بدون موافقة الخليفة يكون مغتصباً ، وتنفيذاً لهذا الاعتقاد أمر السلطان أن يزال اسمه من النقود ويكتب اسم الخليفة بدلا منه (١) .

تيمور لنك
فى الهند

تدفق المغول من بلاد منغوليا واتجهوا إلى القضاء على الدولة الخوارزمية ، ثم الزحف على إيران فالعراق فالشام ..... ، ومن جهة أخرى اتجهوا إلى الزحف على الهند وقد درسنا ذلك بتفصيل كاف فى الجزء السابع من هذه الموسوعة ، وفيما سبق فى هذا الجزء عند دراستنا عن المغول .

وعندما كان المغول يدمرون بلاد ما وراء النهر ، وبلاد إيران والعراق ، وبخاصة عند زحفهم الذى انتهى بتدمير العاصمة الإسلامية بغداد ، سنة ٦٥٦ هـ كان السكان يفرون من وجههم ويلجأون إلى الهند فى عهد السلطان غياث الدين بلبان ، أو يلجأون إلى مصر فى عهد السلطان بيبرس ، وكان المغول آنذاك من عباد الطبيعة ، أو ممن لا دين لهم .

---

(١) ضياء الدين برنى : تاريخ فيروز شاه ص ٤٩٢ نقلا عن رسالة الماجستير التى أعدها محمد يوسف النجرامى باشرافى ص ١٧١ .

وجاءت الجولة المغولية الثانية بقيادة تيمور لنك فاستولى على بلاد ما وراء النهر وأفغانستان وإيران والعراق والشام ، واصطدم بالدولة العثمانية ، وحقق عليها ألوانا من النصر ، وفى هذه الجولة دخل تيمور لنك الهند وكان ذلك فى أواخر عهد الأسرة التغلقية أى حوالى نهاية القرن الثامن الهجرى ومطلع القرن التاسع .

وقد اتخذت هذه الجولة المغولية مظهراً جديداً إذ أعلن تيمور لنك أنه مسلم ، وأنه يزحف باسم الإسلام لمحاربة أعدائه الهنادكة ، وتطهير بلاد الهند من الأصنام والمعابد ، وتبعاً لذلك الادعاء كان تيمور لنك يزور قبور الأولياء والصالحين ويتظاهر بالتعبد فيها ، وينتقم من الهنادكة الذين نسب لهم العدوان على المسلمين .

وقد اكتسح تيمور لنك بلاد الهند ، ووصل إلى دلهى ، وقبض على آلاف الأسرى الهندوس كما جلب حشداً من الأموال والمتاع .

ولم يطل بقاء تيمور لنك بالهند ، بل سرعان ما خرج منها بعد فترة قصيرة قانعاً بالغنائم والأسلاب ، والحلى والمجوهرات التى حصل عليها متجهاً إلى البلاد الإسلامية التى أشرنا اليها وتاركاً بلاد الهند تعانى من التخريب والتدمير الذى نزل بها خلال هذا الزحف ، وبخاصة مدينة دلهى التى تعرضت لحملة طائشة من السلب والنهب والقتل قام بها جنود تيمور لنك .

وبعد خروج تيمور لنك حاول محمود شاه الثانى ومعه وزيره إقبال أن يستعيدوا سلطة الطغلقيين ولكن هذه الأسرة كانت قد فقدت سلطانها ، مما لم يعط فرصة لانتعاشها من جديد ، ومما آذن بقيام دولة جديدة فى دلهى ستكون موضع حديثنا فيما يلى .

٤ ـ دولة السادات

لم تكن دولة السادات طويلة العمر فى دلهى بل حكمت هذه المنطقة حوالى ثلاثين عاما فقط وكان نفوذ الدولة محدودا ، اذ استقلت أغلب الولايات ، وقد بدأت هذه الدولة بالسلطان (خضرخان) حاكم لاهور الذى زحف إلى دلهى سنة ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) مدعياً أنه نائب عن تيمور لنك ، ولعله كان بذلك يصانع المغول حتى لا يتعرض لبطشهم ، وسلاطين السادة الخضرخانية هم :

السيد خضرخان	٨١٧ هـ = ١٤١٤ م
السيد مبارك شاه بن خضرخان	٨٢٤ = ١٤٢١
السيد محمد شاه حفيد خضرخان	٨٣٧ = ١٤٣٤
السيد عالم شاه بن محمد شاه (١)	٨٤٧ = ١٤٤٣

وفى عهد عالم شاه كانت سلطة دلهى قد تقلصت فلم تعد تشمل إلا مدينة دلهى وحدها ، ويروى أن المؤرخين كانوا يتندرون بحكم هذه الدولة فيقولون (ملك شاه عالم من دلهى إلى بالم) (١) وبالم مكان من أطراف دلهى ، وقد سقطت هذه الأسرة فى عهد عالم شاه واستولى على السلطة أسرة جديدة هى أسرة اللوديين التى كانت تحكم لاهور وسنتحدث عنها فيما يلى :

٥ ـ اللوديون

اللوديون أسرة كانت حاكمة فى لاهور كما ذكرنا من قبل وملوكها فى دلهى هم :

بهلول اللودى	٨٥٥ هـ = ١٤٥١ م
اسكندر بن بهلول	٨٩٤ = ١٤٨٨ م

(١) لين بول : معجم الأسرات الحاكمة ج ٢ ص ٦٠٧ .
(١) نقلا عن تاريخ الاسلام فى الهند للدكتور عبد المنعم النمر ص ١٤٨ .

ابراهيم بن اسكندر ٩٢٣ = ١٥١٧
إلى ٩٣٢ = ١٥٢٦(٢)

وكان نفوذ المسلمين قد تعرض للهوان فى دلهى وكثرت الاضطرابات فى عهد شاه عالم ، فزحف بهلول اللودى من لاهور إلى دلهى ، وأحسن الأفغان فى دلهى استقباله وبايعوه زعيما لهم ، وفرّ شاه عالم من الميدان وأخلى الطريق للأسرة اللودية ، وقد اتسع نفوذ دلهى فى عهده ، واستعاد لها مكانتها فى الهند ، كما دفع نشاطه فى ناحية الجنوب فوصل إلى أعماق الهند ووسطها وكان الرجل بجانب شجاعته محباً للعلم والعلماء ، وقد طال عهده مما هيأ له نجاحا عظيما فى مهمته ، وبعد وفاته وتولية ابنه اسكندر شاه قام صراع بين هذا الابن وبين أخيه (باريك) ولكن اسكندر حقق النصر على أخيه ، وكان اسكندر حريصاً على شرقى الهند حرصه على غربيها ، فانتقل الى أكرا واتخذها عاصمة له ، ونزل حياً من أحيائها لا يزال يحمل اسمه حتى الآن (اسكندره) .

وبعد اسكندر جاء ابنه ابراهيم ، ولكن عهده حفل بالثورات والاضطرابات والاغتيالات واستقلال الولايات فاستنجد بعض الزعماء بالحاكم التيمورى بابر الذى كان يسيطر على أفغانستان ويتخذ من كابل عاصمة له .

وقد انتهز بابر هذه الفرصة فزحف إلى الهند ليكوّن بها امبراطورية المغول العظيمة التى دامت حوالى ثلاثة قرون ، وستكون هذه الإمبراطورية موضوع حديثنا التالى .

---

(٢) لين بول : معجم الأسرات الحاكمة جـ ٢ ص ٦٠٨ .

المرحـــلة الســـادسة :

امبراطورية المغـــول فى الهنـــد

ومؤسسها « بابـــر »

٩٣٢ — ١٢٧٥ هـ = ١٥٢٦ — ١٨٥٨ م

ولد بابر (مؤسس أمبراطورية المغـــول فى الهنـــد) ســـنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) ، وكان مولده فى فرغانة ، وأمه قتلق نيكار خانيم (هانم) ، وسمى الوليد ظهير الدين محمد ، ثم أطلق المغول لقب « بابر » لسهولته عليهم فى النطق ، وتمتزج فى بابر دماء الأتراك بدمـــاء المغـــول ، فأبوه حفيد تيمور لنك الذى يجرى فى عروقه دمُ الأتراك ، وأمه من أحفاد جغتاى ثانى أبناء جنكزخان ، وكان بابر يعتز بتركيته ، وينفر من المغولية التى عُرفت بالتدمير ، ولكن شاع فى الهند أن بابر زعيم المغول ، وأن أمبراطورية المغول فى الهند بدأت به ، إذ اتجه الهنود الى إطلاق كلمة « مغول » على الغزاة الأشـــداء ، كما كانت لفظة « مغول » تدلُّ على الأبهة والعظمة (١) .

وقد فقد بابر أباه وهو فى الثانية عشرة من عمره ، وحـــاول أعمامه الاستيلاء على ملك أبيه ، ولكنه قاومهم ، واستطاع أن يسيطر على مملكة ما وراء النهر ، ولكنه لم يلبث أن انهزم ، ففرَّ هاربا إلى أفغانستان ، وفى كابول بدأ يوطّد أقدامه من جديد ، وبخاصة أنه كان قد بلغ مبلغ الشباب حينذاك (سنة ٩١٠ هـ) ومن كابول بدأ يوسع مملكته ويدعم سلطانه .

واستنجد به فى هذا الوقت حاكم لاهـــور من أسرة اللوديين ضـــد ابن عمه اللـــودى حاكم دلهى ، فهبَّ بابر لنجدته متطلعا إلى الســـيطرة على الهنـــد التى ملكها يوماً جدُّه تيمور لنك ، والتى كانت ذات شـــهرة فائقة ، وقد حارب بابر عدة وقائع فى شبه القـــارة الهنـــدية كُتِبَ لـــه

(١) انظر تاريخ الاسلام فى شبه القارة الهندية للدكتور أحمد الساداتى : جـ ٢ ص ١ و ٢ .

النصر فيها مع أن جيشه كان قليل العدد بالنسبة لجيوش خصومه ، وقد استولى سنة ٩٢٥ على السند سنة ٩٣٠ على لاهور • ثم كانت المعركة الفاصلة سنة ٩٣٢ ضد ابراهيم اللودى فى معركة « بانى بت » فقتل اللودى وآلاف من جيشه ، وانتهت بذلك أسرة اللوديين •

ومن دلهى أرسل بابر ابنه همايون فاستولى على أكرا ، وحصل على كنوزها الخلابة وبخاصة الماسة « كوه نور » أثمن جوهرة فى العالم ، والتى آلت فيما بعد لتاج ملك بريطانيا باعتباره امبراطور الهند ، وكان نجاح بابر وابنه همايون مما أثار ملوك الهنادكة فاجتمعوا فى تحالف ضده ، ولكنه استطاع أن ينتصر عليهم انتصاراً حاسما فى معركة « راناسنك » •

وطارد « بابر » « محمود اللودى » الذى تمرد على بابر بعد أن كان قد طلب نجدته ، وفرّ عاصيا الى البنغال ، وقد استطاع بابر أن ينتصر عليه وأن يستولى على بيهار فى الشرق وتكوّنت بذلك امبراطورية بابر فى الهند واتخذ بابر مدينة أكرا عاصمة له •

وقد عنى بابر بالاصلاحات الداخلية فمهد الطرق وغرس الاشجار ونظم الضرائب والبريد •

وكان بابر — بالاضافة الى تفوقه العسكرى — أديبا شاعرا فقيها ، وقد كتب تاريخ حياته كتابةً دقيقة فى كتاب أسماه (بابر نامه) وهو فى صورة يوميات أو مذكرات ضمنها — بالاضافة الى ترجمة حياته — تاريخ عصره ، وَذكَرَ ما صادف من أحداث داخلية وخارجية ومن حروب وفتوحات وانتصارات وهزائم ، مع وصف أحوال البلاد التى عرفها ، مما جعل كتاب « بابر نامه » من عيون كتب التاريخ المغولى فى الهند ، وقد كتب باللغة « الجغتائية » وترجم الى الفارسية والى عدة لغات عالمية (١) •

---

(١) أحمد عطيه الله : القاموس الاسلامى ج ١ ص ٢٤٠ .

وكان بابر يحب الخمر لدرجة أنه صنع بحيرة من الخمر كان يجلس عليهـا ويشرب منها ويتغنى بالشعر ، وقد تاب عن الخمر عند مواجهـة جيوش أعدائه ، ولكنه عاد لها بعد النصر ، وكان مواظبا على الصلوات والصيام حتى للنوافل ٠

وتوفى بابر سنة ٩٣٧ ودفن فى كابول حسب وصيته بعد أن أوصى أن يكون ابنه « همايون » خليفة له ٠

وسلاطين المغـول فى الهنـد هم :

بابـر	٩٣٢ هـ = ١٥٢٦ م
همايون (هومايون)	٩٣٧ = ١٥٣٠
جـلال الدين أكـبر	٩٦٣ = ١٥٥٦
جهـانكير	١٠١٤ = ١٦٠٥
شـاه جهان « الأول »	١٠٣٧ = ١٦٢٨
أورنجزيب « عالمكير الأول »	١٠٦٩ = ١٦٥٩
شـاه عـالم « الأول »	١١١٩ = ١٧٠٧
فـرخ سـير	١١٢٤ = ١٧١٣
شـاه جهان « الثانى »	١١٣١ = ١٧١٩
ناصر الدين محمد	١١٣٢ = ١٧٢٠
أحمـد	١١٦١ = ١٧٤٨
عالمكير الثـانى	١١٦٧ = ١٧٥٤
شـاه جهان « الثالث »	١١٧٤ = ١٧٦٠
شـاه عالم « الثانى »	١١٧٤ = ١٧٦٠
محمـد أكبر الثانى	١٢٢١ = ١٨٠٦
بهـادر شـاه	١٢٥٣ الى ١٢٧٥ = ١٨٣٧ الى ١٨٥٨
	توفى سنة ١٢٧٩ هـ

ملاحظتـــان :

١ ـ الاباطرة الحقيقيون كانوا حتى عهد أورنجزيب •

٢ ـ هناك غاصبون كثيرون وثوار ظهروا فى خلال هذه القائمة ، بعضهم حكم فى دلهى نفسها وبعضهم استقل بولاية أو أكثر من ولايات الهنـد •

وسنواصل حديثنا عن أهم أباطرة المغـول فى الهند :

همايون شـاه

تربى همايون تربية عسكرية ، وكان أحـد قواد أبيه فى حمـلاته بالهند ، فقد أرسله أبوه إلى البنجاب عندما استغاث به حاكم لاهـور ، ولما نكث هذا الحاكم بعهـده سار بابر بنفســه الى الهند حتى وصـل الى دلهى ، وأرسل ابنــه الى أكرا فاستولى عليها ، وظل قائدا مظفَّراً طيلة حياة أبيه ، ثم أوصى له أبوه ليصبح ولى عهـده ، وقد أوصـاه أبوه بإخوته ، فاستجاب همايون للوصية ولكن هؤلاء الاخـوة كانـوا غير مخلصين له وناصبوه العداء (١) •

وبالاضافة الى عقوق الاخـوة واجه همايون ثورات من الامـراء الذين كان بابر قد أخضعهم ، ولم يستطع همايون أن يقـاوم كل هـذه المصاعب ففرَّ من الهند ، بعـد صراع غير ناجح ضـد « شـيرخان » حاكم بيهـار والبنغال ، وكان « شـيرخان » زعيما أفغانيا التف حـوله الأفغـان مما رجَّح كفته ضـد همايون والمغول الذين نصروه •

وفى مسيرة همايون فارًّا من دلهى سنة ٩٤٧ هـ وصـل الى لاهور فالســند حيث وضعت زوجتـه ابنـه « جـلال أكبر » فى قرية تدعى

---

(١) دكتور عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ص ١٨١ ـ ١٨٢ •

« عمر كوت » وقد تركها فى قندهار وواصل هـو هربه حيث لجـأ الى « طهماسب » امبراطور ايران الصفوى • وأصبحت الهند تحت سيادة « شيرشاه » السورى الذى يستحق كلمة فيما يلى :

شيرشاه السـورى :

ينسب الى قبيلة « سور » الأفغـانية واسـمه فريد ، وكان أبوه حاكما على عمالة فى بلاد الأفغان ، وقد نشأ فريد محبا للعلم والمعـرفة ، وكانت له شخصية ممتازة ، ولما شب ظهرت فيه مواهب اجتماعية بارزة ، فنادى بحق العمال والفلاحين ضـد الذين يستأثرون بخيرات البـلاد ويظلمون بحق العمال والفلاحين وقد التف هؤلاء حـوله وأحبوه ، واتصل بابراهيم اللودى وأصبح حظيا عنده ، ثم قفز بابر الى الهنـد وأزال ملك أسرة اللودى ، وقد عمـل فريد فترة فى بلاط بابر ، ولـكنه سرعان ما تركه والتحق بوالى « بيهـار » شيرخان ، وسـاعده حتى انتصر على همـايون ، وحـدث أن مات شيرخان وتولى بعـده أبنـه وكان صبيا فأصبح السـلطان الفعلى فى يد فريد الـذى أصبح يلقب « شيرشاه » أى الاسـد •

وقد برّ شيرشاه بوعده للعمـال والفلاحين ، بل برّ بوعده لـكل المحكومين ، فكان مثال الحاكم القانع الصالح الذى يعمل على رفع مستوى شعبه وازالة كل ما يمسهم ، كما اهتم بالاصلاحات العامة كتعبيد الطرق وغرس الأشجار وتنظيم البريد ، كما أكثر من تشييد المساجد والأربطة ، وكان يهتم بالتسـامح الدينى مما أرضى عنـه المسلمين والهنادكة ، وكان شديد العطف على الفقراء والمرضى ، فكان يقـدّم لهم ما يحتاجون اليه من خزانة الدولة ، وقد تمّت أعمال شيرشاه المجيدة فى فترة قصـيرة هى خمس سنوات مع أن الحكومات تعجـز فى آجـال طويلة عن تحقيق

ما حققه فى هـذا المدى القصير ، أن هـذا الرجـل فريد فى العصـور والأمصار ، ويستحق أن يوضع فى صف أعاظم الرجال فى العالم (١) •

عـودة همايون :

على أن هذا الحاكم الصالح لم يكن لـه من الأولاد من يستطيعون المحافظة على الملك الذى بنـاه ، ومن هنا فقد اتجهت دولته للانهيـار بعد موته وتهيأ لهمايون أن يعود من جديد فينتصر على دولة الأفغان سنة ٩٦٢ هـ بعد أن فقد ملكه حوالى خمسة عشر عاما •

ولكن القدر لم يمهل همايون طويلا فقد توفى فى العام التالى ، ودفن فى مقبرة تعتبر قطعة فنية تزدهر بين آثار المغـول بالهند •

الفكر الشيعى يجـد طريقه للهنـد :

عاش همايون بعيدا عن ملكه حوالى خمسة عشر عاما ، وكانت إيران هى الملجأ الذى وجد به الأمان ، وساعدته إيران ليسترد عرشه ، وكان فى الجيش الذى ساعده عدد كبير من القادة والجنود الشيعيين ، وقد دخل هؤلاء الهند واستقر بهاعدد كبير منهم حيث بثوا أفكارهم الشيعية فى كثير من أرجاء شبه القارة الهندية وكان لهمايون مستشار ايرانى شيعى اسـمه « بيرم خان » وكان هذا شديد التشيع وشديد التأثير فى توجيه همايون ، وعلى هذا فأكثر ما نراه الآن من الأفكار الشيعية بالهند انمـا هو وليـد هذه الظـروف •

وامتدادا لذلك نقرر أن رجـال البلاط الشيعيين كان لهم تأثير على ولى العهـد « جلال الدين أكبر » وقد عيَّن همايون بيرم خان الشيعى مستشارا لابنه « أكبر » عندما عيَّنه أبوه حاكما على البنجاب وكان لايزال حدثا فى الثانية عشرة من العمر ، فغرس بيرم خان فى نفس ولى العهد الذى

---

(١) أبو الحسن على الندوى : المسلمون فى الهند ص ٥٠ •

أصبح امبراطورا بعد ذلك بعام واحد كل ما يطمع فيه من مبادىء شيعية كانت شديدة الأثر على تفكير « أكبر » وعلاقته بالاسـلام ، وفيما يلى حديث أكثر تفصيلا عن هذا الامبراطور الشهير :

جـلال الدين أكـبر

رأينا فيما سبق بعض ملامح من حياة جلال الدين أكبر ونوجزها مـرة أخـرى فيما يلى :

- وضعته أمه فى قندهار بعد فرارها مـع زوجها همايون عقب هزيمـة هـذا الزوج .

- فرّ همايون من قندهار وترك زوجته وابنـه الطفل فى كنف أخيـه ، ولم يكن همايون حسن الصلة بهذا الأخ مما يوضـح أن أكبر تربى فى بيت تفوح منه رائحة العـداء .

- هذه الحيـاة لم تُتحْ لأكبر ثقافةً ودراسـاتٍ يتحتم أن تقـدم لأمثاله من ولاة العهود ، فكان أكبر أمّيّاً لا يقرأ ولا يكتب ، ولـكنه كان محبا للمعرفة فكان يجلس إلى قارىء ليقرأ له .

- لما نجح همايون فى استرداد ملكه بمساعدة الصفويين وبخاصـة بيرم خان الشيعى جعل ابنه الصبى « أكبر » حاكما على البنجاب وجعـل بيرم خان مستشارا له فكان هذا هو الحاكم الحقيقى والموجّه لأكبر .

- لما مات همايون فى العـام التالى أصبح « أكبر » امبراطوراً للهند ، وظل بيرم خان مستشارا له فواصل مكانته وتأثيره فى أكبر .

وكل هذه العـوامل كانت ذات تأثير كبير فى الامبراطور الجـديد كما سنرى ونحن نتابع حيـاته .

اتســاع امبراطورية أكــبر :

وقد قابل أكبر ثورات متعددة من بعض الأقاليم فكان عليــه أن يخوض حروبا صاخبة ليثبّت سلطانه ، وقــد نجح أكبر فى حروبه حتى اتسعت امبراطوريته فشملت الهنــد الشـمالية والوســطى والبنغــال وأفغانستان بما فى ذلك السند وكشمير وكجرات ، كما نجح أكبر فى ضــم كثير من امارات الجنوب ، وبهذا أصبحت الهند كلها تحت سلطانه فيما عدا بعض امارات الجنوب القليلة .

الهندوس فى رعاية أكــبر :

وكان أكبر يعــامل الهنــدوس معاملة طيبة ويحسن جــداً إليهــم مما جعلهم يتعاونون معه وينضمّون لنفوذه ، فقد كان حرصه على إرضاء الهندوس يفوق حرصه على تعاليم الدين الاسلامى ، فجعل منهم حكاما على بعض الامارات ، وعين بعضهم فى بلاطه ، ورفع عنهم الجزية ، وبهذا أصبح حاكما هنــديا أكثر من كونه حاكماً اســلاميا ، واتخــذ عاصمته فى الهند وجعل كابول تابعة للهند بعد أن كانت الهند تابعة لكابول أو قندهار ، وزاد أكبر فصاهر الهندوس ، وكل هذا جعــل كفتهم ترجح غالبا كفــة المسلمين فى الحكم والادارة .

ولم ينتهز أكبر حسن صلته بالهنادكة ليدعوهم للاســلام ، فقــد كان هو غير متحمس للاســلام ولا فاهم له .

أعمــال أكــبر :

لعل أخطــر اتجاهات أكبر أنه لــم يقنع بالمساواة بين الهنــدوس والمسلمين ، بل بالغ فى إكرامه للهندوس فتزوج هو وأولاده منهــم ، وعين منهم حكاما على كثير من الأقاليم وجمع حوله كثيرا من علماء الهندوس ، مما جعل العلماء المسلمين يتنحون عنــه فلم يبق حوله الا قليل منهم .

وكان أكبر يفتح بابــه للمظلومين ليسمع شكاواهم ، وســاعد أكبر الزراع وجعل الأرض ملكا لهم ، وتجاوز عن ديونهم ، ومنع الزواج قبــل سن الرشد ، وأباح للأرامــل من الهندوس أن يتزوجن وكن من قبــل ممنوعات من الزواج ، بل كن ملتزمات أن يتقدمْن للنــار التى يحــرق فيهــا جثمان الزوج ليحترقن معه ، فحاول منع هذه العادة •

واشتد « أكبر » ضد المجرمين وحاصرهم بالقوانين الصارمة وحاسب عماله بدقة وكان شديد القســوة على من يرتشى منهم •

اكــبر يبتكر دينــا جــديدا :

دخل المغول الاسلام بعد أن أراقوا دماء مئات الآلاف من المسلمين ، وقد غلبهم الإسلام وقرّب إلى قلوبهم ، ولكن يمكن القول دون تحــرج أن روح الاسلام لم تغمر هذه القلوب ، وكانت معارف أكثرهم بالاســلام سطحية أو لضرورة الحــكم •

ثم كانت الثورات المتتابعة التى أحاطت بهم تجعلهم يميلون للقسوة واراقة الدماء بحق وبدون حق •

فاذا أضفنا الى ذلك ظروف أكبر التى أوردناها من قبل أدركنا أن صلته بالإســلام لم تكن عميقة ، فلما تزوج من هندوسية زاد فى الاسلام سطحية ، واتجه « أكبر » الى الوسائل التى تعطى امبراطوريته استقرارا أكثر من اتجــاهه لنشر الاسلام أو خدمتــه ، وكان اتجــاهه للهندوس واعتماده عليهم يبعد عنه جماهير المسلمين وعلماءهم كما ذكرنا ، وكان كلما تخلى عنه المسلمون يزيد ارتبــاطا بالهندوس ليعوّض ما فقــده ، ورغبةً منه فى أن يحكم الهند حكما قوميا يرضى به الجميع هداه تفكيره الى اختراع دين جديد ، ليرضى الهندوس من جانب ويدفع نفســه إلى مصاف الأنبياء من جانب آخر •

ويقول الدكتور عبد المنعم النمر [١] أن « أكبر » تحـول بعد عشرين سنة الى انسان يملؤه الكبر والغرور ونفخ فيه مَنْ حـوله من الشياطين فزينوا له أنه ظل الله فى الأرض ، وأنه لذلك لا يصحّ أن يستمع للعلماء بل عليهم أن يستمعوا هم له ، فمرتبته باعتباره اماماً وخليفـةً فوق مرتبة المجتهدين ، وهذه الفكرة قريبـة من فكر الشيعة عن الامام وحقـه فى الافتاء ، وكان الذين زينوا له هذه الفكرة الشيخ مبارك وولداه أبو الفيض وأبو الفضل وغيرهم ، وكان أكثرهم يُرْمَوْن بالزندقة والالحاد ...

وكل هذا دفع الامبراطور الى تطوير ما تلقاه من أفكار منحرفة فبدل أن يكون له اتجاه شاذ فى الاسلام اتجـه لابتكار دين جـديد سـماه « الدين الالهى » وأُسسُ هذا الدين كانت كما يلى :

١ — الدين الاسلامى أدّى دوره وأصبح لا يتفق مع هذا الزمان وعلى هذا اكتفى أكبر بشهادة ألا اله الا الله ولم يلتزم بالشهادة الثانية التى تثبت أن محمدا رسول الله .

٢ — انكر الغيبات جميعا كالجن والملائكة والحشر ...

٣ — تحريم الاطلاع على العلوم العربية فيما عـدا العلوم التى ليست اسلامية الجذور كالحساب والطب والفلسفة .

ومن الواضح أن جذور دين أكبر كانت معاداة الاسلام ، وقد اتضح ذلك من الدين الذى ابتكره والذى اتضح أنه يعتمد على أديان الهنـد ، وعلى المجوسية وعناصره هى :

١ — القول بالتناسخ .
٢ — تحريم ذبح البقـرة .
٣ — القول بأن الخمر والميسر حـلال .

---

(١) تاريخ الاسلام فى الهند ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

٤ — العناية بيوم النيروز والسجود للشمس والنار فى ذلك اليوم باعتبارهما رمزا للاله .

ولم يغفل أكبر وهو يحارب الاسلام أن يتقرّب من المسيحية والمسيحيين ، فاتصل برهبان البرتغال الذين كانوا مبشّرين فى منطقة « جوا » ليَقْدُم عليه منهم من يشرح له المسيحية ، وتساهل مع البرتغاليين فى تلك المنطقة ، كما سمح بتأليف شركة الهند الانجليزية سنة ١٦٠٠ (١٠٠٩ هـ) وأعطاها امتيازات واسعة فكانت هذه الشركة أساس استعمار بريطانيا للهند ، وعهد الى الرهبان اليسوعيين بتربية ابنه مراد ، واذن للجزويت بفتح مدارس فى أكرا ولاهور .

وهكذا بَعُدَ « أكبر » عن الاسلام ، بعداً عظيما واتجه الى الرجس والطاغوت .

وكلمة أخيرة عن أكبر نثبت فيها أنه اهتم بالفنون وشجع حركة الترجمة .

جهانكير (سليم)

كان جلال الدين أكبر لا يعيش له أولاد ، وكان شديد الأسى لذلك ، وكان يزور الأولياء ليدعو الله عندهم أن يعيش له ابن يرث ملكه وثراءه ، وقد ولد له جهانكير وسُمّى حين ولادته محمد سليم باسم أحد الشيوخ ، ثم سُمّى جهانكير عندما توّج ومعنى جهانكير « مالك الدنيا » وعاش لأكبر ولدان بعد ذلك هما مراد ودانيال .

وقد وقع سليم وهو فى شبابه فى حب راقصة جميلة فارسية الأصل تحسن الرقص والغناء واسمها « نادرة » وكنيتها « أناركالى » أى زهرة الزمان ، ولما تأكد أبوه من ذلك حنق عليه أن يقع فى حب فتاة ليس لها أصل فى الأصول العريقة ، فحكم على الفتاة بالموت وعاقب ابنه بأن أرسله فى حملة للقضاء على بعض الثوار .

وكعادة المغول حصل صراع بين أكبر وابنه الذى كان يتمناه ، ودخل فى هذا الصراع « خسرو » بن جهانكير طامعا أن ينتهز الجفوة بين أبيه وجده ليتولى هو السلطة بعد جده ، وذلك داء ابتلى به كل سلاطين المغول تقريبا .

وهكذا عانى جهانكير من اضطهاد أبيه وعقوق ابنه ، فلا عجب أن تضطرب مملكته بعد توليته السلطة ، وأن يقوم هنا وهناك طامعون ومتمردون ، وقد مات « خسرو » غريقا وهو يحاول الفرار من والده عقب هزيمته فى حرب ضد الوالد .

وتزوج جهانكير أرملة أحد قواده الذين ثاروا عليه واسمها « مهر النساء » وأسماها « نور جيهان » أى نور الدنيا ، وكانت فاتنة الجمال قوية الشخصية واسعة العلم والمعرفة ، وأخذت نور جيهان تتدخل فى شئون المملكة ، وأتاح لها زوجها هذه الفرصة فكانت توقع القرارات مع الملك ، وكان اسمها يضرب على النقود بجانب اسمه ، ثم انها مهدت الطريق لذويها ليكون لهم سلطان فى الدولة ، فأصبح أبوها رئيسا للوزارة وأخوها من كبار الموظفين فى القصر .

ولعبت نور جيهان دوراً فى تولية العهد ، فكانت تفضل الابن الأصغر لجهانكير الذى زوّجته من ابنتها وهى ابنة زوجها الأول الذى قُتل ، ولكن الابن الأكبر لجهانكير كانت له مكانة شعبية واسعة ، وسطوة بين الجنود ، وكان بجانب ذلك متزوجا من ابنة أخ نور جيهان الذى ذكرنا آنفا أنه كان يعمل بالقصر ، وبهذا قام صراع بين نور جيهان وأخيها من أجل تحديد ولى العهد .

وفيما يتعلق بعقيدة جهانكير نذكر أنه كان سليم العقيدة ، ولم يسر فى الطريق الذى سار فيه أبوه ، وعلى هذا ألغى جهانكير « الدين الإلهى » وعاد لاحترام الإسلام وتقديره ولكنه مع ذلك كان مفرطا فى شرب الخمر ، واستعمال المسكرات وقد كتب جهانكير « يومياته »

التى وصف فيها حياته أدقّ وصف ، وقراءةُ هذه اليوميات توضح أنه كانت فيه شجاعة ، واتجاهات فنية عميقة ،

وكان جهانكير يعنى بالرسم والتصوير أكبر عناية •

وفى عهد جهانكير نَمَتْ سلطة الأوربيين فى الهند ، وكان البرتغاليون والإنجليز والهولنديون يتنافسون فى مجال التجارة بالهند وسنرى فيما بعد نتيجة هذا الزحف الأوروبى •

شاهجهان

شاهجهان هو ابن جهانكير وكان اسمه « خرم » وعندما توفى جهانكير هبت ثورة بين ولديه « خرم » و « شهريار » وظهرت أطماع بعض الأمراء الآخرين ، وقد انتصر شاهجهان فى هذا الصراع بمساعدة صهره « آصف » الذى ذكرنا من قبل أنه كان ذا نفوذ فى القصر الإمبراطورى •

وقد سبق أن ذكرنا أن شاهجهان تزوج وهو أمير من ابنة آصف أخى نور جيهان والتى سميت « ممتاز محل » وكانت شهرتها « تاج محل » وكانت تضارع نور جيهان فى الجمال والروعة •

وكان شاهجهان يوصف بأنه عابس الوجه دائما ، ولم يُشاهد مبتسماً أبدا ، ولم يكن من المستطاع قراءة وجهه •

وحفلت أيام شاهجهان بالصراع فى مناطق مختلفة ضد الأمراء وضد الطامعين ، ومع هذا فإن الدولة فى عهده كانت تجتاز فترة من الرخاء والترف •

وفى عهده انتهت سلطة البرتغال فى الهند تقريباً كما سنرى فيما بعد :

ويمتاز عصر شاهجهان بالفنون المعمارية الكبرى التى لا تزال تزدهر

بهـا الهند ، وتفتخر بها الأجيال ، ومن أهمهـا : القلعة الحمراء فى دلهى « لال قلعـة » وبداخلها مسـجد يسمى مسجد اللؤلؤة ، ثم المسـجد الجامع فى دلهى أيضا والذى كسيت جدرانه بالمرمر ، وشـيد منبره من المرمر الأبيض الناصع .

ومن آثار عصره كذلك مقبرة « تاج محل » فى أكرا ، وهى أثر فنى رائع شيده شاهجهان لتدفن فيه زوجته الحبيبة وكانت قد وَلَدَت له عدداً من الأولاد والبنات ، ثم توفيت على أثر الوضـع ، فحزن عليهـا حزناً شديداً وبنى لها هذه المقبرة الشاهقة التى دفنت فيها ، ثم دفن بها عقب وفاتـه .

وقد قضى شاهجهان تماماً على بقايا دين جـده ، بل زاد على ذلك بأن قضى على عادة تقبيل الأرض أمامه تحية لـه كما كان معـروفا فى الهند ، وقرب إليه العلماء ، وشجع على التأليف ، وجعل اللغـة الأوردية اللغـة الرسمية فى البلاد .

وفى آخر عهـد شاهجهان قام صراع بين أولاده الأربعـة انتهى بانتصار « أورنكزيب » الذى اعتقل أباه ، وحـدد اقامته فى القلعـة لأنه كان يشجع أخاه « داراشكوه » وقد قضى شاهجهان فى اعتقـاله ثمان سنوات كان خلالها ينعم بكل جوانب التكريم فيمـا عدا السـلطة وتوفى سـنة ١٠٧٦ هـ .

أورنكزيب « عالمكـير »

أورنكزيب « زينة العرش » أو « عالمكير » أى سيد العـالم هـو الإمبراطور المغـولى الزاهد الذى كان شديد الحـرص على الشريعـة الإسلامية وآدابها ، وقد تلقى العلم على يد كبار العلمـاء ، وعمل بما علم فلم يشرب الخمر قط ، ولم يجلس للغنـاء على الرغم من موهبة موسيقية عالية كانت فيه ، ولم يستعمل الذهب أو الفضة فى آنية أو حلىٍّ .

وقد نفذ أورنكزيب تعاليم الإسلام بدقة ، فأعاد الجزية على الهندوس ، مقابل الزكاة التى يدفعها المسلمون ، وكانت قد ألغيت منذ حوالى مائة عام ، ومن هنا كانت إعادتها صدمة أثارت الهندوس فى طول البلاد وعرضها .

وقد حكم أورنكزيب حوالى خمسين عاما ، واجه خلالها — كعادة أباطرة المغول بالهند — صوراً من المتاعب والثورات كان بعضها ضد القراصنة واللصوص ، وبعضها ضد قبائل الأفغان التى ثارت عليه ، والكثير منها ضد الهندوس الذين أعلنوا تمردهم بسبب فرض الجزية عليهم ، بل حارب بعض المناطق الإسلامية بالهند التى أظهرت التمرد عليه . وهكذا قضى الإمبراطور حياته فى ميادين القتال حتى بلغ سن التسعين ، ومات كذلك فى ميدان القتال ، ويعتبره المسلمون وليـاً من أولياء الله الصالحين ، بسبب ورعه وتمسكه بالإسلام ودفاعه عنه .

ولأورنكزيب خصائص انفرد بها تقريبا ، كالتنظيمات الاقتصادية التى حمت الشعب من الضرائب الظالمة ، وكجلوسه من حين الى آخر كل يوم دون حجاب ليفد الناس إليه وليعرضوا شكاواهم عليه ، وأنه أعلن خطأ النظرية التى كانت سائدة عن الإمبراطور بأنه فوق الطبيعة البشرية ، وأنه ظل الله فى الأرض ، وأعلن أنه إنسان عادى ، وأن تحيته تكون تحية المسلمين وهى « السلام عليكم » وفى عهده كثرت المدارس والمساجد والأربطة ، ودور العجزة ، وشمل الأولياء والمتصوفة بعنايته ورعايته ، فكان بذلك إمبراطورا عالما عاملا بعلمه ، وواسع المعرفة والفضل ، وهو الذى بنى مسجد بادشاه بلاهور الذى يعد أكبر مسجد فى العالم الإسلامى وتوفى سنة ١١١٨ هـ — ١٧٠٧ م .

بعد أورنكزيب

اضطربت أحوال إمبراطورية المغول فى الهند بعد أورنكزيب بسبب الثورات الداخلية من جانب ، وتسلط الإنجليز من جانب ثان ، وزحف

الفرس والأفغان على الهند من جانب ثالث ، ولم يبق من أباطرة المغول بالهند من يستحق الذكر .

وقد حكم كبار المغول بلاد الهند حوالى قرنين من الزمان كانت الهند خلالهما تكوّن إمبراطورية واحدة عظيمة ، ولكنها كانت معرّضة دائمة لألوان من الصراع والانشقاق ، ثم جاء القرن الثالث من حكم المغول وهو قرن شالت فيه كفتهم ، ورجحت كفة سواهم كما سنرى فيما يلى :

نادر شاه يغزو الهند

ذكرنا ونحن نتحدث عن تاريخ إيران أن نادر شاه أعاد الاستقلال إلى إيران بعد أن كانت تابعة لأفغانستان وجدد شباب الدولة الإيرانية ، وزحف من إيران على البلاد المجاورة له ، ثم اتجه الى الهند حيث فرّ بعض أعدائه من الأفغانيين ورفضت حكومة الهند تسليمهم إليه وسرعان ما حقق نادر شاه النصر فضم قندهار وكابول وهو فى طريقه إلى الهند ، ثم دخل لاهور ، واحتل البنجاب سنة ١٧٣٨ م وقد حاول الإمبراطور المغولى فى الهند (ناصر الدين محمد شاه) أن يرد نادر شاه عن غزو بلاده ، ولكنه فشل فى ذلك ، واستطاع نادر شاه أن يصل إلى دلهى ، وأن يقضى على الإمبراطور المغولى بعد أن كان قد أمّنه ، وقد ثار المسلمون فى الهند ضد نادر شاه لموقفه من إمبراطورهم ، ونتيجة لذلك أباح نادر شاه مدينة دلهى لجنوده ، فعاثوا فيها فساداً ، ودمروا وسلبوا ما استطاعوا ، وكان أبرز الأسلاب الجوهرة النادرة التى كانت فى تاج شاهجهان وقد تنقلت هذه الماسة من يد إلى يد حتى استقرت فى تاج ملك انجلترا .

وعاد نادر شاه إلى إيران بعد أن ترك امبراطورية المغول فى الهند وهى تترنح من هول ما لاقت من الإيرانيين وهيأ ذلك لأعدائها من

السيخ والهنادكة والإنجليز أن يضربوا ضرباتهم القوية فى هذا الجسـم المتـداعى •

ويقول المؤرخـون إن حادث تخريب دلهى سـنة ١٧٣٩ كان نذيرا بسقوط الدولة المغولية •

أحمـد شاه الإبدالى يغزو الهنـد

ينحدر أحمد شاه من قبيلة أفغانية هى قبيلة الإبدال ، وكان أحـد قواد نادر شـاه ، فلما قُتِل نادر شاه ، قام أحمد شاه للأخـذ بثأره ، واستعان بأهله من الأفغان وأسس له ملكا ، جعل عاصمته كابول ومن كابول أراد أن يزحف إلى الهند على نمط ما فعل نادر شـاه من قبل ، وقام صراع بين أحمد شـاه وبين جيش الإمبراطور المغـولى (ناصر الدين محمد) الذى كان يقوده ابن الإمبراطور (أحمد) وحقق المغـول النصر ، بيـد أن وفاة الإمبراطور ألزمت ابنه قائد الجيش أن يسرع إلى دلهى ليوطد سلطانه ، وليصبح مَلِكَ البـلاد ، وقد انتهز أحمد شـاه هذه الفرصة ، فعاد إلى الهند ، واستولى على لاهور سنة ١٧٤٨ م ، ومن لاهور امتـد سلطانه إلى دلهى ، وبخاصة أن ثورات متعددة كانت تغمر بلاد الهند •

وفى وسط هذه الحـروب التى كان مسلمو الهنـد ، ومسلمو الأفغان طرفين متصارعين فيها حقق الهنادكة بعض النصر على أجـزاء متعـددة بالهند ، كما حقق الإنجليز نصرا آخر فى منطقة البنغال •

نهـاية أباطـرة المغـول

أصبح شاهات المغـول بعد ذلك يعيشـون تحت سلطة الهنـدوس أو الإنجليز ، وعندما جاء « بهادور » شاه ، أعلن الحـاكم الإنجليزى أن بهادور شـاه آخر هندى يسكن القلعة ، وأنها ستكون بعده ثكنة عسكرية ، وأن المخصصات التى يأخذها منهم ستنتهى بانتهاء حياته •

وكان هذا التدخل الصريح من الإنجليز جرحاً أدمى نفوس الهنود جميعا وبخاصة جماعات المسلمين ، فهبت ثورة فى الهند ضد الإنجليز ، ووضعت الملك بهادور شاه قائداً لها ، ولكن الثوار لم يستطيعوا الصمود الطويل أمام أسلحة الإنجليز الحديثة فهزموا ، وقبض الإنجليز على بهادور شاه ونفوه مع زوجته « زينيب محل » الى رانجون فى بورما وظل هناك حتى مات ، وانتهى بموته ملك المغول فى الهند .

وسنتحدث فيما بعد عن الاستعمار الإنجليزى فى الهند وما عانته هذه البلاد من عسف وطغيان على أيديهم .

الحضـــارة الإســلامية بالهنـــد

ماذا كانت الهند قبل الإســلام ؟ وماذا قدم الإســلام والمسلمون للهنــد ؟ فى الإجابة عن السؤال الأول نقــرر أن الهند كان بهــا جوانب مهمة من الحضـــارة فى العالم القديم ، وكانت حضارتها واضحة فى عــلم الحســاب والفلك والفلسفة ، وقد أخذ العرب عنهم الصفر والأرقــام الهندية التى تعرف فى الغرب بأنها « الأرقام العربية » لأن الغرب أخذها من العرب ، كما تُرجم للعربية كتاب فى الفلك اســمه «Sidhana» وهو عبارة عن الجــداول الفلكية الهندية ، كمــا ترجم للعربية كتــاب « كليلة ودمنة » وكان أصلها قد وضع بالسنسكريتية وكان المقصود بهذا الكتاب تعليم بعض الآداب بواسطة أقاصص على ألسنة الحيوانات .

هذه هى اتجاهات الفكر الهندى القديم ، ولكن إذا تدارسنا أحــوال الهند قبيل الإسلام نجــد صــورة غــير زاهية يصورّها لنا الإمبراطور « بابر » فى مذكراته بقوله : لا وجود للخيــل العتاق ، ولا توجد أصناف مهمة من الفاكهة مثل العنب والبطيخ ، والماء البارد قليل نادر ، والمدارس لا يعرفها أهل الهند ، والمشكاوات والشموع لا وجود لهــا ، ولا توجــد الحدائق ولا الأبنية العظيمة التى تتمتع بالهواء والضــوء ، وأكثر أفراد الشعب يمشون حفاة (١) .

وقد اعترف جواهر لال نهرو بأن منابع الإبداع والابتكار فى أهل الهند قد نضبت (٢) ....

وجاء الإســلام إلى الهند ولكن بعد أن نالت ثقافته أعظم عناية من المسلمين ، وبعد أن دُوّنت حضارته ، ويقول العلامة أبو الحسن عــلى الندوى (٣) : دخل المسلمون الهند وهم أرقى أمــة فى الشرق بل فى العالم

---

(١) مذكرات ظهير الدين بابر .
(٢) Discovery of India Vol 1 p. 510.
(٣) المسلمون فى الهند ص ١٢ .

المتمدين ، كانوا يحملون دينا جديداً سائغاً معقولا وعلوما اختمرت وتوسعت ، وحضارة تهذبت ورقّت حواشيها ، ويحملون معهم محصول عقول كبيرة ونتاج حضارات متنوعة متعددة •

من أجل هذا حمل الإسلام للهند حضارة واسعة مختلفة الاتجاهات ، وقد دوّنها بإنصاف غوستاف لوبون ، وسنحاول فيما يلى أن نعرف أثر الحضارة الإسلامية بالهند • وأول ما نثبته أن فكرة التوحيد الإسلامية كانت شديدة الأثر على الفكر العالمى كله ، فأخذ الاعتقاد بتعدد الآلهة يتراجع أمام فكرة التوحيد ، وكان من أبرز تراجعه ما قال به المسيحيون من أنهم يعتقدون بوحدة فى تثليث وتثليث فى وحدة ، ولم يكن ذلك إلاّ استجابة للفكر الإسلامى الحاسم الذى سخر من التعدد وقال بالتوحيد المطلق ، فإذا جئنا إلى الهند وجدنا أثر التوحيد واضحاً على الإنسان الهندى ، فقد كان الهنود كما ذكرنا من قبل يعبدون ملايين الآلهة ، وكان كل شىء جميل أو نافع يعتبر عندهم الهاً يُعْبَد ، فلما دخل الإسلام شبه القارة تراجع هذا التفكير وَهوَتْ آلهة كثيرة وترقت الفكرة الدينية عند سكان الهند جميعا ، ونتيجة للاتجاه للتوحيد الذى حمله الإسلام لشبه القارة ظهر بالهند مفكرون قالوا بالتوحيد على الرغم من عدم اعتناقهم للإسلام ومن هؤلاء : « رامانج » الذى قال بعبادة « فشنو » إله الحياة وَحْدَه دون غيره وظهرت فى الهند كذلك جماعة « السيخ » وكان التوحيد عقيدة من عقائدها ويقول الباحث الهندى Panikkar أن فكرة عبادة الله لدى الهندوس مدينة للإسلام ، وأن الدعاة الهنود الذين قالوا بالتوحيد كانوا متأثرين بالإسلام (١) •

ومن تأثير الإسلام الواضح فى الهند الاتجاه للمساواة وبالتالى الاتجاه للقضاء على نظام الطبقات الذى كان منتشرا بالهند ، والذى كان من المستحيل تجاوزه ، وعن المساواة يقول جواهر لال نهرو :

(١) A Survey of Indian Hestory p. 132.

إن دخـول الإسلام الهند له أهمية كبيرة فى تاريخ الهند ، إنه قد فضـح الفسـاد الذى كان منتشرا فى المجتمع الهندوسى الذى تفشى فيه انقسام الطبقات ، وإن نظرية الاخـوة الإسلامية والمساواة أثرت فى أذهـان الهندوس تأثيراً عميقا (١) •

ومن تأثير الإسلام فى الهنـد الاتجـاه الى الحرية الفكرية ، فان الهندوسية قبل الإسلام لم تسمح للبوذية بالبقـاء فى الهند ، وجهدت حتى أبعـدت أكثر معتنقيها عن شبه القارة ، ولـكن الهنـود رأوا روح التسـامح وحرية التدين فى الإسلام فتأثروا بذلك ، ومن هنـا سمحوا للسيخ فى الحياة ، أما صراعهم ضد الإسـلام والمسلمين فكان ناتجاً من أسباب سياسية فى الغالب •

ومن الواضح أن انتشار الإسلام بالهند كان بالتعليم والدعوة دون استعمال أى لون من ألوان القـوة غالبا ، أما القـول بفرض الجـزية أحيانا على غـير المسلمين فليس ذلك من القهـر فى شىء ، لأن الجـزية إسهام من غـير المسلمين فى تكاليف المرافق المختلفـة التى ينتفع بهـا المسـلمون وغـيرهم ، والتى يُنْفَق عليهـا من أمـوال الـزكاة التى يدفعهـا المسلمون •

ومن تأثير الإسلام على الهنود أن دخلت اللغة الفارسية الهند مع الفاتحين الذين وفدوا من بلاد فارس وقد قدمت اللغـة الفارسية للهند ألوانا من الأفكار الحضارية ، ولما كانت هذه اللغة هى لغة الحكام ورجـال البلاط فقد اهتم بها العلماء والأدباء ، وبالتالى أصبحت ذات فائدة كبرى للشعب كله ، فقد ألّفت بها الكتب المفيدة فى شتى الموضوعات •

ومن آثار الإسلام فى الهند أن كوّن فيها دولة واحـدة وكانت قبل الإسلام تتكون من إمارات عديدة ، كما خلق الإسـلام فى هذه البـلاد ديمقراطية الحـكم •

---

(١) Discovery of India p. 335.

ومن تأثير الإسلام فى الهند الاتجاه إلى احترام المرأة والاعتراف بحقوقها واستقلال شخصيتها فقد كانت المرأة تابعة للرجـل تعيش معه ، وتموت إذا مات ، وتحرق نفسها فى عملية احتراق زوجهـا ، لأن المجتمع كان لا يرى لها حقا فى الحياة بعد زوجها ، وقد قاوم المسلمون هذا الاتجاه ، ولم يبق منه إلا القليل فى المناطق التى لا نفوذ للإسلام فيها (١) •

ومن مآثر الإسلام على الهند إدخال علم التاريخ ، فقد كانت الهند فقيره جدا فى مجال التاريخ بالمعنى الصحيح ، وكل ما كانوا يعرفونه هو الأساطير والخرافات ، فقدم لهم المسلمون هذا العلم ويقول غوسـتاف لوبون ، إن الهند لم يكن بها تاريخ اطلاقا ، ولم يعـرفوا إلا القصص والأساطير ، وإن تاريخ الهند الحقيقى لم يظهر إلا فى الدور الإسـلامى بفضل مؤرخى المسلمين (٢) •

وكان من أهم آثار الإسلام بالهند المظاهر العمرانية المتعـددة من إقامة المدن إلى العناية بالمساجد والقصور والقباب وكانت العناية بقباب الموتي لا تقل عن العناية بقصور الأحياء لأن الإسلام يرى أن المـوت انتقـال من حياة الى حياة •

وقد ذكـر المـؤرخ الهنـدى SARKAR تلخيصاً لفضـل المسلمين على الهند فى مقـال له نشر فى مجلة كلكتا وخلاصة ما جاء فيه :

١ ـ وصل الإسلام الهنـد بالبلدان الخارجية فازدهرت فيهـا الملاحة والتجارة التى كانت مفقودة بها من قبل •

٢ ـ بسط الأمن جناحيه فى أكثر بقاع الهند وبخاصة فى الشمال ، وذلك لم يكن ميسرا قبل الإسلام •

٣ ـ تكونت وحدة سياسية فى الهنـد وكانت من قبل تتكون من مئات الإمارات •

---

(١) رحلة دكتور برنير ج ٢ ص ١٧٢ •
(٢) حضارة الهند ص ٢٤٢ •

٤ ــ اختفى العرى واتحدت الملابس بين الطبقات تقريبا .

٥ ــ ظهرت اللغة الأوردية التى أقبل عليها الهنود جميعا على اختلاف أديانهم ، وقد هاجمها بعض الهنود فى عهد نهرو ولكن هذا صاح فيهم إنكم تهاجمونها بها فقد كانت لغة الأكثرين .

٦ ــ اتجه الاهتمام إلى كتابة التاريخ والإهتمام بالعلوم والمعارف .

٧ ــ اتجه الاهتمام إلى ترقية فنون الحرب وأدوات الحضارة والقلاع والحصون (١) .

ومن التبادل الثقافى الذى حدث بين الهنادكة والمسلمين قدر كبير يلاحظ فى مجال التصوف فبعض الإصطلاحات التى عُرفت فى التصوف الإسلامى وردت للتفكير الإسلامى من الثقافات الهندوكية والبوذية ، وذلك مثل الفناء والطريقة والكرامة ، ولكن التصوف الإسلامى ــ كما يقول جولد زيهر ــ كان أكثر تأثيراً فى التصوف الهندى ويذكر راماسوامى ساستترا Rama Swami Sastra ذلك بقوله : ان تأثير التصوف الإسلامى فى الفكر الهندى واسع ، وقد وصل ذلك التأثير إلى كل عقل واختلط بكل لب ، وحسبك أن تذكر الأخوة الانسانية والحب ، فهذان وأمثالهما هدية الفتح الإسلامى للثقافة الهندية وللهنود (٢) .

وقد درس الدكتور Tara Chand موضوع تأثير الفكر الإسلامى على الهند دراسة واسعة ونقتبس منه بعض الاقتباسات القصيرة (٣) :

« ان الاتجاه للتوحيد الذى ظهر واضحا فى الهند لم يكن إلا بقوة دفع قاهرة كان مصدرها التفكير الذى لا يقبل مساومة فى مسألة وحدانية (الله) وهو التفكير الإسلامى .

---

(١) نقلا عن المسلمون فى الهند ص ٢٩ .

(٢) M. Sharif : Msulim Thaught; its Origin and Achieuments p. 172.

(٣) Influence of Islam on Indian Culure pp. 111-112.

« ومن أبرز التأثر بقضية التوحيد موقف القديس SANKARA الذى نشأ فى مكان على شواطىء الهند حيث كانت ترسو السفن التجارية القادمة من بلاد الإسلام ، فقد عاش هذا القديس فى جو الوحدانية التى يلتزم بها المسلمون ، فتأثر بكلامهم وأفكارهم ، حتى أن شرحه للكتاب المقدس يبدو فيه هذا التأثر ، ويلْزِم فيه بالتوحيد المطلق .

« وجاء تلاميذ Sankara من بعده فتأثروا به فى اتجاهه نحو الوحدانية ، وفى تلاوتهم للتراتيل الدينية حيث كانوا قريبى الشبه بالمتصوفة المسلمين فى تأملاتهم وأنغام ترتيلهم .

« ويعتبر Ramanuja من أشهر تلاميذ Sankara .

وقد وضح Ramanuja رأيه حول الوحدانية ، فاعترف بإله واحد موصوف بأكرم الصفات يجب أن يُعبَد بكل ايمان واخلاص ، ولم يقف Ramanuja عند التأثر بالوحدانية بل تأثر كذلك بموقف الإسلام من المساواة ، ففتح أبواب الدين لكل الطبقات حتى الطبقة التى ما كانت تفتح لها أبواب الدين كالمنبوذين » .

ويستمر Tara Chand فى دراساته عن مدى تأثير الفكر الإسلامى فى الهند فيقول : إن الحب الذى تكلم عنه الصوفية المسلمون ، وَجدَ طريقه للفكر الهندى ، ولم يكن مقصورا على حب الإنسان لله ، بل امتد إلى حب الإنسان للإنسان ويذكر كذلك أن القديسين الهنود كانوا عندما يثيرون المناقشات الفعلية التى تتصل بطبيعة الآلهة يستعملون نفس الحوار الذى أُثِرَ عن النظّام والأشعرى والغزالى ، ويقرر كذلك أنه من تأثير الفكر الإسلامى على زعماء الأديان الهندية بروز العاطفة والانفعال ، وتعليم احترام الشيوخ والمعلمين احتراما يصل للعشق والتقديس .

ويختتم Tara Chand هذه الدراسة بقوله إن نفوذ الإسلام [illegible] .

شطه جنوبى الهند وشماليها ، ووجد فى البنجاب كما وجـد فى البنغال ، وتأثر به رجـال الدين والجماهير على السواء .

بقيت كلمـة عن المصـانع والمـدارس والمستشفيات وغـيرها من المؤسسات المماثلة وهـذه ازدهرت وكثرت فى الهند الاسلامية كثرة بالغة وكان الاتجاه لا إلى إنشائها فقط بل إلى تحسينها والمبالغة فى تجميلها .

وقبل أن نطوى صفحة الكلام عن تأثير الإسلام فى الهند نقتبس من باحث هندى كلماته عن تأثير الصوفية فى أخلاق الهنـود : يقول الاستاذ أبو الحسن على الندوى : كان الصـوفية يبايعون الناس على التوحيد ، والإخلاص واتباع السنة والتوبة عن المعاصى ، ويحذرون من الفحشـاء والمنكر والأخلاق السيئة ، والظلم والقسـوة ، ويرغبونهم فى التحلى بالأخلاق الحسنة وتزكية النفس وإصلاحها وكان الشيخ يُلْهِب فى مريديه عاطفة الحب لله وللناس ......

وقد نتج عن هذه التعاليم شىء يدعو للفخر والرضا ، فقـد كتب مؤرخ هندى شهير هو القاضى ضياء الدين البرنى يقـول إنه نتج عـن تعاليم الشيوخ الصوفية أن كسدت سوق المنكرات من الخمر والغـرام والفسق والفجور والميسر والفحشـاء بجميع أنواعها ، ولم تنطق الألسنة بهذه الكلمات إلا قليـلا ، وأصبحت الكبـائر تشـبه الـكفر فى أعـين الناس ، وظل الناس يستحيون من التعـامل بالربا ، وندرت فى السوق حوادث الكذب والتطفيف والغش (١) .

---

(١) فوائد الفؤاد ص ١٤ .

الاستعمار الأوربي للهند

يمكن القول إنه منذ قديم الزمان تطلعت أوربا إلى ثراء الهند واعتقدت أن شبه القارة الهندية حافلة بالغنى ، وبالمواد الخام التى يمكن أن تكون أساسا لثراء أوربا ، وعندما اكتشف فاسكودى جاما طريق الدوران حول رأس الرجاء الصالح الذى ربط أوربا بالهند بدون حاجة للبحر المتوسط والبحر الأحمر كان ذلك مؤشرا لزحف أوربا تجاه الهند ، وقد بدأ ذلك الزحف بالبرتغال التى كانت بَحْريتها أسبق لهذه المناطق ، والتى سيطرت على شرقى أفريقيا وعلى عمان ليكون الطريق إلى الهند تحت سلطانها ، وكان البوكيرك أشهر القواد البرتغالين الذين سيطروا على هذا الطريق ، وكان شديد التعصب لبلاده ولدينه ، وقد استطاع أن يستولى على جزيرة سقطرة ليكمل للبرتغال السيطرة على الطريقُ الموصل للهند ، وقد انضم للبرتغاليين بعض جماعات الهندوس بسبب كراهيتهم للمسلمين ، وليتخذوا منهم وسيلة لإضعاف السلطة الإسلامية بالبلاد ، وأنشأ البوكيرك قواعد برتغالية فى الطريق الجديد فى هرمز وسقطرة وجوا ثم امتد الطريق إلى ملقا ....

وظلت البرتغال سيدة الموقف فى المنطقة حوالى قرن من الزمان ، ولم يُضْعِف كيانهم إلا وقوعُ البرتغال تحت سلطة الأسبان سنة ١٥٨٠ م ، مما أتاح لدول أوربية أخرى أن تزحف للمنطقة وتكوّن بها مستعمرات متنافسة وهذه الدول هى : هولندا وفرنسا وانجلترا .

وكانت البرتغال قد أساءت صلتها بالهنود مما دفع هؤلاء إلى حسن استقبال الجماعات الأخرى الأوربية الوافدة ، وجرى سباق بين دول أوربا فى الهند وجزر الهند الشرقية ، فسيطرت هولندا على بعض مناطق إندونيسيا والملايو ، واستولت على ملقا من البرتغاليين سنة ١٦٠٦ م وأسس الهولنديون عاصمة لهم فى جاوة أسموها باتافيا كما ضمت سيلان ، وأنشأت هولندا كذلك بعض مراكز فى الهند ولكن النشاط الواسع فى الهند تُرِك لانجلترا التى توغلت فى المناطق الهندية المختلفة .

أما فرنسا فقد قنعت ببعض مناطق على الساحل عند كاليكوت .

وأسفر الصراع الأوربى عن بعض التنازلات والمقايضات ، فأخذت هولندا جزر الهند الشرقية وتركت أملاكها فى الهند وفى شبه جزيرة الملايو إلى انجلترا نظير استيلائها على سومطرة التى كانت تحت سلطة انجلترا .

وانكمش سلطان الأسبان الذين ورثوا البرتغال فى الهند بعد أن هزم الأسطول الإنجليزى سنة ١٥٨٨ أسطول أسبانيا . الذى كان يسمى « الأرمادا » ، وقنعت أسبانيا بالفيلبين .

أما فرنسا فقد كونت شركة فرنسية أسمتها شركة الهند الشرقية الفرنسية ، وسارت فى الهند بنجاح كبير ، واستطاعت أن تحصل على بعض المراكز ، وأن تبنى لها بعض القلاع والحصون ، ولكن انجلترا استطاعت بأساليب دبلوماسية ملتوية أن تتخلص من فرنسا وأن تقضى على نشاطها فى شبه القارة الهندية . وقد هيأت انجلترا بذلك فرصة طيبة لشركة الهند الشرقية أن تستقر بالبلاد ، وأن تباشر نشاطها التجارى فى حماية بريطانيا ، وقد بدأ نشاط هذه الشركة سنة ١٦٠٠ م ، بعد أن حصلت على إذن من الملكة اليزابيث الأولى بمباشرة التجارة مع شبه القارة ، وكانت أولى مستعمرات الانجليز فى الهند هى تلك التى أقاموها فى سورات وبمباى ثم بعد مدة فى مدراس وكلكتا . وفى سنة ١٦١٦ ، قدم توماس رو الى بلاط جهانكير ممثلا لبريطانيا ، وحصل على امتيازات كثيرة للشركة ، ولم يكن لدى الحكام المغول المانع من إعطاء هذه التسهيلات ، لأن الشركة لم تكن ذات بال فى نظرهم وكانوا يعدونها ممثلة لجزر صغيرة فقيرة فى الشمال .

بيد أن هذه الشركة استطاعت بمرور الزمن أن تحصل على قطع من الأرض صغيرة لتبنى عليها مراكزها التجارية ، وبعض المصانع الإنتاجية .

وسرعان ما أصبحت هذه المناطق حصونا وقلاعا وامتدت على طول

شواطئ شبه القارة ، وصادف فى ذلك الوقت أن الإمبراطورية المغولية أخذت فى الاضمحلال والضعف والتفكك ، فأخذت الشركة فى تكوين فرق عسكرية صغيرة بحجة حماية مصانعها ومتاجرها ولم تكن هذه الفرق العسكرية ذات بال فى أول الأمر ولكنها سرعان ما أصبحت جيوشا تعمل لحساب الشركة وتنفذ تعليماتها .

وقد هيأ التنافس بين حكام الأقاليم الهندية فرصة لتدخل الشركة فى الشئون الداخلية للبلاد ، وقد تدخل « روبرت كلايف » Clive وكان من موظفى شركة الهند الشرقية فى المشاحنات التى دارت ببعض المناطق بشبه القارة وكان تدخله عسكريا مما نقل التجار إلى غزاة ، وامتد تدخل هذه الشركة فى مناطق أخرى متعددة وبأساليب مختلفة ، فقد كانت الشركة تأخذ إذنا من الإمبراطور بإدارة بعض المناطق باسمه ، وتتعهد بالإبقاء على النظم القائمة ، ثم تبدأ الشركة فى حركة واسعة فى المنطقة باسم الملك فتعزل وتولى ، وكثيرا ما كانت تعزل المسلمين وتولى الهندوس أو الانجليز بدلا منهم ، ثم خطت الشركة خطوة كبيرة حينما أرغمت الإمبراطور المغولى « شاه علم » على التنازل للشركة عن إيرادات البنغال وبيهار ، واستمرت الشركة تخطو فى هذا المجال فاستولت على مناطق أخرى .

ولكن الشركة البريطانية لم تحقق نجاحاً اقتصادياً بسبب النفقات الكثيرة التى تحملتها فى الدفاع عن الخطوات لاستعمارية التى قامت بها ، ومن أجل هذا قدمت بريطانيا قرضا كبيرا لها على أن تصبح الشركة تحت سيطرة الحكومة ، وأن يكون هناك حاكم يمثل الحكومة الانجليزية فى شبه القارة الهندية .

وحكمت الهند فى هذه الفترة بأن قسمت ثلاثة أقسام : قسم مستقل فى الشمال فى منطقتى نيبال وبوتان ، وسكانهما من الهندوس الأقوياء الشجعان ، والأراضى فيها وعره ، وقد قنع الانجليز من هذا القسم بأن يكون لهم فيه مستشار فقط .

والقسم الثانى كان تحت الحماية البريطانية ويشمل مناطق حيدر أباد ، وميسور وكشمير ، ويدفع حكام هذه المناطق خراجا للإنجليز نظير حمايتها لهم .

والقسم الثالث تقوم إنجلترا بإدارته مباشرة ، وهو يشمل مناطق البنغال والبنجاب ومدراس وبمباى (١) .

ثورات الهند ضد الاستعمار

وعندما اتضح للهنود أن الحركة التجارية البريطانية أصبحت استعمارا صارخا ، هبّت بالهند ثورات كثيرة نذكر منها الثورة التى قادها « فتح الله خان » المشهور بلقب « السلطان تيبو » وقد التف حوله المسلمون وكثير من الهنود ، وحارب الاستعمار حربا شرسة حتى سقط فى المعركة سنة ١٧٩٩ م ، وقد وقف القائد الانجليزى على جثته وقال : « اليوم ، الهند لنا » .

ثم جاءت بعد ذلك ثورة هندية عارمة فى مايو سنة ١٨٥٧ م ، اشترك فيها جنود الشركة وضباطهم الهنود مع كثير من طوائف الشعب المسلمين والهندوس ، واستطاعت الثورة أن ترحف إلى دلهى وأن تطلق سراح الإمبراطور المغولى الذى كانت الشركة قد حددت اقامته فى إحدى القلاع وأعلنت حرب سُميت حرب التحرير ، ولكن النجاح فيها لم يتحقق لاختلاف أهداف الثوار ، ولعدم وجود التناسق بين زعمائها ، وبسبب ظهور خيانات ودسائس دفع بها الاستعمار إلى صفوفها .

وكان المسلمون هم الذين قادوا هذه الحركة ، ومن أجل هذا أصبح المسلمون هدفا لانتقام الانجليز والإيقاع بهم .

ورأت انجلترا ألا تترك شبه القارة ملكاً لشركة الهند الشرقية لاضطرابها الاقتصادى ، ولعدم استطاعتها السيطرة على البلاد ،

---

(١) دكتور عبد الحميد البطريق : باكستان فى ماضيها وحاضرها ص ١٨ .

فأعلنت تبعية الهند للتاج البريطانى فى سنة ١٨٥٨ م ، وأصبحت المواجهة الاستعمارية بارزة بكل اتجاهاتها ، فقد حلت اللغة الإنجليزية محل اللغة الفارسية لغة البلاط ، وظهر نشاط التبشير الدينى لتحويل السكان إلى المسيحية ، وأخذت الثقافة الأجنبية تتسلل الى ربوع شبه القارة (١).

ويقول بروفسور رومين إن الذى دفع الحكومة البريطانية لحل شركة الهند سببان ، أولهما طابعه مستمد من السياسة الخارجية ، فقد كانت بريطانيا تخشى طيلة القرن الثامن عشر من احتمال عودة فرنسا للهند ، فلما تبدد هذا الخوف بانهيار إمبراطورية نابليون سنة ١٨١٥ حل محله من جديد الخوف من النفوذ الروسى .

أما السبب الثانى فقد كان داخليا وهو العامل المباشر وراء حل الشركة ، وذلك أن جيش الشركة كان يتألف أساسا من الجنود المسلمين الذين لم يعد من الممكن أن تترك لهم حراسة هذه الشركة (٢) .

ونختتم هذا الإيجاز عن الزحف الإنجليزى للهند بعبارة خطيرة ذكرها غوستاف لوبون هى : توصل الإنجليز لفتح الهند برجال الهند وأموالها ، وبعبارة أخرى بجنود غير جنود إنجلترا ونقود غير نقودهم ، فالحق أن الهند دانت للإنجليز بجيوش مؤلفة من الهندوس ، وبأموال أخذت من خزائن الهند » (٣) .

أما عن ثراء الهند والهنود فيحدثنا الإمبراطور جهانكير فى مذكراته قائلا : كان ملوك الهند يوزنون بالذهب فى الأعياد ويوزعون ما يساويها على الفقراء والمساكين ، وكنت أوزن فى السنة مرتين : مرة فى أول

---

(١) باكستان : من مطبوعات السفارة الباكستانية بالقاهرة ص ٢٨ وما بعدها .
(٢) آسيا المعاصرة : يقظة العملاق ص ١٠٤ من الترجمة العربية .
(٣) حضارة الهند ص ٢٥٠ .

السنة الشمسية ومرة فى أول السنة القمرية ، وأنفق ما يساوى وزنى على الفقراء والمساكين ، وكان الملوك يخرجون للتنزه مساء كل يوم ، فيأخذ كل واحد منهم كيسين من المال ، فيهما آلاف الروبيات وفى الطريق يوزعون هذه الأموال على الفقراء ، فكان الشعب ينعم بالخيرات من كل ناحية ، وكان كل دخل الهند لأهلها لا يخرج منه شىء حتى تكدست الأموال عند كل الناس ، وصارت الهند مضرب الأمثال فى الغنى ، وهذا ما أغرى الغرب بالاتجار مع الهند ، ولكنه اتجه لسلب الأموال بدل التجارة الحقيقية فانقلب ثراء الهند إلى انجلترا ، فأصبحت انجلترا تعيش فى رغد من العيش فى حين يموت الهنود جوعاً (١) .

وقد كتب « لورنس » الحاكم الإنجليزى للهند فى ديسمبر سنة ١٨٥٧ يصور للقائد الإنجليزى مدى ما أوقعة رجاله بالشعب الهندى فقال : أعتقد أن الطريقة التى انتهبنا بها جميع الطبقات من غير تمييز ستصب علينا السخط العام ، وستصب علينا اللعنات إلى الأبد ، وإننا نستحق ذلك(٢)

مسلمو الهند تحت نير الاستعمار

اتجه الإنجليز عقب إعلان السيطرة المباشرة للتاج البريطانى على الهند ، اتجهوا بكل قواهم لمصارعة المسلمين بوجه خاص ، فالمسلمون ينتمون إلى هذا الدين الذى تحركت أوربا كلها لمصارعته فيما يسمى « الحروب الصليبية » وكان لإنجلترا وملكها (ريتشارد قلب الأسد) دورهم الكبير فى هذا الصراع ، وإذا كانت أوربا قد فشلت فى الحروب الصليبية بسوريا ومصر ، فإن الروح الصليبية كانت متأججة فى نفوس الصليبيين ، وكانوا ينتهزون الفرص كلما حانت ليَشْفوا ما بهم من غيظ وحنق ، وكان دخول الإنجليز الهند فرصة للإيقاع بمسلمى الهند ، فذلك امتداد لما يتطلعون إليه من محاولات للصراع ضد الدين الإسلامى الحنيف .

---

(١) نقلا عن تاريخ الاسلام فى الهند للدكتور عبد المنعم النمر ص ٣٨٠ — ٣٨١ .

(٢) Basworth Smith : life of lord lowrance V. 2. P. 158.

ثم إن الحكم كان للمسلمين فى الهند طيلة ثمانية قرون تقريبا ، ويستلزم استقرار الأحوال للإنجليز بالهند أن يقضوا على بقايا الحكام السابقين ، وأن يستعينوا بالهندوس الذين كان الحكم قد أفلت من أيديهم بالزحف الإسلامى ، ومن أجل هذا اتخذ الإنجليز كل الوسائل التى تضعف المسلمين ، ووضعوا قوانين جديدة لحكم البلاد ، وعينوا قضاة للحكم بهذه القوانين من الإنجليز أو من الهندوس ، واستولوا على أموال الأوقاف التى كانت ينفق منها على التعليم ومراكز العبادة .

واستبد الإنجليز بإقامة المدارس ، ولكن هذه المدارس عُنيت عناية كاملة بإبعاد الطلاب عن الإسلام ، وأحيانا بجذبهم إلى المسيحية ، واسُتبْعِد المسلمون كذلك من قوات الأمن ومن إدارة الجيش والإدارة ومن المناصب الكبرى ، وكل هذا وضع حواجز ضخمة بين الإنجليز وبين المسلمين بوجه خاص .

وقد صور كاتب إنجليزى سياسة الاضطهاد التى قام بها الانجليز ضد المسلمين بقوله : إنه لن يجدينا نفعا أن نصم آذاننا عن هذه الحقيقة الماثلة من أن المسلمين الهنود قد ارتكبنا ضدهم أمورا خطيرة لم ترتكبها حكومة من الحكومات ، إنهم يستطيعون مقاضاتنا عن هذه الأمور ، يقاضوننا عن أغلاق كل حياة كريمة فى وجوههم ، ويقاضوننا عن نظام التعليم الذى دفعهم الى الجهل ، وعن نظام الاقتصاد الذى حكم عليهم بالفقر ، لقد عاش ملايين المسلمين فى الهند بعد سقوط دولة المغول فى تعاسة وشقاء بعد أن فقدوا كبرياءهم وأملاكهم وقوتهم (١) .

وكان من نتائج الاستيلاء على أموال الأوقاف أن أغلقت المدارس الإسلامية ، فإذا أضيف إلى ذلك أن المسلمين رفضوا أن يلحقوا أبنائهم بالمدارس التى فتحها المستعمر بالهند فإنه ينتج عن ذلك حقيقة" مرة هى

(1) Sir William Hunter : Indian Muslimans.

أن الجهـل أصبح شاملا فى صفوف المسلمين ، ولم يبق للفكر سـبيل إلاّ ما يقدمه « الملا » للطلاب ، والملا إنسـان قليل البضـاعة فى هـذا المجـال ، وهـكذا أصبح المسلمون يعـانون الأعـداء الثـلاثة وهى : الجهـل والفقـر والمـرض .

ومضـات إسـلاميه

وبينما كان الظلام الحالك يحيط بالمسلمين فى شبه القـارة الهندية ، وبينما تعاون الإنجليز مع الهندوس والسـيخ وبعض الاسماعيلية ضـد المسلمين ، بدأت تنبثق أشعة من النور لتضع أسـاساً للقضاء على المظالم التى كانت تنزل بالمسلمين ، ولإعطائهم الحق فى حياة كريمة ، وقد بدأت هذه الومضات منذ ظهر سلطان الشركة البريطانية ، وقويت أشـعة النور من يـوم إلى يـوم ، ومن قرن إلى قرن حتى ظهـرت باكسـتان دولة إسلامية يعيش فيها المسلمون أحرارا ، ويباشرون سيادتهم دون تدخل من محتل أجنبى ، أو من الهندوس ، وفى الصفحات التاليـة سنسير مـع مراحـل الجهود التى انتهت إلى هذه النتيجة السعيدة :

شـاه ولى اللـه الدهلـوى :

عاصر شاه ولى الله أحرج فترة فى تاريخ الإسلام فى الهند فقد ولد سنة ١٧٠٤ م وتوفى سنة ١٧٦٣ م أى أنـه عاصر فى مطلع حياته عهـد الإمبراطور العظيم أورانجزيب ، ثم عاصر من بعـده الملوك الضـعاف الذين انهـارت السـلطة من أيديهـم ، وسُلِبت أخـيرا الى الحـكم الإنجليزى ، ولهذا كان دورُه فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين عظيماً .

وقد تلقى شاه ولى الله ثقافته الأولى فى الهند ، ثم حج إلى بيت الله الحرام وهنـاك التقى بمجموعة من المفكرين والباحثين ، فتلقى عنهـم مزيدا من المعرفة ، كما اشتعل حماسةً ضـد أعـداء الدين الذين كانوا يظهرون فى بلاد مختلفة وظروف متعددة .

ولما علا شأن ولى الله أعطاه السلطان محمد شاه بناء كبيرا ليكون مدرسة له ، وأصبحت هذه المدرسة مركزا ممتازا تخرج منه عدد كبير من المفكرين والمجاهدين ، ساروا جميعا على نهج شيخهم ، واقتبسوا طريقته .

ولما سلب الإنجليز السلطة من الإمبراطور وتركوه مَلِكاً لا يحكم ، هبّ تلاميذ هذه المدرسة بقيادة الشاه عبد العزيز بن شاه ولى الله ، وأعلنوا أن الجهاد أصبح هو الطريق الوحيد للمسلمين ، وأن الهند دار حرب ، وليست دار سلام ، وأن رئيس البلاد لم يعد فى يده سلطة ، وإنما انتقلت السلطة إلى أعداء الدين الذين سلبوها بالقوة ، والواجب على المسلمين أن يهبوا للدفاع عن بلادهم ، وأخَذَ تلاميذ هذه المدرسة يطوفون البلاد بهذه الدعوة ، ويكوّنون الجيوش من أجلها ، ولم يكتفوا بالدعوة لمحاربة الإنجليز ، بل قالوا أيضا بمحاربة السيخ الذين أكثروا من العدوان على مسلمى الهند .

وهكذا كانت مدرسة شاه ولى الله من أهم مدارس الفكر والجهاد فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ الاستعمار فى الهند .

أما الدعوة التى حمل لواءها شاه ولى الله فتتلخص فيما يلى :

١ — كانت المناقشات الفقهية والكلامية هى مظهر الدين فى عصر الانحطاط الفكرى بالهند ، فهبّ الدّهلوى ليضع أساسا صحيحا للبحث ، يرتكز على القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وجمع حوله مجموعة من مريدية فأنشأ مدرسة « ديوبنية » وندوة العلماء ، وبمرور الزمن أصبح فكر الدهلوى هو الفكر السائد فى الهند .

٢ — شرح الدهلوى فلسفة التشريع الإسلامى وأسراره فى كتابه « حجة الله البالغة » فكان ذلك منارا للباحثين من بعده .

٣ — أيقظ الهمم بعد سقوط الحكومة الإسلامية فوضع نواة أولى لمقاومة الاستعمار .

وكان أسلوب الدهلوى يتجه للعلم والفكر لا للـدم والصراع وهـو بهذا يختلف عن معاصره « الإمام محمد بن عبد الوهاب » لأن الحيـاة البدوية بالجزيرة العربية كانت تحتاج للشدة والصلابة •

٤ ـ اتجه للتقريب بين التصـوف من جانب والفقـه والسنة من جانب آخر فظهرت مدرسة توفيقية فى هذا المجـال •

ونتوقف قليلا عن مواصلة الحديث عن الزعماء الذين يمثلون ومضات إسلامية مهمة ، لنتحدث عن جماعتين مهمتين ضمتا زعامات إسلامية كثيرة ، لعبت دورا مهما فى تاريخ الإسلام بالهند ، وهاتان الجماعتان هما :

المؤتمر الوطنى ، والرابطـة الإسلامية :

وهما جماعتان مهمتان كان لهما دور كبير فى استقلال شبه القـارة الهندية وفى قيام دولة باكستان ، وقد ارتبط بالرابطة الإسلامية نشـاط رواد السياسة والفكر من مسلمى الهند ، فعن طريق الرابطة أذيعت أفكار هؤلاء الرواد ، وأثمرت ، ومن أجـل هذا يجدر بنا أن نتكلم كلمـة عن هذين التجمعين وبخاصـة عن الرابطة الإسلامية التى ستصبح مجـالا يصب فيه القادة المسلمون بالهند أفكارهم واتجاهاتهم كما سنرى فيما بعد:

المؤتمـر الوطنى :

منظمة سياسية هنـدية أسست سـنة ١٨٨٥ من ممثلين للهنـدوس والمسلمين الهنود ، وكان أعضاؤها من المثقفين ، وكانت تعمـل فى بادىء الأمر على أن تنال الهند استقلالها الداخـلى وكانت تتخـذ الوسـائل الدسـتورية لذلك •

وفى سنة ١٩١٧ غيَّر المؤتمر اتجاهه فطالب بالاستقلال التام ، وذلك بتأثير الأعضاء المتشددين المكافحين بقيادة غاندى على الأعضاء المعتدلين ،

واتخذ المؤتمر المقاومة السلبية سياسة لــه ، وأعلن المؤتمر ســنة ١٩٣٠ استقلال الهند ، فحاربت الحكومة الإنجليزية قادته ، وقبضت على عــدد منهم وألقتهم فى السجون •

وقد حدث فى هذه المنظمة تحول كبير عندما برزت الرابطة الإسلامية ، وهى مؤسسة كان أكثر أعضائها يشغلون كذلك عضوية المؤتمر فى نفس الوقت ، ولكن الرابطة الإسلامية كانت تهتم بالتأكيد على حقوق المسلمين بالهند داخل الدولة الموحدة ، ثم تحولت للكفاح من أجل قيام دولة خاصة بهم كما سنرى فيما يلى :

الرابطــة الإســلامية :

حزب سياسى تكون فى الهند سنة ١٩٠٦ بدعوةٍ تقدَّم بهــا « نواب سليم الله » فى ٣٠ ديسمبر ١٩٠٦ ، واستجاب زعمــاء المسلمين لهــذه الدعوة ، وقد عُقِدَ الاجتمــاع الأول للرابطــة بمدينة « دكــا » واتجه الحزب فى مراحله الأولى إلى حمــاية حقــوق المسلمين فى شبه القــارة الهندية ، وكان أعضاء هذا الحزب يعملون جنبا إلى جنب مع أعضاء حزب المؤتمر من الهنود للمطالبة بالحكم الذاتى للهند ، ثم بالاستقلال التام على أن يكون للمسلمين حقوقهم الطبيعية فى المجتمع الهندى •

وكانت الرابطة الإسلامية تعقد اجتماعات سنوية فى المدن الهندية ، مثل دكا وبومباى وكلكتا والله أباد ولاهور ودلهى ، وكان الحــزب يتخذ قرارات وتوصــيات تخــدم المصــالح الإســلامية ، وترعى المجتمــع الإســلامى بالهند •

وفى اجتماع الرابطة سنة ١٩٣٠ فى « الله أباد » ألقى محمد إقبال بيانا اعتُبِرَ معبرا عن شعور المسلمين آنذاك وعن آمالهم ، فقد قال إن الوسيلة لتحقيق آمال المسلمين لا تكون إلا بتكوين دولة خاصــة بهم فى الهنــد وسنشرح فيما بعد رأيه عند الكلام عنه بعد قليل •

ومن الشخصيات الشهيرة التى ارتبطت بحزب الرابطة الإسلامية مولانا محمد على ، وأخوة شوكت على ، والشاعر محمد إقبال ، وسيد أمير على ، ولياقت على خان الذى أصبح أول رئيس لوزراء الباكستان ثم القائد الأعظم محمد على جناح الذى كتب له أن يحقق بواسطة الرابطة آمال المسلمين فى الهند •

وبعد هذا الحديث الموجز عن حزب المؤتمر وعن الرابطة الإسلامية نستأنف الكلام عن الرواد المسلمين الأوائل فى الهند الذين أسهموا فى خلق دولة « باكستان » •

سيد أحمد خان :

إذا كان « شاه ولى الله » قد عاصر مطلع الزحف الإنجليزى على الهند ، وعاش عمره فى القرن الثامن عشر ، فإن السيد أحمد خان عاش عمره فى القرن التاسع عشر ، فقد وُلِد سنة ١٨١٧ وتوفى سنة ١٨٩٨ ، وقد اتفق الرجلان فى محاولة رفع شأن المسلمين بالهند ، وإن اختلفت طريقة هذا عن ذلك ، فقد رأينا « شاه ولى الله » يهتم بالعلم والجهاد ، ولكن السيد أحمد خان وجه أكثر جهده الى العلم وحده ، ربما لأنه رأى أن الجهاد أمل كان بعيداً بسبب تمكن السلطة الإنجليزية فى عهده •

وكان السيد أحمد خان ينادى بأن الضرورة تقضى بمحاربة الجهل أولا ، أما الجهاد والاستقلال فيكونان بعد ذلك ، فلا استقلال لجاهل ، ولا مخرف ، وإنما عماد الاستقلال هو العلم بشئون الدنيا والدين ، ونُظُم الإدارة والحكم ، وكان يصرّح بأن فهم الإسلام على أصوله كفيل بتحقيق المآرب كلها ، ولا بأس عنده من مسالمة المستعمرين مؤقتا للاتجاه بكل القوى إلى الثقافة والعلم ، ونَشْرهما بين جماعات المسلمين •

وهاجم السيد أحمد خان اتجاهات بعض الصوفية بتقديس الأولياء والأضرحة وعدّ ذلك زندقةً لا تمثل الإسلام •

وقد علنى السيد أحمد خان من هذا الاتجاه شرّ عناء واُعتبرت مهادنته للإنجليز خيانة وطنية ، ولكنه سار فى طريقه غير متردد ، واتجه إلى الإصلاح الاجتماعى والنهضة الثقافية ، إذ هاله أن سياسة العزلة أضرّت بالمسلمين ، وانتهزها الهندوس فرصة ، فألحقوا أبناءهم بالمدارس ونالوا قسطا كبيرا من المعرفة ، وحُرِم المسلمون منها ، وإذا كان المسلمون يخافون على أولادهم من مدارس الإنجليز ، فقد بادر هو بإنشاء المدارس التى لا يخاف المسلمون منها ، بل ترقىّ فى أفكاره فعمل على إنشاء جامعة تسير على نهج الجامعات الغربية ، وتنفيذا لهذه الفكرة أنشأ كلية فى « عليكره » بالغرب من دلهى أصبحت فيما بعد جامعة شهيرة ، وحدّد لها أغراضا ثلاثة هى :

١ — أن تعلّم المسلمين الثقافة الغربية والشرقية دون تعصب أو جمود •

٢ — أن يُعنْى فيها بحياة الطلبة الاجتماعية ، بحيث يجد الطلاب بها مساكن تقيهم شرور المدن ومفاسدها ، ليدرك الآباء أنهم يرسلون أبناءهم إلى بيئة صالحة •

٣ — أن يُعنْى فى نظام الكلية بترقية العلم وتربية البدن وتهذيب الخلق ، وبعبارة أخرى يكون الغرض منها « التربية » وليس التعليم فقط (١) •

ونجحت الفكرة نجاحا هائلا ، وأقبل عليها المسلمون إقبالا واسعا ، وأصبح طابع الكلية التربيةَ وليس السياسة •

وأنشأ بجانب الكلية مجلة دورية سماها « تهذيب الأخلاق » حتى يرسل أشعة النور إلى الذين لا يلتحقون بكليته •

---

(١) احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ص ١٤٠ •

وصرخ السيد أحمد خان بأن النور أصبح يأتى من الغرب بعد أن كان يأتى من الشرق ، وكما تلقى الغرب دراساته عن الشرق أيام كان الشرق مبعث النور ، فيجب على الشرق الآن أن يتجه ليتلقى معارف الغرب ، وصرخ كذلك بأن التعليم كان فى الماضى دينيا محضا ، لا يعبأ بالدنيا ، وقد تطرف فى الأولى وأخلّ فى الثانية ، فحبذا الجمع بين الدين والدنيا •

وأقبل كثير من مسلمى الهند على فكرة السيد أحمد خان ، وترك بذلك فى الهند آثارا رائعة فى الناحية العلمية والاجتماعية ، وتخرج فى كليته الرعيل الأول من ساسة الباكستان ، وقادة الفكر فى العالم الإسلامى من أمثال مولانا محمد على ، والخواجه نظام الدين ، ولياقت على خان الذى أصبح رئيسا لوزراء باكستان فيما بعد وكثيرون سواهم •

ومما أُخذ على السيد أحمد خان أنه فى أكثر حياته كان يتجه إلى أن الهند أمة واحدة ، وأن الإسلام والهندوكية والنصرانية عقائد يجب ألا تؤثر فى الوطنية ، ولذلك كان يرى أن النزعة إلى تقسيم الهند فكر" باطل (١) ، وكان ذلك مما أثار عليه كثيرين من المفكرين المسلمين •

ومن مزيد من المطالعات حول أفكار السيد أحمد خان يبرز لنا أنه فى أواخر أيامه اتجه إلى فكرة تقسيم الهند وهو فى ذلك يقول : إن الأغلبية سوف تتجاهل مصالح الأقلية ، وإن الرعاع سيحملون الحكومة على أن تقيس بمقاييسهم ، ومن ثمّ تتسع هوة الخلاف من ناحية الجنس ومن ناحية العقيدة •

وكان ذلك لتأثير السيد أمير على الذى أسس الجمعية الوطنية الإسلامية ودعا السيد أحمد خان للتعاون معه فيها للدفاع عن حقوق المسلمين (٢) •

---

(١) أحمد أمين : المرجع السابق ص ١٤١ •
(٢) أحمد أمين : ص ١٤٩ •

ويعلق الدكتور البطريق على هذا التصريح بقوله : ومعنى هـذا أن فكرة الانفصـال عن الهند قد اختمرت فى ذهن السيد أحمد خـان ، فهو فى هذا الحديث يضع حجر الزاوية فى بنـاء الباكسـتان ، ويوجّه نظـر المسلمين إلى أن يسلكوا سبيل العمل على إيجـاد دولة خاصـة بهـم ، ويعترض على المؤتمر الوطنى الهندى الذى تألف سنة ١٨٨٥ م ، والذى كان يرى أن الهند وحدة واحـدة ، ومن أقواله فى الاعتراض ما يلى : إن مطالب المؤتمر غير ملائمة ألبتة لقطر تقطنه أمتان مختلفتان (١) .

ويأخذ الباحثون المسلمون بالهند على السيد أحمد خان أن الناحيـة الإسلامية فى دعوته كانت حافلة بالاخطار والمخاوف ، وذلك بسبب ضعفه فى العلوم الإسلامية وعدم إلمامه بروح الإسلام وشريعته إلماما كافيـا ، ومن أجل هذا قام زميله محمد شبلى النعمانى بمحاولة تصحيح أخطـائه الضارة واتجاهاته الخطيرة كما قام بإحياء العـلوم الإسلامية وعرضـها بأسلوب حديث وفهم عصرى ، فكان الأول يتجه للتربية والتعليم أكثر من اتجاهه للإسـلام وكان الغرب عنده هو القدوة بخـلاف الثانى الـذى جعل الإسلام أسمى هدف وأعظم غاية (٢) .

المعـاهد الإسـلامية بالهنـد :

ونتوقف قليلا عقب حديثنا عن السـيد أحمد خـان مؤسس كليـة عليكره لنذكر المعاهد الإسلامية الشهيرة بالهند والتى أُنشئت فى القـرن التاسع عشر استمرارا لجهود السيد أحمد خان ، ومن هذه المعاهد ما يلى :

---

(١) باكستان : ماضيها وحاضرها : ص ٢٦ .
(٢) دكتور محمد اسماعيل الندوى : نظرات جديدة فى شعر اقبال ص ٩٦ — ٩٧ .

دار العـلوم :

أنشئت فى أواخر القرن التاسع عشر فى « ديوباند » أنشأها مولانا محمد قاسم ويوحى اسمها وتاريخ إنشائها بعلاقتها بدار العلوم بالقاهرة التى أنشئت سنة ١٨٧١ م ، ويرتبط المعهدان كذلك فى مجموعة الدراسات التى كانت تدرس بهما والتى شملت بالإضافة للعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وعلمَ الفلك والرياضة والكيمياء .

ومدينة « ديوباند » مدينة صغيرة تقـع على مسـافة ٩٠ ميـلا شمالى دلهى .

الجامعـة المليـة الإسلامية :

أسسها الدكتور ذاكر حسين بدلهى سنة ١٩٢١ ، وكان التعليم بهـا باللغـة الأردية ، بعد أن قاطع الهنود المسلمون المدارس الإنجليزية وقد أنشئت هذه الجامعة أساسا لتكون معهداً لتدريب المعلمين فكان بهـا قسم خاص بمحو الأمية للكبار ، سواء الأمية الخاصة بالقراءة والكتابة أو الأمية الفكرية التى تقدّم بعض الثقافة للذين فاتهم ركب الثقافة .

جمعيـة علمـاء الهنـد :

أسّست هذه الجمعية خـلال الحرب العالمية الأولى ، وكانت لهـا صحف ومجلات ونشـاط دينى واجتمـاعى واسـع ، وللجمعية مجلس مركزى وفروع فى مختلف نواحى الهنـد ، وتُعنى بإنشـاء المـدارس الإسلامية وبمختلف نواحى النشاط التربوى والدينى .

وبعد هذا الحديث الموجز عن أشهر المعاهد الإسلامية بالهند ، نعود لاستئناف الحديث عن أشهر الشخصيات الإسلامية بالهند فى عصر ما قبل قيـام الباكستان :

أغاخـــان :

وُلِدَ أغاخان بكراتشى فى ٢ نوفمبر ١٨٧٧ وكان منذ أوائل القـــرن الحـــالى زعيما من زعماء الحركة الإســـلامية • وكان على رأس الوفـــد التاريخى الذى كان يضم ممثلين عن كل المسلمين فى جميع أنحـــاء الهنـــد والذى ذهب إلى سملا عام ١٩٠٦ ليقدم لنائب الملك لورد منتو العريضـــة التى ضمنوها مطالب المسلمين فى الاحتفاظ بدوائر انتخابية خاصـــة بهم ، وكفالة حقوقهم ، الأمر الذى يعد بحق أول خطوة اتخذت فى سبيل اقامة دولة خاصة بمسلمى الهند • والواقع أنه كان لهـــذا الاجتماع التاريخى أثره فى تأليف حزب الرابطة الإسلامية فى العام نفسه • وقد انضم أغاخان إلى الحزب الجديد وكان رئيساً له من سنة ١٩٠٩ إلى ١٩١٤ ، وأغاخان من أقدم الســـاسة المسلمين الذين ظهروا على مسرح الحوادث فى شبه القارة ، وكانت له صلات بالسيد أحمد خان الذى رَحّب بـــه أول مرة زار فيهـــا عليكره عام ١٨٩٦ حيث طلب منه المعونة فى تأسيس كليتها المشهورة •

وقد بذل أغا خان جهودا مشكورة فى هذا الســـبيل • وبعد مـــوت السيد أحمد خـــان تولى قيادة حركة عليكره هذه وجمع لهـــا مبالغ كبيرة أربت على ثلاثة ملايين روبية خصصت كلها لتأسيس الكلية • وفى عـــام ١٩٢٨ رأس أغا خان مؤتمر مسلمى عموم الهنـــد كما رأس عام ١٩٣٠ — ١٩٣٢ الوفد المسلم لمؤتمر المائدة المستديرة بلندن • والواقع أن الجهود التى بذلها أغا خـــان أثمرت فى كفالة حقوق المسلمين وفى تخصيص دوائر انتخـــابية لهـــم •

وحين كان أغا خان رئيسا للجمعية العامة بعصبة الأمم كان له دور كبير فى الترحيب بعضوية مصر والعـــراق وتركيـــا وغـــيرها من الـــدول الإسلامية فيها ، وكان أغا خـــان شديد الإعجاب بالقائد الأعظم محمد على جنـــاح ، وكان يؤيده فى كفاحه فى سبيل تحرير المسلمين (١) •

---

(١) محمود سامى : صفحات خالدة من تاريخ الباكستان ص ٤٢ — ٤٣ •

السيد أمير علي :

ولد السيد أمير على سنة ١٨٤٩ ، وتلقى دراساته الأولى فى كلكتا فى الهند ، ثم سافر إلى لندن حيث درس القانون ، ولما عاد اشتغل بالتدريس بجامعة كلكتا ، ثم عين كبيرا للقضاة بهذه المدينة ، ثم عميدا لكلية الحقوق بجامعة كلكتا •

وفى سنة ١٩٠٩ انتخب عضوا بالمجلس المخصوص البريطانى فى لندن ، فكان أول هندى شغل هذا المنصب العظيم ، وأمير على كان حُجَّة فى الفقة والتاريخ والتشريع الإسلامى وقد ألف باللغة الإنجليزية كتبا مهمة يدافع فيها عن الفكر الإسلامى ومن أهمها :

روح الدين الإسلامى = The Spirit of Islam

مختصر تاريخ العرب = A Short History of the Saracens

وكان السيد أمير على ينتمى إلى أسرة النبوة ، كما كان واسع الثقافة ، ومن هنا كانت مكانته عالية عند الإنجليز •

وقد قاد حركة سياسية إسلامية فى الهند ، ومن أجل ذلك اضطهده بعض المحافظين الإنجليز ، إذ كان الإنجليز فى الهند يعادون بطبيعة الحال كل من يهاجم الاستعمار ، وقد بذل جهدا كبيرا لإصلاح الحياة الاجتماعية لمسلمى الهند ، ودعا إلى تربية البنات المسلمات ليصبحن على نمط أمهات المسلمين المؤمنين فى العلم والمعرفة ، وكتب كثيرا من المراسلات إلى كبار الساسة الإنجليز يبرز حقوق المسلمين فى الهند ، وضرورة الاعتراف بها ، كما كتب مقالات متعددة فى الصحف الإنجليزية يشرح اتجاهاته ويدعو إلى إعطاء المسلمين حقوقهم فى الهند •

وقد استطاع السيد أمير على أن يحقق كثيرا من أطماعه لمواطنيه المسلمين فى شبه القارة الهندية فجمع شملهم وأعلى قدرهم ووجههم إلى

الاتجاه الاستقلالى الذى تحقق بقيام دولة باكستان فيما بعد ، وقد توفى السيد أمير على سنة ١٩٢٨ .

محمد إقبال :

محمد إقبال شاعر فيلسوف ينحدر من أسرة هندوكية من البراهمة كانت تعيش فى كشمير ، ومنها ينحدر كذلك البانديت نهرو ، وقد دخلت هذه الأسرة الإسلام فى القرن السادس عشر وانتقلت إلى سيالكوت حيث ولد إقبال سنة ١٨٧٣ ، وكان إقبال كثيرا ما يذكر كشمير فى شعره ، ومن ذلك قوله :

وبلبل كشمير فى الهند ناءٍ
عن الروض ناءٍ عن الموطن (١) .

وفى مدينة سيالكوت حفظ إقبال القرآن الكريم وتلقى مبادىء العلوم ثم انتقل إلى لاهور عاصمة البنجاب حيث التحق بكليتها ونال الليسانس والماجستير ، وبعد ذلك التحق بجامعة كمبردج بإنجلترا وجامعة ميونيخ بألمانيا ، وعاد إلى وطنه سنة ١٩٠٨ حيث اشتغل بالتعليم والمحاماة ، ونَظْم الشعر فى الفلسفة والطبيعة ، وذاع صيته فى الهند ، وكَثُرَ مريدوه ، وقد بنى دعوته على طرح التصوف العجمى الذى يتجه للاستكانة والاستسلام ، ودعا للتصوف العملى ، الذى يدعو للعمل والجهاد واتخذ من الرسول والخلفاء الراشدين نماذج له .

وكان إقبال شاعراً عالميا ، وكان فى شعره يحاول بعث الأمة الإسلامية كلها من أقصاها إلى أقصاها ، ومن شعره الإسلامى قوله :

إنما الكافر حيران له الآفاق تِيهْ
وأرى المؤمن كوناً تاهت الآفاق فيهْ

واتجه إقبال بثقافته اتجاها فلسفيا إصلاحيا وذلك فى أخطر كتاب له وهو « تجديد التفكير الدينى فى الإسلام » .

(١) د. عبد الوهاب عزام : محمد اقبال ص ٦٧ .

ومن شعره فى وصف الطبيعة قصيدته التى عنوانها « الهملايا » ومنها :

أيها الهملايا أنت جدار مجد الهند وعظمتها الخالدة ، ومن علو ارتفاعك نحو السماء نراها تريد أن تقبّل جبينك ، أنت هنا منذ آلاف السنين ومع ذلك لا أرى فيك أثر القدم والملل بل أنت فى نضارة شبابك رغم اختلاف الليل والنهار عليك عدة قرون ٠٠٠٠ إن صوت شلالاتك تجذب قلوبنا للاستماع ، وأشجارك الصامتة غارقة فى التفكير ، والشفق فى سمائك يبرز خديك وهما يتجملان بالحمرة النقية ٠٠٠٠٠٠

وآخر شعر قاله إقبال وهو يحتضر هو :

آية المؤمن أن يلقى الردى   باسم الثغر سرورا ورضا

وكان لإقبال فلسفة دينية بناها على أن الذات حق لا باطل ، وهدف الانسان إثبات ذاته لا نفيها ، والإنسان الكامل هو الأقرب إلى الله ، ولكن ليس القصد بهذا القرب أن يفنى وجوده فى وجود الله ، كما تقول فكرة وحدة الوجود التى نادى بها ابن العربى بل المقصود أن يرقى بأخلاقه ليتخلّق ببعض الصفات التى يوصف بها الله كالكرم والحلم والقوة •

ويرى إقبال أن المادة ليست شراً بل هى تُعِينُ على الرقى ، فإن قوى الذات الخفية تتجلى فى مصادمة العقبات التى تضعها المادة ، وإذا قَهرت الذات هذه العقبات بلغت منزلة الاختيار (١) •

وقد أثرت هذه الفلسفة على حياة إقبال السياسية والاجتماعية ، ومن أجل هذا دعا قومه إلى الأخذ بأساليب التعاليم الإسلامية الصحيحة

---

(١) مقتطفات من كتاب « نظرات جديدة فى شعر اقبال » للدكتور محمد اسماعيل الندوى •

ونبذ المادية الغربية الطاغية ، ومن هنا كان مسلماً فى فلسفته واتجاهاته السياسية كما أشرنا آنفا ، ولهذا رجع بسرعة عن مبدأ الإيمان بوحدة الهند ، وقال بالانفصال وتكوين دولة خاصة بالمسلمين ، وهو يُعَدُّ أولَ من رسم حدود الدولة الجديدة دولة الباكستان ، فقد قال فى خطاب له سنة ١٩٣٠ موجَّهٍ إلى أعضاء الرابطة الإسلامية ما يلى :

« إنى أحب أن أرى البنجاب ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان قد اتَّحدت جميعها فى دولة واحدة تحكم حكما ذاتيا فى داخل الإمبراطورية البريطانية أو خارجها .

« وأرجو ألا تؤرق هذه الفكرة أجفان الهندوس أو الإنجليز ، وهذه رغبة تؤازرها اتجاهات المسلمين الصادقة فى التقدم الحر ، والذى يستحيل إيجاده عمليا تحت الحكومة الهندية الموحدة ، التى ينادى بها قادة الهند بحجة تأمين السيطرة الدائمة على المجتمع فى كل أنحاء الهند ، ولا يروِّع الهندوسَ أن تقوم دولة إسلامية مستقلة بالهند ، فليس معنى هذا أن يكون ذلك مقدمةً لنوع من الحكم الإسلامى الشامل فى الهند ، بل المبدأ الذى ستقوم عليه هذه الدولة أن كل جماعة لها الحق فى أن تعمل بوسائلها الخاصة على تقدم متحرر من غير أن تكون مدفوعة بإحساس اجتماعى ضيق .

وإنى أصرح باحترامى العميق للعادات والقوانين والنظم الاجتماعية والعقائد الدينية فى المجتمعات الأخرى . ومن واجبى حسب تعاليم القرآن أن أدافع إذا احتاج الأمر عن معابد الآخرين » .

ويعلق الرسميون الباكستانيون على هذا الخطاب بقولهم : إن حل المشكلات المعقدة المرتبطة بالمسلمين بالهند جاء لا من قبل أحد الساسة ، ولكن من قبل أحد الشعراء المنكرين وهو الفيلسوف محمد إقبال ، ففى الدورة السنوية التى عقدها حزب الرابطة الإسلامية فى « الله أباد » سنة ١٩٣٠ وكانت برياسة إقبال أوضح أن مستقبل

المسلمين يكمن فى استقلالهم السـياسى ، وأن تأسيس وطن خاص بهـم لا يحقق أمانيهم وآمالهم فحسب ، بل إنه أمر يخـدم مصالح شبه القارة بأسرها ، ومع أن المسلمين فكروا فى هذه الخطـوة من قبل إلا أن إقبـال كان الرجل الذى رسم معالم الطريق لتحقيقها (١) •

وهذه الفكرة التى وضحها إقبال سـارت فى طريقها وتبناها زعمـاء الباكستان وتحمسوا لها يوما بعـد يوم حتى أصبحت حقيقة واقعـة على يد محمد على جناح الذى سنتكلم عنه فيما بعد :

مولانـا محمـد عـلى :

ولد مولانا محمد على فى مدينة رامبور سنة ١٨٧٨ وتوفى سنة ١٩٣١ فى لندن ، ودفن بالقدس ، ومحمد على أحـد مريدى جامعـة عليكرة ، وقد التحق بعدها بجامعة أكسفورد ، وبعد نجاحه فيها عاد للهند وشغل بعض المناصب ثم استقال ليتفرغ للمسائل العامة وخدمة مسلمى الهند بوجـه خاص ، والمسلمين فى جميع الأرجاء بوجـه عام ، وفى الهنـد اشترك فى الحـركة الوطنية ، وكان عضوا بارزا فى حـزب المؤتمر ، وانتخب رئيسا له وعندما قامت حركة الخلافة العثمانية بين سنتى ١٩١٨ و ١٩٢٤ دعـا لمسـاعدة الدولة العثمانية التى كان يراها رمز وحـدة للعالم الإسلامى ، وألف كتابه « الخـلافة » واشترك معه فى النضـال لقضية الخلافة أخوه شـوكت على •

وقد انفصل محمد على عن المؤتمر لتمسكه بالقضية الإسـلامية ، وانضم الى الرابطة الإسلامية •

وقد اشتغل محمد على بالصحافة ، وهاجم الإنجليز مرارا فألقـوا القبض عليه وحكم عليه بالسجن هو وأخوه وله ترجمة جيدة للقرآن الكريم •

---

(١) الباكستان : من مطبوعات السفارة الباكستانية بالقاهرة ص ٣٧ ، ولو ظل للعلماء والمفكرين نفوذ فى العـالم الاسلامى لحقق هؤلاء لأوطانهـم ما حققه اقبال ، ولكن الساسة بذلوا كل جهودهم للقضاء على نفوذ العلمـاء فكانت الكارثة . (المؤلف)

محمد على جناح
وقيام دولة الباكستان

منح مسلمو الهند لقب « القائد الأعظم » لمحمد على جناح اعترافا بجهوده الكبيرة لوضع آمال المسلمين بالهند موضع التنفيذ ولقيادتهم الرشيدة حتى تحقق الحلم الذى كانوا يتطلعون إليه ، وقامت دولة « باكستان » على يده •

ومن أجل هذا يستحق محمد على جناح تعريفا أطول لحياته وجهوده :

كان محمد على جناح شخصية بارزة فى المؤتمر الهندى ، وكان يقوم بدور السفير المسلم الذى يحمل آمال المسلمين للمؤتمر الهندى ، ولحرصه على أن يقوم بهذا الدور لم ينضم للرابطة عند تأليفها ، ربما لأنه آثر أن يحتفظ بثقة أعضاء حزب المؤتمر فيه حتى يستطيع أن ينال للمسلمين حقوقهم • وقد ظل حتى سنة ١٩١٢ شديد الحرص على الوحدة بين المسلمين والهندوس •

وفى سنة ١٩١٢ انضم محمد على جناح للرابطة الإسلامية مع احتفاظه بعضويته ونشاطه فى حزب المؤتمر ، وكان حزب الرابطة آنذاك يعمل للمحافظة على حقوق المسلمين فى الدولة الموحدة فى شبه القارة الهندية ، ومن أجل المحافظة على هذه الحقوق كان جناح يطالب بثلث عدد المقاعد فى المجلس النيابى للمسلمين ، كما كان يطالب بضمانات أخرى تحفظ للمسلمين حقوقهم ، وقد ظل الحال على ذلك حتى سنة ١٩٢٩ ، وفى هذه السنة بدأ جناح يقتنع بعد جهاد طويل أن الاتفاق بين أطماع الرابطة الإسلامية ، وبين اتجاهات المؤتمر الهندى مستحيلة ، ولهذا أعلن انسحابه من المؤتمر ، وأصبحت هناك مؤسستان تعمل إحداهما لصالح المسلمين والأخرى لصالح الهندوس ، إلى أن بدأ إقبال يصرح بضرورة التقسيم فى العالم التالى أى فى سنة ١٩٣٠ •



القائد الأعظم : محمد على جناح

وكان هذا الاتجـــاه نتيجـــة للفظائع والمجازر التى هبت بين المسلمين والهندوس والتى كان ضحايا المسلمين فيها كثيرين كثرة بالغة .

وكانت شخصية جناح شخصية قوية ، ويوصف بأن قســمات وجهه كانت حاسمة ، وكانت عيناه فولاذيتين وكانت له ابتسامه تجمع بين القوة

والسحر . ووصفه بعض الأجانب الذين عرفوه بأنه أهم رجل فى آسيا ، كما اعتبره الباكستانيون منقذ الشعب ومحرر الأمة .

وكان محمد على جناح شيعياً ، ولكنه كان واسـع الفكر لم يعرف التعصب للتشيع ، وكان يدعو إلى الوحـدة الإسلامية وينهى عن التعصب المذهبى بين الشيعة والسنة (١) .

وفى سنة ١٩٣٠ أى فى الفترة التى اتجه جناح بكل قوته للدفاع عن مصالح المسلمين ، عقدت الحكومة الإنجليزية بلندن مؤتمرا يجمع زعماء المسلمين والهندوس لمناقشة القضية الهندية ، وبعد نهاية المؤتمر بقى جناح فى لندن فترة ، كأنما كان يحس أن مفتاح حل مشكلة المسلمين يوجد هناك ، ولكن غيابه عن الهند أضعف جانب الرابطة ، ولهذا أسرع بالعودة ، وكان من أعماله عقب عودته أن فتح باب عضوية الرابطة لجماهير المسلمين ، وكانت عضويتها من قبل مقصورة على الأغنياء بسبب الرسوم العالية التى كان يدفعها الأعضاء ولكن جناح جعل العضوية مفتوحة للجميع مقابل رسم ضئيل فاندفع المسلمون لعضويتها حتى أصبحت قوة هائلة .

وابتداء من سنة ١٩٣٠ بدأ الاتجاه لتقسيم الهند يتصاعد يوماً بعد يوم ، بعد الخطاب الذى ألقاه الشاعر محمد إقبال والذى أشرنا له من قبل وفى سنة ١٩٣٧ أعلن « جناح » أن الاستقلال التام هو هدف المسلمين بالهند ، وصرخ قائلا : إن المسلمين لن ينزعوا عن أعناقهم أغلال الإنجليز ليلبسوا أغلال عبودية الهندوس ، وبناء على ذلك اتخذت الرابطة الإسلامية فى اجتماعها بلاهور سنة ١٩٤٠ قرارها بالتقسيم ، وأعلن جناح أن المسلمين والهندوس أمتان مختلفتان فى الثقافة والحضارة واللغة والفن والتشريع والتراث وأن مائة مليون مسلم على الأقل لا يمكن أن ينتقلوا من عناء إلى عناء .

---

(١) محمد حسن الاعظمى : القائد الأعظم وقصة الباكستان .

وهكذا كان كفاح جناح من أجل قيام باكستان ممتدا من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٤٧ ، وعندما نجحت فكرته وقامت باكستان أعلن جنـاح فى هذه المناسبة التاريخية فى خطابه أن تأسيس الباكستان الذى جاهدنا من أجله عشر سنوات أصبح بفضل الله حقيقة واقعة ونستطيع اليوم أن نكيّف حياتنا وفق مواهبنا وثقافتنا ، وأن نمكّن لتعـاليم الإسـلام فى العـدالة الاجتماعية أن تجد لها مكانا وأن تسود فى دولتنا •

وعقب قيام باكستان أصبح محمد على جناح حاكما للدولة الجديدة ، بالإضـافة إلى كونه رئيسـا لحزب الرابطة الإسلامية كما أصبح رئيسا للجمعية التأسيسية التى تعمـل لوضع الدستور ولم تقـو صحته عـلى احتمـال كل هذه الأعباء فمات فى سبتمبر سنة ١٩٤٩ •

خطـوات قيـام باكستان

سنسجل فيما يلى قائمة تاريخية تتصل بانبثاق باكستان :

سنة ١٩٢٤ : عقد حزب الرابطة الإسلامية اجتمـاعاً بلاهـور عاصـمة البنجاب برياسة محمد على جناح ، وفى هذا الاجتماع طالب الحزب بضمانات للمسلمين •

سنة ١٩٢٧ : ألفت الحكومة البريطانيـة « لجنـة سيتمون » لدراسـة مشكلات الهند ، وأصر نهرو فى هذه اللجنة على وحـدة تامة تقوم بالهند وأن تكون السلطة للأغلبية ، وهو بهـذا يرفض إعطاء أية ضمانات للمسلمين •

سنة ١٩٢٩ : عقد المسلمون اجتماعا برياسة أغا خان طالبـوا فيه بضرورة تقديم ضمانات للمسلمين •

سنة ١٩٣٠ : اجتمعت الرابطة الإسلامية فى « الله أبـاد » حيث ارتفع

صوت إقبال رئيس الدورة بضرورة تقسيم الهند واستقلال المسلمين السياسى ، وقد تحدثنا من قبل عن اتجاه إقبال ووضحنا أنه كان انقلابا فى تفكير المسلمين بالهند •

سنة ١٩٣٣ : ظهرت كلمة « باكستان » لأول مرة على لسان أحد الزعماء المسلمين واسمه (شودرى رحمة) وفى نفس العام قام مسلمو كشمير بنضال باسل ضد المظالم التى كان يلحقها بهم المهراجا غير المسلم الذى كان حاكما لبلادهم •

سنة ١٩٣٤ : عاد محمد على جناح الذى كان يقيم بلندن للدعاية للقضية الإسلامية وتولى بحزم قيادة حزب الرابطة الإسلامية بالهند •

سنة ١٩٣٥ : أصدر البرلمان البريطانى قانون حكومة الهند ، ثم أجريت الانتخابات بناء على هذا القانون سنة ١٩٣٧ ، ونال حزب المؤتمر أغلبية كبيرة فى هذه الانتخابات ، وألف حكومات فى طول البلاد وعرضها ، ولم تشترك فيها الرابطة الإسلامية ، فباشرت هذه الحكومات وسائل مختلفة لتضييق الخناق اقتصاديا على المسلمين والعمل على محو تراثهم الثقافى •

وقد دفع هذا الاتجاه إلى التمسك بتقسيم الهند وقيام دولة باكستان ، وقد اتضح هذا من رسائل إقبال التى بعث بها فى هذه الفترة (١٩٣٦ — ١٩٣٧) إلى محمد على جناح بضرورة تأسيس دولة إسلامية بالهند ، كما اتضح ذلك فى الاجتماع الذى عقده حزب الرابطة الإسلامية سنة ١٩٣٧ برياسة محمد على جناح ، وقد أوضح هذا القائد فى الاجتماع أن الاستقلال التام هو الهدف الحقيقى والأخير وحول هذا الموضوع وحّد الطلبة المسلمون صفوفهم حول القائد ، وأطلقوا عليه القائد الأعظم وعاهدوه على التأييد الكامل لنجاح هذه الفكرة •

سنة ١٩٤٠ : عقدت الرابطة الإسلامية دورتها السنوية بلاهور وفيها اتخذت القرار الذى عرف بقرار باكستان وتضمن وجوب تقسيم شبه القارة وتأسيس دولة إسلامية مستقلة ذات سيادة

وأحس محمد على جناح بأن بعض القوى الإسلامية العالمية تتجه لوحدة الهند اتباعا لسياسة الوحدة وعدم التفرق ، وسعيا للتجميع لا للتقسيم ، ولهذا قام محمد على جناح بزيارات لبعض البلاد التى لها ثقل فى المجتمع العالمى ليشرح لزعمائها وجهة نظر الرابطة الإسلامية ومن أهم الزيارات التى قام بها زيارته لمصر والتقاؤه بالزعيم المصرى مصطفى النحاس حيث شرح له أوجه الخلاف الخطيرة بين الهندوس والمسلمين ، تلك التى تحتم قيام دولة إسلامية بشبه القارة الهندية ، وقد نجحت هذه اللقاءات ، وحصل القائد الأعظم على ما كان يطمع فيه من تأييد المسلمين •

سنة ١٩٤٢ : أصبح الانجليز مهددين فى الشرق الأقصى بانتفاضة اليابان ، وارتفع صوت الهنود مطالبين الإنجليز بمغادرة البلاد فورا • وكردٍّ فعلٍ لعنف هذه الحركة اُعتقل عدد من زعماء الهند وأُودعوا السجون •

سنة ١٩٤٤ : أطلق سراح المعتقلين ، وعقدت اجتماعات بين غاندى والقائد الأعظم ، وفى هذه الاجتماعات صرح أحد زعماء الهندوس المنتمين لحزب المؤتمر بأنه يرى منح المسلمين حقهم فى تقرير مصيرهم ، وهكذا تسرب هذا الاتجاه إلى الهندوس أنفسهم بل إن غاندى زعيم الهند أعلن أن مسلمى الهند لو اتفقوا على تنفيذ مشروع التقسيم ، فلن توجد على هذه الأرض قوة تحول بينهم وبين ذلك •

---

(١) حسن محمد جوهر ومحمد مرسى أبو الليل : باكستان ص ٦٦ •

سنة ١٩٤٥ : بعد انتهاء الحـــرب واتجاه بريطانيا إلى الحـــد من نشاطها الاستعمارى أو القضاء عليه أرسـلت تطلب من لورد ويفـل نائب الملك بالهند أن يتدبر الأمر مع الهندوس والمسلمين ، وفى هذا الاجتماع تمسك الهندوس بالوحدة وتمسـك المسـلمون بالتقسيم ففشل المؤتمر ولكن انتخابات جرت عقب ذلك أيدت وجهة نظر المسلمين ، فقد أجمع المسلمون تقريبا على ضرورة التقسيم مؤكدين أن مائة وخمسين مليونا لا يمكن أن يعـدوا أقلية تُفرَض عليهم اتجاهات الأغلبية الهندوسية •

أبريـــل

سنة ١٩٤٦ : اجتمـع أعضـاء المجـالس التشريعية والمركزية والإقليمية التابعون لحـزب الرابطة الإسـلامية مع أعضـاء اللجنـة التنفيذية المركزية للرابطة الإسلامية لعمـوم الهنـد بدلهى ، واتخذوا قرار عززوا فيه القرار الصادر سنة ١٩٤٠ الخـاص بوجوب تأسيس باكستان ، كما طالبوا الحكومة البريطـانية بإصدار إعلان صريح عن قيام هذه الدولة •

أغسطس

سنة ١٩٤٦ : خرج المسلمون فى شتى أنحـاء شبه القـارة فى مظـاهرات صاخبة ، وتنازل زعماؤهم عن الألقـاب والنياشين التى كان البريطانيون قد منحوها لهم وذلك دليلا على احتجاجهم على بريطانيا واتهامهم لها بالتحيز مع الهندوس ضدهم •

مطـلع

عام ١٩٤٧ : بدأت الرابطة الإسلامية حملة من العصيان المدنى اشـترك فيها الشباب والشيوخ والرجال والنساء •

مـارس

عام ١٩٤٧ : أسفرت الاتجاهات السياسية والاجتمـاعية ومعهـا الإصرار

والعصيان ، عن الحقيقة التى أرادها مسلمو الهند ، فقد أرسلت حكومة بريطانيا لورد مونتباتن إلى الهند نائباً عن الملك حيث أعلن قرار الحكومة البريطانية الجلاء عن شبه القارة نهائيا قبل يوم ١٥ أغسطس ١٩٤٧ وتقسيمها إلى دولتين هما هندستان وباكستان .

أغسطس

عام ١٩٤٧ : زال الاحتلال البريطانى عن الهند ، وقامت دولة باكستان حرة مستقلة وعين محمد على جناح حاكما عاما لباكستان حسب ما أوصت به الرابطة الإسلامية ، كما عين لورد مونتباتن حاكما عاما للهند بناء على توصية حزب المؤتمر .

وبدأت بذلك باكستان الدولة المسلمة الكبرى بعلمها الخفاق بين أعلام العالم الإسلامى ، وسنخصها بحديث فيما يلى :

باكستان

تعريف بدولة الباكستان

اسم باكستان :

كان اسم « باكستان » جديدا ولهذا اتجه الناس للسؤال عن طريقة اختيار هذا الاسم وعن معناه أو عن مدلولة ، ويقال أن هذه الكلمة من اختيار المبعوثين المسلمين من شبه القارة الهندية الذين كانوا يدرسون بجامعة كمبردج بإنجلترا ، وقد صاغه الطلاب من كلمتين « باك » ومعناها طهر « وستان » ومعناها أرض أو دولة فالمعنى الكلى « أرض الطهر » أو « أرض الأطهار » أو « دولة الأطهار » .

ويقال كذلك إن حروف « باكستان » تشير إلى المناطق التى تكونت منها هذه الدولة كالآتى :

ب البنجاب
ا باثان على الحدود الشمالية الغربية .
ك كشمير
س السند
تان بلوخستان

ويتضح من هذا أن خيال الطلاب لم يصل إلى أن البنغال ستكون جزءا من الدولة الإسلامية ، وهذا يلاحظ كذلك من التحديد الذى سبق أن ذكره الشاعر محمد إقبال .

تعريف بالدولة الجديدة :

عند قيام باكستان كانت تتكون من قسمين : باكستان الشرقية ومساحتها ٥٤٥٠٠ ميلا مربعا ، وباكستان الغربية ومساحتها ٣١٠٫٢٣٦

ميلا مربعـا ، وهـذا التقسيم كان يحمـل فى طيـاته بذور الاضطراب للأسباب الآتيـة :

١ — المسافة بين القسمين حوالى ألف ميـل فى أرض معادية هى الهنـد •

٢ — كانت باكستان الشرقية غريبة على باكستان الغربية من ناحية عنصر السكان ومن ناحية اللغـة ومن ناحية الطبيعة الجغـرافية ولم يكن يربط بينها إلا الدين •

٣ — وأخطر الأسباب أن الهند كانت تعزل باكستان الشرقية وتحيط بها من الشمال ومن الغـرب ومن الشرق حيث مقاطعة « أسـا » ، وإذا نظرت إلى الخريطة تجد أن الهند توشك أن تبتلع باكسـتان الشرقية ، وقد تركتها الهند لتنضم لباكستان وهى واثقة أنها فريسة فى يدها ، وهـذا يظهر إذا قارنا هذه المنطقة بكشمير التى رفضت الهنـد بإصرار ضمهـا لباكستان الغربيـة فهى جـارة لباكستان وانضمامها لهـا سيكون قـوة للمنطقتين ، وسيكون أبديا •

وسنعود فيما بعد إلى هذه الأسباب التى أثرت على مستقبل الدولة الناشئة وقضت بأن تنقسـم فيما بعد الى دولتين مستقلتين •

بقى أن نوضح شيئا من الفروق الطبيعية بين قسمى الباكستان : •

فالباكستان الشرقية سهول عريضة وجداول وأنهار وغيث مدرار ، وبالتالى خضرة وازدهار وتبعا لذلك هدوء ولين عريكه وميل للمـرح •

أما باكستان الغربية فبها الصحراء الوعرة كثيرا ، وبهـا الجفـاف ومن هنا تولد الصراع وقوة البأس للتغلب على الطبيعة •

وعند الحديث عن الجفاف فى الباكستان الغربية يجب ألا نُغْفِـل مواطن السحر بها فى لاهور وفى هونزا ، وقد وُصِفت هونزا بأنهـا جنة"

وارفة الظلال ، أرض السـلام والبسـاطة والهـدوء ، والأمن والحب والتعـاون ، وقد لخص أحـد الرحالة الحيـاة فى هونزا بقـوله : لقـد استطاع شعب هونزا أن يتقن الهندسة بدون حساب ، والأخـلاق بدون وعظ ، وصحة البدن بدون أطباء ...... وعندما كان علىَّ أنا وزوجتى أن نغادرها تساءلنا : هل نحن عائدون إلى المدنيَّة ؟ أو أننا سنترك المدنية إلى حيـاة الصراع ؟

وتقع هونزا على حـدود كل من الصين والأفغان (١) .

مناطق السـحر فى باكسـتان الغربية :

لقد اقتبست آنفا كلمات أحد الرحالة عن هونزا ، والحق أننى لست فى حاجة للاقتباس من أحد حول هذا الموضـوع فإن لى تجـربة خاصـة عشتها فى باكستان الغربية ، أقصها فيما يلى :

دعيت لحضور مؤتمر عن التربية الإسـلامية فى باكستان فى ربيـع ١٩٨٠ وكان المؤتمر منعقدا فى العاصمة الجـديدة « إسلام أباد » وقـد نعمنا بالاستقبال الحافل والرعاية الكريمـة من الإخـوة فى باكسـتان ، وكان ضمن برنامج المؤتمر القيام ببعض الزيارات للأماكن الجبلية أملا فى راحة الأعضاء الذين كانت جلساتهم للعمـل تشمل طيلة النهـار تقريبا وجزءا من الليل ، وفى هـذه الزيارات رأينـا أماكن مختلفة ذات جمـال آخاذ فيها أجمل هواء وأعبق زهور وأرقى مناظر ، ويعجز قلم أى شاعر أن يصف ما بهذه الأمكنة من فتنة للناظرين وسـحر للزائرين ، أنهـا فى الحق جنة من جنات الدنيا .

ثم أتيح لى شىء جديد كنت وحدى الذى نعمت به من بين أعضـاء

---

(١) حسين جوهر ومحمد موسى ابو الليل : باكستان ص ٦ — ٧ .

المؤتمر ، فقبيل نهاية المؤتمر سلمنا تذاكر السفر وجوازات السفر إلى مكتب التيسيرات ليحجز لنا أماكن للعودة ، كل إلى بلده ، ولكن سرعان ما جاءنى مندوب من هذا المكتب فى صحبته موظف كبير من وزارة التربية يعرض على رغبة الجامعات فى لاهور وبيشاور وكراتشى أن أزورها قبل العودة إلى مصر ، واستجبت مرحبا بالفكرة وشاكرا هذه الدعوة الكريمة ، وأعدّت لى رحلة إلى هذه المدن وإلى مدن تاريخية أخرى وإلى مناطق جبلية . ولقد نعمت فى هذه الرحلة بصور الود والترحاب فى الجامعات الباكستانية ، وبصور العظمة والجلال فى المناطق التاريخية ، ثم بصور الجمال الساحر فى لاهور وكراتشى والمناطق الجبلية المختلفة التى أتيح لى أن أزورها .

وإننى هنا أسجل مزيداً من التقدير لهذه الفرصة الجميلة التى لم أستطع أن أطيلها بسبب ضرورة الإسراع بالعودة بمصر إذ كان العام الدراسى بجامعة القاهرة على وشك الانتهاء ، وكان لابد أن ألتقى بطلابى قبل انتهاء ذلك العام .

تحية وإعجابا بالإنسان الباكستانى وبالطبيعة الجميلة فى كثير من ربوع الباكستان .

أقاليم باكستان :

كانت باكستان الغربية تتألف من الأقاليم التالية :

١ — ولاية بلوخستان وهى فى الجنوب الغربى لباكستان وأكبر الولايات مساحة .

٢ — ولاية السند وتقع إلى الشرق من بلوخستان وعاصمتها حيدر أباد (ويلاحظ أن هناك إمارة اسمها « حيدر أباد الدكن » وهى وسط المنطقة الجنوبية بالهند) وفى السند تقع كراتشى العاصمة الأولى لباكستان .

٣ ـ ولاية البنجاب وعاصمتها لاهور التى تسـمى باريس الشرق وهى أجمل مدن باكستان ٠

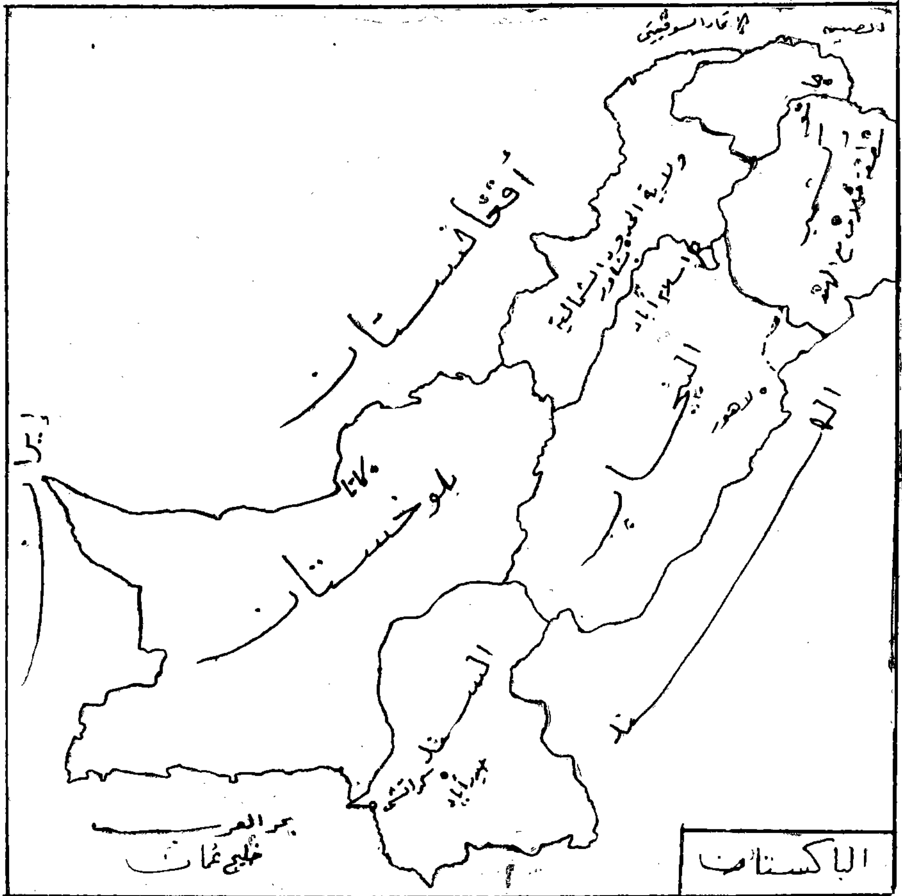
٤ ـ ولاية الحدود الشمالية وعاصمتها بشاور ٠

أما باكستان الشرقية فتتألف من الأقاليم التالية :

١ ـ دكا وبها عاصمة باكستان الشرقية ٠

٢ ـ شيتا جونج وعاصمة المنطقة تحمل نفس الاسم ٠

٣ ـ راجشـاهى ٠



الباكسـتان بعد انفصال بنجالاديش

واهم المدن الباكستانية هى :

ـ كراتشى العاصمة الأولى •

ـ عواصم الأقاليم التى تكلمنا عنها وهى بشاور وحيدر أباد ولاهور ودكا •

ـ روالبندى وهى التى اختيرت منطقتها لتقام بها العاصمة الدائمة التى سميت إسلام إباد •

ـ بيشاور ولها أهمية عسكرية كبيرة •

ـ شيتا جونج وهى ثانية الموانى فى باكستان ويصدر منها الجوت والشاى وهى فى باكستان الشرقية •

من مشكلات التقسيم

على الرغم من أن التقسيم حل المشكلة الرئيسية وهى ترك أكثر من مائة وخمسين مليونا من المسلمين فى بحيرة زاخرة بأعدائهم الهندوس الذين استباحوا دماءهم وأموالهم •••• على الرغم من ذلك فإن التقسيم خلق مشكلات جديدة وصعوبات جمة ، سنحاول أن نتناولها بإيجاز فيما يلى :

١ ــ العاصمة والموانى :

قضى التقسيم الذى بُنِيَ أساساً على وجود الأكثرية فى كل منطقة أن تكون دلهى من نصيب الهندوس وكذلك أن يكون المرفآن الرئيسيان فى الهند وهما كلكتا فى الشرق وبمباى فى الغرب من نصيب الهندوس ، والعاصمة بطبيعة الحال هى مركز البلاد ، بها الأبنية اللازمة للوزارات والمصالح وبها أموال الدولة وجوانب نشاطها ، وفى الموانى توجد البواخر والتخزين والثراء ، وهكذا أصبحت باكستان دولة ولكنها لا تملك عناصر الحياة ، ولولا استعداد الباكستانيين للتضحية لانهارت

الدولة الجديدة ويعلق أحد الباحثين على ذلك بقوله : أخذت الهند معظم موارد الثروة والمصانع ، وكان من نصيبها العاصمة ، وما فيها من الدور الحكومية ، أما باكستان فلم تكن لها دور للحكومة أو مراكز للصناعة كما لم يكن لها رصيد يذكر من المال (١) .

٢ ـ الاقتصاد :

منى اقتصاد الباكستان عقب التقسيم بكثير من الخسائر ، فالمصانع كانت فى جانب ومراكز انتاج المواد الخام كانت فى جانب آخر وقد امتنعت الهند عن شراء القطن من باكستان ، وبالتالى امتنعت الباكستان عن بيع الجوت للهند ، وامتنعت الهند عن بيع القمح لباكستان ، وهكذا مرت فترة ليست قصيرة حتى استعادت باكستان أنفاسها وأحست بالاستقرار الاقتصادى .

ويدخل فى هذا النطاق أن الإنجليز منذ سقوط الإمبراطورية المغولية عمدوا إلى مقاومة المسلمين وإنعاش الهنادكة ، فقد كان الإسلام يقلق مضاجعهم ، ومما فعلوه اقتصاديا بالهند أنهم قبل التقسيم ركزوا الصناعات والمدارس والجامعات وعمليات انشاء الطرق والسكك الحديدية فى المناطق التى يقل فيها المسلمون وأهملوا المناطق التى بها اكثرية مسلمة مثل السند والبنجاب وبلوخستان والبنغال الشرقية (٢) .

٣ ـ الجيش والأسطول :

كان على باكستان أن تسرع فتكوّن جيشا لحمايتها من أعدائها بالهند ، وكان تكوين جيش عملا صعبا لحاجته إلى ذخيرة وأسلحة كان أكثرها فى مناطق هندية ، ومثل هذا يقال عن الأسطول ، ولكن عزيمة باكستان هزمت كل هذه الاحتياجات وتكون جيش عظيم فى سرعة مذهلة .

---

(١) حسن جوهر ومحمد مرسى أبو الليل : باكستان ص ٦٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٠ .

٤ ــ الهجــرات من والى باكســتان :

كان المسلمون يعيشون فى جميع بقــاع شــبه القــارة تقريبــا ، وكانوا بطبيعة الحــال يتفاوتون كثــافة من مكان إلى آخــر ، وقــد اقتضت القــاعدة العــامة التى وضعت للتقسيم أن تلاحظ الأكثرية من جانب ورغبة السكان من جانب آخــر ، ولكن ظهرت عقبــات رئيسية ، فمثــلا قسمت البنغال إلى بنغــال شرقية تتبع باكســتان ، وبنغــال غربية تتبع الهنــد ، ومثــل ذلك يقــال عن البنجاب فالبنجاب الغربية تتبع باكستان والبنجاب الشرقية تتبع الهند ٠

وكانت العاصمة « دلهى » تزخر بعدد هائل من المسلمين والهندوس ، وفيها بوجه خاص أثرياء التجــار المسلمين وأثرياء الملاك ٠

ولما أعلن التقسيم قامت مجازر رهيبة فى هذه المناطق لعب الهندوس فيها الدور الأكبر ، فهم أكثرية من جــانب ، ومسلحون من جــانب آخر ، وهناك جانب ثالث هو الفكر الإسلامى الذى كان يمنع كثيرين من عقــلاء المسلمين أن يعتدوا على الأبرياء أو يحرقوا المنازل والمتاع ٠

وبعد جهــد جهيد تمت هجــرات بين الجانبين ، ولكنهــا تمت فى ظــروف أليمة ٠ وأضافت على قادة الباكستان أعباء جــديدة ينــوء بهــا الأبطــال ، ولن نكثر من الحديث عنهــا فأكثرها شــائع بين النــاس ، كشــيوع ما لاقاه المسلمون من عسف الهنــدوس والإنجليز والســيخ قبــل التقســيم ٠

الأقلية الإسلامية بالهند ومشكلاتها

لم يكن من الممكن أن يرحل لباكستان كل المسلمين فى الهنـد ، ففى بعض نواحى الهنـد كانت تعيش جماعات إسلامية ، حريصـة على البقاء فى أماكنها ، وكان بهم من الجـاه والسـلطان ما يستطيعون به حمـاية أنفسهم بشكل أو آخر ، وهكذا بقى فى الهنـد عـدة ملايين (حـوالى ثمانين مليونا) من المسلمين أو يزيد ، وعندما كنت اسـتاذا بجامعـات أندونيسيا كان معنا زميل من الهند يعلم التاريخ الإسلامى فى الجامعة ، وقد حدث أنْ حضر للجامعة سفير الباكستان فى أندونيسيا وألقى خطابا فى حفل أعد لذلك ، وأذكر أن الاسـتاذ المسلم الهندى اعترض بحماسة على كثير من النقاط التى أثارها السفير ورفض أى انتقاد لسـياسة الهند تجاه مسلمى باكستان .

هل كان هذا الاستاذ يتحدث عن عقيدة وإيمان فى دفاعه عن الهنـد ولومه لباكستان ؟ أو كان يدارى ما يخافه من غضب حكومة الهند التى بعثته لهذه الوظيفة ؟ لست أدرى .

ويتجمع المسلمون فى الهند غالبا فى المنطقـة التى كان بهـا إمارة حيدر إباد الدكن ويكثرون فى ولاية « اترابراديش » ففيهـا ١٤ مليـونا من المسلمين ويكثرون كذلك فى البنغال الغربية وفى البنجاب الشرقيـة ، وفى ميسور وكجرات ، ومسلمو الهند متدينون لهم نشـاطهم السياسى والثقافى ، ولهم مؤسساتهم الدينية والتعليمية الكثيرة وتعتبر المؤسسات الإسلامية بالهند نشطة كثيرة الحيوية ، وتحتـل الجماعات الإسـلامية مكانة اجتماعية رفيعة بين جماعات الهندوس والبوذيين . (١)

وقد وصل بعض المسلمين فى الهند إلى أرقى المناصب فكان منهـم

---

(١) دكتور عادل طه : المسلمون فى العالم ص ٦٦ — ٦٧ .

رئيس جمهورية الهنـــد الدكتور ذاكر حسين ، وهو الذى أنشأ الجامعة الملية الإسلامية فى دلهى ، ومنهم كذلك مولانا أبو الكلام آزاد الذى كان فى الهند زعيما للمسلمين والهندوس ، والذى له جهد كبير فى تحـــرير الهند من الاستعمار الإنجليزى ، وكان رئيس حزب المؤتمر أطول مـــدة حتى استقلال الهند ثم تولى وزارة التعليم فى جمهورية الهنـــد إلى أن توفى سنة ١٩٥٨ وله تفســـير للقرآن الكريم اسمه « ترجمان القرآن » وكان من مريديه المرحـــوم الأستاذ أبو الأعلى المودودى رئيس حـــزب الجماعة الإســـلامية فى باكستان (١) •

وهناك كلمة جديرة بالذكر تنسب لمولانا « أبو الكلام آزاد » فقـــد حدث أن اعترض بعض أعضـــاء البرلمان الهندى على مســـاعدات وزارة التعليم الهندية للمؤسسات التربوية الإسلامية بالهند ، فقـــال أبو الكلام فى رده على هؤلاء : إن هـــذه العقـــول الصغيرة هى التى كانت سببا فى تقســـيم الهنـــد (٢) •

ولكن المسلمين بالهند لهم مشكلات صعبة يعانون منهـــا ويحاولون التغلب عليهـــا بصبر وثبات ، وبقيـــادات رشـــيدة متزنة وأخطر هـــذه المشـــكلات ــ كما يقول العلامة أبو الحسن على النـــدوى ــ مشـــكلة الدعوة الإسلامية ، فقد سارت الدعوة الإسلامية فى الهند بنجاح كبير حتى دخل الملايين من الهنود فى الإسلام ، بالإضافة إلى النازحين إلى الهنـــد من العرب والفرس وتركستان ، وبعض الهنود الذين دخلوا الإسلام ينتمون إلى أسر هنـــدوكية عريقة مثل مـــولانا عبيد الله الســـندى والعـــلامة محمد إقبـــال ، ومولانا معين الدين الأجميرى وغيرهم كثيرون ، وينتمى العلامة محمد إقبال إلى طائفة البراهمة الذين ينتمى لهم كذلك البلنديت جواهر لال نهـــرو •

---

(١) دكتور محمـــد اسماعيل النـــدوى : نظرات جـــديدة فى شـــعر اقبـــال ص ٩٨ •

(٢) أبو الحسن الندوى : المسلمون فى الهند ص ١٨٨ •

وكانت تعاليم الإسلام من وحدانية ومساواة ومكانة المرأة من الأسباب التى حملت الإسلام إلى قلوب الكثيرين فلما نشب الخلاف بين المسلمين والهندوس فى عهد الاستعمار ساءت العلاقة بين الجماعتين ، وزادت العلاقة سوءا عندما سقط ضحايا من هنا ومن هناك مما أثر على مسيرة الدعوة الإسلامية .

وقامت دولة الباكستان الإسلامية ولكن قيامها كان حاجزا كبيرا فى سبيل انتشار الإسلام بالهند ، لأنه دين الدولة المنافسة ودين شعب قامت بينه وبين الشعب الهندى معارك سياسية وحروب طائفية .

ثم إن الباكستان لم تتمثل للأسف الإسلام كما ينبغى ، فقد قامت بها ديكتاتوريات سنتحدث عنها بعد قليل وهذه الديكتاتوريات بعيدة جداً عن نظام الحكم فى الإسلام وقام صراع بين جزأى باكستان فى الشرق والغرب انتهى باستقلال بنجالاديش وهذا يضعف عزيمة الداعية المسلم لأن الواقع كثيرا ما يكون مخالفا للنظرية مما يحدث ارتباكا فى الأذهان (١) .

وإذا كانت هذه المشكلات تقف عقبات فى سبيل الدعوة للإسلام فى الهند ، فهناك مشكلة كانت تهدد حياة المسلمين فى الهند فترة طويلة ، تلك هى مشكلة المناهج الدراسية بالهند فقد عنيت هذه المناهج بالعقيدة الهندوكية وأساطيرها ومقدساتها ، وأبطالها ، وكانت تقدم هذه الدراسات لكل التلاميذ مما يمثل خطورة على الأطفال المسلمين الذين يحرمون من الفكر الإسلامى ومن سيرة أبطال المسلمين العرب والهنود ، وفى هذا خسارة كبيرة على التلاميذ المسلمين بوجه خاص وعلى الهنود بوجه عام ، « وقد بدأ الصغار السذج من أبناء المسلمين يتظاهرون بالشعائر البراهمية ويدينون ببعض عقائدها (١) .

وعلى كل حال فقد صارع المسلمون فى قضية المناهج صراعاً طويلا حقق لهم بعض أهدافهم .

---

(١) العلامة ابو الحسن على الندوى : المسلمون فى الهند ص ١٩٦ .

وهناك مشكلة أخرى مماثلة عانى منها المسلمون فى الهند تلك هى مشكلة اللغة ، فاللغة الإسلامية فى الهنـد هى « اللغـة الأوردية » وهى وليدة امتزاج اللغات الأربع القديمة : السنسكريتية والعربية والفارسية والتركية ، وقد صارت لغة الجماهير والثقافة والأدب والعلوم ، وهى اللغة الوحيدة التى يفهمها أكثر أهل الهند ، وكانت اللغة الثانية بعد الإنجليزية فى عهد الاستعمار ، ولكن الاستعمار جعل من محاولاته لإثارة الخـلافات بين سكان شبه القارة الهندية أن يعمل على إحياء اللغـة الهندية ، وبذل الجهـد حتى برزت هذه اللغة للواقع ، فلما جاء عهد الاسـتقلال اتجهت الهند للاهتمـام باللغة الهندية وأغضت الطرف عن اللغة الأوردية وهى بهذا تضع حاجـزا صلبا بين الأولاد المسلمين وبين المراجع العلمية الإسلامية المكتوبة باللغـة الأوردية بل تفـرق بين الأولاد وذويهـم ، وقـد بذلت جهـود كثيرة لتعود للغـة الأوردية مكانتها لدى مسلمى الهنـد ولـدى الراغبين فى تعلمها ، ولكن نتائج هذه الجهود لم تحقق كل الأمانى •

ومن المشكلات التى يعانيها المسلمون فى الهنـد أنهم لا يأخـذون حقهم فى الوظائف العامة ، فقد بدأت أعدادهم تقل بوضوح فى الجيش والشرطة والوظائف الرئيسية •

على أن قوة المسلمين بالهند قوة هائلة ليس من السـهل أن تنهـار أو تستسلم ، وكفاح المسلمين لابـد يوما أن يكلل بنجـاح لأنه كفـاح لخدمة الدين والوطن ، ولأن القيـادات الدينية والاجتمـاعية والسياسية بين مسلمى الهند قيادات رشيدة ، تسعى لأهدافها بخطط حصيفة وخطـاً ثابتـة •

على أن هناك مشكلة بدأت تظهر بالهند فى الثمانينات وهى إقبـال المنبوذين بالهند على اعتناق الإسلام والمنبوذون بالهند حوالى مائة مليون ، وكان دستور الهند بعد الاستقلال قد منحهم حق المسـاواة مع الطبقات الأخرى لأن الدستور ألغى الطبقات ولكن من الناحية الواقعية لايـزال

المنبوذون يعانون من الفقر والجهل والحرمان من الوظائف المناسبة ولهذا فهم يتجهون للإسلام اتجاها قويا يهدد حكومة الهند .

وهناك مشكلة هندية إسلامية وهى مشكلة أسام فى الشمال الشرقى على حدود بنجالاديش وإليها هاجر عدد كبير من مسلمى البنغـــال إبان الصراع على الاستقلال بين الباكستان الشرقية والغربية ، وهى من الأمكنة التى وضعت الباكستان الشرقية بين فكى الأسد ، مما تسبب فى نجـــاح انفصال بنجالاديش .

مشكلة كشمير

اذا كانت باكستان قد استطاعت مع الصبر والجهد من جانب ، ومع الزمن من جانب آخر أن تحل مشكلاتها التى نجمت عن التقسيم ، فان هناك مشكلة لم تصل بعد الى حل حتى كتابة هذه السطور ، وهى مشكلة كشمير أو مشكلة جمّو وكشمير •

والحديث عن هذه المنطقة يسترعى أن نذكر أن الاستعمار الإنجليزى قسم الهند إلى مئات الولايات ، ووضع رئيسا لكل ولاية ، وأثار المنافسة والصراع بين كل ولاية وأخرى تبعا للخطة الاستعمارية « فرق تسد » وكان من أعماله أحيانا أن يضع للولاية التى يكثر بها المسلمون واليا هندوسيا ، وللولاية التى يغلب فيها الهندوس واليا مسلما •

وعندما وضعت القواعد للتقسيم كان من أهمها أن الولايات لها الحق فى اتباع الهند أو باكستان حسب رغبة شعبها ، وأغلبية الهندوس أو المسلمين بها وموقعها الجغرافى ، ولها كذلك أن تبقى مستقلة ، وعند تطبيق هذه القاعدة برزت صعوبات شديدة فى أماكن متعددة وبخاصة فى حيدر إباد الدكن من جانب وجمّو وكشمير من جانب آخر وسنتحدث عن كل من هذين فيما يلى :

حيدر اباد :

تقع مقاطعة حيدر اباد فى هضبة الدكن فى أواسط النصف الجنوبى من شبه القارة الهندية ويبلغ سكانها ١٧ مليونا منهم مليونان من المسلمين وحاكمها هو « الأمير عثمان على خالد » • المعروف باسم نظام حيدر إباد ، وكان من أغنى أغنياء العالم وقد اختار الوالى أن تبقى بلاده مستقلة ، ولكن الهند غضبت لهذه الرغبة ، وانتهزت فرصة وفاة

محمد على جناح وانشغال الباكستان بهذا الحدث الجلل ، واقتحمت حيدر إباد بجيشها وقد قاوم جيش حيدر اباد بضعة أيام ، ولكنه استسلم فى النهاية وحملت الهند ثروة الزعيم فى خمس قطارات أثقلها الذهب والفضة التى وجدت بقصوره والتى وجدت فى أقبية خاصة ومعها صناديق حافلة باللؤلؤ والجوهر .

جمّو وكشمير :

جمو وكشمير لهما بالنسبة للمسلمين نفس الظروف التى كانت لحيدر إباد ، فالمنطقة ملتصقة بالباكستان الغربية وتقع على قمة جبال الهملايا ، وتنحدر من كشمير المياه التى تغذى أنهار البنجاب والسند ، وسكان كشمير حوالى خمسة ملايين يمثل المسلمون منهم أكثر من ثمانين فى المائة ، وكما عين الإنجليز حاكما مسلما على مقاطعة حيدر إباد ، التى كانت أغلبية السكان فيها من الهندوس فانهم عينوا حاكما هندوسيا على كشمير التى كانت الغالبية الساحقة فيها من المسلمين .

وفرح مسلمو كشمير بقضية التقسيم واتجهوا بكل قواهم للانضمام إلى الباكستان ، فهى الدولة الأم بالنسبة لهم ، والانضمام لها يحقق تخلصها من عسف الوالى الهندوسى الذى استبد بهم وأنزل بهم هو وأسلافه ألوانا من الاضطهاد .

ولم يكن الوالى يريد الانضمام للباكستان ، ولهذا أخذ يستقطب جماعات من الهندوس والسيخ من البنجاب الهندية إلى مقاطعته ليقوى بهم ضد المسلمين ، وازاء ذلك بدأ المسلمون يتذمرون على المهراجا الوالى ، وحدث صراع دام بين المهراجا ومساعديه وبين المسلمين ، وفى أعقاب ذلك فر المهراجا من كشمير ثم أعلن أنه يريد الانضمام إلى الهند ويطلب منها العون .

ولم تتقبل الهند أن تعامل كشمير كما عوملت حيدر إباد ، بل اندفعت

الهنـــد بقواتها تجـاه كشمير ، واضطرت الباكستان أن تزحف هى أيضا لمســاعدة المسلمين وحمايتهم وتحقيق آمالهم فى الانضمام إليها ، واحتلت الهند الجزء الأكبر من كشمير ، واحتلت الباكستان جزءا منهـا ، ولا يزال الجيشـــان يقف كل منهما فى وجه الآخر أما صوت شــعب كشمير ، فان الهند لم تعره أى التفات وعاصمة كشمير مدينة « سرينجار » وهى مدينة ســاحرة حبتها الطبيعة أروع ما تقدمه لعاصمة من العواصم •

أســد كشمير ونهايتــه :

وفى سبتمبر سنة ١٩٨٢ توفى الشيخ محمـــد عبد الله رئيس وزراء كشمير الذى كان يطلق عليه « أسد كشمير » وكان هذا الرجل يعتبر صمام أمن فى المنطقة ، فقد كان زعيما روحيا وسياسيا لكشمير ، وقد استطاع أن يضمن لكشمير نوعا من الهدوء بين الدولتين المتصــارعتين بشــأنها ، ويُخْشَى أن تؤدى وفاته إلى أن تحاول الهند دعم قبضتها على كشمير مما يؤدى إلى انفجار الصراع من جديد بين الهند والباكستان •

الباكستان والنظام الإسلامى

انخلعت باكستان من الهند باسم الإسلام ، ومن ثم فقد كان اتجاهها إسلاميا فى جميع الوجوه بحكم هذه النشأة ، ولكن النظرية كثيرا ما اضطرب تطبيقها ، وسنسير مع باكستان فى مسيرتها الإسلامية وبخاصة من الناحية السياسية التى هى من أبرز العوامل فى الحياة ، والتى تؤثر فى مختلف وجوه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية •

وقبل أن تضع باكستان دستورها أعلن مجموعة من العلماء والقادة ملامح الحياة كما يرونها وكما يجب أن تكون ، وكان ذلك فى وثيقة أذاعوها على الناس ، وخلاصتها :

١ — السلطة المطلقة على الطبيعة وعلى القوانين لله تعالى •

٢ — قوانين البلاد يجب أن تبنى على القرآن والسنة ، وأن يحذف من القوانين المعمول بها ما يناقض القرآن والسنة •

٣ — الدولة الإسلامية لا تبنى على الاعتبارات الجغرافية أو الجنسية أو اللغوية •••• ولكن على المبادىء والغايات الإسلامية •

٤ — رئيس الدولة يجب أن يكون رجلا مسلما يثق الشعب وممثلوه فى تقواه وقدرته •

٥ — حكم رئيس الدولة لا يكون استبداداً بل شورى •

٦ — لا يجوز لرئيس الدولة أن يوقف العمل بالدستور أو إحدى مواده •

٧ — الهيئة التى تختار رئيس الدولة يجوز لها أن تخلعه (١) •

وبناء على هذه القواعد التى تقضى بأن يطبق الإسلام دينا ودولة

---

(١) دكتور عمر فروخ : باكستان دولة ستعيش ص ٥٥ .

صدرت القوانين بإبعاد كافة التشريعات التى ليس مصدرها الإسلام ، فسبقت باكستان بذلك كثيرا من الدول الإسلامية التى مازالت تحكم بكثير من القوانين الوضعية أو المستوردة •

وقد استطاعت باكستان أن تتغلب على مصاعبها السياسية والاقتصادية وكونت جمعية تأسيسيه لوضع الدستور الدائم ، وقد أعلنت هذه الجمعية توحيد باكستان الغربية بدلا من انقسامها إلى عدد من المقاطعات •

وفى سنة ١٩٥٦ أعلن الدستور الأول للباكستان الذى أوضح أن الباكستان جمهورية إسلامية ، وأن الدولة الديمقراطية يزاول السلطات فيها ممثلون يختارهم الشعب ، وتتجه الدولة بكل قوتها إلى توطيد المبادىء الإسلامية ، وبخاصة العدالة الاجتماعية والمساواة بين الجميع ، ونص الدستور على مراعاة تعاليم الإسلام كما نص على منح الأقليات الحرية التامة لمزاولة مهنهم وعبادتهم وفق تعاليم دينهم ، وأن تكون لهم الحرية فى النهوض بثقافاتهم •

وبناء على هذا الدستور قضى على ما كان متبعا من جعل باكستان دولة من دول الدومنيون البريطانى لها حاكم عام تعينه بريطانيا ، فقد أصبح رئيس الباكستان يختاره شعب باكستان وبقيت الباكستان عضوا فى دول الكومنولث •

وللأسف لم يطل عمر الدستور الباكستانى ففى سنة ١٩٥٦ قفز الجنرال إسكندر ميرزا لمنصب رئيس الجمهورية ، وفى سنة ١٩٥٨ ألغى هذا الدستور وحل البرلمان ، وفرض الأحكام العرفية ، وعين أيوب خان القائد الأعلى للقوات المسلحة حاكما عسكريا عاما ، ثم سلم له رياسة الدولة •

وقد وضع أيوب خان دستورا جديدا أعلن سنة ١٩٦٢ ينص على انشاء حكومة رياسية خلافا لما كان عليه دستور ١٩٥٦ •

ومنذ ذلك الوقت "بليت" الباكستان بالانقلابات العسكرية التى سنتحدث عنها فيما بعد :

وينبغى أن نذكر أن لباكستان مواقف رائعة لخدمة المسلمين فى شتى البقاع ، والتاريخ يذكر وزير خارجيتها فى سنيها الأولى ، السيد ظفر الله خان الذى كان صوته عاليا فى الأمم المتحدة وهو يدافع عن قضية فلسطين ، ويؤيد استقلال ليبيا ، ويدعم جهاد المغرب ضد الاستعمار الفرنسى ، ويتحمس لإندونيسيا ضد هولندا وكان من أبرز جهود باكستان فى هذا المجال أنها رفضت منح هولندا تسهيلات النقل البحرى والجوى إبان صراعها مع الوطنيين فى اندونيسيا ، وقد أنشئت سفارات الباكستان الأولى فى المراكز الإسلامية الكبرى : أى فى القاهرة وطهران وبغداد والرياض وكابول .

ولباكستان كذلك اهتمام كبير باللغة العربية لغة القرآن الكريم ، فقد أصبحت اللغة العربية تدرس بشكل مهم فى كثير من معاهدها وكلياتها بالإضافة إلى الكليات التى تخصصت فى هذه اللغة وفى آدابها .

الانقلابات العسكرية فى الباكستان

يحس الباحث المسلم وهو يكتب هذا الموضوع بكثير من الحسرة والألم ، فالباكستان اقتطعت من الهند باسم الإسلام ، وأعلنت منذ أيامها الأولى بأنها ستسير فى موكب الفكر الإسلامى وتسترشد بهداه ، وأصدر مفكروها الإعلان بالذى سبق أن أوجزناه والذى ينص على ضرورة الشورى وحق الشعب فى اختيار رئيسه وحقه فى عزله عند الضرورة ، ثم صدر الدستور الإسلامى وكان ذلك الاتجاه من أهم بنوده ، ولكن الأمور بعد ذلك سارت فى غير هذا الطريق .

لقد قدم الإسلام للمجتمع البشرى نظام الشورى ولم يكن للمجتمع

البشرى علم بهذا النظام من قبــل ، كانت الديكتاتورية المطلقة هى الفكر السـائد فى كل الربوع قبل الإسلام حتى جاء القـرآن بالآيات الكريمة « وشاورهم فى الأمر (١) » و « أمرهم شـورى بينهـم (٢) » ، وجـاء ما أثر عن الرسـول بأنه كان من أكثر النـاس مشاورة لأصحابه ، وعرف عنه ما قاله لأبى بكر وعمر : لو اجتمعنا على أمر ما خالفتكما فيه .

وأخذ الشراح المسلمون يؤكدون ضرورة الشـورى ، وقـد وضعها ابن تيمية فى أدق وضع عندما قدر أن العصمة من الخطـأ تكون للأمة فى مجموعها لا للفرد كائنا من كان ، فإذا أخطأ الإمام كان فى الأمة من يرده إلى الصواب ، وإذا أخطأ أحد الرعية ردّه الإمام أو ممثله ، فالعصمة ثابتة للمجموع بحيث لا يحصل اتفاق على الخطأ (٣) .

وقد تلقى المجتمع البشرى هذا التفكير الإسلامى ، ويوما بعد يوم اتضح لأكثر الناس أنه أصلح الاتجاهات فى الحكم ، وانساب هذا التفكير إلى أوربا وكانت الديكتاتورية أسلوب الحياة فيها .

وبينما كان كثير من غير المسـلمين يلتقطون هـذا التفكير الحكيم ويجعلونه أسلوب الحكم عندهم ، كان المسلمون للأسـف يتخلون عنه ، ويعودون لجاهلية الديكتاتورية ، وتثبت الأحداث أن الديكتاتورية تمثـل أكبر الخطر على الشعوب بل على الديكتاتور نفسه ولكن اللذة السريعـة للديكتاتورية تُعمى الأبصار ، فيهبّ للحكم ديكتاتور إثر ديكتاتور .

وإذا التمسنا العذر للديكتاتورية فى مصر التى تبنـاها رئيس مثـل عبد الناصر ، ومن بعـده السادات ، فإننا لا نلتمس عذراً لباكستان التى

---

(١) سورة آل عمران الاية ١٥٦ .
(٢) سورة الشورى الآية ٣٨ .
(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤١٠ .

قامت لتأخذ الفكر الإسلامى أساسا لكل تصرفاتها وقد دمرت ديكتاتورية عبد الناصر مصر ، وجلبت لها الفشل فى أمور الداخل والخارج ، وأخيرا قضت على الرجل نفسه ، ولكن السادات لم يفطن لذلك وأحب الديكتاتورية وتزوير الانتخابات والاستفتاءات ليضمن لنفسه السلطان ، ثم سقط على المنصة ، واكتشف الناس بعده أن الاقتصاد المصرى قد هوى للقاع ، وأن سبب ذلك يرجع إلى السرقات التى باشرها لصوص من أسرته وبخاصة أخوه عصمت وزوجاته الأربع وأولاده الخمسة عشر الذين انتقل ثراؤهم من ميزانية وظيفة سائق أوتوبيس التى كان يشغلها هذا الأخ إلى مئات الملايين من التى استولى عليها بأوجه غير شرعية كإتاوات وعمولات ووساطات واستيلاءات على مرأى ومسمع من أخيه ، وباشرها كذلك لصوص" حول الرئيس وفى حزبه ، فى غيبة الديمقراطية والشورى وحرّية الصحافة . وَفرَضَ أنور السادات بذلك على نفسه سوء الذكرى إلى الأبد .

عفوا أيها القارىء أن استرسلت مع ديكتاتورية مصر ونتائجها ، فالديكتاتورية مقيتة فى كل زمان ومكان ، ولنعد للباكستان .

يالله للحاكم المسلم الذى ينسى الفكر الإسلامى ، وينسى حقوق شعبه ويستبد هو وأعوانه بالأمر دونهم ، وقد كنا دائما نقول فى الجامعة إن سرقة رأى الإنسان فى الانتخابات والاستفتاءات أشنع وأبشع من سرقة مال الإنسان ، ولن تستقيم أمور الشرق حتى نعود إلى حكم الله جل وعلا فى شئون السياسة وغير السياسة من الأمور .

واذا عدنا الى باكستان حيث عقدنا هذا البحث فاننا تقابلنا مقارنة مريرة جدا ، فالباكستان استقلت عن الهند باسم الإسلام ، وبينما نرى الانقلابات العسكرية ، وحكم الجيش يسود فى باكستان نجد الهند الهندوسية تتمسك بالديمقراطية الى حد رائع فقد أجرت أنديرا غاندى الانتخابات ، وسقط فيها حزبها واستبعدت من رياسة الوزارة وبعد فترة

أجرى أعداؤها الانتخابات وسقطوا ونجح حزب أنديرا غاندى ، وعادت بالتالى الى السلطة والنفوذ فالديمقراطية لك ولغيرك ، والديكتاتورية عليك بالدمار وعلى غيرك •

وفى الهند لضمان الديمقراطية الحقة لجنة" محايدة تماما من كبار الرجال تجرى الانتخابات وتعد" لها وتشرف عليها وتعلن نتائجها ولايجوز لأية حكومة أن تتدخل فى تكوين هذه اللجنة ، أو أن تقصى بعض أعضائها أو تضيف اليها ، فاللجنة هى التى تباشر ذلك الإقصاء أو الاضافة بنفسها ومن هنا عاشت الهند فى استقرار ، وعاشت الباكستان فى قلق لا يعرف مداه •

ولنعد الى باكستان لنصور انتقالات السلطة بها وأحداث الانقلابات :

١ — القائد الأعظم محمد على جناح بلقب الحاكم العام ١٤ أغسطس ١٩٤٧ حتى وفاته فى ١١ / ٩ / ١٩٤٨ وكان لياقت على خان رئيس الوزراء مع جناح ومع خلفه حتى اغتيل فى ١٦ / ١٠ / ١٩٥١ •

٢ — خواجة نظام الدين بلقب الحاكم العام من ١٤ / ٩ / ١٩٤٨ الى ١٧ / ١٠ / ١٩٥١ •

٣ — غلام محمد بلقب الحاكم العام من ١٧ / ١٠ / ١٩٥١ الى ٦ / ٨ / ١٩٥٥ (ترك خواجة نظام الدين رياسة الدولة وأصبح رئيس الوزراء عقب اغتيال لياقت على خان) •

أقيل خواجة نظام الدين من رياسة الوزراء فى ١٧/٤/١٩٥٣ وعين محمد على بوجرا رئيسا للوزراء •

٤ — تدخل سافر للجنرالات وللجيش بدأ بالجنرال اسكندر ميرزا كالآتى :

— حاكما عاما من ٧ / ٨ / ١٩٥٥ بعد استبعاد غلام محمد •

— أعلن الدستور الذى كان قد اكتمل إعداده ، وكان إعلانه فى ٢٣ / ٣ / ١٩٥٦ •

— اختير رئيسا للجمهورية فى ظل القوة العسكرية •

— فى ١٧ / ١٠ / ١٩٥٨ ألغى الدستور وهو لا يزال فى المهد •

— أعلن الأحكام العرفيـــة •

— حلّ البرلمان الذى انتخب حديثا •

— اقال أعضاء الحكومتين المركزية والاقليمية •

— ألغى الأحـــزاب •

— عين محمد أيوب خان القائد العـــام للجيش حاكما عســكريا وسرعان ما استولى هذا على السلطة بانقلاب عسكرى غير دموى •

٥ — الجنرال أيوب خان : قائما بأعمـــال رياســـة الجمهـــورية من ٢٨ / ١٠ / ١٩٥٨ •

رئيسا للجمهورية من فبراير ١٩٦٠ حتى ٢٣ / ٣ / ١٩٦٩ •

خُيّل لبعض الباحثين أنه قام ببعض الاصلاحات ولكن الديكتاتورية تخفى خلفها اسس الانهيار ، والذى يقال عنـــه المستبد الصـــالح ينتهى صلاحه يوما ولو بموته ، ويبقى الاستبداد الذى يغلب أن يحصـــل عليه غير الصالح لأن عملية الانتقال من حاكم الى حاكم إن لم تكن بطـــريقة الشورى كان بطريقة القوة التى ينجح فيها وبها العناصر غير الصالحة •

وقد بقى الجنرال أيوب خان فى الســـلطة أكثر من عشر ســـنوات قضى فيها على الديمقراطية والشورى تماما واستبد بالبـــلاد فهوت الى القاع اقتصاديا وسياسيا ، ثم تخلى عن الحكم بعد أن عجـــز عن ادارة الدفة ، وبعد سيل من الدماء ، وفيما يلى نص ما نشرته جـــريدة الأهرام نقلا عن وكالات الأنباء فى ٢٤ / ٣ / ١٩٦٩ •

أيوب خان يستقيل ويسلم السلطة للجيش

كراتشى فى ٢٥ — وكالات الأنباء — أعلن اليوم الرئيس الباكستانى أيوب خان استقالته من رئاسة الجمهورية وتنازل عن سلطاته الرئيسية وسلّم ادارة البلاد الى القوات المسلحة ، وقال أيوب خان فى بيان أذاعة على الشعب الباكستانى — لم يستغرق أكثر من ١٠ دقائق — إنه تخلى عن منصب الرياسه بعد ١٠ سنوات من الحكم وانه يسلم سلطاته الى الجنرال يحيى خان قائد الجيش ، الذى يتمتع بتأييد الجيش والبحرية والسلاح الجوى •

وقال أيوب خان إن الأمة كلها يجب أن تضع ثقتها فى الجنرال يحيى خان ، الذى تولى جميع المسئوليات القانونية لادارة البلاد ، وأضاف أنه لا توجد أية سلطة شرعية خارج سلطة الجيش ، ثم قال إنه وافق على طلبات المعارضة بادخال النظام البرلمانى الفيدرالى فى البلاد •

وقال أيوب خان إن حالة البلاد تتدهور يوما بعد يوم ، كما أن اقتصاد البلاد تمزق ، وكانت تبدو فى صوته رنّة" من التأثر •

يحيى خان يعلن الأحكام العرفية :

وقد أعلن الجنرال يحيى خان بعد تسلمه السلطة الأحكام العرفية فى جميع أنحاء البلاد • وأصدر بوصفه الحاكم العسكرى العام بيانا بقواعد الأحكام العرفية ، ومنها الغاء الدستور واعفاء الوزراء •

وقال الجنرال يحيى خان فى بيان اعلان الأحكام العرفية « لقد نشأ موقف فى البلاد لا تستطيع معه الادارة المدنية أن تعمل بفعالية • ولقد أصبح لصالح الأمن القومى وضع البلاد تحت الأحكام العرفية •

وأعلن راديو كراتشى ان الجنرال عبد الحميد خان ، نائب قائد الجيش ومارشال الجو مالك نور خان قائد سلاح الطيران ،

والفيلد ادميرال (س • م • م • أحسن) قائد البحرية عينوا نوابا للحاكم العسكرى وقد جاء خروج أيوب خـان من المسرح السياسى بعد أسابيع من حالة تشبه الفوضى فى باكستان الشرقية ، حيث أخـذت الجمـاعات تجوب الأنحاء وتنفذ الاعدام فى المسئولين المحليين ومعظمهم من أنصار حزب الرابطة الاسلامية الذى يرأسه أيوب خان ، كما كان الفلاحون فى حالة ثورة •

وترددت أنباء أن هـذه الاضطرابات أسـفرت عن مصرع أكثر من ٢٥٠ شخصا منذ نوفمبر الماضى •

وقد وجه الرئيس أيوب خان فى آخر لحظة نداءات من أجل النظام وقدم تنازلات الى معارضيه وذلك بإقصـاء حاكمى باكسـتان الشرقية والغربية وإحلال آخرين محلهما ، كما اتفق مع معارضيه فى مؤتمر المـائدة المستديرة الذى انعقد فى روالبندى فى أوائل مارس الحالى على اجـراء اصلاحات دستورية •

وكان الرئيس محمد أيوب خان — ٦١ سنة — وهو برتبة (فيلد مارشال) قد تولى الحـكم إثر انقلاب عسكرى غير دمـوى فى ٢٨ أكتوبر عـام ١٩٥٨ وأقصى عن الحكم الرئيس السابق اسكندر ميرزا • وظل يحـكم ١٠ سنوات دون معارضة تقريبا •

وفى ٢١ فبراير تعهد بعد موجة الاضطرابات ضـد حكمه بعـدم الاشتراك فى انتخابات الرياسة التى كان من المقرر اجراؤها قبل ٢٣ مارس من العام القادم واتخاذ اصلاحات ديمقراطية •

وهكذا نعم الجنرال أيوب خان بالسلطة عشر سـنوات أو أكثر ولكنه أسلم البلاد الى الدمار كما جاء فى هذا البيان فالديكتاتورية وحكم الجيش الذى لا تخصص له فى السياسة والاقتصاد والادارة لابد أن تنتهى بالبلاد الى هـذا المآل •

٦ ــ الجنرال يحيى خان : من جنرال الى جنرال

من ٢٣ / ٣ / ١٩٦٩ •

عجز شامل عن ادارة الأمــور •

ثورات صــاخية وبخاصــة فى باكستان الشرقية ، فقــد أجريت الانتخــابات العــامة فى أول عهــد يحيى خــان وفاز مجيب الرحمــن بالأغلبيــة الســاحقة فى باكســتان الشرقيــة ، ولــكن الجنرال رفض تعيينه رئيســا للوزارة بها فاشــتد التوتر وســاعدت الهنــد الباكستان الشرقية ، وتمّ استقلال هذه المنطقــة باسم « بنجــالادش » كما سنرى فيما بعد وفى عهده سقطت هيبة باكستان وأسر وقُتل عدد كبير من رجــال الجيش الباكستانى ومن المدنيين الذين كانوا فى الباكستان الشرقية وتحت وطأة هذه الخسائر فى الأرواح والأموال أسلم الجيش السلطة للمدنيين •

٧ ــ فضل الله شودرى : رئيس جمهورية فى العهــد المدنى بعــد فشــل يحيى خان وتسليمه السلطة للمدنيين • (توفى فى يونيو سنة ١٩٨٢) وكان ذو الفقار على بوتو رئيس الوزراء ، وهو واحد من أكفأ الباكستانيين وأبعدهم صيتا •

٨ ــ انقلاب عسكرى جديد فى ٥ / ٧ / ١٩٧٧ بقيــادة الجنرال محمد ضياء الحق الذى لا يزال فى الحكم حتى كتابة هذه السطور فى اكتوبر سنة ١٩٨٢ •

وقد ذكرت وكالات الأنباء أن الانقلاب حدث فى الســاعة الواحــدة بعد منتصف الليل وأن الجيش استولى على السلطة واعتقل ذو الفقــار على بوتو رئيس الوزراء وبعض الزعماء وكان ذلك بعد فشــل المفاوضات التى بدأت بين الحكومة وزعماء المعارضــة لتسوية الأزمة السياسية بين الحــكومة والمعارضة •



الجنرال محمد ضياء الحـــق

وفرض الجنرال ضياء الحق الأحكام العرفيـــة على البـــلاد وكان ذو الفقار على بوتو هو الذى اختار الجنرال ضياء الحـــق رئيسا لأركان الحرب قبل ذلك بحوالى عام فى أول مارس سنة ١٩٧٦ .

وأخذت قوات الجيش تقـــوم بدوريات فى شـــوارع كراتشى وفى العواصم الأخرى .

محاكمـــة علـى بوتـو

جرت بعد ذلك محاكمة لذوالفقار على بوتو سنعرض تفاصيلها بعد قليل ، ولكننا نتخطى هذه المحاكمـة التى أهدرت فيها العـدالة لنذكـر أن المحاكمة قضت بإعدام على بوتو وأربعة آخرين ، وقد تحـرك العـالم كله لانقاذ حياة الزعيم المسلم ، ولكن السلطات العسكرية غضت الطـرف عن كل هذه المحاولات ، وفوجىء العالم فى الرابع من أبريل سنة ١٩٧٩ بأن الزعيم المسلم قد نُفذ فيـه حكم الاعدام فجر أمس ، وأن ذلك تمَّ فى سرية شاملة ، ولم تعلن الحكومة الباكستانية النبأ الا بعد دفن الزعيم ، خوفا من غضب الأعـداد الضخمة التى كانت تؤيده ، فقد نقلت طـائرة حربية جثمان الزعيم من روالبندى الى لاركانا ثم قامت سـيارة بنقـل الجثمان الى المقبرة ، ولم يحضر مراسم الدفن سـوى اثنين من أعمامه وقليل جـدا من أصدقائه .

والتهمة التى وجهت اليه هى التحريض على اغتيال أحد معارضـيه غير البارزين واسمه أحمد قصورى ، مع العلم بأن هذا الرجـل لم يصب بسوء فى العدوان الذى تم على سيارته فى نوفمبر سنة ١٩٧٤ ولكن والده لقى مصرعه فى هذا العدوان .

ولم يصدر الحكم بالاعدام باجماع القضاة كما سنرى فيما بعد ولكن السلطات العسكرية نفذت الحكم . ومن العجيب أن الحـكم نفذ فى بوتو ، ولم ينفذ فى الأربعة الآخرين الذين صدر عليهم الحكم بالإعدام فى نفس القضـية .

وعقب صدور الحكم أمضى على بوتو عاما كاملا فى زنزانة الاعدام ، استنفد خلالها محاموه جميع الإجراءات القانونية الممكنة لإنقـاذ حيـاته كما فشلت جميع الجهود الدولية وجهود الزعماء السياسيين من جميـع أنحاء العـالم للعفو عنـه .

وعقب إذاعة النبأ بإعدامه أعربت حكومات البلدان الإسلامية وكثير من الحكومات الأخرى عن أسفها لهذا التصرف ، وعدم اهتمام الحاكم العسكرى الباكستانى بالمحاولات التى قامت بها هذه الدول .

وقد قامت بمدن باكستان صور من المظاهرات والنحيب لإعدام الزعيم بوتو ، ولكنها كلها قوبلت بالشدة والقمع .

أما عن الجريمة التى نسبت الى بوتو والمحاكمة التى شكلت لمحاكمته فاننا نسجل هنا بعض الوقائع من التحقيقات التى حفلت بها الأنباء والصحف العالمية عقب تنفيذ الاعدام .

قصة اعدام البطل

الجريمة التى هزت ضمائر جميع زعماء العالم بلا استثناء

اذا كان بعض النابهين فى العالم قد سقطوا بضربات طائشة من أفراد أيسر ما يقال عنهم أنهم مخبولون ، فانه من الصعب أن تختلق قضية ومحاكمة وحكم اعدام لواحد من أعظم النابهين والقادة ، فلقد سقط لنكولن محرر العبيد بضربة طائشة من انسان يصعب أن يعد واحدا بين البشر ، وكذلك سقط غاندى بضربة من متعصب تافه ، وسقط فيصل بن عبد العزيز بطلقه أطلقها مخبول لا وزن له بين الرجال ، ومثل هذه الضربات الطائشة ستظل دائما تروع الانسانية ، ولكن الشىء الذى أدهش العالم أن يسقط على بوتو بقصة موضوعة ومحاكمة جائرة ، وتنفيذ بغيض .

ما هذه القصة ؟

ان الصحف خرجت فى اليوم التالى لاعدام البطل تشرح هذه القصة المتهافتة وعناصرها هى :

رجل سياسى مغمور اسمه (أحمد قصورى) تصفه الأنباء أنه مهتز

التفكير مضطرب العقل يسعى للشهرة بأية وسيلة ، وقد ثار هذا الرجل على الزعيم ذو الفقار على بوتو وكان هذا فى أوج مجده ، وكان اثائر بذيئا فى كلماته وحركاته ، فهاجم على بوتو بألفاظ جارحة مست الآباء والأمهات ، وفى احدى جلسات المجلس الوطنى خلع قميصه وصرخ فى الزعيم يطلب أن يبارزه ، وسخر الأعضاء من هذا التصرف الأحمق ، ولما فشل الرجل فى استثارة الزعيم عاد الى الكلمات البذيئة والسباب الذى لا ينبعث إلا من السوقة ، ويقال إن الزعيم تحت تأثير هذا العدوان المتكرر هدّده بالانتقام منه .

وكانت كلمة التهديد — إن صحت — هى كل الجرم الذى نسب لرئيس الوزراء وزعيم الأغلبية وقد حدث ذلك فى يونيو سنة ١٩٧٤ .

وبعد ذلك بفترة أى فى نوفمبر من نفس العام كان هذا الرجل يسير فى سيارته ومعه أبوه فأطلق مجهولون الرصاص على السيارة فقتل الأب ، فقدم الرجل بلاغا يتهم على بوتو بالتدبير لقتله ، واتهم معه مجموعة من الأفراد ، وذكر أن قتل الأب حدث بطريق الخطأ وأنه هو الذى كان المقصود بهذا التدبير .

ولم يستطع الرجل أن يقدم أية أدلة على هذا الاتهام ، وسئل سؤالا مهما هو أنّ محاولاتٍ لقتله قد حدثت عدة مرات تزيد على أصابع اليد فلماذا فى هذه المرة يتهم رئيس الوزراء ، ولماذا لا تكون هذه المحاولة هى واحدة من المحاولات السابقة ؟ ولم يستطع الرجل أن يقدم جوابا على هذه التساؤلات .

وحفظت القضية لعدم توافر الأدلة ، ومرت الأيام والشهور وعاد الرجل يعتذر للزعيم لاتهامه ، بل أرسل خطابات أشبه بقصائد مدح لهذا الزعيم يرجو أن يغفر له ما حدث منه ، ويصفه بأنه « مسيح » الباكستان ، وحسنت العلاقة نوعا ما بين الرجل وبين رئيس الوزراء .

وجاء الانقلاب العسكرى ، وأدرك القادة العسكريون أنهم يواجهون عملاقا ضخما له فى قلوب الأغلبية الساحقة حب عميق وتقدير عظيم فلم يقنع الانقلاب العسكرى بالاطاحة به أو بسجنه ، وانما أراد التخلص منه نهائيا ، فأوعز للرجل الهش أن يجدد دعواه ، واتجه الانقلاب العسكرى الى ما وصفته وكالات الأنباء بالانحياز الشائن فى تشكيل المحكمة التى ستنظر القضية ، وفى هذه المحكمة سئل الرجل عن الخطابات التى أرسلها للزعيم على بوتو ، وهى حافلة بالاعتذار والثناء ، وأخذ الدفاع يتلو هذه الخطابات ، وعندما كان يتلوها غاضت الدماء من وجه المدعى العام ومن صاحب الاتهام ، وتطلع الجميع الى المتهم الشامخ الذى كان يجلس فى القفص •

ولما سأل القضاة قصورى عن هذه الخطابات أجاب : لقد نصحتنى أمى الأرملة أن أقوم بذلك حتى أحافظ على حياتى •

ووضح الدفاع أن المدعى مضطرب نفسيا ولا يستحق عناء قتله ، وأن الكلمة التى قيل إن على بوتو قالها لم تكن — إن صحت — إلا فى لحظة غضب من اسفاف قصورى •

وأدانت المحكمة على بوتو ، وكان ذلك متوقعا منها ، فرفع الأمر الى المحكمة العليا وهى تتكون من ستة قضاء ورئيس يسمى كبير القضاة ، وتصف الأنباء كبير القضاة بأنه كان متحيزا تحيزا صارخا ضد على بوتو ، وكان وثيق الاتصال بمكتب الحاكم العسكرى العام حتى أن خطا تليفونيا مباشرا أقيم بين مكتب الحاكم العسكرى ومكتب كبير القضاة ، مما خلق احساسا بأن كبير القضاة كان يتلقى التعليمات من الحاكم العسكرى •

واستمرت المحاكمة عدة شهور ولم يستطع القضاة أن يتفقوا على قرار وانقسم القضاة الستة قسمين ، قال ثلاثة منهم بالادانة ، وحكم الإعدام ، ورفض الثلاثة الآخرون أن يوافقوا على حكم الإعدام ،

وانضم كبير القضاة الى الثلاثة الذين رأوا الاعدام ، وهو تصرف غـير مألوف ، فقد جرت العادة أن ينضم كبير القضاة لصالح المتهم عند تعادل الأصــوات وأصبح قرار الاعــدام هزيلا ولذلك أرسلت المحكمة هــذا القرار مع اضافة تقرر أنها ليست واثقــة تماما من كافة تفاصيل هــذه القضية ولذلك تترك للجنرال الحاكم العســكرى ، أن يزاول صــلاحيات الأحكام العرفية المخولة له ، أى أن يعفــو عن بوتو أو أن يتحمــل هــو مسئولية الموافقة على الحكم •

وهب العالم كله يطلب العفو عن الزعيم ، واشتركت فى ذلك الشعوب والحكومات الاسلامية وغير الاسلامية ، كما اشترك عدد كبير من الملوك ورؤساء الجمهوريات ، وقد نسى هؤلاء جميعا أن الحكم العســكرى كان شديد الحــرص على التخلص من بوتو غــير مكترث بقيــم أو قوانين أو توسلات •

وأعدم على بوتو ولكن اسمه وجهوده ستبقى خالدة وستبقى الأجيال تتحدث عن ظلم الانسان للانسان •

والعجيب أن القاتل الحقيقى واســمه « مسعود » اعترف بجــرمه ولكنه لم يعدم ، وكذلك لم يعدم الأربعة الآخرون الذين صدر الحكم عليهم بالاعــدام مع بوتــو •

بنجـــــالاديش

مقدمـــة :

قلنا فى الجزء التاســع من هــذه الموسوعة (١) إن نهــرو أثَّر على عبد الناصر وخدعه ، فجذبه الى ما يسمى « عدم الانحيــاز » وكان عدم الانحياز معناه مناهضة الغرب والحرب ضد ما سمى « امبريالية » وبالتالى التقرب من الاتحاد السوفيتى ، وكان نهرو يقصد بذلك أن يبعــد مصر عن باكستان التى كانت تتجه للتعاون والتحالف مع أمريكا ومع بريطانيا .

وقد استطاع نهرو بذكائه وماضيه السياسى أن يكسب هذه الجولة ، وأن يخــدع عبد الناصر الــذى كان لا يزال تلميــذا صغيرا فى مدرســة السياسة والفكر السياسى ، وحتى يتم نهرو خطته دعا عبد الناصر لزيارة الهند فى طريقه الى مؤتمر باندونج (ابريل ١٩٥٥) وهناك هيأ له استقبالا رائعا ، ودعــاه لالقاء كلمة فى البرلمان الهنــدى .... وبعــد باندونج حضر نهرو الى القاهرة فى ١٢ يوليو ١٩٥٥ وأصدر مع عبد الناصر وثيقــة خطيرة تنص على أن الاشتراك فى مواثيق وأحلاف عسكرية مــع الدول الكبرى يخلق جــوا يؤدى الى الحرب ولا يخدم قضية السلام .

ووقع عبد الناصر فى الفخ وبدأنا بذلك فى حرب مــع الغرب تسبب عنها سحب أمريكا لمساعدتها فى بناء السد العالى ، فتأميم قناة السويس ، فحرب ١٩٥٦ ، فجلب الخبراء الروس ، فالاشتراكية وقوانينها .... على الرغم من أن أمريكا هى التى أمرت أقطــاب العدوان الثــلاثى بالجلاء عن مصــر .

ودمر نهرو عبد الناصر دون أن يدرك أحد ذلك .

وفى بنجالاديش حديثٌ خديعةٍ قريبة من هذا النوع حاكها ونفَّذها الرجل السياسى المحنك « نهــرو » .

---

(١) حوليات عصر عبد الناصر : عصر المظالم والهزائم ص ٤٥٨ وما بعدها .

فقد رأينا أغلبية اسلامية ساحقة فى كشمير ، وهى بجانب ذلك امتداد لباكستان سيكون بديا من ناحية وسيكون مفيدا من ناحية أخرى • ولم تكن كشمير الا تمثل مقاطعة مثل مقاطعات السند وبلوخستان ، وحرص نهرو على ألا يتم انضمام كشمير لباكستان كما رأينا من قبل •

أما البنغال الشرقية التى تبعد عن الباكستان الغربية بحوالى ألف ميل والتى تختلف معها فى جنس السكان والطبيعة الجغرافية •••• فقد سمح نهرو بأن تصبح جزءا من باكستان ولم يكن ذلك الا إسفيناً وضعه السياسى العجوز فى قافلة الدولة الجديدة ، وقد كان من الممكن أن تعلن البنغال الشرقية رغبتها فى الاستقلال عن الدولتين ، وكان ذلك فى مصلحة باكستان ، ولكن نهرو بأساليب مختلفة خدع الزعماء المسلمين وأوهمهم أنه يمكن قيام دولة تضم ما سمى باكستان الشرقية وباكستان الغربية ، مع أنه لم يكن فى خيال اقبال الذى رسم الاستقلال أن تنضم للدولة الجديدة منطقة البنغال •

وستبرز لنا الدراسات القادمة أن بعض زعماء البنغال كانوا يكرهون التقسيم أساسا ، وأن عواطفهم كانت مع الهند ، ولست أستبعد قيام تحالف سرى بين نهرو وابنته أنديرا غاندى من بعده ، وبين هؤلاء ليبدأ صراع مدمر فى باكستان عقب قيامها ، وهذا ما حدث •

ونسجل فيما يلى بعض العبارات التى دونها التاريخ والتى رددتها وكالات الأنباء العالمية التى ارتبطت بتاريخ بنجالاديش وتاريخ الانقلابات بها :

— فى سنة ١٩٥٤ صرح أحد زعماء الباكستان ، أن أعداء الهند هم الذين سعوا فى تقسيمها وأنه سوف يبذل كل ما فى وسعه لاستقلال باكستان الشرقية (١) •

(١) دكتور عبد الحميد البطريق : باكستان فى ماضيها وحاضرها ص ٨٦ •

ومن هذه العبارة الخطيرة نستنتج ما يلى :

١ ــ زعماء باكستان الشرقية كان هواهم مع الهند •

٢ ــ هؤلاء الزعماء لم يكونوا راضين عن التقسيم •

٣ ــ اتجاههم المبكر لاستقلال باكستان الشرقية ذلك الاتجـاه الذى تحقق سنة ١٩٧١ •

ــ اشتركت الهند عسكريا فى الصراع الذى دار سـنة ١٩٧١ وأدى الى استقلال باكستان الشرقية عن باكستان الغربية ، وأخذت اسمها الجديد « بنجالاديش » وقد زحفت جيوش الهند فى الرابع من ديسمبر الى باكستان الشرقية مع ما أسمته « اللاجئين العسكريين » من بنجالاديش وَهزَمت جيش باكستان ، ثم أعلن انفصال بنجالاديش •

ــ عين الشيخ مجيب الرحمن أول رئيس للوزراء فى بنجالاديش ثم صار رئيسـا للجمهورية وكان صديقا حميما لانديرا غاندى ، وكان يحظى بتأييدها الدائـم •

ــ عقب الانقلاب الذى اغتيل فيه مجيب الرحمن لجأت ابنته « حسنية » وبعض أتباعها الى الهند ورحبت الهند بهـا وأخـذت تدلى ببعض التصريحات المضادة للحكم الجـديد فى بنجالاديش •

ــ توضح وكالات الأنباء أن الهند مارست ضغوطا شديدة على حـكومة ضياء الرحمن الذى جاء به الانقـلاب الذى أنهى حكم مجيب الرحمن وظهر تأييد الهند لمعارضى ضياء الرحمن •

ــ على الرغم من الديمقراطية الحقة التى تعيش فى الهنـد فان الهنـد شجعت الديكتاتورية فى بنجالاديش وسمحت أو أوعزت لمجيب الرحمن أن يأخذ كل السلطات فى يده ، وأن ينشىء نظام الحزب الواحد ••••

وذلك شأن الدول الاستعمارية الكبرى التى تنعم بالديمقراطية فى بلادها وتشجع النظام الديكتاتورى فى مستعمراتها لتخلق صراعا داخليا من جانب ، ولتبعد السلطة عن الشعب وتركزها فى أيد قليلة تدين لها بالولاء •

وبعد هذه المقدمات الضرورية والمهمة نعود للحديث عن قضية منطقة البنغال من أولها :

الاسلام فى البنغال :

بدأ المسلمون صلتهم بالبنغال فى أوائل قرون الهجرة ، وكان الجغرافيون العرب يشيرون كثيرا الى البنغال حينما كانوا يتحدثون عن التجارة ، وفى أيام الدولة العباسية زادت العلاقات التجارية بين البنغال وشبه جزيرة العرب ، وقد وُجِدَت فى حفائر بهاربور ، وميناماتى ، عملات معدنية يرجع عهدها الى العباسيين (١) •

وقد استولى المسلمون على اقليم البنغال فى عهد محمد بختيار الخلجى قائد السلطان معز الدين محمد الغورى سنة ١٢٠٢ م ، وقد هرب الراجا الهندوكى أمام الفرسان المسلمين دون أدنى مقاومة مما يدل على أن البنغال كانت تعانى ضعفا سياسيا وعسكريا قبل الزحف الاسلامى ، ولما استولى المسلمون على البنغال أصبحت جزءا من العالم الاسلامى ، وأخذت فى توثيق علاقاتها مع بقية المجتمعات الاسلامية ، ولما تفككت حكومة دلهى المركزية فى القرن الرابع عشر قامت فى البنغال أسر اسلامية حاكمة استقلت بالبلاد تقريبا ، ومن هؤلاء بنو الياس (١٣٤٩ — ١٤٤٢ م) ثم بنو خبشى ، ثم بنو حسين شاه ، ثم بنو سور ، فبنو سليمان حتى استولى الامبراطور أكبر على البنغال سنة ١٥٧٦ م ، وضمها الى امبراطوريته (٢) •

---

(١) باكستان : من مطبوعات السفارة الباكستانية بالقاهرة ص ١٦ .
(٢) المرجع السابق والقاموس الاسلامى الاستاذ احمد عطية الله جـ ١ ص ٣٧٣ •

عواصم البنغال وأنهارها :

اختلفت عواصم البنغال من عصر الى عصر فكانت العاصمة أحيانا بلدة كور أو راج محل ، أودكا ، أو مرشد أباد وعاصمتها الحالية هى دكا .

وتكثر الأنهار فى البنغال حتى تبدو المنطقة كأنها شبكة ماء ، ويجرى فيها نهر الجانج والبراهما بوترا ، ويعتبر النهران وفروعهما من أهم وسائل المواصلات فى البنغال لصلاحية هذه الأنهار للملاحة فى أكثر الأمكنة .

العلوم والفنون فى البنغال :

اهتم سلاطين المسلمين بالأدب البنغالى ، وبثوا فيه الروح الاسلامية ، وكانت اللغة البنغالية هى لغة المنطقة وقد اشتقت هذه اللغة أصولها من اللغة السنسكريتية ، فلما دخل الحكم الاسلامى بلاد البنغال دخلت معه اللغة الفارسية وآدابها ، اذ كانت هذه اللغة هى لغة الثقافة والادارة بالبلاط الاسلامى بالهند كما دخلت مفردات كثيرة من اللغة العربية وقد عكف كثير من مفكرى البنغال على اللغة العربية وآدابها ، فأجادوها وألفوا بها كثيرا من المؤلفات .

واهتم سلاطين المسلمين بالفنون وأعمال النحت ، ولهذه الأعمال جذور فى ثقافة البنغال ، وقد وجهت هذه الأعمال وجهة اسلامية وبرزت فى المساجد والمدارس التى عنى بها المسلمون فى هذه المناطق ، كما برزت فى القباب والقصور التى ازدانت بألوان الفنون وصور زاهية من النحت .

البنغال جزء من الباكستان :

سبق أن أوضحنا أنه بعد صراع طويل اتفقت الآراء على تقسيم الهند الى دولتين هما الهندستان أو الهند والباكستان ، وأن التقسيم يجرى بناء على دين الأغلبية فى أية منطقة من المناطق بالاضافة الى رغبة الشعب فى المنطقة والى المواقع الجغرافية للمناطق .

وبناء على هذه القاعدة ، قامت الباكستان وقد أوضحنا آنفا أن أصابع الهند لعبت لتنضم البنغال الى الباكستان الغربية وليتكون من الجزأين دولة واحدة ، ولم يكن ذلك فى مصلحة الباكستان الشرقية ولا الغربية ، ولكنه كان وسيلة لصراع كان طبيعيا أن يندفع لبعد الشقة بين المنطقتين بعدا كبيرا ، ولاختلاف المنطقتين فى كل شىء جنسا ولغة وتاريخا وظروفا جغرافية ، ومن أجل هذا كان ارتباط المنطقتين ارتباطا يحمل بذور الانفصال فى طياته ، فسرعان ما قامت فى الباكستان الشرقية الحركات التالية :

أولا : ثورة الطلبة فى الباكستان الشرقية سنة ١٩٥٢ :

قام الطلبة فى الباكستان الشرقية بمظاهرة فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٢ للمطالبة بجعل اللغة البنغالية لغة رسمية ، وقد حدث احتكاك بين الطلبة وبين البوليس ، وسقط بعض الضحايا فى هذا الاحتكاك ، وقد أخذت أحزاب المعارضة هذا الحادث لتشعل الثورة من حين الى آخر فى نفوس الطلاب ، وأسمت ذلك اليوم يوم الشهداء ، وأقامت نصبا تذكاريا لشهداء الطلاب فى هذا اليوم •

ثانيا : أحزاب المعارضة فى الباكستان الشرقية :

كانت « الرابطة الاسلامية » حزب المسلمين فى جميع أنحاء الهند قبل الاستقلال ، وانقسام الهند الى دولتين تمّ بجهود الرابطة الاسلامية ولكن سرعان ما قامت فى الباكستان الشرقية أحزاب أخرى ، فظهر حزب رابطة الشعب (عوامى ليج) ورابطة المسلمين (مسلم ليج) وحزب الفلاحين ، ثم تكونت من هذه الأحزاب جبهة متحدة ضد الرابطة الاسلامية ، وقامت هذه الجبهة بجهود كبيرة فى الباكستان الشرقية ، وقدمت وعودا براقة للأهالى لتخفيض ايجارات الأرض بالنسبة للفلاحين ، وتوزيع أراضى الحكومة عليهم والعناية

بالتعليم ، وجعل اللغة البنغالية لغة رسمية ، وانشـاء مصانع فى الباكستان الشرقية وغير ذلك من الوعـود الخلابة التى كان لهـا تأثير ضخم عـلى الشعب فاكتسحت الجبهة المتحـدة الانتخـابات وحققت نجاحا هائـلا اذ حصلت على أكثر من تسعين فى المائة من المقاعد ، وكان ذلك أسـاسا لفرقة لم يمكن رأب صدعها •

ثالثا : حركة التمرد والاستقلال لبنجالاديش :

استمرت الخلافات السـابقة حتى أصبح أهل البنغال كلهم تقريبـا فى جانب وحكومة الباكستان الغربية فى جانب آخـر ثم جاءت انتخابات سنة ١٩٦٩ ، وفى هذه الانتخابات حصـل حزب عوامى على أغلبية ساحقة وكان برياسـة الشيخ مجيب الرحمن ، ولكن الجنرال يحيى خان رئيس جمهورية الباكستان آنـذاك رفض تعيينه رئيسـا للوزارة فى باكسـتان الشرقية ، وتدخل الجيش الباكستانى فى عملية تقول عنها وكالة الأنبـاء أنهـا كانت عملية قمع لشعور الأهالى ، وسقط فى هذه العملية عـدد من البنغاليين ، ولجأ مجيب الرحمن الى الهنـد ، وهناك أعلن قيام جمهورية بنجالاديش ، وشـكل حكومة مؤقتة لهـا فى الهنـد وتجمع حوله كثير من مؤيديـه •

وفى ٤ ديسمبر سنة ١٩٧١ ، وبعد توتر شديد وطويل هاجمت القوات الهندية مع قوات جيش تحرير بنجالاديش اقليم البنغـال ، ودار صراع بين هذه القوة ، وبين الجيش الباكستانى فى بنجالاديش •

وفى ١٦ ديسمبر من نفس العام استسلم جيش باكستان وأعلن قيام دولة بنجالاديش دولة مستقلة •

الانقلابات العسكرية فى بنجالاديش

هل ورثت بنجالاديش حركة الانقلابات من باكستان ؟

هل هو بلاء أن تحكم الدول الاسلامية بالنظام الديكتاتورى ؟

هل يدعى زعيم مسلم أنه مسلم وهو يستبيح الدماء التى حرمها الله ؟

هل الطموح وأطماع الدنيا تنسى بعض الزعماء المسلمين التزامات الدين والخلق ؟

هل ..... وهل ...... وهل

لقد قامت دولة بنجالاديش على فيض من الدماء وعلى رفات كثيرين من المسلمين من باكستان الشرقية والغربية على السواء ، والدماء يُقْتَصُّ لها باستمرار ، ومن قَتَلَ بالسيف فبالسيف يُقْتَل فى المدى الطويل أو القصير ، لقد قامت دولة بنجالاديش نتيجة انقلاب دموى ، وفتح هذا الانقلاب للأسف أبواب الانقلابات الدموية المتتالية ، وحُكِمت بنجالاديش منذ سنة ١٩٧١ على الوجه التالى :

— الثورة البنغالية التى استعانت بالهند ضد المسلمين ، ولسنا هنا نعيب البنغاليين وحدهم ، ولكنا كذلك نعيب الجنرال يحيى خان الذى استبد بالأمر أو قل لم يفهمه فأسلم البلاد الى صراع وسقط فيه عدد رهيب من المسلمين ، روى أرض المسلمين بدماء المسلمين .

وبنجاح هذا الانقلاب استقلت بنجالاديش وشكل مجيب الرحمن أول حكومة لها فى ١٢ يناير سنة ١٩٧٢ .

ولكن للأسف نجد الرجل الذى حارب الديكتاتورية ممثلة فى رؤساء جمهورية الباكستان يتجه هو نفسه الى الديكتاتورية فعمل ليصبح رئيس الجمهورية ابتداء من يناير ١٩٧٥ على أن تكون جمهورية رياسية

ووضع كل السلطات فى يده ، وفرض نظام الحزب الواحد • وهــكذا فعل الرجل كل الخطوات التى حاربها زمنا طويلا •

— فى ١٥ / ٨ / ١٩٧٥ اغتيل مجيب الرحمن هو وزوجته وثلاثة من أولاده ، وكان ذلك فى انقــلاب قاده « خونداكار مشــتاق » الذى كان وزيرا للتجارة من قبل وساعده فى انقلابه مجموعة من الضباط الطموحين وقد اتهم الجنرال ضياء الرحمن أنه يحميهم وسنتكلم عن ضــياء الرحمن فيما بعد ، وبعد مقتل مجيب الرحمن عين خونداكار رئيسا للجمهورية •

— وعقب شهور قليلة وبالضبط فى ٣ / ١١ / ١٩٧٥ حدث انقــلاب جديد عُزل به خونداكار من رياسة الجمهورية وقبض على الضباط الذين قادوا الانقــلاب ضـــد مجيب الرحمن ، وعين « صايم » رئيس المحكمــة العليا رئيسا للجمهورية •

— وبعد أيام قليلة أى فى يوم ٧ / ١١ / ١٩٧٥ وقع انقــلاب بقيــادة الجنرال ضياء الرحمن وأصبح هذا بمقتضاه حاكما عسكريا ابتداء من ٢٩ من الشهر نفسه ، وبقى صايم رئيسا للجمهورية •

— فى ابريل سنة ١٩٧٧ استقال صــايم وأصبح ضياء الرحمن رئيســا للجمهورية ، ثم أجرى استفتاء فى يونيو ليصبح ضياء الرحمن رئيســا بارادة الشــعب (! !) وفى عهــده حــدثت محــاولات انقــلاب متعــددة فاشلة •

— وفى آواخر يونيو سنة ١٩٨١ ضرب بالصواريخ المقر الذى كان ينزل به الرئيس ضياء الرحمن ضيفا فى أثناء زيارته لمدينة شيتا جونج ، وكان الرئيس نائما آنذاك فقتــل وقتل معــه عــدد ممن كانوا بمركز الضيافة ، وكانت القــوات المتمردة بقيادة الجنرال منصــور أحمد ، وقد استسلمت هذه القوات عقب ذلك •

ومما يذكر أن حسنية ابنة الزعيم مجيب الرحمن والتى كانت لاجئة

فى الهند عقب مقتل والدها ، هذه الزعيمة كانت قد عادت حديثا من الهند إلى بنجالاديش ، وكان أتباعها قد اختاروها زعيمة لحزب عوامى ، وهى غائبة فى الهند ، وقد ظهرت بعض الاتهامات التى توجه لها كمشاركة فى الإعداد للانتقام من ضياء الرحمن •

— عبد الستار : تولى الرياسة عقب مقتل ضياء الرحمن فى يونيو ١٩٨١ وكان ضياء الرحمن قد عينه نائبا لرئيس الجمهورية سنة ١٩٧٧ ، وهو رجل متخصص فى القانون والسياسة واشتغل بالمحاماة والقضاء وعرف بالاعتدال وحبه للقراءة ، وقد تم انتخابه لهذا المنصب •

— فى أواخر مارس سنة ١٩٨٢ قام انقلاب جديد بزعامة الجنرال حسين ارشاد ، وأعلن قائد الانقلاب فرض الأحكام العرفية وتنصيب نفسه حاكما عسكريا عاما ورئيسا للجمهورية وأوقف العمل بالدستور ، وحل البرلمان ومجلس الوزراء •

وقد حددت اقامة الرئيس عبد الستار ، وتم اعفاء مساعده ، وقبض على عدد من الوزراء •

هيأ الله الاستقرار لهذه البلاد ، ووفّق زعماءها لما يرضى الله ويرضى الشعب ، وأبعد عنهم الطموح الذى يُبْنَى على غير أساس شرعى ، فهذا الطموح لا يجلب الا الدمار لهم وللناس •

السيخ أو السك

فى أحاديثنا السابقة عن الهند وباكستان ورد ذكر « السيخ » كثيرا ، ولهذا نقول عنهم كلمة هنا للتعريف بهم وكلمة السيخ كلمة هندية معناها « نظام » ويطلق عليهم السك تبعا للحروف اللاتينية •

وقد نشأ هذا المذهب فى القرن الخامس عشر الميلادى على يد معلم دينى اسمه « جودونانك » وقد ولد هذا الرجل فى بلدة تقع غير بعيدة عن « لاهور » فى البنجاب الباكستانية حيث يكثر المسلمون وينتشر الفكر الاسلامى وتوفى هذا الزعيم سنة ١٥٣٩ •

ومذهب السيخ كان نتيجة للظروف فى مناطق نشأته وهو يرمى الى توحيد الديانات فى الهند ، وقد انتشر هذا المذهب بين قبائل « الزط » الذين كانوا يكثرون فى البنجاب ، وهذا الدين يحمل بذوراً هندوسية لأن صاحبه معلم دينى ، ويحمل بذور الاسلام لأنه نشأ فى منطقة ازدهر فيها الاسلام منذ أمد طويل ، فالمذهب بذلك خليط من الهندوسية والاسلام ، فأخذ عن الاسلام القول بالتوحيد والبعد عن أصنام الهنادكة ، والغاء الطبقات وتحريم الخمر ، بل تحريم التدخين ، كما رفض السيخ نظام الكهنوتية والمراسم الهندوكية فى الزواج ، ولكن السيخ احتفظوا من الهندوكية بعقيدة التناسخ وتقديس البقرة الى حد ما •

وكان يطلق على السيخ حملة « الكافات » الخمسة « جمع كاف » وهى :

كيس : ومعناها جمع الشعر دون قص ووضعه تحت عمامة •

كاخ : الخنجر •

كارا : أسورة من حديد •

كريبان : لباس قصير •

كانجاهو : المشط لتسريح الشعر الذى لا يقص أبدا .

وكثر أتباع هذا المذهب من يوم الى يوم ، ولكنهم وجدوا أنفسهم بين عدوين هما الهندوس والمسلمون فقووا أنفسهم عسكريا ، وساعدهم على ذلك ما استمتعوا بـه من صحة نتيجة لبعدهم عن الخمور والتدخين ، وما استمتعوا به من وحدة نتيجة لالغاء الطبقات وشيوع المساواة ، فى طائفتهم ، وأصبحوا يسمون « الخلصاء » وكان السيخ أقرب للمسلمين حتى سنة ١٦٧٥ حتى ساعد السيخ ابن سلطان جهانكير على أبيه ، وزاد بعدهم عن المسلمين عقب موقف أورنجزيب ضد التسامح الدينى .

وعندما جاء الاستعمار الانجليزى وجد السيخ أن القوة هى التى تحميهم من الانجليز الذين جاء بهم ضعف الهنادكة والمسلمين ، وقد عمد السيخ الى التدريب العسكرى وكانوا يجلبون الضباط الأجانب لهذا الهدف .

ومن أشهر زعمائهم « رانجيت سنغ » الذى اشتهر بلقب « أسد البنجاب » الذى قادهم فى أوائل القرن التاسع عشر واحتل بهم لاهور وكون لهم دولة فى البنجاب وقد اعترف بها الانجليز ليضربوا بهم الهندوس والمسلمين وليتحاشوا الصدام معهم ، وعقد الانجليز معهم معاهدة سنة ١٨٠٩ وضعت حدا بين دولة السيخ وبين المناطق الهندية التى يسيطر عليها الانجليز وقد توفى أسد البنجاب سنة ١٨٣٩ .

وفى سنة ١٨٣١ عقد اتفاق بين السيخ والانجليز للتعاون ضد الأفغان ، وبناء على هذه المعاهدة زحف الانجليز ومعهم السيخ على بلاد الأفغان وخلعوا ملكها ووضعوا ملكا غيره .

وفى سنة ١٨٤٥ بدأت العداوة بين الانجليز والسيخ فقد انتهت حاجة الانجليز لهم بعد أن ضربوا بهم المسلمين والهنود ، واشتعلت بين

الطرفين عداوة طويلة انتهت بخضوع السيخ للانجليز حوالى سنة ١٨٥٠ ، وأصبح السيخ جنودا فى الجيش البريطانى •

وفى فترة الخلاف بين الهندوس والمسلمين على تقسيم الهند ، ثم فى فترة التقسيم ، قامت حروب طويلة قاسية اشترك فيها السيخ ضد المسلمين وبخاصة فى البنجاب التى يكثر فيها السيخ فان تقسيمها إلى شرقية وغربية بين الهند وباكستان كان ضد رغبة السيخ الذين كانوا ينتشرون فى البنجاب كله ، وقد تحالف السيخ مع الهنود فى البنجاب الشرقية ضـــد المسلمين وذبحوا عددا هائلا من المسلمين ، أما فى البنجاب الغربية حيث الأغلبيـــة المسلمة فقد خرج السيخ الى الحدود وأخذوا يشنون حملات تدمير ضد المســـلمين •

وعدد السيخ الآن حوالى عشرة ملايين ، ولذلك يطالبون حكومة الهند أحيانا بولاية خاصـــة بهـــم •

الاســلام والهنــد

بعد هذه الجولة الطويلة مع الهند ، تلك الجـولة التى رأينا فيهـا أن الاسلام دخل الهنـد منـذ سنينه الأولى ، وأن دولا وامبراطوريات اسلامية قامت بالهند ٠٠٠٠٠ بعد هذا نتساءل سؤالا مهما هو : لماذا لم يغمر الاســلام الهند كما غمر كثيرا من البلدان الأخرى ؟

والاجابة عن هذا السؤال تكمن فى ثنايا البحـوث التى أوردناها ، ولكن لاضير من ابرازها هنـا ٠

لقد دخل الاسلام مصر مثلا وهناك صراع بين فرق المسيحيين وهناك كـذلك المستعمر الرومانى الـذى يعتنق المسيحية ولا يعرف آدابهـا وأخلاقها وانما يجعل من مصر مزرعة للقمح ٠٠٠٠٠ ثم إن الاســلام دخل مصر ومعه قمم من المفكرين المسلمين فحملوا للمصريين سماحة الاســلام وأخلاقه ، ومن أجل هذا دخل المصريون الاســلام طائفة بعد أخـرى ، وما جرى بمصر جرى بغيرها من الأقطار المماثلة ٠ ؟

ولكن الحالة بالنسبة للهنـد تختلف ، فقـد دخل الاســلام أولا — كما رأينا — مع التجار وأغلب هؤلاء كانت بضاعتهم فى الفكر الاسلامى قليلة ، ولما جاءت الفتوح الاســلامية واجهت بالهنـد جمـاعات تدين بالهندوكية ، والهندوكية مزيج من العقائد والأخلاق والعادات والأساطير والسير والطقوس وهى متأصلة فى نفوس القوم منذ ولادتهم وعليها شبوا وباشروا طقوسها بعمـق ٠

وعندما جاء الزحف الغزنوى كانت سمته العنف وتدمـير الهندوكية وأخذ الغنائم والعودة بها الى أفغانستان ٠

وجاء بعد ذلك حكم المماليك ، وفى عهدهم هاجم جنكيز خان البنغال

ودمر فيها وسلب ، ولم يطل مقام المغول بها آنذاك ولكن الهند ظلت هدفا لغارات المغول وتدميرهم من حين الى حين .

ومن أعظم سلاطين المماليك أيلتمش التى سميت الدولة باسمه أحيانا فعرفت بأنها « الدَولة الإيلتشمية » ولكن سرعان ما جاءت بعـده ابنتـه « رضية » التى ورطت البـلاد فى حروب قاسية بسبب انحـراف عواطفها ووقوعها فى حب أحد عبيدها الأحباش .

أما باقى سلاطين دلهى فكانت مدد حكمهم قصـيرة لم تتح فرصـة لنشر الاسلام ورعايته وكان اتجـاه هؤلاء السلاطين الى الحضارة المادية من عمران وقصور أكثر من اتجاههم للحضارة الاسـلامية الأصيلة التى تشرح مبادىء الاسـلام واتجاهاته فى مجالات السياسـة والاقتصـاد والتربية والأخلاق وغيرها .

وخلال عهد سلاطين دلهى كثرت ــ كمـا ذكرنا من قبـل ــ فترات الاضطرابات والثـورات والضعف ممـا لم يسـمح بدعـوة خالصـة للدين الاسـلامى .

ثم جاءت امبراطورية المغول بالهند وعاشت بالهند حوالى ثلاثـة قرون ، والـذى يدرس عصر هـذه الامبراطورية بالهنـد لا يتوقع من انتشار الاسلام أكثر مما حصل ، فلم يكن المغـول مُؤَّهلين فى الغالب لحمل هذا العبء ، ولو حكمت الهند هذه المـدة بدولة غير دولة المغـول لكان من المتوقع أن يكون انتشار الاسلام أعظم وأشـمل ، أما المغـول فقد اتضح منهم أنهم ليسوا أكفاء لهذه المسئولية ، وذلك للأسباب التالية التى نوجزها بعد أن شرحناها من قبل بالكثير من التفصيل :

أولا ــ لم يتعمق الاسلام الصحيح فى نفـوس المغـول ، وكانوا بأكثر جهدهم يتجهون الى الانتصار أكثر من اتجاههم للإصـلاح ، وقـد ذكرنا من قبل عن « بابـر » أنه عُـنِىَ بالحصول على كنوز أكرا وبخاصـة

أثمن جوهرة فى العالم ، كما كانت لـــه بحـــيرة من الخمر يجلس عليهـــا ويشرب منهـــا •

ثانيا — بلى همايون بن بابر بهزيمة شـــديدة هرب على أثرهـــا من الهند ولجأ الى ايران مدة خمسة عشر عاما ، ولما عاد الى الهند بواسطة الجيوش الايرانية كان معـــه وزير شيعى بذر فى الهنـــد بذور التشيع المنحـــرف •

ثالثا — جاء أكبر بن همايون الى الحكم فأعلن ثورة على الاســـلام بدل أن يعلن ثورة من أجل الاسلام ، وقد شرحنا ذلك من قبل ، وجـــاء بعده أباطرة تعصبوا للاســـلام ، وهذا الاتجاه وذاك كانا شديدى الضرر بالنسبة لانتشار الاسلام •

رابعا — كثرت الحروب والاضطرابات بين أعضاء الأسرة الحاكمة ، فلم يكن هناك وقت لخدمة الاسلام بل اتجه كل الجهد ليحافظ الامبراطور على نفسه ضد أعدائه الذين لم تهدأ ثوراتهـــم ، وكثر الغاصبون الذين حكموا حتى من العاصمة دلهى نفسها •

خامسا — بعد حوالى قرن واحد من حكم المغول وفد الاستعمار الى الهند وبذل أقصى جهده لاضعاف الحكم الاسلامى والدعوة الاسلامية •

سادسا — عندما تمكن الحكم الانجليزى من السلطة قبل نهاية المغول وبعدهم عمل على إنعاش الهنادكة والهندوكية وعمل على إذلال المسلمين ومحـــاربة الاســـلام •

سابعا — اتجه الاهتمام — كما قلنا آنفا — الى الحضارة المادية طيلة عهد المغـــول ، أما الفكر الاسلامى فقلّ أن اتجهت له أية عناية •

ثامنا — ضعفت الروح الحربية عند المغول نتيجة لاتجاهاتهم نحـــو الترف والنعيم ، فهان شأنهم ، وبالتـــالى كان سلوكهم لا يشـــجع غير المسلمين على حب الاسلام والاقبال عليه •

الاسلام والقضاء على الطبقات بالهند : ـ

من المفاخر التي قدمها الإسلام للهند أنه قضى على نظـام الطبقات الذى كان سائدا ومستقرا فى الهند ، فالإسلام لا يعرف الطبقات ، والناس متساوون كأسنان المشط لا يمتاز واحد عن الآخرين إلا بالتقوى والعمـل الصالح كما قال رسـول الاسلام صلى الله عليه وسلم .

ولكن الحكم الاسلامى قدم للهند نموذجا عمليا للقضاء على نظـام الطبقات ، فإن أول مؤسس للدولة الاسلامية المستقلة بدهلى كان عبـدا مملوكا ، أعنى قطب الدين أيبك الذى سعى بجد واخلاص وكفاءة ممتازة لنشر نور الأسـلام وتقـوية دعائمـه من الناحية السياسية والعسكرية والاخلاقية داخل الهند فى القرن السـابع الهجرى ــ لقـد كان أخص ما يمتاز به المجتمع الهندوكى ، هو نظام الطبقـات المبنى على أسـاس التمييز بين الناس من حيث السلالة والمولد ، بحيث يكون البراهمـة فى الطبقة العليا والمنبوذون فى الطبقة السفلى ، وقد كتب للمنبوذين الاستسلام للرق والانخـراط فى المهـن الوضيعة مؤبدا وحظـر عليهـم الاحتكاك بالطبقات العليا بأى شكل من الاشكال ، ولا يسمح لهم بالمؤاكلة أو المجالسة أو الاشتراك مع غـيرهم حتى فى الاستسقاء من الآبار وعبـادة الاوثان والاصنام ، فشاءت حكمة اللـه أن يرتقى عرش دلهى مملوك من المماليك ايذانا بمجىء الحق وزهوق الباطل والغاء الفروق بين الناس حتى يرجعوا أحرارا كما ولدتهم أمهاتهم .

وقد نجح هذا النموذج العملى عند من استجاب لدعـوة الإسلام ، أما الهنادكة الذين بقوا على دينهم فقد ظلوا يخضعون لنظام الطبقـات تبعا لخضوعهم للهندوكية .

الإسلام وفتح أبواب الثقافة بالهند :

لقد كانت دولة المماليك بدلهى آية من آيات الله ، فانها مثلت مبادىء الاسلام السمحة خـير تمثيل وأقامت مجتمعا يسـوده العـدل والمساواة

ورفعت منار العلم والتقوى فى بلد كان البراهمة يستأثرون فيه لا بالسؤدد والحـكم فقط ، بل بالعلم والعرفان أيضا ، فانهم كانوا قد حظروا عـلى المستعبدين من عامة الناس حتى الاطلاع على الكتب المقدسة أو الاستماع لها ، فشاءت حكمة اللـه أن يكون المجتمع الاسـلامى تحت رعاية دولة المماليك انمـوذجا للديمقراطية المبنيـة على الشريعـة الغـراء — (١) وأن تفتح باب العلم للجميع على السواء فظهر فى الهند قمم فكرية فى علوم مختلفة دون أن يكونوا من طبقة البراهمة •

ان الهنود المنصفين يذكرون هذه المفاخر التى قدمها الإسلام لبلادهم ويعترفون بالطفرة الهائلة التى أتيحت لهم مع دخول الإسلام بلادهم •

---

(١) مقتبسات من مقال للدكتور محمد يوسف نشر فى مجلة « الوعدالحق »

الإسلام
في جنوب شرقي آسيا

الاســلام فى جنوب شرقى آسيا

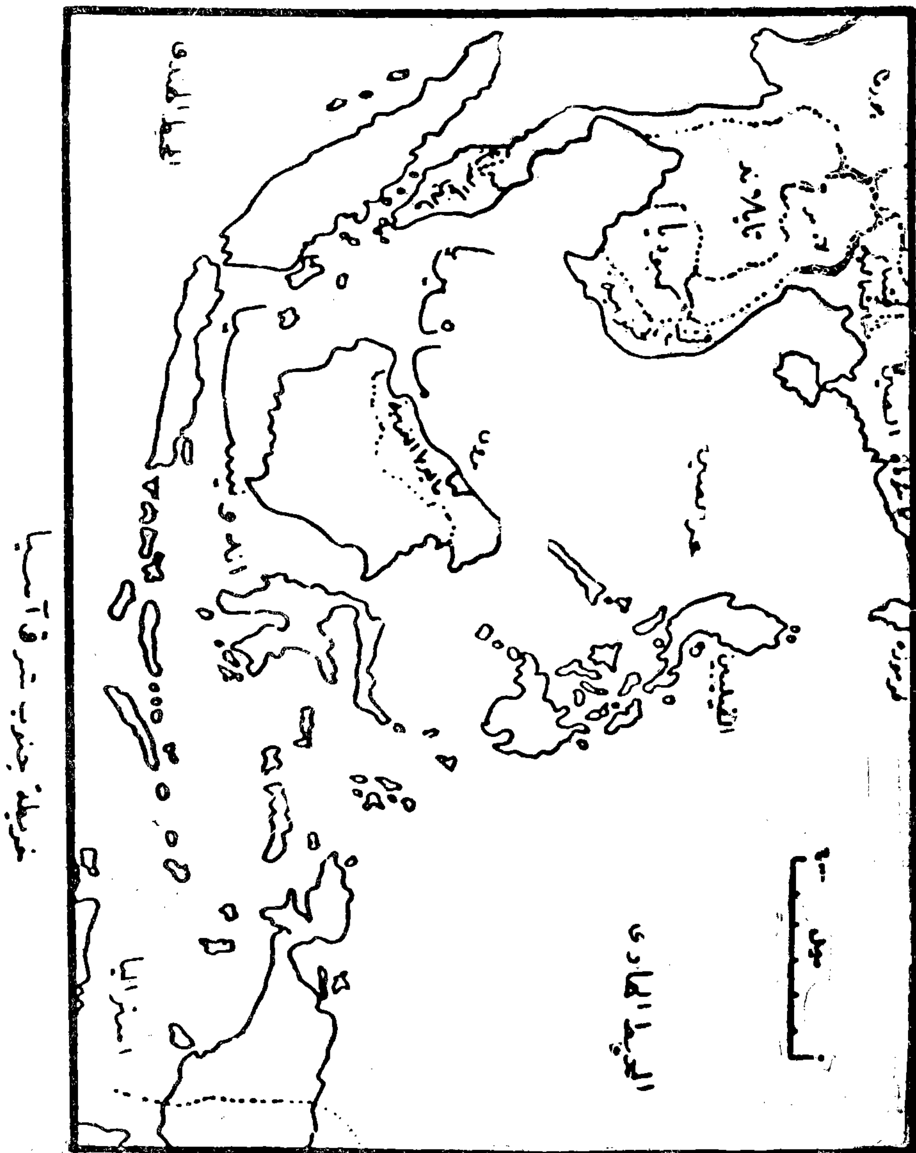
عندما نجتاز شبه القــارة الهندية ونتجه الى الشرق تقابلنــا منطقة جنوب شرقى أسيا ، التى تسرب لها الاســلام مع التجارة والدعاة ، وغمر أغلب السكان فى بعض المناطق وكوّن أقليات فى مناطق أخرى اما المناطق التى أصــبح الاســلام فيهــا دين الأغلبيــة فهى ماليزيا واندونيســيا وأما الأقطار الأخرى بالمنطقة فقد كوّن الاسلام بها أقليــات تتفــاوت نسبتها ، وسنعيش مع اندونيسيا وماليزيا خلال دراسات واسعة متسلسلة تبدأ مع الشــعاع الاسلامى الأول الذى انبثق فى هذين القطرين وتستمر حتى العهد الحاضر ، ولــكن لابد قبل هذا الحديث المفصــل أن نسجل بعض المقدمــات : —

المقدمة الأولى : دول جنوب شرقى آسيا

دول هــذه المنطقــة هى : بورما — لاوس — فيتنام — كمبوديا — تايلاند (سيام) — الفلبين — ماليزيا — سنغافورة — اندونيسيا — بالاضافة الى منطقتين لم تستقرا بَعْدُهما منطقة « فطانى » التى تقع بين شــبه جزيرة الملايو وبين تايلاند ، وهى الآن تابعــة لتايلاند وترى ماليزيا أنهــا امتداد لأرضها وشعبها والمنطقة الثانية هى منطقة « برونى » وهى جزيرة صغيرة شمال جزيرة بورنيو ، وهى تحت الاحتلال البريطانى .

وأكثر هذه الأقطــار امتــداد" لأرض قارة أســيا كبورما وتايلاند وكمبوديا ولاوس وفيتنام والملايو ، والباقى جزر غير متصلة بأرض القارة وهى جزر أندونيسيا والفيلبين وسنغافورة .

وقد عانت دول هذه المنطقــة من الاستعمار الغربى أشــد المعاناة ولم ينج من الاستعمار الا تايلاند التى تُرِكت فيما يبدو كمنطقة محــايدة



خريطة جنوب شرق آسيا

لخدمة التسويات الاستعمارية فى المنطقة وكان الاستعمار البريطانى مسيطرا على بورما والملايو (جزء من ماليزيا الآن) وسنغافورة والجزء الشمالى من بورنيو الذى ضُمّ أكثرُه الى الملايو فأصبح مكوّنا لماليزيا الشرقية ولم يبق منه الا برونى التى لاتزال تابعة لبريطانيا .

وكان الاستعمار الفرنسى مسيطرا على لاوس وكمبوديا .
وكان الاستعمار البرتغالى فالفرنسى مسيطرا على فيتنام .
وكان الاستعمار الأمريكى مسيطرا على الفلبين .
وكان الاستعمار الهولندى مسيطرا على اندونيسيا .

وقد تخلصت هذه الدول من الاستعمار الغربى ، ولكن النفوذ الشيوعى تسرب الى بعضها مثل : لاوس وفيتنام وكمبوديا ، وكانت فيتنام قد قُسّمت إلى شمالية موالية للاتحاد السوفيتى وجنوبية موالية لأمريكا ولكن فيتنام الشمالية تمكّنت من الزحف والسيطرة على فيتنام الجنوبية ، وتمت وحدة بين القسمين تحت النفوذ الروسى ، واستطاعت فيتنام كذلك ان تتسلط على كمبوديا ، وكانت كمبوديا يسارية ولكنها كانت موالية للصين ، فأصبحت فيتنام كلها وكمبوديا تدور فى فلك الروس .

واتجه البعض الى التحالف مع الغرب مثل : تايلاند وماليزيا وسنغافورة والفلبين ووقف بعضها مع دول عدم الانحياز مثل : بورما واندونيسيا .

المقدمة الثانية : أثر الصين والهند فى المنطقة

تعرضت دول هذه المنطقة الى هجرات صينية واسعة خلال العصور المختلفة ، وبخاصة خلال عصر الاستعمار الغربى ، فقد شجع هذا الاستعمارُ الصينيين على دخول هذه البلاد حتى يقوموا بدور الوسيط بين المستعمر وبين جماهير الشعوب ، وكان للصينيين حذق فى مجال التجارة ، فثبّتوا أقدامهم فى مجال الاقتصاد كما ثبّتوا جذورَهم فى كل

قطر نزلوا فيه ، مع استمرار المحافظة على صلتهم بالصين ومن العجيب أن انتقال الصين الى الشيوعية لم يغيّر من صـلة الصينيين الرأسماليين فى تلك البـلاد بوطنهم الأصلى ، ولم يغير من نظـرة الصين لهـم والتزامها برعايتهم ، وقد وصل عدد الصينيين فى بعض البـلاد الى درجة تهـدد المجتمع الأصلى ، فقـد قاربوا فى الملايو أن يصبحوا نصف السـكان ، كما أصبحوا حوالى ثلاثة أرباع السكان فى سنغافورة ووصلوا الى عـدة ملايين فى تايلاند واندونيسيا ، وسنتحدث عن هذا الموضـوع بمزيد من التفصيل عند الحديث عن ماليزيا •

وقد تعرضت دول المنطقة الى زحف الحضارة الهندية فى العصـور السابقة ، فوُجدت بها الهندوسية والبوذية ، ولاتزال البوذية ديناً لمعظم الأهـالى فى بورما وتايلانـد وكمبـوديا ولاوس وفيتنـام وسنغافورة ، كما يدين بالهندوسية بعض الهنود الذين زحفوا الى المنطقة وكذلك بعض المواطنين الذين دخلوا دين الوافدين •

تلك هى نقاط الاتفـاق بين هذه المجموعة من الدول ، وهنـاك نقاط خلاف أبرزها الاختلاف فى اللغة والاختـلاف فى الدين والاختلافات التى أشرنا اليها فى الانتماء للمعسكر الشيوعى أو المعسكر الغربى أو الوقوف موقع الحيدة بين المعسكرين •

المقـدمة الثالثـة : الاسلام فى دول المنطقة

سندرس فيما بعد بالتفصيل موضوع انتشار الاسلام فى الملايو وفى اندونيسيا حتى أصبحتا دولتين اسلاميتين ، ولكنا هنا نريد أن نتعـرف على مدى انتشار الاسلام فى الدول الأخرى بنفس المنطقة •

ومن الدراسة الطويلة التى قمت بها أستطيع أن أقسم دول هـذه المنطقة ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

الدول التى هى امتداد متصـل لقارة آسيا فيما عدا شـبه جزيرة

الملايو ، وهــذه الدول هى بورما وتايلاند وكمبوديا ولاوس وفيتنــام ، ويمكن القول إن هذا القســم تأثر تأثرا كبيرا بالفكر الصينى والهنــدى وبأديان الدولتين ، فقد انسابت له البوذية بكثرة ، والكنفوشية أحيــانا ، وكان انســياب الفكر الصينى الى هــذه الأرض المتصلة بالصين شيئا طبيعيا بحكم الجوار من جانب ، ونشاط الصين وعِظَمها من جانب آخر ، ثم من جانب ثالث تدفق الهجرات الصينية على المنطقة بما تحمله من أفكار وعادات وأديان ، ومثل هذا يقال عن الهنــد ولكن نصيب الهنــد أقل من نصيب الصين لالتصاق الصين بدول المنطقة .

وينضم لهذا القسم جزيرة سنغافورة التى وصــل عدد الصينيين الى حوالى ٧٥٪ من السكان وذلك لأنها امتداد طبيعى لشبه جــزيرة الملايو التى هى ضمن الأرض المتصلة مباشرة بآسيا وبالصين ، ثم لان جــزيرة سنغافورة لها موقع استراتيجى واقتصادى جذب لها رجال المال الصينيين .

ودول هذا القسم دخلها الاســلام وواجه بها البوذية والكونفوشية وانتشر بين بعض الجماعات ويكوّن المسلمون بها أقليات سنذكر تعدادها بعد قليــل .

القسم الثانى :

الدول المتكونة من جزر غير متصلة بأرض آسيا أى بأرض الصين ، وهذه الدول أفلتت من الزحف الصينى العميق اذ ليست متصلة بالصــين ، وبالتالى ليس الزحف سهلا . وعلى هــذا لم يكن تأثرها بالصين وبالفكر الصينى عميقا وهذه الدول هى أندونيسيا والفليبين ، وهاتان الدولتــان لم تزحف لهما أديان الصين بشكل قوى ، ثم انهما لم تنشأ بهمــا أديان من الداخل ، وكانتا لذلك مستعدتين لاستقبال أديان من الخارج .

فأما اندونيسيا فقد جاء لها دين الاسلام منذ مطلع الاســلام كمــا سنرى فيما بعد ، وانتشر فيها يوما بعد يوم كما سيجىء تفصيله ، وكانت

الدعوة هى وسيلة تقديم الإسلام إلى النـــاس ، حتى اعتنقته الجمهرة العظمى من السكان ، وأصبحت اندونيسيا دولة اسلامية ٠

وأما الفلبين ، فقد دخلها الاسلام وانتشر بها وكان يمكن أن يعـم جزرها ويكوّن منها دولة اسلامية كما حدث بالنسبة لاندونيسيا ، ولكن الفلبين طرأ بها فى العصر الحديث طارىء غيَّر مجرى الفكر الدينى بها ، ذلك أن الفيليبين تتكوّن من مجموعة من الجزر كانت تتبع امبراطورية ماجابيت كالحال مع اندونيسيا ، فلما تفككت امبراطورية ماجابيت فى أواخر القـــرن الخامس عشر الميـــلادى بدأت جزر الفيليبين تكوّن كل منها مملكة صغيرة أو تتجمع بعضها مع بعض لتكوّن مملكة أكبر ، وكان الاسلام دين أكثرية السكان بها ولكثرية للمالك ، ولم يطل بها الزمن على هذا النحو حتى دهمها الاستعمار الأوربى ابتداء من سنة ١٥٢١ ، واستولى عليهـــا جزيرة أثر أخرى ثم كوّن الاستعمار من هذه الجـــزر دولة أســـماها « الفيلبين » نسبة الى الملك « فيليب الثانى » ملك أسبانيا ، وللأسبان تاريخ خاص فى الصراع الصليبى ، فقد حاربوا المسلمين فى أسبانيا حتى قضـــوا عليهم وعلى حضارتهم قبيل ذلك التاريخ أى سنة ١٤٩٢ ، وزحفـــوا الى الفيلبين ومعهم الفكر الصليبى ، فعملوا على نشر المسيحية فيها ، ومن هنا أصبحت الفيلبين هى الدولة الوحيدة المسيحية بين دول هذه المنطقة ٠

ويذكر الباحثون أن الأسبان حملوا النـــاس على اعتنـــاق المسيحية بالحديد والنار ، وأسسوا معاهدهم الكاثوليكية هناك ، وحاولوا القضـــاء على كل المظاهر والمؤسسات الاسلامية وسنرى تفاصيل ذلك عند الحديث عن الفيلبين فيما بعد :

القســم الثالث : شــبه جزيرة المـــلايو

وهذه الدولة متصلة بأرض آسيا من جانب ومن جانب آخـــر تقـــع على مضيق ملقا الذى عرفته القوافل العربية قبل الإسلام ، وانتشر فيهـــا الإســـلام منذ عهد مبكر ، ولكن اتصال الملايو بقارة آسيا جعلهـــا تتعرض

لزحف صينى يهدد سكانها الأصليين من ناحية العدد ، فوجدت الملايو فى الاسلام ملاذها الذى تتجمع حوله لتقاوم الزحف الذى يتجه ليستولى على رقعة الأرض وعلى الاقتصاد ، ويجعل أهل البلاد غرباء ، وبهـذا كان انتشار الاسلام فى الملايو واسعا إذْ أصـبح الاسـلام للملايويين دينا وقومية فإذا دخل أحد فى الإسلام قيل إنه دخل فى الملايوية ، لأن الملايوية والإسلام أصبحا شيئاً واحداً .

وخلاصـة ذلك هى :

١ — انتشرت أديان الصين فى الأقطار التى تعد امتدادا لأرضها .

٢ — انتشر الاسلام فى الجزر التى لم تكن امتدادا لأرض الصين .

٣ — فُرضت المسيحية عـلى الفيلبين بسبب خضـوعها المبكر لأسبانيا الصليبية .

٤ — أنقذ الاسلامُ الملايو قبل أن تـذوب فى الزحف الصينى ، وتجمَّع الملايويون حول الاسلام فأصبح الاسلام لهم دينا وقومية .

وتعداد المسلمين بهذه الأقطار هو بوجه التقريب طبقا لما حصلنا عليه من احصائيات :

الفيلبين	حـوالى	٦ر٠٠٠ر٠٠٠
تايلاند (سيام)	«	٣ر٠٠٠ر٠٠٠
بـورما	«	٢ر٠٠٠ر٠٠٠
كمبـوديا	«	٥٠٠ر٠٠٠
لاوس	«	١٥٠ر٠٠٠

أما فيتنام فالمسلمون فيهـا عدد قليل يصـارع الشـيوعية ، وأما اندونيسيا والملايو فلنا معهما حديث طويل سنأخذ فيه بعد قليل ، ويلاحظ ان الإسـلام ينتشر فى الوقت الحاضر انتشـارا سريعا فى بلدان هـذه المنطقة ، وقد نشطت المؤسسات الإسلامية بها بشكل ملحوظ .

إندونيسيا

تعريف باندونيســيا :

كلمة « اندونيسيا » ترجمة للاسم القــديم الذى كان يطلق على هذه الجــزر ، وهو « جزر الهند » ، وهناك أسماء أخرى كانت تطلق على هذه الجزر وهى أنسلند وأرخبيك الملايو والأرخبيل الهندى • واندونيسيا كلمة مركبة من كلمتين إحداهما « إندو » بمعنى الهنــد والثانية « نيســيا » بمعنى الجزر فاندونيسيا معناها « جزر الهنــد » وتسمى هــذه الجزر « الأرض الخضراء » •

وقد بدأ ظهور كلمة « اندونيسيا » منذ سنة ١٨٥٠ م ويرى الكتّاب الاندونيسيون أن هذه التسمية من اقتراح الاندونيسين ، ولــكن شيوعها ارتبط ببعض الأساتذة الغربيين الذين أكثروا من الحديث عن هذه الكلمة معبرين بها عن الجزر التى كانت تابعــة لهولندا • ومن هــؤلاء العــالم الأثنولوجى الأمريكى « Logan » الذى تحدث كثيرا عن إندونيسيا سنة ١٥٨٠ فى مجلة الأرخبيل الهندى وآسيا الشرقية ، وكذلك العالم الانجليزى Earl عنــد كلامه عن أصل الشــعوب فى المنطقة ، ثم العــالم الألمانى « Bastian » سنة ١٨٨٤ كما وردت هذه التسمية فى دائرة المعارف البريطانية (الطبعة الرابعة عشرة) وتعتبر هذه التسمية دليــل وحدة هذه الجزر ، فقد حرص الاندونيسيون على أن تكون هناك دولة واحدة لها السلطان على الجزر كلها ، ومن هنا لم يرحبوا باستعمال أسماء الجزر (جــاوه ــ سومطرة •••) الا للحديث عن أجزاء الوطن الكبير •

وفى العهد الهــولندى كان يطلق على هــذه الجزر « جزر الهنــد الهولندية » اذ كانت هولندا تتجه الى هذا التعبير الــذى يوحى بالتفتت والتقسيم من جانب ، ويوحى بتبعية هذه الجزر لها من جانب آخر •

اندونيسيا على خريطة العالم :

تقع اندونيسيا بين محيطين عظيمين هما المحيط الهــادى من الشرق والمحيط الهندى من الغرب ، وهى عبارة عن عدة آلاف من الجزر تصــل الى ٧٩٠٠ جزيرة فى رأى بعض المؤلفين (١) يفصلها بعضــها عــن بعض

(1) Louis Fischer : The Story of Indonesia p. 6.



بحار كثيرة مثل بحر الصين الجنوبى وبحر جاوه وبحر بندا وبحر سليبس وغيرها ، وتتصل هذه البحار بعضها ببعض بعدة بوغازات ، فمن المحيط الهندى يمكننا أن ننفذ الى بحر الصين الجنوبى باجتياز بوغاز ملقا ، ومنه الى بحر جاوه باجتياز بوغاز كارمانا ، ومن المحيط الهندى أيضا يمكننا المرور ببوغاز سندا أو ببوغاز بالى الى بحر جاوه ، ومنه ببوغاز مكاسر الى بحر سليبس .

وتقسم هذه المجموعة من الجزر عدة أقسام أشهرها :

١ — السندا الكبرى وتتكون من جزائر جاوه وسومطرة وبورنيو (كاليمنتان) وسليبس .

٢ — السندا الصغرى وتتكون من آلاف الجزر أهمها جزائر بالى ولومبوك وسمبادا وفلورس وتيمور وسمبا . والاندونيسيون يسمون هذه المجموعة من الجزر « نوساتنجارا » .

٣ — جزائر الملوك وتشتمل على الجزر الواقعة بين سليبس وايريان الغربية وتسمى جزر التوابل .

٤ — أريان الغربية .

٥ — جزر غير مسكونة أو أن سكانها قليلون جدا وهى عدة آلاف من الجزر متناثرة حول الجزر السابقة .

وهذه الجزر متسعة الارجاء مترامية الأطراف ، يصل امتدادها من الغرب الى الشرق حوالى ثلاثة آلاف من الأميال ، ويصور الإندونيسيون طول هذه الجبهة أن الأرخبيل الاندونيسى لو فرش على خريطة أوربا وآسيا لكان طرف سومطرة الشمالى عند مدينة دبلن عاصمة ايرلندا ووصل الطرف الشرقى من إيريان الغربية الى مدينة طهران عاصمة ايران .

وتقع هذه الجزر فى المنطقة الاستوائية ، وبهذا فليس باندونيسيا فصول السنة الأربعة ، الموجودة فى بلاد أخرى ، وجوها متماثل طول العام تقريبا ، ومع وقوعها فى هذه المنطقة فان جوها ليس شديد الحرارة ، وذلك لأنها تتكون من جزر تتخللها البحار ، ثم لأن أرضها مكسوة بالخضرة والغابات مما جعلها تسمى « الأرض الخضراء » وبهذين السببين خفت

لفحة حرارة الشمس وأصبح جوها أقرب الى الاعتدال ، ولهذا يطلق على جو اندونيسيا « الجو لاستوائى المعتدل » ولكن سواحل اندونيسيا أشد حرارة وأعلى رطوبة لأنها مناطق منخفضة ، أما الجهات الداخلية المرتفعة فهى أقل حرارة ، ونسبة الرطوبة فيها منخفضة •

وتكثر الجبال فى اندونيسيا ، وعلى قمم الجبال تنخفض درجة الحرارة انخفاضا ملحوظا ، ولكل مدينة كبيرة أو منطقة من مناطق اندونيسيا جبل يُهرَع اليه السكان كما يهرع المصريون الى الساحل فى حر الصيف ، وتنخفض درجة الحرارة رويدا رويدا مع صعود الجبل ، وبعض جبال إيريان الغربية تكسوها الثلوج دائما ، لان ارتفاعها يصل الى ٥٠٠٠ متر وهو ارتفاع فوق مستوى الجليد •

صورة من الطبيعة الإندونيسية :

ويصف الأستاذ دى مارتون De Martonne [١] غابات إندونيسيا وحيواناتها وصفاً صادقاً فيقول : « إذا صرفنا النظر عن جزيرة جاوة — وقد قُطعت معظم غاباتها لتحل محلها الزراعة — فإن الجزائر الإندونيسية الأخرى مثل سومطرة وبورنيو وسليبس وغنيا الجديدة تتجلى فيها الغابات الاستوائية فى أجلى مظاهرها • فهناك تغطى الغاباتُ مساحاتٍ شاسعة من الأرض ، وقد تزاحمت أشجارها الضخمة وتنوعت أشكالها وامتدت جذوعها امتداداً عظيماً فى الفضاء ، وانتشرت فروعها وأوراقها وتشابكت حتى حجبت ضوء الشمس تماماً فى داخل الغابة ، حتى ليشعر المرء وهو يجتاز مفاوزها بالرهبة والخوف والوحشة • ويضاعف من مشقةِ السير فيها تلك النباتاتُ المتسلقةُ التى لا حصر لها ، والتى تلتف حول جذوع الأشجار تحاول بدورها الوصول هى الأخرى إلى ضوء الشمس ، ناهيك بمختلف النباتات الأرضية القصيرة والمستنقعات العديدة التى تجعل اختراق تلك الغابات يكاد يكون مستحيلا ، وقد يصادف المرء ما يتراوح بين مائتين وثلثمائة نوع من مختلف الأشجار فى مسافة لا تتجاوز بضعة كيلو مترات ، وفى بعض الحالات تتضخم الأشجار حتى يبلغ طول قطر

---

(١) موجز الجغرافية التاريخية فى عدة أمكنة

ساقها أكثر من ستة أمتار ، وطول جذعها ستين متراً ، ومن خـــلال أوراق الأشجار الخضراء وفوق هذا « الدهليز » العظيم تبدو مجموعات شتى من الأزهار فى ألوان زاهية جميلة ، منها الأبيض والأحمر والأصفر والبرتقالى والبنفسجى •• وفى هذا الخضم الهـــائل تنتشر أنواع شتى من حيوانات الغابة ، وهى تمتاز بصغر جسمها وخفة حركتها وعظم قدرتهـــا على القفز وتسلق الأغصان ، وهى تقتات من ثمار الأشجار وحبوبها ومنها القـــردة والنسانيس والغوريلا وشتى أنواع الطيور ذات الريش الملـــون البديع كالببغاء والطاووس وصائد السمك ، والحمام البرى والبط البرى وطيـــور الجنة والسنجاب الطائر ، وغيرها من الطيور والحيوانات » •

وقد شاهدت هذه المناظر وعشت فترات طويلة على حافة هذه الغابات وعلى مقربة منها ورأيت ينابيع الميـــاه التى تتفجـــر من قلب الصـــخور وتنساب فى حركة بديعة من أعلى الى أســـفل ، واستمعت الى أصـــوات الطيور وترجيع صداها ، ورأيت ألوانا من الحيوانات والزواحف تدعـــو أحيانا للسرور وأحيانا للرهبة والخوف ، ولكن المتعة كانت تصاحبنا دائما •

تعريف سريع بجزر إندونيسيا :

نمر مروراً سريعاً بجـــزر إندونيسيا من الغـــرب إلى الشرق وأول ما يطالعنا من الجهة الغربية سومطرة ، وطولها يبلغ نحو ألف ميل ويفصلها عن شبه جزيرة الملايو مضيق ملقا ، وجزيرة سومطرة تبدأ من الشـــمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، وجانبها الغربى تبرز فيـــه الجبال الشاهقة ثم تنحـــدر إلى الجانب الشرقى حيث تكثر الغابات والمستنقعات •

أما الجانب الجنوبى من الجزيرة فتكثر فيه زراعة الأرز ، وتنتشر مزارع المطاط والسكر ، وسومطرة من أكبر مصادر البترول فى إندونيسيا ، وعلى مقربة منها بعض الجزر الصغيرة التى يكثر بها القصدير •

وسكان سومطرة حوالى ٢٠ مليون نسمة ، وفى الطـــرف الشمالى توجـــد منطقة « آتشـــه » التى سنشاهدها فيما بعـــد من أولى الدول

الإسلامية فى اندونيسيا ، وفى منتصف الجزيرة يوجد شعب مينكابو الذى يعد من أعظم الشعوب الاندونيسية وأكثرها امتيازاً •

وفى جنوب الجزيرة توجد منطقة بالمبانج ، وتعتبر من المناطق التى احتضنت الإسلام ، وتنتشر فيها المدارس الإسلامية كالحال فى منطقة « بدانج » فى منتصف الجزيرة •

أما جزيرة جاوه فتعتبر امتداداً لجزيرة سومطرة وهى أغنى جزر اندونيسيا وأكثرها سكاناً ، بل هى من أنضر بلاد الأرض ، وفى جاوه الغربية تقع مدينة جاكارتا عاصمة إندونيسيا ، وتقع كذلك مدينة باندونج الشهيرة التى عُقِد بها مؤتمر باندونج ، وبالقرب من هذه المدينة توجد منطقة السندا حيث يعيش شعب السندا ، وفى وسط جاوة توجد العاصمة الثقافية وهى جوكجاكارتا ، وكانت عاصمة الجمهورية خلال الصراع بين جمهورية إندونيسيا الناشئة وبين هولندا •

وفى وسط جاوة كذلك توجد مدينة صولو التى يعيش بها عدد كبير من العرب الذين هاجر أجدادهم إلى إندونيسيا واستوطنوها ، منذ زمن بعيد ، وبها كثير من المدارس والمعاهد الإسلامية التى تقيمها السلالات العربية وتهتم بدراسة اللغة العربية ، بالإضافة إلى المناهج الاندونيسية •

وفى شرق جاوه توجد مدينة سورابايا ، وهى من المدن الكبرى بإندونيسيا ، وقد قدمت تضحيات هائلة إبان الصراع من أجل الاستقلال

وعن جاوه يتحدث المؤرخ الهندى رامايانا فى كتابه بالسنسكريتية الذى ألفه سنة ١٥٠ ميلادية فيقول « انظر جيداً إلى جاوة التى فيها سبعة ملوك ، فهى جزيرة الذهب والفضة » ويبدو أن الهنود جذبتهم هذه العبارة ، فاندفعوا منذ عهد سحيق إلى جاوة وحافظوا على عقيدتهم الهندوكية ، وربما دعوا لها بعض الجاويين •

وفى وسط جاوه معبدان هندوكيان كبيران هما معبد « برامبانان » ومعبد « بوروبودور » •

وإذا ذهبنا إلى الشرق من جاوه فإننا نصل إلى سلسلة جزر

سُـيندا الصغرى ، ويسميها الإندونيسيون « نوساتنجارا » وأهمهـا جزيرة « بالى » التى تُعَدّ قطعة من الجنـة لجمال مناظرها ، وتسـمى كذلك جزيرة الآلهة ، لكثرة المعبودات فيها ، ويكثر أن يعيش فيها جماعات يرتبطون بالديانة الهندية أو البوذية أحيـانا ، وجزيرة بالى تعيش على الموسيقى والرقص والنحت والفنون ، مما يجذب لها كثيراً من السياح .

وهناك كذلك جزيرة « بورنيو » وتسمى أيضا كليمنتان ، وتُعتبر من ناحيـة الحجم الجزيرة الثالثة فى العالم بعد جرين لاند ونيوجينى ، وفى الشمال منها منطقـة" لا تتبـع إندونيسيا وهى صباح وسراوك ، وتتبعان ماليزيا حالياً .

وهنـاك كذلك جزر الملوك وكانت تسمى جـزر التوابل وهى كثيرة العدد جـدا .

أما مجموعة الجزر فى الركن الشـمالى الشرقى من إندونيسيا فهى سلاويسى « اسليبس » وهى من أغرب الجزر فى ناحية شكلها ، فالناظر لها يرى أذرعها الممتدة ، كأنها كائن حىّ .

وأخيرا توجد جزيرة ايريان الغربية ، أما الجانب الشرقى لهـذه الجزيرة فتابع لأستراليا ، وقد حاولت هولندا أن تتمسك بهذا الجـزء من الأرخبيل الإندونيسى ، ولكنها لم تستطع ، وعاد هذا الجـزء إلى الوطن الأم .

سكان أندونيسـيا :

يبلغ عدد سكان اندونيسيا حـوالى ١٤٠ مليونا (١) ، وأكثرهم من جنس يدعى الآن الاندونيسى أو الملايوى وهو جنس وافد من الخـارج منذ حوالى أربعة آلاف سنة ق م ، وكان يظن أنه وافد أساسا من الصين

---

(١) اندونيسيا سادسة بلاد العالم فى تعداد السكان بعد الصين والهند والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة واليابان .

والهند الصينية ، ولكن البحوث الحديثة أثبتت أن المصريين والفينيقيين كانوا من الأجناس المبكرة التى نزلت اندونيسيا للتجارة واستوطنتها ولاتزال باندونيسيا رموز نشأت وتطورت فى مصر ونقلها هؤلاء الرحالة الى وطنهم الجديد باندونيسيا ، وهذه الرموز تدل على أصول هذه المجموعة المهاجرة ويقول Harrison إن التجار من القطر المصرى ومن بلاد العرب كانوا يأتون الى ملقا وإلى جزر التوابل ، وقد استقر هناك بعضهم (٢) •

وسكان اندونيسيا موزعون توزيعا غير منتظم على الجزر الاندونيسية وبناء على تعداد سنة ١٩٧٨ يصل سكان اندونيسيا ١٤١٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة وهم موزعون بالجزر كالآتى :

الجزيرة	عدد السكان	المساحة
جاوه	٨٠ مليونا	٥١٫٢٠٠ ميل مربع
سومطرة	٢٢ «	١٨٢٫٠٠٠ « «
سولاويسى	١٠ ملايين	٧٣٫١٥٠ ميلامربعا
كاليمنتان (بورينو)	٥ «	٢٠٨٫٨٠٠ ميل مربع
ايريان الغربية	١ مليون واحد	٦٢٫٠٠٠ « «

وباقى السكان يعيشون متناثرين فى الجزر الأخرى •

وبسبب كثرة السكان فى جزيرة جاوه مع ضيق مساحتها تحاول الحكومة تهجير بعض السكان الى الجزر الأخرى التى لاتزال بها مناطق خالية أو شبه خالية من السكان ، كما أن سكان جزيرة جاوه يبذلون أقصى الجهد لزراعة كل شبر فيها ليتناسب إنتاجها بشكل ما مع أعدادهم الوفيرة •

ولون السكان يشبه لون السكان بالشرق الأوسط تقريبا ، والشعر أسود طويل ناعم ، والعيون سوداء وأحيانا فيها اللون العسلى ،

(٢) South East Asia p. 93.

والقامة أميل الى القصر مع َهيَفٍ يقرب من النحــول ، والأنفُ أفطس قليلا ، والقواطع بارزة نوعا ما أحيانا ، والأخلاق رضيّة الى أبعد حد ، والشباب الأندونيسى ذكىٌ ، محب للعــلم ، يُجِلُّ المعلم الى درجــة التقــديس ، مثابرٌ ، يحــاول أن يعوّض ما فاته من ســبق فى مختلف الميادين • والمرأة الاندونيسية جميلة جذابة ، ولهــا نشاط كبير فى كل مجــال ، وهى خير عون لزوجها ، وهى دعامة كبيرة من دعامات المجتمع • ويمتــاز الاندونيسيون على العموم بالصبر والرضا والهدوء ،

ويتضح فى اندونيسيا أكثر مما يتضح فى أى قطر آخر الفرق بين طوائف السكان ، ففى اندونيسيا جماعات وصلت غاية رفيعة من المدنيــة والتقدم ، تجيد لغات أجنبية وتحب الرقص والموسيقى ، وتجيد تنسيق الأثاث والزهور واختيــار الأزياء ، وبجوارها جماعات بدائية تراهــا فتحسب أنك لا تزال تعيش فيما قبل التاريخ ، وهؤلاء البدائيون هــم قبائل كوبولوبو بسومطرة وقبــائل الدايك فى كلمنتان وقبــائل توراجــا فى ســلاويسى ••

وقد عشت فترة فى هــذه المنــاطق البــدائية حيث يكثر العُرْى أو ما يقرب من العرى ، وحيث يعيش النــاس على الصيد ، فى بيوت من القش •••• على أن المدنية تزحف على هؤلاء بنشاط عظيم وتطور واسع •

اللغــات فى اندونيسيا :

تتكون اندونيسيا من آلاف الجزر كما ذكرنا من قبل ، وكانت لكل جزيرة لغتها الخاصة التى تختلف عن غيرها من لغات الجزر الأخرى • وفى بعض الأحيان تكوّنت ممالك ضمّت مجموعة من الجزر ، ولكن لم توجّه عناية لتوحيد اللغة ، فقد اتجهت عنــاية الدول الى الوحــدة السياسية والعسكرية وليس للوحدة الثقافية ، ثم إن توحيد اللغة كان عملا شــاقا بعيد المنــال •

ولم يقف الأمر عند اختلاف اللغات باختلاف الجزر ، بل أن الجزيرة



نموذج للمرأة الاندونيسية ، وقد كانت طالباتى هنـــاك مثاليات فى العلم والخلق والتعاون وكل الصفات الجميلة .

الواحدة كانت تعيش بها جماعات منفصلة بعضها عن بعض ، وتختلف اللغة فى جماعة عنها فى أخــرى فالجبال الشامخة ، والبراكين الثائرة ، والغابات الكثيفة ، والبحيرات والواســعة ، والمستنقعات الفسيحة ، كانت كلهــا حواجز بين جماعة وأخرى ، وربما كانت الجماعة التى تعيش على حافة بركان أو بجانب أكمة تظن أنه ليس هنــاك جماعة أخــرى خلف البركان الهائج أو وراء الأكمة الصاخبة ، وربما كان من المفيــد أن أصوِّر للقارىء صورة حديثة لهذا الوضع ، فبلدةُ صولو فى وسط جــاوه يقع بجانبهــا جبل شاهق اسمه «توانج مانجو» يصعد له السكان هرباً من موجات الحر، وعلى بعد حوالى مائة كيلو تقع مدينة مديون ، ولها جبل اسمه«سرانانج» يصعده سكان مديون من حين لآخر كذلك ومنذ حوالى منتصف القــرن العشرين فقط اتضح أن جبل توانج مانجو هو نفسه جبــل سرانانج وأن صولو تقــع على سفحه من جانب ومديون على سفحه من جانب آخــر ، وعلى طول التاريخ القديم قامت بصولو وبمديون جمــاعات كانت قليلة الصلة بالجماعات التى تقع على السفح الآخر ، وكانت هذه الجماعة وتلك تصل فى الصعود الى قرب القمة حيث تواجه الغابات الكثيفة ، ثم تتوقف كل منها ظانة أنها وصلت إلى آخر الشوط ، وقد شُقَّ حديثا طريق يخترق غابات القمة فربط بين الجانبين •

وقد سببت الجبالُ الشامخة والغــابات الكثيفة عزلا بين منطقــة وأخرى ، فتعددت اللغات مع تعدد الجماعات التى تعيش فى هذه المناطق ، وعلى هذا وُجِدت لغات متعددة فى الجزيرة الواحدة ، فهناك مثلا فى جاوه ثلاث لغات رئيسية تتبع الجماعات الرئيسية فى الجزيرة وهذه الجماعات هى جماعات جاوه فى وسط الجزيرة ولغتهم الجاوية ، وجماعات السوندا فى جاوة الغربية ولغتهم لغة السوندا ، وجماعات مادورا فى جاوة الشرقية ولهم لغة تسمى باسمهم كذلك ، ومرة أخرى لم يقف الأمر عند هذا الحد ، فإن اللغة الجاوية مثلا لها أو بها درجــات وطبقات ، فالطبقة الدنيا تسمى « نجوكو » وهى تستعمل بين الأصدقاء وفى داخــل الاسرة ، والطبقــة العليــا وتسمى « كراما » وتستعمل مــع الأكبر سنا أو الأعلى مركــزا

ومنزلة ، وهناك لغة جاوية أعلى شأنا وهي تستعمل في القصور وبين رجال البلاط ، وكان المرحوم الاستاذ فريد معروف يجيد هذه اللغة لعمق صلته بسلطان جوكجا ، وكان الاستاذ فريد استاذا معنا في الجامعة ، وكنا نسأله أن يتحدث بها أمامنا فنحس بأنها لغة فيها رهبة وموسيقى مع أننا لا نعرفها •

على هذا فليس من المبالغة أن يقال إنه كان باندونيسيا مئات اللغات قبل أن توجد اللغة الاندونيسية ، وكان هذا يسبب تعقيدا في العلاقات بين سكان هذه الجزر (١) •

وكان الإحساس قويا بمشكلة اختلاف اللغات في الوطن الواحد أو الذي اتجهت الجهود لتوحيده ، ولقوة هذا الإحساس تضافرت الجهود للحصول على حلٍ لهذه المشكلة ، وكان الحل يكمن في اللغة الملايوية التي كانت متداولة بين التجار ، وأصحاب الأعمال وكثيرين من السكان في المنطقة بأسرها ، أي في جزر الفيلبين وفي شبه جزيرة الملايو ، وفي أكثر جزر إندونيسيا ، وكانت أشبه باللغة السواحيلية بإفريقية ، وكانت هذه اللغة تستمد أصولها من اللغات الأصلية بتلك البلاد وتقتبس من اللغات المختلفة كلمات سرعان ما تصبح أصيلة في هذه اللغة ، وقد ساعد تطور الاتصال التجاري والديني والثقافي بين سكان هذه المنطقة وبين التجار الهنود والعرب والصينيين على تطور هذه اللغة وازدهارها •

ثم أسهمت اللغات الأسبانية والبرتغالية والهولندية عندما وفدت لهذه المنطقة في إثراء اللغة الملايوية (٢) •

ورغبة في جعل هذه اللغة هي اللغة العامة باندونيسيا وقف بطل إندونيسي اسمه جايادنجرات سنة ١٩٢٤ في مجلس الشعب الذي كانت

---

(١) مجلة الشئون الاندونيسية : العدد السادس — السنة الرابعة ص ٢١
(٢) انظر تاريخ اندونيسيا الادبي والتحريري للدكتور فؤاد فخر الدين ص ٤٢

هولندا قد أنشأته فألقى خطابه باللغـة الملايوية متحدياً اللغة الهولندية .

وفى سنة ١٩٢٨ أصـدر بعض الشبان الإندونيسيين مجلة باللغـة الملايوية (١) .

وفى سنة ١٩٣٠ قرر الشـباب الاندونيسى الـذى كان يتلقى ثقافته بمدينـة لاهاى بهولندا أن اندونيسيا وطن واحـد لأمة واحـدة تتكلم لغـة واحـدة .

ثم صدر القرار بأن تكون « اللغة الاندونيسية » التى تتخذ جذورها من اللغة الملايوية لغة لجمهورية اندونيسيا ، فساعد ذلك على إزالة فوارق كانت موجودة ومنتشرة بالبلاد ، وقد ساعدت هذه الفوارق على الإصرار على توحيد اللغة ، ومن مظاهر هذه الفوارق ما شاهدته ، فمثلا كان معنا استاذ من جاوه الوسطى ترك بلاده « جاوه الوسطى » الى مصر والتحق بالأزهر وكان ذلك فى الثلاثينات ، وطالت إقامته فى مصر حتى حصـل على أعلى الدرجات العلمية ، وعاد الى اندونيسيا فى الخمسينات بعد أن أصبحت اللغة الاندونيسية هى لغة الثقافة والتعليم ، ولكن هذا الاستاذ لم يكن يعرف اللغة الاندونيسية ، لانها لم تكن قد انتشرت فى مطلع حيـاته وكان هناك عدد كبير من الطلاب لا يعرفون اللغة الجاوية لانهـم جاءوا من جزر غير جاوة . فاضطر أن يتخذ اللغة العربية لغة يعلّم بها ، ولم يـكن كل الطلاب يستطيعون التلقى باللغة العربيـة ، وكانت أزمة ، حلهـا الزمن عندما اضطر صاحبنا أن يتعلم الاندونيسية يوما بعد يوم ، وعاما بعد عام .

وفى جوكجا كرتا المدينة الجامعية التقى طلاب من مختلف الجـزر يجيدون اللغة الاندونيسية مع اختلاف لغتهم الأصلية ، وتمت زيجات بين الطـلاب والطالبات ونشأ جيل جديد يعرف الاندونيسية ، ولكن عنـدما كان هذا الجيل يذهب الى مسقط رأس الأب أو الأم كان يعجز عن الحديث بلغة أهل الأب أو أهل الأم .

---

(١) Datus Smith : The Land and People of Indonesia pp. 203-204

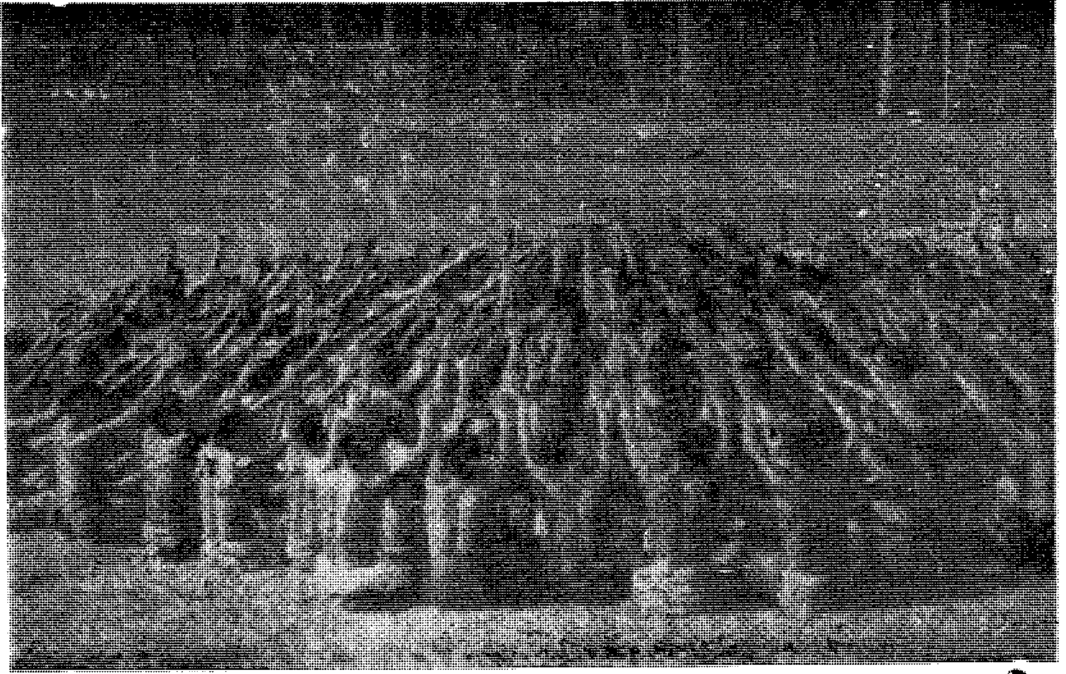
واقد كان جهدا كبيرا بذلته اندونيسيا فى عصرها الحاضر لتوحيد اللغة بين هذه الجزر المتعددة ، وقد استجاب الناس للغة الجديدة ، واستجابت اللغة الجديدة لكل فنون المعرفة ، وانتشرت بين الجزر المترامية الأطراف ، وأصبحت لغة الجميع ، ولا مانع أن تعيش معها اللغات المحلية •

الاتجاهات الدينية قبل الاسلام فى اندونيسيا

فى التاريخ القديم كان السكان فى جزر اندونيسيا وفى الملايو يتجهون فى عبادتهم اتجاهات بدائية كأكثر سكان العالم آنذاك ، فكانوا يعبدون الأرواح ، وكانوا يعتقدون أن هناك روحا لكل كائن ، ولو كان نباتا أو جمادا ، ومن هنا اتجهوا لعبادة بعض الأشجار التى كانت ذات نفع لهم (١) ، وكانوا يرون أن الانسان عندما يموت تبقى روحه ترفرف حول أسرته وكانوا يطلقون البخور تكريما لأرواح الموتى التى تتقدم لزيارة الأهالى ولا تزال هذه الاتجاهات تعيش فى جزيرة بالى ، قد رأيتهم هناك يعنون بذلك أدق عناية ، ورأيت سكان الحى أو سكان الشارع يجتمعون حول المباخر ليلة من ليالى الأسبوع فى شبه مهرجان يسجدون ويتعبدون ويتصايحون معتقدين أن أرواح السابقين معهم فى هذا الحفل •

---

(١) LOUIS FISCHER : The Slory of Indonesia p. 7.



عُبّاد الأرواح فى بالى

وبسبب هذه الاحجار التى كانت تستعمل مباخر ظهرت عبادة الأوثان فى بعض الأحيـان فقد أصبح الحجر فى ذاته معظما ، ولو لم ينبعث منه البخـور ، ويذكر بعض المؤرخين أن الاسـلام عندما ظهر فى بعض مناطق جاوه دفن السكان أصنامهم بعـد أن دخلوا الاسلام ، ولهـذا لا يزال الزراع يجدون هذه الأصنام وهم يحرثون الأرض فى الحدود الفاصـلة بين صولو وجوكجا (١) .

وقـد أشرنا من قبـل الى أن المصريين عـرفوا الطريق الى جـزر اندونيسيا . وأنهم أقاموا بها وباشروا بعض الأعمال الكبرى ، ويبدو أن المصريين أخذوا معهم عاداتهم التى كانت متّبعة عند المصريين القـدماء ، وهى وضع بعض الأطعمة مع الميت وبعض الأسلحة والحلى معه اعتقـادا منهم أن الروح ستعود اليه من حين الى آخر ، وينبغى أن يُعَـدّ قبره

---

(١) السيد أحمد السقاف : تاريخ اندونيسيا قبل الاسلام ص ٧ .

اعدادا يناسب هذه العودة .... ، وقد وُجِدَ فى اندونيسيا بعض هذه التصرفات وقد يكون ذلك تأثرا بمصر وقد يكون سِمَةَ العصر بوجه عام .

وفى بعض المناطق باندونيسيا كانوا يعبدون التماسيح والحيوانات المفترسة إجلالا لقوتها وخطرها ، وقد تحول هذا الاتجاه الى عبادة القوة أيّا كان مصدرها ، فقد رأيت السكان فى بعض مناطق إندونيسيا يصوّرون الرجل الغربى صورة عليها هيبة فيجعلونه أحمر الوجه أزرق العينين كثيف الشارب حازم القسمات ، ثم يعبدون هذا الرسم أو هذا التمثال .

ولعل اندونيسيا فى ذلك متأثرة بالهند ومن الواضح أن الهند كانت عظيمة التأثير فى اندونيسيا وما حولها ، وكانت المعبودات فى الهند متعددة ، ويقول أبو الحسن الندوى : إن الآلهة فى الهند وصلت الى عدة ملايين ، فقد أصبح كلُّ شىء رائعٍ ، وكل مرفق من مرافق الحياة آلها يُعْبَد ، حتى جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة الحصر والعدّ ، ووصل الهنود الى عبادة خطوط السكك الحديدية ، بل عبادة الأوربى الذى صنع هذه الخطوط . (١) .

وانتقل تأثير الهند خطوة أخرى مباشرةً ، هى أن البوذية التى وُلِدَت فى الهند ونشأت بها لِتُقاوم الهندوكية ، ولتحارب نظام الطبقات بها ، هذه البوذية لم يُكْتَب لها النجاح فى هذا الصراع ، فاضطرت للهجرة من الهند واتجهت نحو الشرق من الهند ، وكان فى الشرق فراغ فوَجدت البوذية مجالاً لها فانتشرت وتعمقت فى هذه البقاع ، ومنها جزر اندونيسيا وشبه جزيرة الملايو وغيرها من أقطار المنطقة ، وقد تكونت فى اندونيسيا امبراطورية بوذية هى امبراطورية « سيرى ويجايا » من القرن الخامس وظلت حتى القرن الرابع عشر الميلادى ، وكانت عاصمتها فى سومطرة ، وشملت جزرا متعددة فى هذه المناطق كما سنرى فيما بعد .

واتّخذ تأثير الهند شكلا أقوى عندما زحفت الهندوكية نفسها الى اندونيسيا والملايو مع الوافدين من الهند تجارا أو رحالة ، واعتنقها

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٠ .

بعض المواطنين الاندونيسيين والملاويين وقد استطاعت هـذه الديانة أن تصبح الـدين الرسمى لاندونيسيا ، وأن تتكون فى ظلهـا امبراطورية" « ماجابيت » من سنة ١٢٩٣ م الى ١٤٧٨ م وسنتكلم عنها فيما بعد •

الأديان الآن :

شرحنا آنفا أن البـدائية والبـوذية والهندوكية كانت هى الأديان السائدة باندونيسيا قبل الاسلام ، ونستمر لنتحدث عن الأديان بعد ذلك •

لقد دخل الإسلام اندونييسيا منذ عهوده المبكرة كما سنرى فيما بعد ، **ثم دخلت المسيحية مع الزحف الأوربى ، وواجه الاندونيسيون هذا الزحف** فى حروب لا تنقطع ، **وكان زعمـاء المواجهة مسلمين ، وبخاصـة أن بعض زعماء الهندوكية تعاونوا مع المستعمرين ، والتف المجاهدون الإندونيسيون حـول الزعماء المسلمين وأصبح الاسلام دنيا وقومية (١) •**

ومن ناحية أخـرى عجـز الأوربيون عن نشر المسيحية عن طريق الدعاية والإعلان ، وكان عجزهم فى ذلك تاما وأكيدا ، فلجئوا الى طـرق ملتوية لينشروا المسيحية ، وهذه الطرق هى إنشاء المدارس والمستشفيات ومواجهة الأطفال فى المدارس بهـذا الدين وهم لا يستطيعون المقاومة ، ومواجهة المرضى كذلك وهم يحتاجون للعلاج ، وهناك طريق ثالث سـلكه المستعمر وهو الوظائف التى كانت تقدم للمسيحيين •

والمهـم أن الاسـلام والمسيحية أصبحا من الأديان بإندونيسيا ، ومن الواضح أن الإسلام كان واسع الانتشار ، ولكنه كان أحيانا إسلاماً غـير عميق الفكر لأن الذين نقلوه الى المنطقة كانوا تجـارا أو — على أحسن الأحوال — شيوخا إن عرفوا جانب العبادات فى الإسـلام فغالبا كانوا يجهلون جانب الحضارة فى هذا الدين العظيم ، فليست لهم دراسـة فى اتجاهات الاسلام فى السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والسـلم والحرب •••• ولو دخل الإسلام بفكره وحضـارته لحقق نجاحا أعظم واستولى على القلوب كلها تقريبا •

---

(١) اندونيسيا الثائرة : من مطبوعات المركز العام لجمعيات استقلال اندونيسيا ص ٦٥ وسنتحدث من هذا الموضوع فيما بعد .

وينبغى أن نقرر كذلك أن ضعف البـلاد العربية الذى ظهر فى فترات كثيرة من التاريخ قد انعكس على الدعـوة الاسلامية باندونيسيا ، فكثير من اللناس كانوا يُجْرُون مقـارنة تقدُّم أوربا المسيحية وتخلُّف دول الشرق الاسلامية ، وكان هؤلاء يربطون ذلك بالدين وذلك جهـل بحقائق الأشياء ، فلم تنهض أوربا بسبب المسيحية ، بل إن نهضتها بدأت بعد أن استبعدت المسيحية من برنامجها وأصبحت دُوَلُها دولاً علمانيـة ، ولم يتخلف العرب بسبب الإسلام لأنهم فى ظل الإسـلام حققوا أعظم انتصارات عسكرية وثقافية ، وإنما بدأ تخلفهم بعد أن أهملوا الإسـلام ولم يلتزموا بآدابه وقيمه .

وعلى كل حال فالدراسـات الموثوق بها تجعـل السكان باندونيسيا موزَّعين على الأديان كالتالى :

٩٠ ٪ مسلمون ٤ ٪ يتبعون البوذية والهندوسية
٣ ٪ مسيحيون ٣ ٪ أديان بدائية أو لا أديان (١)

ومع هذا فان اندونيسيا دولة زمنية (علمانية) أى أنها لا تنص فى دسـتورها على أن دين الدولة هو الاسـلام ، ولعـل ذلك كان اتبـاعا للتقليد الذى خلقـه كمال أتاتورك فى تركيا ، وكان هـذا شـديد التأثر بما أصاب تركيا بسبب انحراف الكثيرين من الخلفاء العثمانيين (٢) ويقال إنه كان يعمل بتأثير الماسونية العالمية أو الفكر اليهودى ، ولذلك نرجـو ألا يكون قدوة تُحْتَذَى ، وقد ضعفت اتجاهاته المعادية للاسـلام بعد نهايته ، وعادت تركيا الى الطريق السليم أو كادت .

وتبذل الآن مجهودات باندونيسيا لتصحيح الوضع حتى يتم النص على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام .

(١) يقـرر Datus Snith فى كتابه : The Land and People of Indonesia ص ٢٧ أن أكثر من تسعة أعشار السكان باندونيسيا مسلمون ، يتبعون دين محمد النبى العربى ، والاحصائية التى أوردناها مأخوذة من كتاب « اندونيسيا بين شعوب العالم » للأستاذ حسن جوهر وعبد الحميد بيومى ص ٨٥ — ٨٦ ، ويقول الباحث الاندونيسى « دكتور فؤاد فخر الدين » ان المسلمين باندونيسيا أكثر من ٨٥٪ (تاريخ اندونيسيا الأدبى والاسلامى ص ٢٥) .

(٢) عن هذا الموضوع نوصى القارىء بالاطلاع على الجزء الخامس من هذه الموسـوعة .

ماليزيا

تعريف بماليزيا :

بعد أن قدمنا تعريفا سريعا باندونيسيا ، نجيء إلى ماليزيا لنقدم تعريفا سريعا بها ، ثم نتحدث عن الدولتين بشيء من التفصيل •

وتتكون ماليزيا — كما سيأتى تفصيله فيما بعد — من جزأين رئيسين هما : ماليزيا الشرقية وماليزيا الغربية •

وماليزيا الشرقية بها ولايتان كانتا من قبل مستعمرتين بريطانيتين وهما تقعان فى شمال جزيرة كالمنتان ، وهاتان الولايتان هما :

١ — صباح أوسابه Sabah ومساحتها ٢٩ ألف ميل مربع وعدد سكانها حوالى ٦٥٠ ألف نسمة ، وعاصمتها « كوتاكينا بالو » وجبالها أعلى جبال فى ماليزيا •

٢ — سراوك : مساحتها ٤٨ ألف ميل مربع وعدد سكانها حوالى المليون وعاصمتها « كوشنج » وبها جبل « مورود » وهو من أعلى جبال العالم اذ يصل ارتفاعه الى ٨٠٠٠ قدم •

وماليزيا الغربية تشمل شبه جزيرة الملايو ، وبها عشر ولايات يضاف لها ولاية جزيرة بينانج • وكانت هناك ولاية سنغافورة التى كان يضمها اتحاد ماليزيا ولكن سنغافورة انفصلت عن الاتحاد كما سنرى فيما بعد وسكان ماليزيا الآن حوالى ١٢ مليون نسمة •

والجو فى ماليزيا قريب الشبه بجو اندونيسيا •

وولايات شبه جزيرة الملايو هى :

١ — جوهور ومساحتها ٧٣٣٠ ميلا مربعا وسكانها حوالى مليون وربع مليون نسمة وعاصمتها « جوهور بهارو » ويربطها بسنغافورة جسر صناعى ، وبها مبان جميلة منها « القصر الكبير » ومسجد أبى بكر ، وبها شلالات جميلة المنظر •

٢ — قــدح : مساحتها ٣٦٣٩ ميلا مربعا وعدد سكانها حــوالى المليون ، وعاصمتها « الورستار » وهى ولاية زراعية ، وتقــع على بعــد ٢٥ ميلا من شواطئها جزيرة « لنكاوى » التى يقصدها العظماء لقضــاء الاجــازات ..

٣ — ملقــا : أو ملاكا : مساحتها ٦٣٧ ميلا مربعا وعــدد سكانها حوالى نصف مليون نسمة ، وعاصمتها مدينة ملقا وهى أقدم مدن ماليزيا ، وبها آثار تاريخية ومخلفات لعهد الحكم البرتغالى والهولندى .

٤ — كلانتن : مساحتها ٥٧٦٥ ميلا مربعا وعدد سكانها حــوالى ٧٠٠ر٠٠٠ نسمة وعاصمتها « كوتابارو » وتشتهر بأنهــا موطن الثقافات التقليدية كما تشتهر بصناعة الباتيك والصناعة الفضية .

٥ — نجرى سمبيلان : مساحتها ٢٥٦٥ ميلا مربعا وعــدد سكانها حوالى نصف مليون وعاصمتها « سرمين » وبها منابع الميــاه المعدنية .

٦ — باهانج : ومساحتها ١٣٨٨٦ ميلا مربعا وعدد سكانها يزيد قليلا عن نصف مليون وعاصمتها « كوانتن » وهى أكبر ولاية فى شبه جــزيرة الملايو ، وبها أماكن هامة منهــا هضبة كاميرون ، وجبــال فريزس .

٧ — بيراق : مساحتها ٨١١٠ أميال مربعة ، وعدد سكانها أكثر من مليون ونصف وعاصمتها « ايفو » وهى من أغنى الأمكنة فى انتاج معدن القصدير ، وتكثر بها المعابد الصينية المبنية فى الكهوف ، وتقع على بعد ٤٨ ميلا من شواطئها جزيرة « فانكور » وهى جزيرة سياحية .

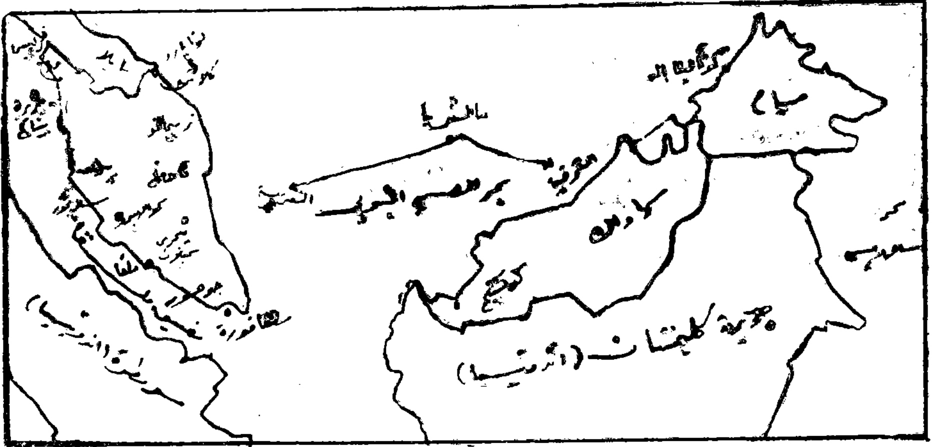
٨ — برليس : مساحتها ٣٠٧ من الأميال المربعة وعدد سكانها حوالى مليون وربع وعاصمتها « أراو » وهى متاخمة لحــدود تايلاند ، وتوجد بها مدينة بادنج باسا وتقع فى أقصى الشمال وبها سوق شهيرة .

٩ — سلانجور : مساحتها ٣١٦٦ ميلا مربعا وعدد سكانها أكثر من مليون ونصف ، وعاصمتها « شاه عالم » وبها أكبر ميناء فى الملايو .

١٠ — ترنجانو مساحتها ٥٠٠٠ ميلا مربعا وعـدد سكانها أقل من نصف مليون نسمة ، وعاصمتها « كوالاترنجانو » وتشتهر بالحرف اليدوية •

١١ — جزيرة بينانج مساحتها ٤٠٠ ميل مربع وعـدد سكانها ٣/٤ مليون ، وعاصمتها جورج تاون ، وتعرف الجزيرة بأنهـا لؤلؤة الشرق ، وبها معبد صينى كبير ، وجبال مرتفعة •

أما العاصمة فهى كوالالمبور ومساحتها ٩٤ ميلا مربعا وعدد سكانها نصف مليون نسمة وتقع فى ولاية سلانجور ، ولكنها منذ فبراير ١٩٧٣ أصبحت ولاية فيدرالية تدار بواسطة محافظ يساعده مجلس استشارى •



ماليزيا الشرقية والغربية

سـكان ماليزيا :

يتألف السكان من عنـاصر ثلاثة رئيسـية هى : العنصر الملايوى والعنصر الصينى والعنصر الهندى •

والعنصر الملايوى يمثل حوالى نصف السكان والروابط وثيقـة بين هذا العنصر بعضه والبعض الآخر ، والعنصر الصينى وافـد من الصين الجنوبية وهم ينتمـون الى اصـول مختلفة ولا يربط بينهم الا الصـين الفسيحة أما من ناحية الدين واللغة فهناك اختلافات واسعة بينهم •

والعنصر الهندى جاء به الاستعمار للعمل فى صناعة المطاط التى ازدهرت فى مطلع هذا القرن .

واللغات فى ماليزيا متعددة بتعدد الأجناس والجماعات ، واللغة الرسمية هى اللغة الملايوية وهناك أيضا اللغة الانجليزية التى تستعمل فى فى الدوائر التجارية والصناعية والعالمية ، وبجوار هاتين اللغتين هناك لغات متعددة صينية تتكلم بها طوائف الصينيين المهاجرين ، ولغات هندية تتكلم بها جماعات الهنود المهاجرة ، بالإضافة الى بعض اللهجات التى توجد لدى بعض السكان الملايويين .

الأديان فى الملايو :

ان الحديث عن الأديان فى شبه جزيرة الملايو ، وفى ولايتى صباح وسراواك شديد الشبه بالحديث عن الأديان فى اندونيسيا، فقد وجدت فى هذه المناطق خلال فترات التاريخ القديم ، ألوان من الأديان البدائية ، وبخاصة فى الغابات وعلى الجبال ، وعندما قامت امبراطورية سرى ويجايا ضمت أكثر مناطق جنوب شرقى آسيا ، وكانت البوذية دينا لها ، وقامت بعدها امبراطورية ماجابيت التى ضمت أكبر مناطق جنوب شرقى آسيا ، وكانت الهندوكية دينا لها .

ولما انتشر الاسلام فى جنوب شرقى آسيا كان نصيب الملايو من الانتشار واسعا حتى أصبح الاسلام دين الدولة الرسمى ويتبعه كل الملايويين وعدد من الهنود والصينيين ، أما أكثرية الصينيين بماليزيا فيتبعون البوذية أو الكنفوشية ، وأغلب الهنود فى ماليزيا يتبعون الهندوكية أو السيخية .

ولما كان الاسلام هو دين الملايويين جميعا ، فان سلطان كل ولاية له الرياسة الدينية فيها ، أما الولايات التى ليس بها سلطان فان الملك العام الذى يختاره السلاطين من بينهم ليصبح رئيسا لماليزيا كلها تكون له الرياسة الدينية فى هذه الولايات .

الممالك قبل الاسلام فى إندونيسيا والملايو

نتحدث عن اندونيسيا والملايو معا طالما كانت الدولتان تكونان دولة واحدة أو أجزاء من دولة كبرى واحدة ، وعندما أصبحت كل منهما لهـا كيان مستقل سيكون لكل منهما حديث مستقل •

وقد ذكرنا فيما سبق أن الجبال الشاهقة ، والأكمات الكثيفة قسمت البلاد هنا وهناك أقساما متعددة ، وفى كل قسم كانت تقوم مملكة أو دولة محلية ومن هنا كثرت الدول والممالك كثرة بالغة فى اندونيسيا والملايو فى الماضى ولا يزال ذلك واضحا فى الملايو التى تتكون حتى الآن من احـدى عشرة ولاية لكل ولاية منها ملك شبه مستقل بولايته •

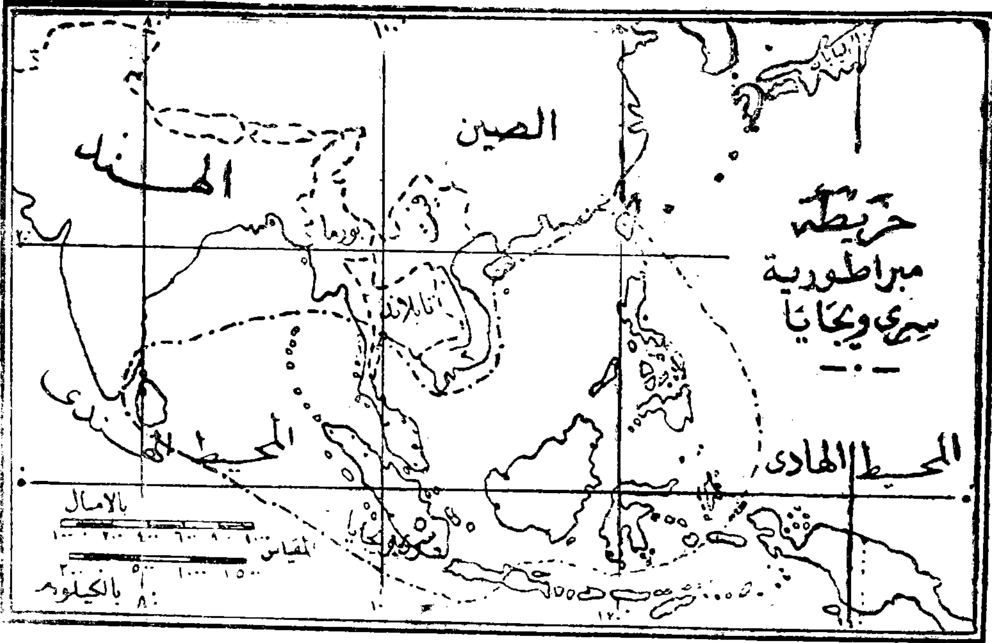
ومع هذا التفكك الـذى فرضته ظروف الطبيعة فان بعض الممالك الكبرى ظهرت فشملت مجموعة من الولايات فى المنطقة كلها ، وأهم هذه الممالك ما يلى :

أولا : امبراطورية سيرى ويجايا (Sri wijaya)

بدأت هذهالامبراطورية فى القرن الخامس واستمرت حتى القـرن الرابع عشر الميلادى ، وكانت هـذه الامبراطورية واسعة ضمت جـزر اندونيسيا كما ضمت شبه جزيرة الملايو وغيرها من جزر المنطقة وكانت عاصمتها فى سومطرة بالقرب من بالمبنج (١) وقد استطاعت امبراطورية سيرى ويجايا أن تمد سلطانها الى جزيرة سيلان سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١م) • ويقول الباحثون الاندونيسيون ان طبقة العظمـاء فى سيلان حتى الآن ينحدرون من الجنس الملايوى الذى كان يمثل امبراطورية سيرى ويجايا فى الفترة التى استولت فيها هذه الامبراطورية على سيلان •

---

(١) Glimpses of Malaysian History p. 15.



وكانت امبراطورية سـيرى وجايا دولة بحرية تسـيطر على أكثر مضايق المنطقة وعلى بحر الصين الجنوبى .(١) .

وتنسب هذه الامبراطورية إلى اسم مؤسسها الملك « سرى ويجايا »، وقد بدأ مملكته على نهر موسى فى سومطرة الجنوبية بالقرب من مدينـة بالمبايج الحالية ، ولما ازدهرت مملكته كوّن جيشا كبيرا وأسـاطيل قوية ، واستطاع أن يضم له جزر اندونيسيا وشبه جزيرة الملايو وبعض الجهات فى الهند الصينية ، ويقال ان جزيرة جاوة لم تكن ضمن هذه الامبراطورية لصلات رحم بين سرى ويجايا وبين ملوك ممالك جاوه .

وقد اهتمت امبراطورية سرى ويجايا بالثقافة والمعارف ، كما اهتمت بالزراعة والتجارة (٢) .

---

(١) Ibid p. 15.

(٢) اندونيسيا الثائرة : من مطبوعات المركز العام الاندونيسى ص ٣٦—٣٨

وكانت هذه الامبراطورية دولة بوذية فساعدت على نشر البوذية بين أرجائها ، كما ساعدت على بناء المعابد البوذية الكبرى التى لاتزال موجودة حتى الآن ، وكان بناء هذه المعبد والهياكل فى أواخر القرن الثامن والنصف الأول من القرن التاسع الميلادى •

ويقول (Dr Arasaratnam) إن جـذور الأسرة المالكة فى امبراطورية سرى ويجايا ليست معروفة ، ولا يعرف شيء عن الأجـداد الأقدمين لهذه الأسرة ، وعلى كل حال فان الأباطرة ابتداء من القـرن التاسع كانوا من جاوة (١) •

ثانيا : امبراطورية ماجابيت (Maja Pahit)

بدأت امبراطورية ماجابيت سـنة ١٢٩٣ م واستمرت حتى سـنة ١٤٧٨ م ، وكانت هـذه الامبراطورية أكثر اتسـاعا من امبراطـورية سرى وجايا، وكانت تضم جزيرة جاوة وسيليبس وجزائر الملوك وبورنيو وشبه جزيرة الملايو وسنغافورة ، وجزيرة لمبوك والفلبين وغيرها من جزر جنوب شرقى آسيا •

وكان لامبراطورية ماجابيت عاصمة عظيمة بلغت غاية من الفخامة والجلال ، وكانت حافلة بالقصـور والحدائق ، وكان يحيط بالمدينـة سور بلغ ارتفاعه ثلاثين قدما ، وبلغ طول محيطه مائة كيلو متر ، وفى داخـل المدينة سور آخر يحيط بقصر الملك وقصور خاصته ، وارتفاع هذا السور أربعون قدما ، وقصر الملك كان يسمى الاستانة وكان فسيحا جدا لدرجـة أنه كان يكفى لاستضافة ثلثمـائة ضيف من العظماء ومعهـم عائلاتهم وحرسهم وعبيدهم (٢) •

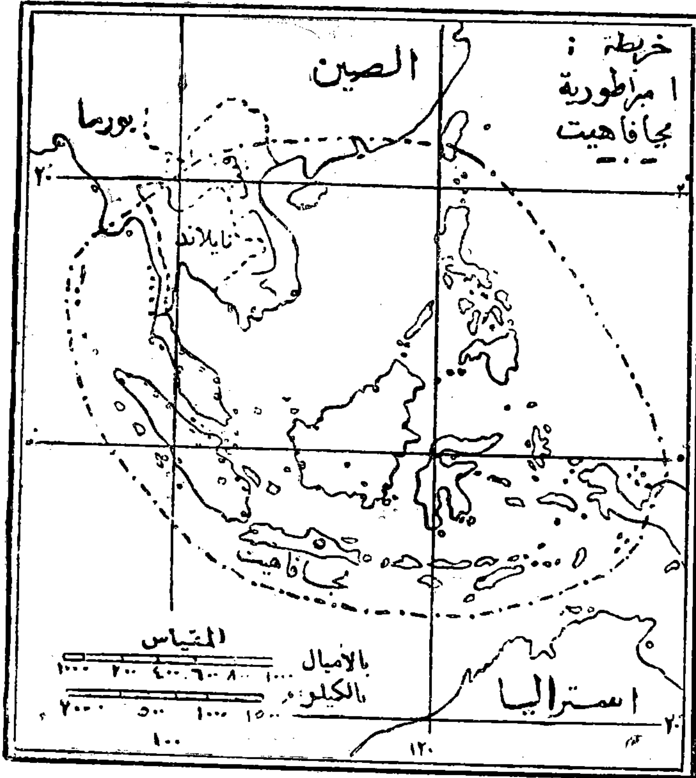
وكانت امبراطورية ماجابيت هندوكية لكثرة العناصر الهندية فى هيئة الحكم ولتفشى الثقافة الهندوكية آنذاك •

---

(١) Glimpses of Malaysian History p. 14.

(٢) حكاية تانه انديا (الترجمة العربية) G. F. Biegman

[*]



وأعظم أباطرة ماجابيت الامبراطور هايم وورك (Hayam Wuruk) (١٣٥٠ — ١٣٨٩) وفى عهده وصلت الامبراطورية الى أقصى اتساعها والى أعظم درجات القوة والحضارة ، وأعظم وزير فى امبراطورية ماجابيت كان اسمه كاجامادا وهو اسم مشهور بجاوة الآن وسميت به جامعة بجوكجاكرتا ، وهى من أعظم جامعات اندونيسيا ، وقد عاصر كاجامادا عهد الامبراطور جايانجارا ثم الامبراطور هايم وورك ومات كاجامادا سنة ١٣٦٤ وكان موته بدءا لتراجع الامبراطورية وضعفها فلما مات هايم وورك سنة ١٣٨٩ زادت الدولة ضعفا ....

ويقرر المفكرون الاندونيسيون أن ما وصلت له امبراطورية ماجابيت من تقدم ورقى كان مرجعه للوزير العظيم « كاجامادا » وأن جهوده وإخلاصه لمليكه كانت نموذجا نادرا بين الوزراء (١) .

---

(١) اندونيسيا الثائرة ص ٤٢ وما بعدها .

ويقول عنه (Datus Smith) إنه كان من أوائـل السياسيين فى اندونيسيا ، وكان يتصرف كأنه من أعلام العصر الحديث ، وقد استطاع أن يحقق حلمه بتكوين دولة واحـدة من هذه الجزر وأن يدخـل هـذه الجـزر تحت حكم مليكه (١) •

وكانت امبراطورية ماجابيت دولة بحرية لكثرة الجـزر التى كانت تابعة لها • وكانت سفنها تبخر العباب بين الجزر بعضها والبعض الآخر ، كما كانت تمخر العباب الى الهند والصين حاملة البضـائع والركاب من هنـا وهنـاك (٢) •

نظم الحـكم فى امبراطورية ماجابيت :

كان الامبراطور فى هذه الامبراطورية يُنْظَر اليه على أنه زعـيم مقدس ، تجسدت فيه روح الله ، وهو ممثل الله على الأرض ، ومن هنـا كانت علاقته بالدولة علاقة السمو والجلال ، وكان وزيره يباشر الأعمـال الخاصة بالسـيادة على الامبراطورية باسـم الامبراطور ، ومن هنا فان شخصية الوزير كانت خطيرة للغاية •

وكانت الدولة مقسمة أقساما حسب المقاطعات وكل قسم كان يحكمه حاكم باسم الامبراطور ويكاد يكون الحاكم مسـتقلا فى ادارة مقاطعته ولا يربطـه بالامبراطورية الا جزية يقدمهـا كل عام ، والا استعداده للمساهمة عسكريا فى أية حرب يشنها الامبراطور ، وكان هناك موظفـون يعاونون الحاكم فى ادارة مقاطعته ولم تكن هناك مرتبات لهؤلاء الموظفين ، وانما كانت تعطى لهم مساحات من الأراضى تتفاوت بتفـاوت مكانتهم ، وهم يستغلونها لصالحهم نظـير خدماتهـم للدولة ، وكان معنى ذلك أن المقاطعات كانت تقسم داخليا أقسـاما صغيرة تبعـا للموظفين كبارهم وصغارهم وكان لرؤساء المقاطعات والمدن والقرى ألقاب ومراتب محدّدة

(١) The Land and People of Indonesia p. 51.

(٢) R. Winstedt : A History of Malaya p. 39.

هذا فيما يتعلق بالادارة ، أما فيما يتعلق بالكتابة والسجلات فكان ذلك متروكا لقسس بوذيين اذ كانوا وحدهم هم الذين يستطيعون الكتابة •

وقد بلغت امبراطورية ماجابيت مدى طيبا فى الجانب الحضـــارى ويدل على ذلك ما أثر عنها من صناعة النحت والعمـــارة ، ومن الزخارف الفنية الهائلة التى تدل على تقدم عظيم •

أسباب ضعف الامبراطورية ونهايتها :

ان النظام الادارى الذى وضع للامبراطورية قضى عليها بالتفكك ، اذ كان لكل رئيس مقاطعة استقلال" يكاد يكون تاما ، ولم يكن هـــؤلاء الرؤساء يخضعون للعاصمة ويستمرون على الـــولاء لهـــا إلا فى ظـــل الوزراء الكبار الذين كانوا يملكون الحـــول والطول للانتصـــار على كل من تسوّل له نفســـه أن يتمرد على العاصمة ، ومعنى هذا أنه مع ضعف الوزراء كان رؤساء المقاطعات والجزر يعلنون اســـتقلالهم أو يصبحون قريبين من الاستقلال ، ومن هنا فان وفاة الوزير كاجامادا كان كما قلنـــا مطلعا لتفكك الدولة •

ثم ان ضعف العاصمة أحدث خللا فى التجـــارة والاقتصاد وهـــذا أضـــعف الدولـــة وجعلهـــا عاجـــزة عـــن الانفـــــاق عـــلى الجيش مما أثار ثائرة الجنـــود والضباط ، ثم ان الضعف الاقتصادى جـــاء من طريق آخـــر هو انقطاع الخـــراج الذى كان على الولايات أن تقـــدمه للعاصمة ، ونتيجة لكل هذه الأسباب حدث تفكك هنا وهنـــاك ، وقامت حركات استقلالية جذبت الامبراطورية نحو الزوال •

وكان الإســـلام قـــد انتشر فى كثير من ربـــوع اندونيســـيا ، ولم يقنع المسلمون الاندونيسيون بالفكر الهندوكى عن الحاكم ، ولم يعـــودوا يرون فيه زعيما مقدسا وممثلا لله على الأرض ، ولا انسانا تجسدت فيه روح الله ، ومن هنـــا فان المسلمين الاندونيسيين ثاروا على هذا النظـــام البالى ، ليقيموا لأنفسهم دولة تؤمن بالله الواحـــد القهـــار ، وتقيم فى

الأرض العدالة والمساواة وهذا هو دور المسلمين الاندونيسيين فى القضاء على هذه الامبراطورية التى كان نظامها يحمل فى طياته بذور الفناء .

ويقول المفكرون الاندونيسيون أن امبراطور ماجابيت عندما أحس بعرشه يهتز تحته للأسباب التى ذكرناها تقرب من البرتغاليين لمساعدته ضد المسلمين الذين خشى بأسهم ، وقد ثار المسلمون على الامبراطور لهذا التصرف فتمكن زعيم اندونيسى مسلم اسمه « بانيه يونس » من القضاء على ماجابيت ونقل شعارها إلى « ديماك » عاصمة الدولة الاسلامية بجاوة (١) .

ممالك أخرى فى اندونيسيا قبل الإسلام

شهدت جزر اندونيسيا وبخاصة جزيرة جاوة الآهلة بالسكان قيام ممالك متعددة ابان عهد سيرى وجاما وكانت أحيانا دولا لم تستطع الامبراطورية الكبيرة أو لم ترد أن تمد نفوذها اليها ، وهذه الممالك هى :

مملكة متارم :

من القرن الثامن الميلادى الى القرن العاشر الميلادى ، وكانت بجاوة الوسطى وفى مملكة متارم انتشرت الهندوسية بجانب البوذية ، وظهر الاله الهندى « شيوا » وأقيمت له معابد لاتزال آثارها باقية فى جاوة الوسطى ومنها المعبد العظيم بوروبودور ، ومما يذكر أن هناك دولة أخرى باسم متارم ظهرت فى العهد الاسلامى وكانت دولة اسلامية ، ومن هنا فيجب التفريق بين متارم الهندوكية ومتارم الاسلامية . وأهم ملوك متارم الهندوسية الملك « سنجايا » وقد اتسعت هذه المملكة فضمت كثيرا من المناطق حولها ، بل ضمت شبه جزيرة الملايو فى فترة من الفترات .

---

(١) اندونيسيا الثائرة ص ٦٥ .

مملكة ايرلنجـــا :

من القرن الحادى عشر الى القرن الثالث عشر وشملت جاوة الشرقية وبعض « نوسنتارا » ، وقد حاول ملك هذه المملكة أن يحقق وِحْــدَةَ جاوة تحت قيادته ولكن ذلك لم يتم له • وقد سميت هذه المملكة باســم ملكها العظيم « ايرلنجا » ويروى الشعب الاندونيسى الأساطير عنــه ، ويسميه الغربيون آرثر الاندونيسى (١) •

ممــلكة سنجوســارى :

من سنة ١٢٢٢ م الى ١٢٩٢ م ومن أعظم ملوكها كارتانجارا (١٢٦٨ ــ ١٢٩٢) وكان ذا سياسة توسعية طموحة فحاول أن يجمع تحت سلطاته جزيرة جاوة وغيرها من جزر اندونيسيا وجزر جنوب شرقى آسيا ، ولكن تصــدى له كوبلاى خان امبراطور الصين الذى أرســل بحريته ســنة ١٢٩١ م للصراع ضده كما تصدى له « جاياكتوانج » ملك « كديرى » بجاوة ، ولم يستطع كارتانجارا أن ينتصر على هذين الخصمين وســقط فى هذه المعارك قتيلا ، وأعطى سقوطه الفرصة لقيام امبراطورية ماجابيت التى حققت الوحدة التى كان يطمع فيها « كارتانجارا » • (٢)

---

(١) **Datus Smith : The Land and People of Indonesia p. 51.**

(٢) **DatusSmith : Ibid p. 52.**

دخول الاسلام الملايو واندونيسيا وانتشاره بهما

موضوع دخول الاسلام شبه جزيرة الملايو وجزر اندونيسيا موضوع يشغل الأذهان ، ويحاول كثير من الباحثين أن يتكلم عنه ، وأن يلقى عليه مزيدا من الضـوء ، ولو تخيلنا أن جيشـا مسلحا زحف الى اندونيسيا والملايو ودخلهما كما دخلت الجيوش الاسلامية سوريا ومصر فى عهـد الخليفة الأول والثانى لكان فى هذا وضعُ حـدٍّ للتخمين والبحث حـول دخول الاسلام لاندونيسيا والملايو .

واذا ثبت أنه كان هنـاك رحلات تجـارية بين هذه الجـزر وبين البلاد العربية قبل الاسلام وفى مطلع الاسـلام ... فانه يثبت بالتالى دخول الاسلام هذين القطرين مع مشرق الاسلام ومع الوفود التجـارية الصاعدة والهابطة .

ان هناك نقطة يتناساها أو يجهلها الكثيرون هى أن دخـول الجيش الاسلامى الى سوريا ومصر لم يكن معناه انتشار الاسـلام فى سـوريا ومصر ، فان انتشار الاسلام لم يرتبط بدخـول الجيش وانمـا ارتبط بالدعـوة التى جاءت بعـد ذلك ، وفى الجزء الأول من هذه الموسـوعة اقتبسنا تحقيقا قدمه المؤرخ (Kirk) يثبت ان غالبية السـوريين والمصريين كانوا لا يزالون على المسيحية فى القرن الثالث الهجـرى (١) وعلى هذا فهناك فرق كبير بين دخول الاسلام وبين انتشـاره ، لقد دخل الاسلام مصر سنة ١٩ هـ ولكنه لم ينتشر الا بعد ذلك رويدا رويدا .

وفى ضوء هذا نستطيع أن نقرر أن الاسلام دخل الملايو واندونيسيا مع التجـار والرحالة من عهد مبكر جدا ، أما انتشار الاسلام فقد مشى وئيدا مثل ما حدث بمصر ، أو بتحقيق أدق ببطء أكثر مما حـدث بمصر

---

(١) A Short History of the Middle East p. 39. وانظر الجزء الأول من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف ص ٤٤٦ من الطبعة العاشرة .

بسبب بعـد الملايو واندونيسيا عن مـوطن الاسـلام الأول وبسبب قلة الدعاة الذين يشرحون هذا الدين للسكان ٠

ومن الواضح أن الحكم الاسلامى الذى بدأ فى مصر وسوريا مـع زحف الجيش الإسـلامى وانتصاره ، هـذا الحكم اسـتلزم تقـديم دعاة ليقدموا الاسـلام بالحكمة والموعظة الحسـنة للسكان فى سـوريا ومصر والشمال الافريقى وغيرها من البـلاد التى دخلتهـا الجيوش الاسلامية ، ولكن الحكومات الاسلامية المبكرة غفلت عن إرسال الدعـاة للبـلاد التى لم تكن تابعـة سياسيا لهـذه الحكومات ، ومن هنـا كان انتشـار الاسلام فى البلاد التى حكمها المسلمون أسرع من انتشاره فى البـلاد التى كانت بوذية الحكم أو هندوكية الحـكم كما كان الحـال فى الملايو وفى اندونيسيا ٠

وعلى هذا فاذا ثبت أنه كانت هناك رحلات ومراكز تجارية بين بعض بلاد الجزيرة العربية المسلمة وبين الملايو واندونيسيا من قبل الاسـلام وفى صدر الاسلام ، فان ذلك يستلزم بالتحقيق أن الاسـلام دخل هذه البـلاد من وقت مبكر جـدا ، أما الانتشار بهـا فكان بطيئا بسبب قلة الدعـاة وبعد الشقة

ولا يزال هناك "شبه" لهذا الأمـر فى عهـدنا الحاضر ، فان الدول الاسلامية بها معاهد للدعاة لتعميق الاسلام فى نفوس المسلمين ، ولـكن ليس هناك معهد واحـد يخرج دعاة للاسلام يجيدون اللغات الأجنبيـة ليزاولوا عملهم فى أوربا مثلا أو فى الولايات المتحدة ، لقد دخـل الاسلام أوربا والولايات المتحدة ولكن الانتشار بهما بطئ لقلة الدعاة وقلة الكتب التى تعرّف بالاسلام ، فما حدث فى الماضى لا يزال يحدث فى الحاضر ٠

وليس عندنا أبدا ما يحدد موعدا لدخـول أول مصرى دين الاسلام ومتى كان ذلك ، ولسنا نحـاول معرفة ذلك بوجه التحقيق ، ولكن الرغبة شـديدة" فى التعرف على موعد دخـول الاسلام شـبه جزيرة المـلايو

وجزر اندونيسيا ، وفى ضوء ما تقدم سنحاول أن نبرز الحركة التجارية التى حملت الاسلام للملايو واندونيسيا ، كما حمله التجار والطرق الصوفية والهجرات الى دول جنوب الصحراء بافريقية .

وقبل ذلك نثبت بعض الاسس التى ستكون لنا عونا فى ايضاح أن الحركة التجارية حملت الإسلام ونشرته فى هذه المناطق فى وقت مبكر .

أولا : عرفت الملايو واندونيسيا قبل الاسلام صورا من التحركات الدينية ، من البدائية وعبادة قوى الطبيعة ، الى البوذية والهندوكية ، ومن المعروف فى علم مقارنة الأديان أن من غيَّر دينه مرة يسهل عليه تغيير دينه بعد ذلك ، ولما كان تغيير الدين أمرا تكرر فى هذه البلاد ، فقد سهل على الجيل الذى عرف الاسلام أن يتحول اليه لسهولة الاسلام ولعدم وجود الطبقات فيه .... (١)

ثانيا : لم يكن فى أندونيسيا والملايو دين نبع من البلاد وتتمسك به كالهندوكية بالنسبة للهند ، بل أن الأديان التى دخل عليها الاسلام فى تلك البلاد كانت أديانا وافدة كالبوذية والهندوكية ، وكانت البوذية فيها خلافات كثيرة وعودة الى الأحجار والأصنام ، وكانت الهندوكية تحمل عادات الهند وتقاليدها مما جعل فيها فرض تقاليد شعب على شعب آخر ، ومن هنا لم تكن لدى الملايويين والاندونيسيين حماسة للتمسك بهذين الدينين .

ثالثا : فى سكان الملايو وأندونيسيا "يسْر" فى الطباع وسماحة نفس ، ولا تعرف هذه الشعوب التعصب الدينى ، ومن هنا كان من الممكن أن يدخل فى الاسلام من يؤمن به وأن كان أبوه أو أمه أو أخوه يتبع دينا آخر ، وقد رأيت فى اندونيسيا هذه الظاهرة التى لم تكن تسبب صراعا أو خلافا مع أنها غير ممكنة على الاطلاق فى مصر وعلى هذا تسرب

---

(١) انظر سلسلة مقارنة الأديان للمؤلف ، وانظر كتاب : The Storiy of Indonesia تاليف Louis Fisher .

الاســلام الى الأسر دون أن يقاومه مقــاوم • ثم نمــا وازدهر من يوم الى يوم •

رابعا : فى الاسلام بساطة وسماحة ، فيــه خلق وفيه تنظيم للفــرد وتنظيم للمجتمع ، وتقويم للمعاملة ، وما أن يدخل أحــد الاســلام حتى تتغير أحــواله فيعنى بالنظافة والطهارة ويرق قلبه بالصــلاة ، وتعمــر نفســه بالحب ، وان تــاجر كان أمينا ، وأن عمل أدى عمله بإتقــان ، فالانســان المسلم الحق خير دعاية لدين الاسلام ، ثم أن دخــول الاسلام لا يحتاج الى طقوس ، ولا يرتبط المســلم بكاهن يقف بينه وبين الله ، يأخــذ منــه على ذلك أتاوة •••• بل أن المسلم مرتبط مبــاشرة بربــه وبالمبادىء والأخلاق والآداب الاسلامية •

خامسا : العرب الذين حملوا الاسلام الى أندونيسيا والملايو كانت لهم نفس العــادات التى لأهل البلاد ، نفس اللباس تقريبا ، والبســاطة فى الطعام وطريقة تناوله ، وقد اندمج الوافدون العرب مع أهل البــلاد الأصلية ، فلم يقفوا منهم موقف الهنود والصينيين والغربيين الذين بقــوا جنسا متميزا حتى الآن ، وهذا الاختلاط والتشابه يسر نشر الاسلام ، ويدخل فى ذلك أيضا أن العرب استطاعوا بســهولة أن يتعلموا اللغــات المحلية بسرعة فوثقوا بذلك صلاتهم مع أهل البلاد الأصليين •

سادسا : ارتبط بالاسلام شىء يهم الطبقات الفقيرة ، ذلك أن الدين ارتبط بالاقتصــاد ففى مال الغنى والتاجــر نصيب يعطى للفقراء ، فاذا لاحظنا أن الأغلبية العظمى بالبلاد كانت فقيرة اذ كان الغنــى فى أيــدى الكهنة والحكام ومعاونيهم فقط ، اذا لاحظنا ذلك أدركنا أن الكثيرين من جمهــرة الشعب أقبلوا على هذا الدين الذى يعطيهم هذا الحق ، وقد كان الغنى المسلم يؤثر الفقير المسلم عندما يقدم زكاة ماله ، وارتبط بهــذا الدين كذلك عدم الطبقات ، وهو شىء يسعد من كانوا فى الطبقات الدنيا •

والآن بعد هذه المقدمات نستطيع أن نسير خطوة خطوة مع التحركات التى نقلت الاسلام الى الملايو واندونيسيا :

وبادىء ذى بدء ننقل فيما يلى خلاصة لندوة علمية عقدت فى مارس سنة ١٩٦٣ فى مدينة «ميدان» باندونيسيا حضرها عدد كبير من كبار المثقفين والمؤرخين الاندونيسيين ، وقد تدارسوا أمر دخول الاسـلام اندونيسيا ووسائل انتشاره ومَنْ الذى حمله الى بلادهم ، وقررت الندوة بعد البحث والمناقشـة ما يلى :

١ — فهمنا من البحـوث التى تدارسناها والمصادر التى أطلعنـا عليها أن الاسـلام دخل الى أندونيسيا أول مرة فى القرن الأول الهجرى ، ومن بلاد العرب مباشرة .

٢ — وأن أول منطقة دخلها الاسلام هى سواحل سومطرة الشمالية وأنه بعد تكوين المجتمع الاسلامى وبعد حصوله على النفـوذ السياسى تكونت أول مملكة اسلامية فى « آتشه » .

٣ — وأن الاندونيسيين ساهموا فى الدعوة الى الاسلام بعـد أن دخل الاسلام بلادهم .

٤ — وأن الدعاة الأولين كان بعضهم من التجار .

٥ — والدعوة الاسلامية كانت سلمية .

٦ — وأن الاسلام قدم لاندونيسيا ثقافة وحضارة راقية أسهمت فى تكون الشخصية الاندونيسية (١) .

وختمت الندوة قراراتها بأن طالبت بمزيد من الدراسة حول هـذا الموضوع ، ودعت المفكرين والمؤرخين للعناية به ولعل المحاولة التى نقوم بها الآن استجابة لهذه الدعوة الكريمة .

ويذكر الاستاذ نجيب العطاس وهـو من أهل المنطقـة أن أقدم المخطوطات التى تحدثت عن استيطان العرب لاندونيسيا هى عبـارة عن

(١) محمد ضياء شهاب وعبد الله بن نوح : الاسـلام فى اندونيسـيا ص ٩ و ١٠ .

تقارير صينية تقول إنه كان للعرب مستوطنات فى شمالى سومطرة منذ عام ٦٧٢ م (٥٢ هـ) .

ويذكر الاستاذ قدر الله فاطمى أن الاسلام وصل الى سواحل سومطرة فى القرن السابع الميلادى (القرن الأول الهجرى) أما انتشار الاسلام فقد أصبح واضحاً فى القرن الثالث عشر على يد الدعاة الذين اشتهروا بلقب « أولياء الله التسعة » وأكثرهم ينحدرون من أصلاب عربية (١) .

والذى يدرس تاريخ التجارة فى العالم يدرك بوضوح أهمية الصين ودول جنوب شرقى آسيا ودول الشرق الأوسط ثم أوربا فى مجال التجارة ففى كل منطقة من هذه المناطق انتاج تحتاج له المناطق الأخرى ، ومنطقة جنوب شرقى آسيا بوجه خاص كان بها الأفاوية والتوابل والبن والبخور والجلود والأخشاب وجوز الهند ، وكانت هذه الأشياء مطلوبة وضرورية للكنائس والمعابد والقصور قبل الاسلام ، وكان الحرير الصينى مطلوبا كذلك فى الشرق الأوسط كما كانت الصين سوقا واسعة لاستهلاك منتجات الشرق الأوسط من نسيج وتمور وحبوب ، وهكذا أدرك العالم قبل الاسلام بعدة قرون ضرورة الصلة الاقتصادية والتجارية عبر هذا الخط الطويل من الجزيرة العربية الى جنوب الهند ، فشبه جزيرة الملايو ، فسومطرة فالصين ، وكانت الرحلة بالمراكب الشراعية بطبيعة الحال وتتبع الرياح الموسمية التى تهبُّ من الغرب الى الشرق فتنقل السفن من الجزيرة العربية الى الصين ، ثم تهبُّ من الشرق الى الغرب فتُعيد السفنَ الى الجزيرة العربية (٢) .

وكانت بعض السفن التى تحمل هذه التجارة تابعة الى الغرب وبعضها كان تابعا لاندونيسيا والصين وتذكر المراجع اليونانية أن التجار فى

(١) لقاءات شخصية فى المؤتمرات العالمية .
(٢) من الخطوط التجارية بين العرب والصين عبر الملايو واندونيسيا انظر : المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦ ، ٧٤ ، ١٠٧ .
وابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٦٦ وما بعدها .
وجورج حوارنى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ص ٢٢٠ من الترجمة العربية .

جنوب الجزيرة العربية كان لهم حذق واسع بفنون التجارة فكانوا يجلبون السلع من البلاد المختلفة لينقلوها الى البلاد التى تحتاج لها ، وكان هؤلاء التجار يحتفظون بأسرار تجارتهم ومصادر سلعهم ويجعلونه سرا من الأسرار ، بحيث كان المستهلكون يعتقدون أن جميع هذه الحاصلات من انتاج الجنوب العربى (١) •

وتؤكد البحوث العلمية أن التجار العرب عرفوا الملايو واندونيسيا منذ القرن الثالث الميلادى على الأقل ، وتعاملوا مع التجار المحليين فى جاوة وجزائر الملوك وغيرها من جزائر المنطقة الغنية بالتوابل ، وذلك فى أثناء رحلاتهم الى الصين ، وقد دونت السجلات الصينية القديمة ذلك وذكرت ما يفيد أن العرب قد اتخذوا لهم أماكن استيطان فى هذه الجزر وفى كانتون وكان ذلك حوالى سنة ٣٠٠ م (٢) •

وأماكن الاستيطان التى تحدثت عنها الفقرة السابقة يقررها باحث آخر ويذكر أن العرب كوّنوا جاليات عربية فى بعض ثغور الملايو واندونيسيا ، وأنه كانت لهم معرفة بالمدن المهمة الواقعة على سواحل هذه الجزر (٣) •

ويقرر باحث عاش فترة من الزمن فى الملايو هذا المعنى فيقول : يحدثنا التاريخ عن وجود جماعات عربية كانت تقطن قبل الاسلام بعض موانى الملايو واندونيسيا ، وكانت هذه الجماعات تعيش تحت حكم شريف عربى ، وتتبع النظام القَبَلى المعروف بشبه الجزيرة العربية (٤) •

---

(١) انظر Periplus of Erythaean Sea, Translated from Greek
وانظر الجزء الأول من هذه الموسوعة ص ٩٨ من الطبعة العاشرة •

(٢) بحث الدكتور Prof Zhang Who الأستاذ بجامعة بكين عن العلاقات بين الصين والعرب ، القاه فى مهرجان التراث العمانى بمسقط (نوفمبر ١٩٨٠) •

(٣) دكتور عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ص ٦٠ •

(٤) دكتور محمد عبد الرءوف : الوعى الاسلامى شهر محرم ١٣٨٠ هـ : الملايو •

وكان لمصر دور كبير فى هذه التجارة القديمة ، فقد كانت السفن المصرية تعمل بنشاط بين مصر واندونيسيا ، وقد وصل الحال الى أن بعض المصريين استوطنوا جزر أندونيسيا (١) كما سبق أن ذكرنا .

ويؤكد بعض الباحثين الغربيين أن العلاقة بين مصر وأندونيسيا انتجت تشابها فى جوانب متعددة من الثقافة ، ومن هؤلاء الباحثين دكتور بيرى Perry ودكتور اليوت Eliot اللذان أكدا أن البحار والمحيطات ربطت بين مصر وأندونيسيا من قديم الزمان (٢) .

ويقول السير توماس آرنولد : ان العرب زاولوا مع بلاد الشرق تجارة واسعة النطاق منذ عهد مبكر جدا ، فلما جاء القرن السابع الميلادى كانت التجارة مع سيلان كلها فى أيديهم ، كما كانت تجارتهم مع الصين رائجه رواجا عظيما وكان لهم فى كانتون فى الصين مراكز تجارية مهمة ، ونزعم فى شىء من التأكيد أنهم لابد أن يكونوا قد أسسوا مستعمراتهم التجارية فى بعض جزائر أرخبيل الملايو فى عهد يسبق الاسلام ، ومما يؤكد هذا الزعم أننا نجد فى حوادث سنة ٦٨٤ م فى الأخبار الصينية المدونة حسب السنين خبرا عن زعيم عربى يعتقد أنه كان زعيم مستعمرة عربية على ساحل سومطرة الغربى (٣) .

وننتهى من هذه البحوث والاقتباسات الى حقيقة لا يمكن تجاهلها هى أن الجزيرة العربية ومصر تاجرتا مع جزر جنوب شرقى آسيا ومع الصين قبل الاسلام بعدة قرون . وبسبب هذه التجارة قامت بهذه الجزر وبموانى الصين مراكز عربية وجاليات عربية .

وننتقل الى الجانب الآخر من هذه العلاقات التجارية وهذا الجانب يؤكد أن اندونيسيا والملايو كانت لهما سفن يبلغ طول الواحدة منها مئات الأقدام ، وكانت تحمل البضائع ، وتقطع آلاف الأميال ، وهى تمخر

---

(١) غوردون كاتشيلد : ماذا حدث فى التاريخ نقلا عن اندونيسيا المعاصرة للاستاذ محمود الشرقاوى ص ١٥ .
(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة .
(٣) الدعوة الى الاسلام ص ٤٠١ — ٤٠٢ .

عباب البحار والخلجان حتى مصر والجنوب العربى • ويقرر الدكتور همكا أن الاندونيسيين كان لهم نشاط ملاحى واسع الى الخارج شمل الصين والهند وسواحل مصر وجنوب الجزيرة العربية وقد أسسوا لهم مراكزا هنا وهناك (١) •

وقد ذكرنا فى الجزء الأول من هذه الموسوعة أن اللغة العربية بجنوب الجزيرة العربية قد مسها كثير من الانحراف بسبب وفود الأجانب التى تصل لها وتعيش فيها أحيانا وتتاجر مع سكانها ، ولم يستطيع هؤلاء الأجانب أن يجيدوا اللغة العربية ، فكانوا ينطقون بها محرّفة ، وتسرب الانحراف الى لغة الجنوب بسبب هذه اللقاءات وتلك المعايشة ، أما اللغة العربية فى الشمال فقد حافظت على نقائها اذ لم تجذب جهات الشمال وفود الأجانب كما حدث فى الجنوب (٢) •

وعلى هذا فما من شك فى أن علاقات وثيقة مزدوجة الاتجاه قامت بين جنوب الجزيرة العربية ومصر من جانب وبين الملايو واندونيسيا من جانب آخر ، وأن مراكز قامت فى الملايو واندونيسيا للعرب وللمصريين ، ومراكز قامت للملايو واندونيسيا فى جنوب الجزيرة العربية وفى مصر ، وذلك قبل الاسلام بزمن طويل •

فاذا خطونا بعد ذلك خطوة مع التاريخ نجد أن عمان التى كانت تقود جزءا كبيرا من هذه الحركة التجارية دخلت الاسلام من عهد الرسول صلوات الله عليه فى العام السابع للهجرة ، وكان مبعوث الرسول الى عمان هو عمرو بن العاص الذى أسلم على يديه جيفر وأخوه عبدُ ابنا الجلندى اللذان كانا يحكمان عمان ، وأسلم معهما سكان عمان ، فقد كانت سيرة الاسلام ومبادئه قد غطت الجزيرة العربية ، فما ان جاء مبعوث الرسول حتى كانت الاستجابة اليه سهلة وسريعة (٣) •

---

(١) الاسلام فى اندونيسيا : ص ١١ و ١٢ •
(٢) الجزء الأول ص ٨٩ — ٩٠ من الطبعة العاشرة •
(٣) موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٧ ص ٢٩٤ وما بعدها .

وعلى هذا أصبحت السفن التجارية العربية يقودها ويتاجر عليها عرب مسلمون ، كما أصبحت بعض المراكز العربية التى كانت موجودة بجزر الملايو واندونيسيا مراكز اسلامية .

واذا كانت بعض الأديان عقيدة داخلية مستورة لا تظهر للرائى ، فإن الإسلام ليس كذلك فإن له شعائر ومبادىء تُعلن عن نفسها ، كالصلاة وطهارة الملبس والمكان وفيه إخراج الزكاة وصوم شهر رمضان ، ثم فيه مع ذلك التزامات خلقية دقيقة تجعل تطفيف الكيل والميزان جريمة ، وتجعل الغش والكذب خطيئة ، وتُلزم أن تكون الروابط العائلية قائمة على أسس شرعية سليمة ، ومعنى هذا أن الإسلام أعلن عن نفسه حتى على فرض أن التجار لم يعلنوا عنه ، لأن مظاهر الإسلام تعلن عن نفسها فى كل اتجاه ثم إن بعض التجار كانوا يتمنون الهداية للناس ويرغبون فى إبعادهم عن الأصنام والأحجار فبذلوا بعض جهدهم ووقتهم للدعوة للإسلام . ولا شك أنهم وجدوا بعض الاستجابة من أولئك الذين يتعاملون معهم ويبيعون لهم ويشترون منهم .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن التاجر العربى كان يسير فى تجارته إلى هذه الأماكن النائية دون أن يصحب زوجته معه ، وأن هذا التاجر الذى اتخذ له مركزاً فى جزيرة من الجزر اتخذ له كذلك زوجة من الملايو أو من إندونيسيا أو من الصين مما يحتم القول بأن أسراً إسلامية نشأت فى هذه الجزر منذ ذلك العهد المبكر للإسلام ، وأصبحت تلك البيوت الإسلامية المزدوجة الجنسية منارات يهتدى بها السكان . (١)

ونقلت وفود التجارة إلى الملايو وإندونيسيا أخبار أحداث وقعت فى الشرق الأوسط مرتبطة بالإسلام ، فقد دخل الإسلامُ الشام ومصر وبلاد فارس وأن كثيرين من الأهلين اعتنقوا هذه الديانة ليتخلصوا من عبادة الطاغوت ومن دكتاتورية الحاكم ، ولا نزاع فى أن بعض السكان

(١) Prof Zhang Who : البحث السابق فى عدة أمكنة .

في الملايو وإندونيسيا تأثروا بهـذه الأخبار وحذوا حـذو الآخرين فى الشرق الأوسـط .

وعن دخـول الإسـلام جزيرة جـاوة يقـول W. Groeneveld فى كتـابه «Historical Nates on Indonesia and Malaya» (١) نقلا عن مؤرخ صينى من أسرة تانج : كانت هناك دولة تسمى « كالينج » وكانت تحكمها ملكة اسمها « سيما » وكانت هذه المملكة تقع فى جـزر إندونيسيا ، وقد أراد ملك عربى أن يهاجمها وينشر الإسلام بها ، ولكنه أرسل مبعوثاً يتحسس له أحوال هذه المملكة ولكن هذا المبعـوث أهدى النصح للملك بعدم الهجوم عليهـا ، ويقول العـالم الإندونيسى همكا : إن هذا الملك العربى هو معاوية بن أبى سفيان ، وأن المبعوث العـربى كانت له علاقة مع مستعمرة عربية فى جنوب شرقى جزيرة سومطرة (٢) .

ويذكر Snouck Hurgrnje أن الإسلام دخل أرخبيل الهند الشرقية بدون أية قوة عسكرية ، وأن تحول السكان إلى الإسلام جرى تدريجيا فى هذه الجزر بواسطة التجـار المسلمين الذين جاءوا من دول فى غرب الأرخبيل ثم استمر الأهالى الذين اعتنقوا الإسلام من سـكان الأرخبيل ينشرونه بين مواطنيهم بحماسة وقوة (٣) .

ويذكر الدكتور محمد زكى (٤) « أن رحـلات التجار العـرب إلى الجزر الملايوية كانت موجودة قبل الإسلام بمدة طويلة وأن العرب افتتحوا أماكن كثيرة عبر الطريق إلى مضيق ملقـا ، وقد زاد عدد الذين يسافرون فى هذا الطريق فى الصدر الأول من الإسلام بعد أن وُجِد هذا الدين وخلق أتباعا له على أكثر سواحل الطريق .

---

(١) pp. 37-38.

(٢) Sejarah Ummat Islam p. 207.

(٣) Agama Islam di Hindu Belanda pp. 13-14.

(٤) أساس الحضارة الاسلامية لسكان الملايو : ص ٣٦ .

« وقد استمرت العلاقات التجارية فى ازدياد متصل فلما كان عهد هارون الرشيد زار عدد من التجار الإندونيسيين بغداد ورأوا هناك الحضارة الإسلامية فى أزهى مظاهرها فجذبتهم هذه الحضارة إلى دين الإسلام ، وعندما عادوا إلى إندونيسيا كانوا شديدى الحماسة فى نشر هذا الدين وتقويه أصوله فى بلادهم » .

فإذا قفزنا عدة قرون ووصلنا إلى عهد السلطان محمود الغزنوى (١) نجده قد اندفع فى الهند يفتح البلاد ويدمر الأوثان والأصنام حتى لقب « محطم الأصنام » وقد حقق نشر الإسلام فى الهند نتائج مزدوجة ، فبعض الهنود الذين كانوا يشتغلون فى التجارة أصبحوا مسلمين وأخذوا دورهم فى نقل الإسلام إلى الجزر الملايوية والإندونيسية ، ثم إن سكان هذه الجزر الذين كانوا عبر عدة قرون يقتبسون دياناتهم من الهند رأوا الهند وقد أصبحت كلها أو أكثرها تابعة لدين الإسلام ، ومن ثم حذا الكثيرون من سكان هذه الجزر حذو الشعب الهندى ، مما ساعد على نشر الإسلام فى هذه الجزر .

وفى القرن السابع الهجرى كان ذلك الزحف الهمجى الذى قام به المغول على أرض الإسلام وكان زحفاً عنيفاً لا يعرف قيماً ولا مبادىء ، وقد نتج عن هذا الزحف أن عدداً كبيراً من سكان البلاد هرب متخذاً طريقه إلى جزر الملايو وإندونيسيا وكان دخول هذه الجزر فى هذه المرة دخول إقامة استلزمت نشر الدعوة الإسلامية حول هؤلاء المهاجرين .

وعندما توقفت العلاقات التجارية بين العرب والصين فى نهاية القرن التاسع الميلادى وعندما حاصر القائد أهوانج شاو مدينة كانتون ، وأعمل فيها يد السلب والنهب وقتل عدداً ضخماً من التجار الأجانب والصينيين عند ذلك أخذ التجار العرب والصينيون يتلاقون على الساحل

---

(١) انظر الحديث عنه وعن جهوده فى نشر الاسلام فى الهند فى هذا الجزء من موسوعة التاريخ الاسلامى .

الغربى لشبه جزيرة الملايو بالقــرب من ملقا ، وكانت آنــذاك جزءا من إمبراطورية سيرى وجايا ، ومعنى هذا أن الرحلات التجارية لها ومنهـا لم تنقطع أبداً ، وأن الدعــوة صاحبت هذه الرحلات على مرّ الزمن •

وعندما استولى البرتغاليون على مضيق ملقا ، لم تنقطع العلاقات أيضا بين العرب وبين هذه الجزر ، فإن الرحلات اتخذت طريقها جنــوب سومطرة ، وعبرت إلى بحر الصين عبر مضيق « سندا » وهذا ساعد على نشر الإسلام بجزيرة جاوة •

دور الهنود فى نشر الإسلام بإندونيسيا والملايو :

تكاد تكون هناك منافسة كريمة بين الهنود والعرب ، ومَنْ منهما صاحب الفضل فى نشر الإسلام فى جزر الملايو وإندونيسيا ، ونقــول إنها منافسة كريمة لأنها ترمى لنيل هدف سامٍ ، والــذى أراه أن العــرب والهنود والسكان الأصليين فى الأرخبيل، كل هؤلاء اشتركوا فى هذا العمل الجليل كما ذكرنا من قبل •

والذى لا نزاع فيه فيما أعتقد أن العرب أسبق هؤلاء لأن العــرب هم الذين تلقوا الإسلام قبل غيرهم وهم الذين حملوه إلى الشام ومصر والشــمال الإفريقى والأندلس وفارس ثم إلى الهند وإلى ما وراء النهر **وإلى الملايو وإندونيسيا ، وقد وصل الإسلام إلى هذه الجزر أحيــانا قبل أن يصل إلى الهند نفسها •**

أما ما نراه من تأثيرات هندية على الاتجاهات الإسلامية بهذه الجزر فمرجعه إلى أن الفكر الهندى البوذى والهندوكى كان موجوداً فى هــذه الجزر مدةَ عدةِ قرون قبل الإسلام ، وكان من الطبيعى أن يترك بعض آثاره على المسلم فى الملايو وإندونيسيا •

ومما يدل على أن الإسلام جاء لهذه الجزر بواسطة العــرب ، أنه

ليس به تشيع الفرس ولا تشيع الهنـد ، وإنما بـه المذهب الشـافعى الذى كان منتشراً فى حضرموت ومصر •

مرة أخرى لقد اشترك العرب والهنود والإندونيسيون فى هذا العمل العظيم وقد أدى الحضارمة فى القرون المتأخرة دوراً لم يؤده سـواهم من المعاصرين ، وقد آن لنا أن نتكلم عنهم كلمة فى هذا المجال •

الحضارمة فى إندونيسيا :

هاجر الحضارمة فى الأزمنة المختلفة إلى بقاع شتى من العالم وكان لهم دور كبير فى نشر الإسلام فى كل مكان نزلوا فيه ، وأكثر مهـاجرى الحضارمة بدءوا هجرتهم تجارا ، ثم استقروا فى الأماكن التى نزلوا بها وهم من ناحية التجـارة لهم مهـارة فائقة ورثوها عن أسـلافهم الذين احتكروا التجارة العالمية فى يوم من الأيام ، وهم من ناحية العلم فيهـم علماء أفذاذ مشـهود لهم بسعة الاطلاع وعمق الاجتهـاد ، وهنـاك كتب (١) تتحدث عن العلماء الحضارمة الذين هاجروا إلى بلاد مختلفـة ومن هؤلاء العلماء الأسرة التى ينتمى لها ابن خلدون وقد هاجـرت إلى الأندلس ومنهم علمـاء هاجروا أيضـا إلى الأندلس وحلوا فى أشبيليه وقرطبة ، ومنهم كذلك من هاجر إلى مصر والحجاز والشـمال الإفريقى والهند ، وفى هـذه البـلاد شغلوا أعظم المناصب فى القضـاء والوزارة والسياسة والتجارة والجيش •

ولعل من أعظم هجراتهم التاريخية هجرتهم إلى الملايو وإندونيسيا فقد رحلوا إلى هذه البلاد تجاراً وعلماء ، وكانوا يعرفونها قبل الإسـلام بمدى طويل ، واستطاعوا أن ينشروا الإسلام فى كثير من البلدان والأمكنة وأن يعاشروا السـكان معـاشرة أقرب إلى الامتزاج ، وأمسكوا بزمام

---

(١) انظر تاريخ حضرموت السياسى للاستاذ صلاح البكرى فى مواضع متعـددة •

التجارة فى البر والبحر وسيطروا على المواصلات البحرية ابتداء من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر ، وكانت مراكبهم تجوب جزائر إندونيسيا وتبحر إلى الهند ، وإلى سواحل الجزيرة العربية وهى تحمل فى الذهاب والعودة ألوانا من البضائع والسلع تشتريها من هنا لتبيعها هنـــاك على طــول الطــريق •

وكان لهم دور هائل فى نشر الإسلام بإندونيسيا وبالجزر والبــلاد المحيطة بها مثــل تايلاند والفلبين وسنغافورة ولا يزالون يقومون بهـــذا الدور حتى كتابة هــذه الســطور وهم يرون فى إندونيسيا وطناً لهم ، ويخلصون لهذا الوطن أعظم إخلاص وقد اشتركوا فى حركات التحــرير بهمة ونشــاط وأسهموا فى دفع عجلة التقدم والتطور بالبلاد •

نشــاط المواطنين لنشر الإسلام :

ذكرنا من قبــل ضمن قرارات المؤتمر الذى عقد فى « ميدان » أن الإندونيسيين أســهموا بقــوة فى نشر الإســلام بإندونيسيا ، ونريــد أن نقرر هنا أن هذه حقيقة مهمة ، وأن دور العرب والفرس والهنــود كان تقديم الإسلام لهذه البلاد ، وكان تقديم الإسلام عملاً تابعا للتجــارة التى كانت أساس العلاقات ، أو كان بواسطة الدعــاة الذين استقدمهم التجــار ، ولكن ما إن وُجد الإســلام فى إندونيسيا والملايو حتى ظهر بين السكان الأصليين من يتعمق فى دراسته ويبذل الجهــد لخدمته ، وهكذا وجــد العلماء الإندونيسيون والملايويون ووُجد بجانبهم الدعــاة الذين ذكرنا أن التجــار استقدموهم للدعوة إلى الإســلام ، وتعــاون الدعاة العرب مع الدعاة الوطنيين فى خدمة هذا الدين وتقــديمه للناس وشرْحه لهم • وهكذا لم يعد الدين تابعا للتجــارة ، وإنما أصبح عمــلاً قائمــا بذاتــه ، ونوراً يُستضاء به ، وسرعان ما وُجِدَ من بين الإندونيسيين والملايويين علماء لهم باع طويل فى الدراسات الإسلامية والعربية حصلوا عليها من الدعاة العرب بإندونيسيا والملايو ، أو نالوها فى رحــلات ثقافية قاموا بهــا إلى المراكز الإسلامية بالأرض العربية •

ويعتبر هذا الوضع خطوة جديدة فى تاريخ الإسلام بإندونيسيا والملايو ، فقد أصبح له معلمون ودعاة لا يشتغلون بشىء غير الدعوة والتعليم وكان أكثرهم من أهل البلاد الأصليين ، يجيدون لغتهم ، ويرتبطون بهم أشد ارتباط .

مراكز إسلامية فى الملايو وإندونيسيا :

بدأ الإسلام فى الملايو وإندونيسيا عن طريق أفراد ، ثم اتسع نطاقه فأصبحت هناك أسر إسلامية ، ثم اتسع النطاق مرة أخرى فتكونت مراكز اسلامية فى مناطق متعددة بهذه الجزر ، وكانت هذه المراكز تحيط بداعية من الدعاة أو رجل ذى مكانة سياسية مرموقة ، وبعض الدعاة كان لا يقنع بمركز يستقر فيه معلما وهاديا ، بل كان يطوف البلدان ويعلم الناس فى مناطق مختلفة فكان يشبه مدرسة متنقلة ومركزا إسلاميا متحركا ، وفيما يلى بعض هؤلاء الأعلام المشاهير :

اشتهرت آتشة بجزيرة سومطرة بنشاطها العظيم للدعوة الاسلامية وكانت فى موقع جغرافى جعلها من المناطق التى تلقت الدعوة الاسلامية فى وقت مبكر ، وقد ظهر فيها علماء مسلمون أجلاء قاموا بالدعوة للاسلام على خير وجه ولم يقف تأثيرهم عند آتشه وحدها بل انتقل بعضهم الى مناطق أخرى من إندونيسيا فتكونت لهم مراكز فى أمكنة مختلفة ، ومن هؤلاء الأعلام :

— الشيخ شمس الدين السمطرانى الصوفى ، وكانت له اتجاهات صوفية ، وكانت حضرته فيها جلال وخشوع وكانت مناجاته لله وذكره له تصحبها دموعه وآماله ، وقد التفت حوله الجموع تتعلم الاسلام ومبادئه وتأتم به فى ذكره وصلواته .

ومما يذكر عن التصوف بإندونيسيا أنه لم يعرف الخرافات والانحرافات ، وانما كان زهدا فى الدنيا ومحاولة للقرب من الله عن طريق ذكر الله ذكرا تكتمل فيه عناصر المناجاة وتبرز فيه كلمات الذكر ، وتكثر فيه قراءة السور القصيرة من القرآن الكريم .

— الشيخ عبد الرءوف سنجل Singkel وجهود هذا الشيخ تجاوزت آتشه ، بل تجاوزت سومطرة ، اذ كان له مريدون كثيرون فى جاوة ، كانوا يحضرون اليه ليتلقوا عنه ثم يعودون الى بلادهم حيث ينقلون أفكاره الى أهلهم ومواطنهم •

— الشيخ نور الدين الترانيرى ، وكان هذا الشيخ طموحا يريد أن يعلم فى مناطق متعددة وأن يعيش علمه بعده فألف كتابا شهيرا كان مصدر هداية للكثيرين واسمه « بستان السلاطين » •

— حمزة بنسورى وكانت له اتجاهات فلسفية •

وبسبب هؤلاء العلماء وغيرهم من علماء آتشة تكونت فى آتشة مراكز اسلامية كثيرة حولهم ، ومن أهم المراكز التى ذكرها التاريخ مركز فرساى ومركز فرلاق وقد قاما بجهد كبير فى خدمة الدعوة الاسلامية ولا ننسى أن نذكر أن نشاط العلماء استمر بعد أن تكونت الممالك الاندونيسية وبعض العلماء الذين سبق ذكرهم عاش فى رحاب هذه الممالك •

— وهناك علماء آخرون عم ذكرهم مناطق مختلفة كان لهم مريدون فى عدة أمكنة ومن الذين ذاعت أسماؤهم سوهومن أفيل وسوهونن جاتى وكثيرون سواهما •

— وعرفت جريسيك Gresik بمنطقة سورابايا بجاوة الشرقية فى النصف الأخير من القرن ١٤ نشاطا ملحوظا لداعية اشتهر اسمه هو مولانا ملك ابرهيم ، وقد تكونت حوله حركة نشطة للدعوة الاسلامية نالت أعظم نجاح ، وتذكر الروايات أن نسب هذا الداعية ينحدر من الامام على زين العابدين ابن الامام الحسين رضى الله عنهم ، وقد نجح هذا الداعية نجاحا جعله يخطو لدعوة امبراطور ماجابيت ليجذبه من الهندوكية الى الاسلام ، وبخاصة أن الامبراطورية آنذاك كانت تترنح اذ انفض الاندونيسيون من حولها وادرك الكثير من ذوى

الأمر ان الاستمرار على الهندوكية شىء لم يعد يتفق مع اتجاهات العصر وتقدم الزمن وظهور الاسلام ، ولو استجاب الامبراطور لكان أجدى له ، ولكنه كابر وتكبر فكانت العاقبة ان سقطت دولته .

ومن نتائج نشاط ملك ابراهيم ان بدأ الناس يفخرون بالاسلام ، ويوصون بأن توضع لوحات رخامية على قبورهم عند موتهم يُذكرَ فيها ما يثبت اسلام صاحب القبر ، وفى مدينة جريسيك وما حولها وجد عدد من هذه اللوحات وأكثرها مكتوب باللغة العربية مما يدل على أن الداعية كان عربيا ، أو يدل على انتشار اللغة العربية مع انتشار الاسلام فى هذه البقاع ونحن الى الاتجاه الأول أميل ، وفيما يلى نص احدى هذه اللوحات :

بسم الله الرحمن الرحيم

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
هذا قبر الشهيدة فاطمة بنت ميمون بن هبة الله
توفيت فى يوم الجمعة لسبع خلون من رجب سنة خمس
وتسعين وأربعمائة هـ الى رحمة الله (١)

وهناك لوحات مماثلة كثيرة فى قرية ترالايا بجاوة الشرقية وتاريخ الوفاة يقع بين سنتى ١٣٧٦ م ، ١٤٧٥ م والأسماء المكتوبة عليها أسماء مسلمين وبعض آيات من القرآن الكريم وهذه اللوحات تصل بنا الى معنى مهم هو أن الاسلام كان منتشرا ويقف موقف التحدى من امبراطورية ماجابيت حتى فى فترة عنفوانها .

أما فى الملايو فهناك لوحات أقدم عهدا ، منها لوحة كتب عليها : قبر الشيخ عبد القادر بن حسين شاه المتوفى سنة ٢٩١ هـ (٢) .

ـ والحديث عن التحدى الاسلامى لامبراطورية ماجابيت يصل بنا الى

---

(١) Muh. Said : Sejarah Ummat Islam di Indonesia p. 196.

(٢) وان حسين : الدعوة الاسلامية فى جنوب شرقى آسيا ص ١١٦ .

داعية اندونيسى مسلم أعلن هذا التحدى وحارب الامبراطور الهندوكى وصرخ : مالنا والهندوكية « إن الهندوكية دين الهنود وتقاليد الهنود ومع هذا قد أطرحها الكثيرون من الهند واعتنقوا الاسلام ، فكيف نظل نحن على الولاء لها ؟

ذلك الداعية هو « فاتى أونس » أى لفتى يونس ، وقد تزعم هذا الداعية الاندونيسى المسلم حشود الجماعات الاسلامية ، ووحد صفوفها ، وحارب أباطرة ماجابيت وانتصر عليهم ، وسقطت الامبراطورية الهندوكية ، وسلمت الزمام لقيام ممالك اسلامية فى اندونيسيا والملايو .

— الشيخ اسماعيل وكان هذا الشيخ على رأس بعثة اسلامية أرسلها شريف مكة لنشر الاسلام فى هذه الجزر ، وقد كان له آثار كبيرة فى الأمكنة التى نزلتبها بسومطرة ، ومن هذه الآثار أن دخلت مملكة كانت تسمى مملكة سومطرة دين الاسلام ، وتزوج ملكها بابنة ملك « برلاك الاسلامية » التى سنتكلم عنها فيما بعد (١) .

— وقد وجد فى الملايو أحجار رخامية كتلك التى تحدثنا عنها فى اندونيسيا ، وقد كثرت هذه الأحجار فى ولاية ترنجالو ، وقد استخدمت الحروف العربية فى أكثر هذه اللوحات ويرجع تاريخها الى مطلع القرن الثامن (٢) .

وهناك لوحة وجدت فى ولاية ترنجالو أيضا ولكنها لم تكن على رأس مقبرة من المقابر ، وانما كانت أشبه بدستور مسجل كتبه حاكم ترنجالو الى سكان مملكته ، يأمرهم فيه باعتناق الاسلام ويحدد فيه بعض الأحكام الاسلامية وهذه اللوحة مكتوبة بالحروف العربية ، ولكن باللغة المالوية ، وهى مؤرخة بعام ٧٠٢ هـ (٣) .

---

(١) أحمد عطية الله : القاموس الاسلامى جـ ١ ص ٣٠٦ .
(٢) زعبا : اختصار تاريخ الملايو ص ٤٤ و ٤٥ .
(٣) محمد زين : تاريخ الملايو ص ٢٤ .

تكوين الممالك الاسلامية بالملايو واندونيسيا

ذكرنا فيما سبق ان الاسلام باندونيسيا والملايو اتخذ فى مجال انتشاره عدة مراحل ، فقد بدأ بوجود أفراد مسلمين من العرب ، أو من أهل الجزر أنفسهم الذين اعتنقوا الاسلام على يد الوافدين العرب أو اعتنقوه فى رحلاتهم الى البلاد العربية وعادوا به الى جزرهم •

وبجهود هؤلاء خطا انتشار الاسلام خطوة أخرى فوُجِدَتْ فى هذه الجزر بيوت" اسلامية وأسر إسلامية تكونت عن طريق زواج المسلمين العرب من اندونيسيات أو عن طريق اعتناق الاسر الاندونيسية أو الملايوية للدين الذى اعتنقه فرد منها عائد من بلاد العرب ، وبمرور الزمن كثرت الأسر الاسلامية وانتشرت ، وأصبحت منارات هدى ، وبخاصة على السواحل التى كانت تزخر بحركة بحرية واسعة •

وخطا انتشار الاسلام خطوة ثالثة عندما تولى الدعوة له رجال متخصصون أحضرهم التجار سالفو الذكر أو بعث بهم بعض الحكام العرب ، أو كانوا ذوى أصول ملايوية أو اندونيسية تعلموا الاسلام من الوافدين أو رحلوا لتعلمه للخارج وعادوا على معرفة به ، وعن طريق هؤلاء الدعاة تكونت مراكز اسلامية واسعة المدى قوية التأثير فى مختلف النواحى بالبلاد ، واتصلت هذه المراكز بالملوك والزعماء ، فنالت قوة سياسية بالاضافة الى قوتها الروحية ، وكانت امبراطورية ماجابيت وتقاليدها غريبة عن السكان بالملايو واندونيسيا فسقطت بظروف متعددة أشرنا لها ، كان منها زحف الاسلام وارتفاع كلمة التوحيد •

وتجىء المرحلة الرابعة المهمة ، وفى هذه المرحلة تكونت الممالك الاسلامية فى هذه الجزر ، فكان بعضها واسع المدى خطير الشأن ، وكان بعضها محليا وفى مناطق صغيرة ، ولكن لسوء حظ هذه الممالك أنها صادفت فى مطلع حياتها دخول الزحف الأوربى الغاشم الذى جاء ليدمر كل شىء ،

يدمر الروح المعنوية والاتجاهات الاقتصادية ، والقوى السياسية ، فبذلت هذه الممالك أقصى ما فى وسعها للصراع ضده ، وأصبح الاسلام يمثل القومية والوطنية ضد الزحف الأوربى الذى جاء يمثل النهب والسلب وينشر المسيحية فقامت باندونيسيا والملايو حروب تعد جزءا من الحروب الصليبية التى عرفها الشرق عدة مرات وفى عدة ميادين بسبب الزحف الغربى الغاشم •

وأهم هذه الممالك ما يلى :

ـ مملكة ملقا	١٤٠٠ ـ ١٥١١ م
ـ مملكة آتشه	١٥١٤ ـ ١٩٠٤ م
ـ مملكة ديماك	١٥١٢ ـ ١٥٥٢
ـ مملكة بنتان	١٥٥٢ ـ ١٦٨٤
ـ مملكة غووا (مكسر)	١٦٦٧
ـ ممالك شبه جزيرة الملايو عقب سقوط ملقا	

وسنعطى فيما يلى فكرة عن الممالك الإسلامية ، ثم ننتقل الى الحديث عن الزحف الغربى والصراع ضده ، الى أن نصل الى العصر الحديث فى الملايو واندونيسيا •

ملقـا Malaka

١٤٠٠ — ١٥١١ م

ملقـا مدينة ساحلية بناها نبيل اسمه « باراميسور » وكان أحد نبلاء إمبراطورية « ماجابيت » وقد اهتم هـذا الأمـير بتلك المدينة فأصبحت ميناء تجاريا مهما ، وازدهرت ازدهارا كبيرا يوما بعد يوم ، حتى صارت أهم مركز تجارى فى المنطقة •

ولم يكن هذا الأمير مسلماً ، لأنه كما قلنا كان أحد نبلاء الامبراطورية الهندوكية « ماجابيت (١) » ولكن الإسلام انتشر حـول ملقا وبخاصـة فى الميناء البحرى « فاسـاى » فأصبحت فاسـاى نقطـة ارتكاز مهمة للإسلام فى الساحل الشمالى الشرقى بسومطرة ، وربما كانت أقدم نقطة ارتكاز إسلامى فى إندونيسيا (٢) •

ولما مات أمير ملقا الهندوسى خلفه ابنه اسكندر شاه ، وقد أراد هذا أن يتزوج أميرة مسلمة من فاساى ، ولكن الأميرة رفضت بطبيعة الحـال أن تتزوج رجلا غير مسلم ، وكذلك رفض أهلها ، فاتجه اسكندر شـاه للتعرف على الإسلام ودراسته ، وسرعان ما أعلن اعتناق الإسـلام ، وتبعه قومه أو أكثرهم •

ومما يذكر مرتبطا بهذا الحدث ما يذكره Harrison (١) من أن التزاوج بين أفراد الأسرات المالكة أو بين الزعماء وأسرات التجـار كان من أهم الأسباب لذيوع الاسلام وانتشـاره فى هذه المناطق •

ولنعدْ إلى السلطان اسكندر شاه لنقرر أنه أصبح شـديد العناية بالإسـلام ، ودعا رعاياه لاعتناق الإسلام أيضاً فاستجابوا له ومنذ ذلك

---

(1) Winsted : A, History of Malaya p. 45.
(2) B. Harrison : South East Asia p. 77.
(1) South East Asia p. 78.

الحين أصبحت دولة ملقا مركزاً للدعـوة الإسلامية ، بجانب كونها مركزاً تجارياً حافلا ، وقد مات السلطان اسكندر شاه سنة ١٤٢٤ بعد أن تمكن الإسلام فى ملقا .

وبسبب نشاط الدعوة الإسلامية فى ملقا والنشاط التجـارى بهـا توسعت رقعتها ، وضمت ولايات كثيرة تحيط بها فى شبه جزيرة الملايو ، ومن هذه الولايات كده Kedah وترينجانو Trengano وباهانج Pahang ، وجامبيى Jambi ، وبنتانج Bintang وغيرها ،

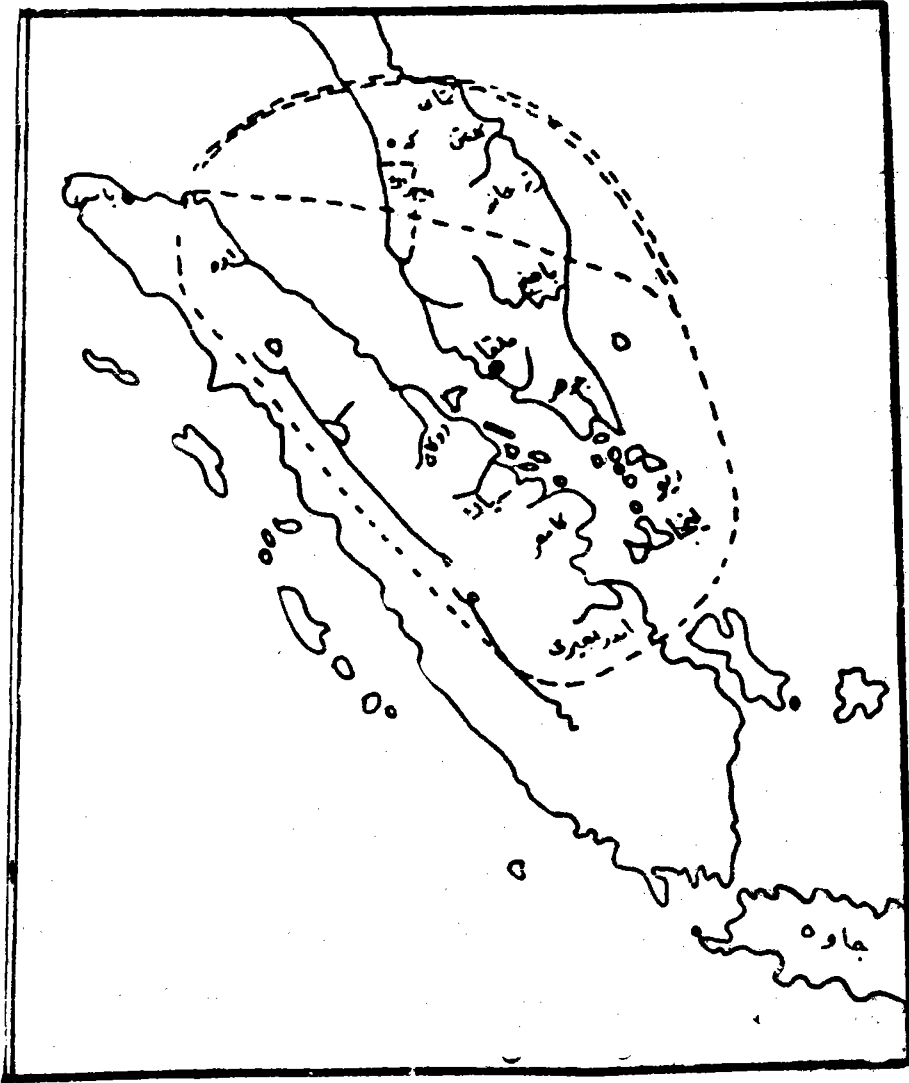
وامتدت علاقة دولة ملقا إلى سومطرة ، بسبب حاجة ملقا إلى المواد الغذائية التى لم تكن متوافرة بها ، واستلزمت هذه العلاقة الاقتصادية إرسال بعض العلماء لنشر الدين الإسلامى فى المناطق التى ذهبت لهـا الوفود التجارية وتمكنت العـلاقة بين ملقا وبين سـومطرة تجـارياً وإسلامياً واستطاعت ملقا أن تضم لها هذه المناطق من سومطرة ، وبهذا أصبحت مملكة ملقـا امبراطورية واسعة الأرجاء تضـم شـبه جزيرة الملايو كلها ، كما تضم جزءاً كبيراً من سومطرة .

ومما ساعد دولة ملقا أن امبراطورية ماجابيت كانت تتجه للأفول ، وكانت هناك ممالك متعددة تقوم على أنقاض هذه الامبراطورية ، وكانت ملقا أولى هذه الممالك وأهمها لتسلطها على المضيق الذى كان ممراً أساسيا للتجارة والفكر بين الغرب والشرق أى بين الدول العربية والصين .

وقد حظيت ملقـا المدينة السـاحلية بإعجاب الكتّاب البرتغاليين ، وكانوا يصفونها أجمل وصف ، ومن هؤلاء Tome Pires **الذى يقول : ملقا مدينة عظيمة الأهمية ، واسعة الثراء ، لدرجة أنه يبدو أنه لا نظـير لها فى العالم . ويقول عنها** Duarte Barbosa **: إن ملقا أغنى ميناء بحـرى فى العالم ، ويؤمها كبـار التجـار وأعظم السـفن مما لا ينافسها ميناء غيرها فى العالم كله (١) .**

---

(١) Quated by Zainul Abidin bin Abdul Wahid : Glimpses of the Malacean Impire p. 18.



دولة ملقا فى أقصى اتساعها

وملوك مملكة ملقا المسلمون هم :

اسكندر شـــاه	١٤٠٠ — ١٤٢٤ م
محمد شاه (مهاراجا)	١٤٢٤ — ١٤٤٤ م
راجا ابراهيم	١٤٤٤ — ١٤٤٦ م
راجا قاسم	١٤٤٦ — ١٤٥٦ م
السلطان مظفر شاه	١٤٥٦ — ١٤٥٩ م
السلطان منصور شاه	١٤٥٩ — ١٤٧٧ م
السلطان علاء الدين رعاية شاه	١٤٧٧ — ١٤٨٨ م
السلطان محمود شـــاه	١٤٨٨ — ١٥١١ م (١)

ويقول Harrison (٢) وباعتـــلاء مظفر شـــاه للعرش أصبحت ملقا رأس حربة لتقـــدم الإســـلام وراءها تقدماً أمكن الوصـــول إليه بالمقدرة التجارية المتزايدة ، ووطدت ملقا اتجاهاتها الإسلامية بالمصاهرات الملكية الحميمة ، ولقد اتخذ مظفر شاه لقب سلطان ، وضرب صفحاً عن لقب « راجا » الهنـــدى الذى استعمله بعض ملوك ملقا قبله ، واستفاد هذا السلطان والذين جاءوا بعده بما كان لزواج أميرات ملقا من أهميـــة لنشر الإسلام صوب الشمال إلى حكام باهانج وكـــده ، وصوب الجنوب إلى حكام موانى سومطرة النهرية ، وأهمها كامبار وجامبى .

وبجانب أعمال الدعوة للإسلام التى كان يقـــوم بهـــا البيت المالك فإن ملقا بمكانتها التجارية حملت الاسلام للخـــارج ونشرته فى جـــزر آسيا الجنوبية الشرقية ، وكانت تعضّد العقيدة الإسلامية بما لهـــا من مكانة مرموقة فى موانى ساحل جاوة الشمالى ، ومنه امتدت بعيدا ناحيـــة الشرق حتى جزر الملوك .

(١) فى المراجع التى بين ايدينا يكثر ان يوجد خلافا حول أسماء الملوك والسلاطين والقابهم ، وكذلك حول تواريخ حكمهم ، وقد حاولنا ان نقترب من الصـــواب بقـــدر الامكان .

(٢) South East Asia pp. 85-86.

وكان تطور الحــال تجاريا وإســلاميا فى ملقــا من الأسباب التى وضعت حدا لنفوذ امبراطورية ماجابيت ودفعتها للزوال •

ويضيف Harrison أن ميناء ملقا كان يدار على أحسن وجه ، وكان للميناء قوانين ونظم فى غاية الدقة لدرجة أن الغربيين الذين زاروها فى السنوات الأولى من القرن السادس عشر قد أبدوا إعجابهم بهــا ، وينقل فى ذلك قول « بيرز » ونصه : لا يســتطيع النــاس أن يقدروا قيمة ملقــا المستمدة من عظمتها وثرائها ، إنها مدينــة خلقت للتجارة ، وهى أصلح من أية مدينة أخرى فى العالم • (١)

ويقول Datus Smith (٢) لم تأت نهاية القــرن الرابع عشر حتى كانت مملكة ملقا قوية شــامخة على شــاطىء المضيق المسمى باسمها ، وكانت مؤمنة بالعقيدة الإسلامية كل الإيمان ، وانتشرت هــذه العقيدة بسرعة مدهشــة إلى كثير من الجــزر فى القرن الخامس عشر ومنذ ذلك الوقت صار الإســلام دين الغالبية العظمى لأهل تلك الجزر •

لمحــات عن النظم بدولة ملقــا

عُنِى السلطان محمد شاه بتنظيم البلاط ، وإعداد المراسم الخاصة بالحياة الملكية ، واقتبس ما كان شائعاً آنذاك فى البــلاد الإسلامية من ألقاب ونظم ، ومن هنا زحف لقب شاه إلى سلاطين المملكة •

وكان قصر السلطان يتوسط دائرة العاصمة ، ويحيط بهــذا القصر قصور كبار الحاشية والحرس ، ومع أنه لم يكن للسلطان مجلس شورى فقد كان له موظفون كبار يستشيرهم فى مشكلات المجتمع (٣) •

---

(١) Ibid p. 95.

(٢) The Land and Peaple of Indonesia p. 56.

(٣) Glimpses of Malaysian History p. 19.

مكانة الدعاة فى بلاط ملقـا :

وقد وفد إلى دولة ملقا كثير من الدعاة المسلمين من البلاد العربية ، وكانوا ينعمون بمكانة خاصـة فى الإمبراطورية ، ومما يدل على ذلك أن أحد معلمى السلطان محمود رفض أن يُلقى درسـه على السـلطان لأن السلطان جاء إلى بيته راكبا أحد الفيلة ، وصرخ المعلم قائلاً : إن طالب العلم ينبغى أن يجىء للمعلم راجـلاً ، وكان هنـاك اتصـال وثيق بين الأساتذة المسلمين فى امبراطورية ملقـا ، وبين زملائهم فى جـزر كثيرة بجزر جنوب شرقى آسيا ، وكان يدور نقاش وتفاهم حـول القضـايا الإسلامية بالمنطقة (١) .

والدعوة إلى الإسلام التى اتخذت مركزها مدينة ملقا تشعبت إلى مناطق مختلفة بالإمبراطورية ، بل تعدت الإمبراطورية إلى جزر الفيلبين ، وإلى جزر أخرى بالمنطقة (٢) .

وقد تعرضت مملكة ملقا إلى هجـوم من دولة سـيام ولكن هـذا الهجوم رُدّ على أعقابه ، فقد كان جيش ملقا قادراً على حماية البلاد .

وقد كان وجود دولة ملقا من أسباب سقوط امبراطورية ماجابيت لأن ملقا سيطرت على المضيق الرئيسى للتجارة بين الشرق والغرب فبدأت الإمبراطورية نحو الأفول اقتصادياً وسياسياً كما أن الإندونيسيين انفضوا من حول الإمبراطورية الهندوكية التى رأوا أنهـا لم تعـد تمثلهم كما ذكـرنا من قبـل .

وعرفت دولة ملقا رئيس وزراء كان حاذقاً قوياً هو « تون بيراق » Tun Perak وكان هذا الرجل شديد الفطنة ، وظـل رئيساً للوزراء تحت حكم أربعة سلاطين ، ونالت ملقا خلال هذه المدة نهضة عظيمة (٣)

(١) Ibid p. 22.

(٢) Ibid p. 25.

(٣) وان شمس الدين : تاريخ الملايو وما حولها ص ١٧ .

كمـا كان من نتائج جهـوده أن زادت الدولة اتساعاً ، ويعتبر عهـده عهـداً ذهبيـاً •

وقد أتاح هذا العصر الذهبى الفرصة لتوسع إسلامى هائل فى جنوب شرقى آسيا ، كما كان فرصة لاقتباس كثير من التشريعات الإسلامية التى سرعان ما كوّنت القانون الرئيسى لامبراطورية ملقا فى جميع الاتجاهات القـانونية (١) •

وبعد وفاة تون بيراق تولى شقيقه تون بوتيه رئاسة الوزراء وواصل هذا نظام أخيـه ، فاستمرت الدولة فى الاتساع والنفوذ •

اللغة الملايوية تنمو فى ملقـا :

وفى دولة • ملقـا نمت لغـة الملايو التى أصبحت فيمـا بعد لغـة الملايو واندونيسيا ذلك لأن ملقا كانت مملكة تجارية يَفِدُ النـاس لها من مختلف الجزر ومن مختلف الأقطار فوُجِدَت بها هذه اللغة التى اعتبرت « لينجوا فرانكا » Lingua Franka أى لغة المجتمع المتشعب الأصول •

البرتغال تقضى على ملقـا :

بعد أن كشف فاسكودى جاما طريق رأس الرجاء الصالح فى نهـاية القرن الخامس عشر ، بدأ الصراع التجارى بين السفن الغربية والسفن الشرقية ، وفى سنة ١٥٠٩ تغلبت البرتغال على السفن العربية والهندية فى معركة « ديو » ثم زار الأسطول البرتغالى سـنة ١٥٠٩ مدينة ملقـا بحجة التجارة معهـا ، واهتم المسلمون بتبصير قادة ملقـا إلى خطـر الاتصال بالبرتغاليين واتضح أن الزيارة التى قام بها الأسطول البرتغالى إلى ملقا ، لم تكن بهدف التجارة ، وإنما بهدف التعرف على قوى ملقـا تمهيداً لمهاجمتها ، وتحرّشَ كل فريق بالآخـر ، ووقـع بعض الأسرى

---

(١) Abdaul Majid Muhamed : Legal Organization in Malaya p. 14.

البرتغاليين فى أيدى سكان ملقـا ، ولعب بعض الأسرى دوراً خطـيرا ، إذ أرسلوا إلى القيادة البرتغالية وصفاً لقوة جيش ملقـا ، وأكدوا أنه جيش ضعيف ويمكن الانتصار عليه بسهولة ، وتطورت الأمور ، فكشفت البرتغال عن حقيقتها ، ودخلت السـفن البرتغالية الحربية ميناء ملقـا

وبدأت معارك انتهت بسـقوط الدولة المسلمة ، وسيطرت البرتغال عليها فى أغسطس سنة ١٥١١ م ، وفُتح الباب لصراع طويل بين الشرق والغـرب فى هذه اللبقاع . (١)

قسـوة صليبية فى ملقـا :

وقد دافع المسلمون عن ملقا بحرارة وحماسة ، ضد نيران المعتدى ، وأبلوا بلاءً حسناً فى الدفاع الذىظل ردحا طويلاً ، ولـكن الأسـلحة الحديثة ومؤامرات الكفار الدخلاء من هندوكيين وأضرابهم أدت فى النهاية إلى هزيمـة الملايويين وفتح المدينة عنـوة ، ثم سـمح اللبرتغاليون لمن سـاعدوهم من أهـل الـكفر أن يخـرجو ببضـائعهم وبثرواتهـم فى أمن وسـلام ، ولما لم يبق بالمدينة إلا أهلها من بنى الإسلام صـدرت الأوامرُ بإطلاق النار على جميع من فى الشوارع دون استثناء للأطفال والنساء ، وأذن للمعتدين بسلب المدينة ونهبها ، وحلّت بالمسلمين نكبات وويلات يعجز القلم عن وصفها ، ثم صـدرت الأوامر بهـدم المسـاجد ونبش قبور السلاطين لتبنى من أنقاضها كنائس الفاتحين وقلاعهم ، فكانت حملة صليبية قاسية .

وعقب ذلك بدأ إكراه الناس على الدخول فى المسيحية ، وإبادة من لا يستجيب لدعـوة المستعمر (٢) .

ولم تنفق البرتغال أية نفقـة لإصـلاح المدينة أو تحسين الحيـاة فيها ، فالغرب المستعمر كان يأخذ ولا يعطى (٣) .

---

(١) Glimpses of Malaysian History p. 37.

(٢) دكتور محمد عبد الرؤوف : الملايو وصف وانطباعات ص ٨٥ .

(٣) Harrison : South East Asia p. 124.

ويهمنا أن نقول إن سقوط دولة ملقا الإسلامية على يد دولة غربية مسيحية أثار الذعر فى نفوس الملايويين والاندونيسيين جميعاً ، فتكوّنت عدة ممالك اسلامية لتصارع الاستعمار الغربى ، وأصبح الإسلام كما قلنا من قبل قوة قومية يلتفّ حولها المواطنون ليدفعوا عن بلادهم ذلك الاستعمار الغاشم ، وهكذا كان سقوط ملقا على يد البرتغاليين دافعاً لسكان الملايو وجزر اندونيسيا على الدخول فى الإسلام لتكوين قوة إسلاميه تواجه الزحف المسيحى ، ودافعاً كذلك لتكوين ممالك تضم هذه القوى وتنظمها أمام العدو الأوربى .

المملكة الهندوكية تتعاون مع الاستعمار الغربي :

ومما ألزم المسلمين بحمل أعباء الصراع ضد الغرب أن مملكة باجاجاران الهندية التى قامت فى جاوة الغربية بمنطقة « السندا » قد تعاونت مع البرتغاليين مما ألقى عبء الدفاع عن البلاد على المسلمين ، وجعلهم لا يَدّعون مستقبل بلادهم فى أيدى الهنادكة ، واضطر المسلمون إلى محاربة مملكة باجاجاران الهندية وهم يحاربون أعداء البلاد ، وقد تغلب عليها السلطان حسن الدين سلطان متارم سنة ١٥٧٩ .

وسنتحدث فيما يلى عن أهم الدول الإسلامية التى كان من أقدس ما اهتمت به أن تحارب الغزاة أعداء الإسلام وأعداء الوطن .

Glimpses of Malaysiau History p. 27. (١)

مملكة آتشة (١٥١٤ ــ ١٩٠٤)

تقع منطقة آتشة فى شمالى سومطرة ، وإذا كانت مملكة آتشـــة قد بدأت سنة ١٥١٤ فليس معنى هذا أن الإسلام كان قد ظهــر حديثاً فى منطقة آتشة كمــا يظن البعض ، فتتبُّعُ الحــركة الإســلامية فى تلك المناطق يوضح أن الإسلام ظهر وانتشر فيها قبل ذلك بعدة قرون ، وقد زار ابن بطوطة المتوفى سنة ١٣٧٨ م منطقة آتشة ، وأعجب بها وبالنشاط الإسلامى فيهــا ، وأثنى على ما لقى من ترحيب من علماء هذه المنطقــة وســلاطينها .

وهو يقول إنه التَقى بالسلطان وهو من فضلاء الملوك وكرمائهم وكان شافعى المذهب ، محبــاً للفقهــاء ، ولذلك كان يدعوهم كثيراً الى مجلسه للقراءة والمذاكرة ، وهو كثير الجهاد والغزو ، ومتواضع يأتى إلى صــلاة الجمعة ماشياً على قدميه ، وأهل بلاده شافعية يحبون الجهــاد مثل سلطانهم ، ويخرجون معه تطوعاً ، وكان للســلطان لباسان ، لباس الفقهاء عندما يجلس معهم ، ويذاكرهم أو يفــد إلى المسجد للصــلاة ، ولباس الملوك وهو لباس كثير الزركشة واضح الفخامة (١) .

ويقول الباحثون إن مملكة آتشـــة الشهيرة التى بدأت سنة ١٥١٤ هى المملكة الإسلامية الثانية فى آتشة ، فقــد سبقتها فى آتشـــة مملكة إسلامية أخرى تســمى مملكة « فاســاى » Pasai أوبسى (٢) وهى التى تــزوج ملك إحــدى أميراتهــا ، وقــد تحــدثنا عــن ذلك عند الحديث عن ملقا ، ولكن يبدو أن هذه الدولة كانت قليلة الحظ فى كتابة المؤرخين ، إذ اتجهت عنايتهم إلى مملكة آتشة الثانية التى نتكلم عنها الآن .

---

(١) تحفة النظار حـ ٢ ص ١٨٥ وما بعدها .

(٢) تحدثنا عنها عند حديثنا عن ملقا ووصفناها بأنها كانت ميناء بحريا مهما ، ولكن بعض الباحثين يعدها فى صفوف الممالك .

ولا يُعرف على وجه الدقة تاريخ نشأة هذه الدولة ، وكل ما يذكره التاريخ أنها نشأت عقب سقوط ملقا ، وأن تطورها جاء سريعاً عقب نشأتها ، وأن اهتمامها اتجه لجانبين مهمين هما نشر الإسلام ومصارعة الغرب المحتل ، وهما هدفان التقيا حول هدف واحد فقد أصبح فهم الإسلام يشمل حماية الوطن من أعدائه ، إذ لا ينمو الفكر الإسلامى فى جو القهر الغربى ، والاهتمام بنشر المسيحية الغربية .

وأول سلاطين آتشة المشهورين سلطان على موغايث شاه ويقول الباحثون من أهل آتشه إن موغايث مأخوذة من كلمة مغيث بمعنى مُعين ، فالسلطان نذر نفسه ليعين الإسلام ويُعيد مجده .

وفى عهد هذا السلطان اقتحم البرتغاليون منطقة آتشه بشمال سومطرة ، ولكن السلطان استطاع أن يواجههم بحزم .

وتوالى السلاطين من نسل هذا السلطان كالآتى :

على المغيث شاه	١٥١٤ — ١٥٢٨
صلاح الدين بن على	١٥٢٨ — ١٥٣٧
علاء الدين رعاية شاه	١٥٣٧ — ١٥٦٨
على رعاية شاه	١٥٦٨ — ١٥٧٥
سرى عالم	١٥٧٥ — ١٥٧٦
سلطان منصور شاه بن أحمد	١٥٧٧ — ١٥٨٦
على رعاية شاه الثانى	١٥٨٦ — ١٥٨٨
علاء الدين رعاية شاه	١٥٨٨ — ١٦٠٤
سلطان مودا	١٦٠٤ — ١٦٠٧
سلطان اسكندر مودا	١٦٠٧ — ١٦٣٧

وبعد وفاة اسكندر مودا مَلَك زوج ابنته ولُقب سلطان اسكندر الثانى علاء الدين حتى سنة ١٦٤١ .

وبعد وفاة هذا السلطان تولت زوجته السلطة ، واسمها سلطانة

تاج العالم صفية الدين شاه من ١٦٤١ إلى ١٦٧٥ ، وبعدها تولّت السلطانة عناية شاه زكية الدين ١٦٧٥ — ١٦٨٨ م ، ثم سلطانة كماله شاه ١٦٨٨ — ١٦٩٩ م ،

وخلال حكم سلطانة كمالة شاه تغيّر مجتمع آتشه تغيراً عظيماً كما يقول مؤرخو هذه المنطقة ، فقد دخل هذه المنطقة عدد كبير من العرب تجاراً ومعلمين وكان الواحد منهم يُلقب « السيد » ، وتزوج كثير منهم فتيات من آتشه ، وتزوج بعضهم بنات السلاطين ، وكان ابن السيد من بنت السلطان يُلقّب (شريف) .

وبعد وفاة سلطانة كماله شاه ساد فى آتشه سلاطين من نسل العرب الذين يلقب الواحد منهم « شريف » ومن هؤلاء .

سلطان بدر العالم شريف هاشم وهو زوج بنت كماله شاه	١٦٩٩ — ١٧٠٢
سلطان فركاسا عالم شريف	١٧٠٢ — ١٧٠٣
السلطان بدر العالم جمال بن شريف هاشم	١٧٠٣ — ١٧٢٦

ثم تحولت السلطة مرة أخرى إلى أبناء السلاطين الذين لا ينحدرون من أصل عربى حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

الصراع بين هولندا وآتشه :

كانت السيادة الأوربية على اندونيسيا قد آلت إلى هولندا ، وعلى هذا ظهر صراع مرير بين هولندا وآتشه ، ووقفت آتشة موقفاً صلباً تدافع عن نفسها ، وقام العلماء المسلمون بدور هائل فى قيادة الجماهير للدفاع عن أنفسهم ، ومن هنا لم يكن سهلاً على هولندا أن تحقق نصراً سريعاً على آتشة التى ظلّت تكافح حتى مطلع القرن العشرين ، وأخذت هولندا عقب ذلك تُدرّب أبناء السلاطين على الحياة الغربية وتربيهم

فى بلادها حتى إذا ما عادوا كان سلوكهم غريبًا ، وكان صراعهم ضد هولندا فاترا ، ولكن هذه السياسة لم تأت بطائل ، فقد انضمت آتشه إلى ركب المجاهدين حتى تحقق لإندونيسيا النصر ، ومن الواضح أن صراع مملكة آتشة كان طويلاً ، وأنها قاومت مقاومة عنيدة ظلت حتى مطلع القرن العشرين كما ذكرنا من قبل .

أزهى عصور آتشة :

يمثل عصر اسكندر مودا أزهى عصور مملكة آتشة ، وقد دام سلطانه من سنة ١٦٠٧ إلى ١٦٣٧ ، وقد استطاع اسكندر مودا أن يستولى على أكثر جزيرة « آندلاس » ، كما استولى على « باريامن » فى الساحل الغربى ، و « إندرابورا » فى الساحل الشرقى ، وقد حقق كثيراً من النجاح فى نشر الإسلام بسومطرة كلها تقريباً .

ومن أهم المناطق التى استولى عليها مملكة « جوهور » التى كان قد كوّنها ملك ملقا عقب انتصار البرتغاليين عليه ، وتوالى على حكمها أولاده وأحفاده من بعده ، وقد استطاع اسكندر مودا بذلك أن يحقق ألواناً من النصر ضد البرتغاليين (١) .

من علماء آتشة :

وقد أنجبت آتشة مجموعة هائلة من العلماء المسلمين الذين قاموا بدور كبير فى شرح الإسلام وتقديمه لسكان المنطقة ، وقد ألّف بعضهم مجموعة من الكتب كانت مراجع عظيمة للباحثين والدارسين ومنهم الشيخ عبد الرءوف الذى ترجم تفسير البيضاوى إلى لغة الملايو ، وكانت بلدته تسمى مكة الثانية ، وعقب وفاته كان الناس يذهبون لهذه البلدة لزيارة ضريحه وللجلوس إلى العلماء الذين كانوا يعلمون بها .

---

(١) اندونيسيا الثائرة : ص ٥٨ .

ومن علماء آتشة المشهورين الشيخ حمزة وهو من علمــاء الصوفية ، والشيخ إبرهيم الشـــامى وهو من العلماء الشـــعراء ، ومنهــم الشــيخ نور الدين بن على بن صنهاجي ، وكان لا يميل للصوفية ولا للمتصوفين ، وهو مؤلف كتاب تاج السلاطين ويشمل تاريخ سلاطين آتشــة والملايو ، ونصائح إلى السلاطين ، وهو الذى ألف أيضاً كتاب « ألف مسأله » وفيه أحكام شريعة الإسلام فى مختلف الشئون ، ليكون دستوراً للمملكة .

وقد ذكرنا من قبل أن سلاطين آتشة اتخذوا لقب ســلطان ولقب شــاه وذلك تأثراً بالحكام المسلمين ولم يظهر فى ألقابهم تلك الألقــاب التى كانت تستعمل فى إمبراطوريتى سرى وجايا وماجابيت ، فألقــاب الملوك فى هاتين الامبراطورتينين كانت ألقاباً تضع الملك فى مكان الإله ، وتراه ظل الله على الأرض وهو ما يعارضه التفكير الإسلامى .

ولا تزال منطقة آتشة حتى اليوم مركزاً مهماً للفكر الإسلامى ، وبها مجموعة كبيرة من العلماء والباحثين المسلمين ، وطلابها يملؤهم الحماس والحرص على خدمة الإسلام وإجادة علومه والتمسك بحضارته .



مسجد شامخ من مساجد آتشه يُعَدّ داراً للعبادة ومركزا فكريا

أسباب تأخر آتشة :

تأخرت آتشة للأسباب التالية :

أولا — كثرة الحروب التى قام بها اسكندر مودا وصهره اسكندر ثانى مما سبب أزمات اقتصادية للبلاد ٠

ثانيا — انتقال السلطان إلى الملكات كما أشرنا من قبل مدة ستين سنة تقريباً (١٦٤١ — ١٧٠٠) ولم يكن فى استطاعة الملكات أن يقدن البلاد كما قادها الرجال ٠

ثالثا — فى عصر الملكات بوجه خاص علا قدر طبقة الأكابر والأعيان ، وكثيراً ما حدث صراع بين أفراد هذه الطبقة ٠

رابعا — لم تستطع النظم بدولة آتشة أن تخلق مزجاً حقيقياً بين أجزاء المملكة ، وظلت أكثر هذه الأجزاء تتمتع بسلطات محلية وكان خضوعها للسلطان أحيانا خضوعاً نظرياً ٠

صمود آتشة ووسائل الغرب للتغلب عليها :

لقد عانى الغرب أشد المعاناه وهو يواجه آتشة ، فقد واجه فيها أبطالاً حملوا راية البلاد بعزم وصبر وكفاءة ممتازة ، وقد أحس الغرب أن انتصاره على هذه القوة بالوسائل العسكرية عسير ، ومن هنا لجأ إلى وسائل أخرى ساعدته فى تحقيق النصر ، وقد أشرنا إلى هذه السائل من قبل وهى توسيع الهوة بين المتنافسين فى الداخل ، ونشر الفتن والدسائس التى تثير بعض الجماعات على الأخرى ، وبذلك فقط استطاعت هولندا أن تنتصر على آتشة بعد صرع استمر إحدى وثلاثين عاماً من سنة ١٨٧٣ إلى ١٩٠٤ (١) ٠

---

(١) عبد الله عباس ناستيوم : تاريخ الملايو العظمى ج ١ ص ١٠٥ ٠

مملكة ديماك : (جاوة) ١٥١٢ — ١٥٥٢

كانت دولة ديماك من الدول الإسلامية التى قامت على أنقاض امبراطورية ماجابيت ، وقُدّر لدولة ديماك أن تقود غزوة ضد بقايا تلك الامبراطورية ، وأن تحيلها قبيل نهاية القرن الخامس عشر إلى ولاية صغيرة تابعة لجاوة الشرقية (١) .

وعقب ذلك أسقط البرتغاليون دولة ملقا سنة ١٥١١ وأحست ديماك بمسئوليتها تجاه الصراع ضد أعداء الدين والوطن فتعاونت ديماك مع الدول الإسلامية الناشئة آنذاك فى ردّ الغزاة ، ولكن هذا التعاون لم يأت بثمرة ذات بال لعدم وجود اتحاد قوى بين الدول الاسلامية ، ووحدة بين صفوفها المجاهدة ، ثم لأن الدول الإسلامية كانت حديثة الظهور ولم يتح لها الاستقرار بعد .

ومن المعروف تاريخياً أنه بعد أن استولى البرتغاليون على مملكة ملقا تحوّل الطريق التجارى العرَبى إلى جنوب سومطرة متخذاً مضيق سندا بديلاً لمضيق ملقا ، وهذا نشّط انتشار الإسلام فى هذه المناطق .

ويذكر لديماك أنها حاولت تعويق البرتغاليين عن نشر سلطانهم بإندونيسيا عموما وبجاوه بوجه خاص ؛ ففيما يتعلق بإندونيسيا أنشأت ديماك صلات قوية مع آتشة وبالمبنج وجوهور وسولاويسى ... للوقوف فى وجه الاستعمار الغربى ، ولمقاطعة البرتغاليين تجاريا ، ولمصارعتهم عسكرياً ، كما بذلت ديماك جهوداً كبيرة لنشر الإسلام بجزر اندونيسيا المتعددة وبخاصة كاليمانتان وسولاويسى وجزر الملوك ، وجزر السوندا الصغرى وغيرها ، باعتبار الإسلام قوة تتجمع حولها البطولات للوقوف فى جه الاستعمار .

---

(١) بريان هاريسون : جنوب شرقى آسيا ص ٨٦ من الترجمة العربية .

وفيما يتعلق بجاوة أقامت ديماك اتحاداً مع ولاة جـاوة الشرقيـة (جريسيك وسورابايا) كما اتصـلت بسـاحل جاوة الغربية ، وضمت لها سونداكلابا وبنتان وشربون وغيرها بواسطة القائد العظيم « بلاتيهان »

ومملكة ديماك قصيرة العمر ، ولكن ملوكها كانوا من خيرة الأبطـال والمجاهدين ، وأولهم « رادين فتاح » الـذى استقلت الدولة فى عهـده وجاء بعده ابنـه « باتيـه يونس » وكان ذا مـراس وخبرة فتمكّن من توسيع مملكته ، ومن أعماله أنه وضع نهـاية لامبراطورية ماجابيت التى كانت بقاياها تتعاون آنذاك مع البرتغاليين ، ولما توفى باتيه يونس سـنة ١٥٣١ تولى أشهر مشـاهير هذه المملكة وهو (رادين ترينجانو) الـذى كان مشـهوراً بلقب (سونين غوننج جاتى) وقد استمر حكمه من سـنة ١٥٣١ إلى سنة ١٥٤٦ وكان يسـاعده قائده العظيم « بلاتيهان » سالف الذكر ، وكانت ثمرة عمله الخالدة دخول جاوة الغربية (بنتان وشربون) الإسلام (١) .

وبعد وفاة ترنجانو بدأت ديماك فى الاضمحلال فاستقلت بنتان عنها بقيادة السلطان حسن الدين بن القائد سالف الذكر بلاتيهان .

---

(١) اندونيسيا الثائرة ص ٦٥ .

مملكة بنتان (جاوة الغربية) ١٥٥٢ — ١٦٨٤

ذكرنا آنفاً أن مملكة بنتان استقلت عن مملكة ديماك عندما ضعفت هذه عقب وفاة ملكها العظيم ترينجانو ، وقد ازدهرت حالة مملكة بنتان خلال حكم حسن الدين أول ملك لها (١٥٥٢ — ١٥٧٠) وخلال حكم ابنه يوسف (١٥٧٠ — ١٥٨٠) ومن نتائج ازدهار هذه المملكة ما يلى :

أولا — زيادة انتشار الإسلام فى جاوة •

ثانيا — تزوج الملك حسن الدين من ابنة ملك (إندرابورا) بسومطرة فقويت الصلة بين جاوة وسومطرة فى مواجهة الغزو الغربى •

ثالثا — اهتم هذا الملك بجذب التجار المسلمين إلى مملكته مما جعلها بديلا لمدينة ملقا التجارية •

وحقق يوسف بن حسن الدين الأهداف التالية :

أولا — نظم الرى مما سبب نهضة زراعية بالمملكة بالإضافة الى مكانتها التجارية •

ثانيا — تغلب على المملكة الهندية باجاجاران التى كانت تتعاون مع الزحف الأوربى ، ونتيجة لهذا النصر زحف الإسلام الى مناطق السندا ودخل بريانن Pariangan •

وإذا قفزنا عدة سنوات فى تاريخ بنتان فاننا سنقابل ملكا من أعظم ملوكها هو سلطان اجونج ترتاياسا ، وقد وصل هذا السلطان بمملكته الى غاية المجد ، ولذلك ركز الهولنديون (الذين كانوا قد أخذوا السلطة من البرتغاليين سنة ١٦٤١) جهودهم الحربية ضد بنتان ، ولم يستطيعوا أن يهزموا هذا السلطان فى ميدان الحرب ، فأعملوا الحيلة لهزيمته فى ميدان الفتن ، فأوقعوا بينه وبين ابنه ، فقامت حروب داخلية انتهزتها هولندا لتساعد الابن ضد أبيه ، فلما تحقق النصر للابن أملت عليه هولندا شروطها ، وكان فى ذلك نهاية لمجد بنتان سنة ١٦٨٤ •

مملكة متــارم : ١٥٨٣ ــ ١٦٤٥ م

تحدثنا من قبل عن مملكة متارم الهندية وقد ظلت هذه المملكة على الوثنية حتى سنة ١٥٨٣ ، وفى هذا العام تولى أمرَها رجــل « مسـلم هو (سنوفاتى) ، واتجه هذا القائد إلى نشر الإسلام فى جاوة كلهــا ، كما اتجه إلى أن يكوّن منها مملكة واحــدة ، بدل التمزق الذى تعانيــه والذى لا يمكنها من الانتصار على العدو الزاحف على البلاد ، وفى سبيل تحقيق هذين الهدفين أرســل الدعاة إلى المناطق المختلفة ، كمــا أرسل الجيوش التى تقاوم اتجاه الوحدة التى كان يرمى إليــه ، ومن أجـل الحروب الكثيرة التى خاضها هذا القائد عُرِف عصره بعصر الحــروب والمعــارك .

ســلطان آجونج :

وأعظم ملوك متارم هو حفيد سنوفاتى مؤسس المملكة ، وقد لُقّب هذا الحفيد « سلطان آجونج » أى الســلطان العظيم وكان هــدف هذا السلطان أن يجعل متارم الإســلامية وريثة لامبراطورية ماجابيت ، ومن هنا حارب كل الذين وقفوا فى طريقه ، فتغلب على الســاحل الشــمالى لجاوة وحارب « سورابايا » وحقق عليهــا نصراً ســنة ١٦٢٢ ــ ١٦٢٥ وتغلب على « مادورا » .

ولما كثرت البلاد التابعة له جعــل وسيلته أن يجمــع فى عاصمته السلاطين والعظماء القــدماء ، وأن يرتبط بهــم برباط المصــاهرة حتى لا يثوروا ضده ، ولكن الهولنديين تصدوا له ولم يجعلوه يكمل النصر الذى بدأه ، وتوفى سلطان آجونج سنة ١٦٤٥ .

ومن أعظم أعمال سلطان آجونج فى ميدان الثقافة أنه نشر الإسلام فى جاوة الوسطى ، وجعل جذوره تتمكن فى هذه المناطق ، ولما تمّ له ذاك طمع فى أن يعترف له شريف مكة بلقب السلطان ، فقــد كانت مكة تمثّل

عندهم العاصمة الإسلامية ، وكان يحكمها آنذاك والٍ من قبل العثمانيين ، وإن كان نفـوذ مصر لم ينقطـع عن الحجاز منـذ عهـد الطولونيين (٨٦٨ — ٩٠٤ م) فقد كان ولاة مصر يحكمون مصر والحجاز جميعا حتى عهد محمد على الكبير فى القرن التاسع عشر .

كما اهتم سلطان آجـونج بتنقية الفكر الإسـلامى من العنـاصر الهندوكية التى تسربت إليه خلال اللقـاء بين الفكرين ، واتجـه سلطان آجـونج كذلك إلى استعمال التاريخ الهجـرى وإلى العنـاية بالآداب عناية كبيرة .

وقد ضيقت العناصر الأوربية الزمام على الدولة الإسلامية العظيمة وحاربتها اقتصاديا ، ولكنها لم تستطع أن تنال من قوة الإنسان فيها .

ولما مات سلطان آجونج عاد الأمراء الذين كانوا قد احتجزهم ببلاطه إلى ممالكهم فقامت صراعات بين بعضهم والبعض الآخر ، وتدخلت هولندا فى هذا الصراع تدعم هذا الجانب أو ذاك حتى ضعفت كل القوى وتمكنت هولندا فى النهـاية من النصر .

مملكة غووا (مكسّر) سنة ١٦٦٧ م

إن الصراع ضد الزحف الأوربى اشتركت فيه كل الجزر الإندونيسية ، وكان لجزيرة « سلاويسى » نصيب محمود ، فقد قامت فيها مملكة « غووا » التى أسهمت بنصيب كبير فى هذا الصراع ، فعقب سقوط ملقا فى يد البرتغاليين أصبحت « مكسّر » ميناء مهماً للتجار المسلمين ، فانتشر الإسلام إنتشاراً واسعاً فى جزيرة سيلاويسى وبدأت هذه الجزيرة تأخذ نصيبها فى الصراع ضد هولندا التى كما قلنا من قبل كان السلطان قد انتقل إليها من البرتغال سنة ١٦٤١ م .

ودارت منازعات وصراع ثم حروب بين مكسّر وهولندا مدة خمسين سنة تقريباً وكان يقود جيش مكسّر ملكها حسن الدين الذى حقق انتصارات كبيرة وضم إلى مملكته جزر الملوك وغيرها من الجزر .

ومرة أخرى لم يتم النصر لهولندا إلاّ بواسطة الفتن التى أثارتها بين سلطان مكسّر وبين سلاطين الممالك التى ضمها حسن الدين إلى سلطانه .

ويقول التاريخ الإندونيسى إن دولة مكسر البحرية الشجاعة المسلمة تمثل جزءاً مهما من تاريخ إندونيسيا الإسلامى ظل نابضا بالحياة على الرغم من الاستعمار حتى القرن التاسع عشر ، ثم تجددت به الحركات الاستقلالية فبدأ هذا الجزء من جديد فى عنفوانه وقوته وعظم آثاره .

ممالك شبه جزيرة الملايو :

عقب سقوط مملكة ملقا قامت فى شبه جزيرة الملايو ممالك كثيره مكان الولايات التى كانت تكوّن الجانب الملايوى فى مملكة ملقا ، وقد أسهمت هذه الممالك الجديدة إسهاماً واضحاً فى نشر الاسلام ومصارعة الاستعمار ، وكانت تتعاون مع بعضها البعض ، أو يتعاون بعضها مع بعض الممالك التى قامت فى سومطرة ، وكان لجهودها أثر كبير فى نشر الإسلام من جهة وإقلاق المستعمر من جهة أخرى ، ولكن — للأسف — استطاع الاستعمار أن يخدع بعض الممالك من شبه جزيرة الملايو كما فعل فى إندونيسيا لتتعاون معه ضد ممالك أخرى وكان ذلك بدافع الفتن والدسائس التى هى من وسائل الاستعمار لإثارة بعض الزعماء ضد البعض من حين إلى آخر ، ولكن الجانب الوطنى كان يتغلب على المواطنين هنا وهناك ليعودوا إلى حمل المسئولية فى مقاومة الزحف الأوربى الذى هو عدو الجميع .

وقد تحدثنا من قبل عن ممالك شبه جزيرة الملايو ، وسيرد فيما بعد مزيد من الحديث عن هذه الممالك .

الزحف الأوربى على الملايو وإندونيسيا

بدأ الزحف الأوربى على الملايو وإندونيسيا عقب نجاح فاسكودى جاما فى الالتفاف حول قارة إفريقية والوصول إلى الهند دون المرور بالأرض العربية والبحار العربية ، واستغل الغرب هذا الكشف الجغرافى للسيطرة على الدول فى هذه المنطقة ، وكان البرتغاليون أسبق هذه الدول الأوربية فى الزحف إلى تلك البقاع ، فقد أسقطوا دولة ملقا كما قلنا من قبل سنة ١٥١١ ، واحتلوا ساحل الملايو الجنوبى وجوانب من ساحل سومطرة الشمالى ، وقبيل ذلك كانت امبراطورية ماجابيت قد تداعت وسقطت مُؤْذنة بقيام بعض الدول الإسلامية على أنقاضها ، وقد واجهت هذه الدولُ الإسلامية فى مطلع حياتها موجةَ الصراع مع الغرب ، بل إن دولاً إسلامية قامت لهذا الغرض نفسه ، إذ أقامتها تجمعات المسلمين للدفاع عن الدين والوطن ، وقد سرنا مع هذه الدول الإسلامية مسيرتنا فيما سبق ، نبرز أهم المعالم فى حياتها ، وبخاصة أنها كانت امتداداً للدعوة للإسلام ، وأنها بذلت الكثير من الجهد لنشر الإسلام وخدَمْته لتقاوم به الزحف الصليبى

وجاء الدور الآن للحديث عن الزحف الأوربى على جنوب شرقى آسيا ذلك الزحف الذى ابتدأ بغزو البرتغال ، ثم اشتركت فيه بريطانيا وهولندا وفرنسا ، وانتهى الأمر فيما يتعلق بالملايو وإندونيسيا إلى سيطرة بريطانيا على الملايو وسيطرتْ هولندا على إندونيسيا حتى الحرب العالمية الثانية ... وسنعطى فيما يلى بعض التفصيل لهذا الإجمال .

البرتغال تصل لالملايو فى ثوب التجارة :

أشرنا من قبل إلى أن علاقات تجارية واسعة كانت قائمة منذ العصور القديمة بين آسيا وأوربا ، وكانت منطقة الشرق الأوسط تقوم بدور الوسيط فى هذه التجارة ، كما كانت تُسْهِم فيها بسلعها الخاصة ،

وكانت هذه المنطقة تحصل على امتيازات اقتصـــادية كبيرة نتيجة هــذه الوساطة وتلك التجارة .

وكانت التجارة بين آسيا وأوربا عبر الشرق الأوسط تسير فى طريق من طريقين ، أحدهما يســمى الطريق البرى وذلك لأن البواخــر تفرغ حمولتها على الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط عند سوريا ثم تســير هذه الحمولة براً عن طريق صحراء سوريا إلى الخليج الفارسى لتتلقاها بواخر أخرى إلى آسيا ، أما الطريق الثانى فيسمى الطريق البحرى إذ ليس فيه إلا جزء برى يسير ، فقد كانت التجارة تصل إلى شــمالى مصر عنــد المنطقة المعروفة الآن ببورسعيد وتحملها العربات إلى السويس لتستأنف بواخر أخرى حملها إلى المناطق البعيدة بآسيا ، إلى الهنــد وجزر جنوب شرقى آسيا فالصين .

وكانت منطقة الشرق الأوسط تتحكم فى هذه التجارة ، وتحصل منها على فوائد كثيرة نتيجة النقل من البحر إلى البحر كما كانت تحصــل على قدر كبير من المال كضرائب لعبور هذه السلع أرضها .

وفى العصور الوسطى حدثت أزمات صعبة بين أوربا من جانب وبين المسلمين فى الشرق الأوسط من جانب آخر ، فالحروب الصليبية كانت قد اجتاحت بعض المناطق فى سوريا وفى مصر وفى الشمال الإفريقى ، ودار صراع دمــوى طويل استغرق حــوالى قرنين من الزمان ، هزم الزحف الصليبى فى نهايته ولكنه ترك جراحاً مريرة فى نفوس أهل المنطقــة ، وفى نفس الوقت تقــريباً كانت البرتغال تقــود حركة صليبية ضد المســلمين فى كل مكان .

ولهذا الشعور بسوء العلاقة بين أوربا وبين الشرق الأوسط اتجهت أوربا وبخاصة البرتغال للبحث عن سوق جديدة تتعامل معهــا ، فاتجهت إلى التجارة مع دول غربى إفريقيا (موريتانيا والسنغال) وبدأت البرتغال

هذا الهدف ثم انتقلت التجارة الأوربية مع طول الساحل الإفريقى المغربى حتى وصل « دياز » « Dias » جنوب القارة عند رأس الرجاء الصالح ٠

وهذه النهاية شجّعت فاسكودى جاما إلى مزيد من السير تجاه الشرق فوصل إلى الهند ، ثم إلى جزر الهند الشرقية ، وكان البرتغاليون بذلك أول الأوربيين الذين يصلون إلى هذه الجزر ٠

وأحسّت مصر بخسارة هائلة لفقدانها دور الوسيط فى التجارة العالمية ، فعملت بالتعاون مع موانى البحر المتوسط والهند على محاربة البرتغال ، وبخاصة أن البرتغال بدأت تمنع السفن العربية من السير فى طريقها إلى جزر الهند الشرقية والصين ، وقامت معركة بين مصر والبرتغال سنة ١٥٠٩ تعرف بمعركة (ديو) ولكن النصر فى هذه المعركة كان للبرتغال فتهيأ لها أن تسيطر على هذا الطريق حوالى مائة عام ٠

وحتى تضمن البرتغال مزيداً من الأمن لطريقها احتلت مسقط ومطرح فى نفس الوقت تقريبا كما احتلت مناطق أخرى فى عمان وفى ساحل الخليج العربى ، كما احتلت بعض المناطق فى شرقى إفريقيا ، وهكذا تمكنت البرتغال فى هذا الطريق ٠

وأصبحت البرتغال فى ذلك سيدة التجارة فى العالم تقريبا وصارت عاصمتها لشبونة محور الحركة التجارية فى أوربا يفد لها التجار بائعين ومشترين ، وبخاصة أن التجار الأوربيين وجدوا من الأيسر أن يحصلوا على سلع جنوب شرقى آسيا من لشبونة ، فذلك أيسر لهم من حصولهم عليها من مناطق الشرق الأوسط ٠

تاريخ الملايو

من الاستعمار البرتغالى حتى الآن

تحدثنا فيما سبق عن الملايو وإندونيسيا معاً ، فلم تكن هناك حدود تفرّق بين هذه وتلك وشملتهما امبراطورية « سيرى وجايا » و« ماجابيت » وكانت بعض الدول تقوم فى واحدة منهما أو فى جزء من أجزائهما ، ثم تمتد إلى أجزاء أخرى كما ذكرنا من قبل ، وكان انتشار الإسلام هنا وهناك متماثلا ،

أما ابتداء من الاستعمار الغربى ، فقد اختلفت الطرق مما يجعل من الأوفق أن نتحدث عن كل منهما على حدة .

البرتغال فى الملايو :

بدأت البرتغال علاقاتها مع ملقا متخفّية فى ثوب الاقتصاد والتجارة عقب انتصارها فى معركة ديو سنة ١٥٠٩ ، واتخذت لها بعض المخازن فى دولة ملقا على نحو ما كان يفعل العرب والمسلمون ، ولكن البرتغال لم تستطع أن تظل صلاتها اقتصادية بحته مع ملقا ، فبدأت تتدخل فى شئون السياسة وتطالب بمطالب تتنافى مع احترام السلطة فى البلاد ، كأن تطالب بمنع تجار العرب والهنود من التعامل مع أهل ملقا ، وكأن تطالب بامتيازات لتجارتها ، وباحتكار شراء السلع من هذه المنطقة ، ولم يقف المسلمون سلبيين أمام هذه الحركة الاستعمارية ، فأذاعوا أن حضور الغرب المسيحى إلى هذه المناطق ليس إلاّ وسيلة للقضاء على استقلالها ومحاربة الإسلام فيها ، واتضح ذلك فعلا من تصرفات البرتغال التى بدأت تعمل لنشر المسيحية ومحاربة الإسلام امتداداً لموقف البرتغال من المسلمين بأسبانيا ، وهبّت بذلك فى ملقا بوادر حرب مقدسة ، فقد هاجم الملايويون مخازن البرتغاليين على شاطىء

البحـــر بملقا بإذن من سلطان ملقا ، وأسر المسلمون بعض البرتغاليين ، ففرّ آخـــرون إلى جوا بالهند التى اعتبرت مركزا برتغاليا مهما آنذاك ودارت اتصالات بين البرتغاليين وبين ملقا لإطلاق الأسرى على أن تدفع ملقا فدية نظير القبض عليهم أهمها الإذن ببناء مدينة بدولة ملقا تتحصن فيها التجارة البرتغالية ، ورَفضَ ملك ملقـــا هـــذه المقترحات ، وفى الوقت نفسه أرسل الأسرى البرتغاليون إلى مركزهم فى جوا تقريراً يوضح مدى قوة دولة ملقا وعجزها عن مواجهـــة القـــوة البرتغالية ، وكل هـــذا دفع البرتغال إلى الهجوم على الدولة الإسلامية فى يوليو سنة ١٥١١ م وبعـــد صراع اســـتمر حـــوالى الشهرين تمكنت البرتغـــال من السيطرة على المملكة الإســـلامية .

وسرعان ما اتضح أن أهداف البرتغاليين لا ترمى فقط إلى الجـــانب التجارى والاقتصـــادى وإنما تهتم كذلك بمصـــارعة الاســـلام ومحاولة القضاء عليه ، ولتحقيق هذين الهدفين حكم البرتغاليون ملقا حكما عسكرياً ، وسيطروا على كل شئونها برجالهم واهتموا اهتماماً كبيراً بالتبشير ونشر المسيحية وإنشاء الكنائس والمدارس المسيحية بهدف أن تكون ملقـــا مركزاً مسيحياً فى المنطقة كلها .

وقد نسى البرتغاليون أن سوء معاملتهم للأهالى كانت أبرز عنـــوان لأخلاقهم ، فانفضّ الأهالى عنهم ، وأعرضوا تماما عن دعوتهم المسيحية ،

وبعد حـــوالى قرن من الزمان اتجه نظام الحكم البرتغالى فى ملقـــا إلى الضعف ثم التداعى ، وأخيرا ســـقط سنة ١٦٤١ ، ومما ســـاعد على ذلك أن البرتغال كانت قد انهارت أمام اليعـــاربة فى عمان ، فقـــد هبّ اليعاربة يدافعون عن بلادهم ، وكتب لهم التوفيق ، فألزموا البرتغاليين بدفع جزية ثم ضيقوا عليهم حتى أخرجوهم من مسقط ومطرح ، وتتبعوهم فى افريقية فطردوهم منها واستولوا على الســـاحل الشرقى الـــذى كان البرتغاليون قد استولوا عليه (١) .

---

(١) تفصيل ذلك فى الجزء السابع من هذه الموسوعة .

وطُرِد البرتغاليون كذلك من الخليج العربى ، وكل هذا جعل نهايتهم ضرورية فى الملايو ، فانتهى أمرهم ، ولكن هولندا — للأسف — أخذت مكانهم فى الملايو ، ولم تنعم الملايو بالاستقلال الذى كانت تطمع فيه .

ولا شك أن التعصب الدينى كان من أسباب النهاية السريعة للبرتغاليين ، كما أن البرتغال نفسها كانت قد سقطت فى يد الأسبان سنة ١٥٨٠ م فى عهد الملك فيليب الثانى ملك أسبانيا ، ولم يستطع الأسبان أن يحتفظوا بالسيطرة على المستعمرات التى كانت خاضعة للبرتغال . ثم إن المقاومة الملايوية للبرتغال كانت شديدة ومتجددة فزعزعت أركان المستعمر وأقَضّت مضجعه حتى أسلم الزمام واختفى .

هولندا فى الملايو :

كانت هولندا جزءاً من مستعمرات الملك فيليب الثانى ملك أسبانيا ولكنها استقلت أما البرتغال فقد حدث لها عكس هذا فقد كانت مستقلة ولكنها سقطت تحت حكم الملك فيليب الثانى ملك أسبانيا ، وبهذا كان هناك عداء بين الملك فيليب وبين هولندا ، فاتجه الهولنديون يبحثون عن مصدر التوابل . إذ كانوا يحصلون عليها من لشبونة لاستعمالهم الخاص وللتجارة فيها ، فلما توقفت علاقاتهم بلشبونة راحوا يتطلعون إلى مصدر هذه السلع .

واستطاعت هولندا الحصول على اسرار هذه التجارة من خلال كتاب كتبه أحد الموظفين البرتغاليين الذى كان ينحدر من أصل هولندى ، وبناء على ذلك أرسلت هولندا سفناً تجارية فى الطريق التجارى البرتغالى حتى وصلت هذه السفن إلى الملايو وشمال سومطرة وكان ذلك فى فترة الصراع ضد البرتغال ، وأسس الهولنديون لهم مراكز تجارية فى هذه

المنطقة ، وظن الأهالى فى الملايو وفى سومطرة انه يمكن أن يتحالفوا مع الهولنديين ، إذ كان الهولنديون معادين للبرتغاليين فجمعت العداوة بين أهل الملايو وأهل سومطرة من جانب والهولنديين من جانب آخر نحو الهدف المشترك ، وكان الملايويون يطمعون فى الحصول على أسلحة من هولندا تساعدهم فى الوقوف أمام أسلحة البرتغال التى كانت متطورة عن أسلحتهم (١) .

وحتى تدعم هولندا قوتها فى هذه المناطق الجديدة ألفت شركة الهند الهولندية التجارية ، لتوحد بين تجارها الذين كانوا لا تجمعهم رابطة ، ونالت الشركة تأييد الحكومة الهولندية المادى والسياسى والعسكرى وأعلنت باسم هولندا عداءها للبرتغال ، وكان هدف هولندا مخالفاً لهدف البرتغال ، فإن هولندا لم تكن شديدة الحرص على التبشير بالمسيحية ، وإنما كانت تعنى كل العناية بالاحتكار الاقتصادى ، ولهذا وثقت روابطها ببعض الولايات الملايوية مثل قدح وبيراق وغيرهما .

وفى سنة ١٦٤١ امتدت سيطرة هولندا إلى ملقا نفسها واضعة بذلك حداً لسيطرة البرتغال على الملايو .

الصراع بين الملايويين وهولندا :

لقد تعاون الملايويون مع هولندا للتخلص من الاستعمار البرتغالى ، وليس لاستبدال استعمار باستعمار ، فلما خرجت البرتغال ووضح أن هولندا تريد البقاء ، بدأ صراع ملايوى ضد هولندا ، فهدم الملايويون بعض المنشآت وهاجموا المراكز الهولندية ، ولكن هذه المقاومة كانت أقل من قوة المستعمر الذى يستعمل أحدث الأسلحة الحربية .

وكانت هولندا قبيل ذلك قد دخلت إندونيسيا وأقامت لها حاكما

---

(١) Datus Smith : The Land and People of Indonsia p. 66.

عاماً هناك كما سنرى فيما بعد ، فعينت على ملقـا حاكما هولندياً تابعـاً للحاكم العام فى (بتافيا = جاكارتا) •

نهاية هولندا فى الملايو :

ولم يطـل عصر الاستعمار الهولندى بالملايو ، فسرعان ما ظهـرت خيانات الموظفين الهولنديين لشركة الهند الهولندية ، مما سبّب خسـارة لكثير من فروعها ثم إن منافساً خطيراً بدأ يظهر فى الجو ذلك هو الانجليز الذين كانت لهم بحرية تعتبر الأولى فى العـالم ، واستطاع الانجليز أن يسيطروا على بعض المناطق فى سومطرة وأن يحصلوا على سلع المنطقـة بسعر رخيص جعلهم يعرضون هذه المنتجات فى أسواق أوربا بسعر أقل مما تعرضـه شركة الهنـد الهـولندية ، فكسبت انجلترا الأسـواق من هولندا ، مما اضطر هولندا إلى إلغاء الشركة التجـارية الهولندية سـنة ١٨٠٠ ، وتحمّلت الديون التى كانت الشركة مدينة بها •

وقد نجحت بريطانيا فى تمكين سلطانها من بعض جزر المنطقة وهى جزيرة سنغافورة سـنة ١٨١٩ ، وكان اسـمها « توماسك » وقد دفعت انجلترا نظير سيطرتها على هـذه الجزيرة بعض الدراهم لسلطان ولاية جوهور • كما تمّ لها الاستيلاء على ملقـا من هولنده واسـتولت كذلك على جزيرة « بينانج » من سلطان « قدح أو كده » وكوّن الإنجليز لهم من الموانى الثلاثة «سنغافورة وملقا وبينانج» مستعمرة انجليزية أطلقوا عليها مستعمرة المضايق (١) •

ومما ساعد بريطانيا على الاستيلاء على جزيرة بينانج من سـلطان « قدح » أن هذه الولاية كانت مهددة بهجوم تايلاند ، فأرادت أن تحمى نفسها بالتعاقد مع بريطانيا ، ولكن اتضح أن بريطانيا لم تكن حريصـة على الدفاع عن هذه الولاية ، ولهذا ضمّ سلطان قـدح ولايته الى ولايات

---

(١) دكتور محمد عبد الرءوف : الملايو .. وصف وانطباعات ص ٨٩ .

ملايوية أخرى هى ولاية جوهور وترينجانو وغيرها لتكوين اتحاد يدافع عن نفسه ضد كل القوى الأوربية ، وأدركت انجلترا أن هذه الولايات تتحول عنها فبدأت حركة عسكرية ضد ولاية قدح ، وألزمت حاكمها بمعاهدة تعمل لصالح الإنجليز ، وتنص هذه المعاهدة على تنازل هذه الولاية عن بعض مناطق بها نظير مبلغ يُدفع للسلطان ٠

ثم جاءت نهاية الحكم الهولندى للملايو سنة ١٧٩٥ بعد أن كانت هولندا قد هُزِمت أمام جيوش نابليون بونابرت ، ولهذا اضطرت هولندا أن تعمل معاهدة مع بريطانيا لحماية مستعمراتها فى شبه جزيرة الملايو من الاستعمار الفرنسى ٠

التسوية الاستعمارية بين بريطانيا وهولندا :

فى سنة ١٨٢٤ عُقِدَت معاهدة تسوية بين انجلترا وهولندا تسلّمت انجلترا بموجبها مستعمرات هولندا فى الملايو وسلّمت انجلترا إلى هولندا مستعمراتها فى جاوة ٠ وجميع جزر إندونيسيا ، وركزت بريطانيا نشاطها البحرى والتجارى فى سنغافورة ٠

وفى سنة ١٨٤٠ قام مغامر بريطانى جرىء هو جيمس بروك الذى سُمِىَ فيما بعد « الراجا الأبيض » بمغامرة وضع يده بواسطتها على الطرف الشمالى لجزيرة بورنيو ، وقد قسّمت بريطانيا تلك المساحة ثلاثة أقسام هى : سراوك وصباح وبرونى (١) التى سرعان ما أصبحت مركزاً تجارياً وعسكرياً هاماً بالنسبة لبريطانيا ٠

بريطانيا فى الملايو :

اتجهت بريطانيا إلى عقد معاهدات فردية مع سلاطين الممالك الملايوية ، وكانت هذه المعاهدات تُعقد بالإغراء المالى تارة وبالتهديد

Datus Smith : The Land and People of Indonesia p. 87. (1)

مرة أخرى ، وبهاتين الوسيلتين تمت سيطرة انجلترا على كل الممالك فى شبه الجزيرة وعلى سنغافورة وقد استنفدت هذه الجهود عدة سنوات حتى منتصف القرن التاسع عشر أو بعد ذلك .

وقد حكمت بريطانيا شبه الجزيرة بواسطة ما يسمى (المقيم) وهو يقوم بنصيحة السلطان فى شئون الدولة إلا فيما يتعلق بتقاليد البلاد أو قوانين الدين الإسلامى وهناك مناطق كانت بريطانيا تسيطر عليها سيطرة مباشرة مثل سراوك وصباح اللتين تكوّن منهما فيما بعد الجزء الشرقى من ماليزيا .

وكان أكثر (المقيمين) يبذلون أقصى الجهد للتفريق بين السلطان وشعبه فى كل سلطنة ، وكان هدف الإنجليز من ذلك أن يثيروا الفتن فى الولايات ، وأن يقللوا من تعلق شعوب الممالك بسلاطينها ، ذلك التعلق الذى كان سمة الشعوب فى شبه الجزيرة .

ومع كل ما فى المقيمين من مساوىء ، فقد دوّن التاريخ لبعضهم بعض الحسنات ، ومن هؤلاء (هيوج لو) Hugh Low الذى كان (مقيما) فى بيراق وكان عالماً فى النبات وهو أول من زرع أشجار المطاط بالملايو ، وأقام مزارع تجريبية لزراعة الشاى والكينا ، واهتم اهتماماً كبيراً باستخراج القصدير من المناجم (١) .

ومن هؤلاء كذلك فرانك سويتن هام Frank Swettenham الذى وضع أساساً لاتحاد الولايات الملايوية فقد قام سنة ١٨٩٦ بتوحيد الولايات الملايوية التى كان فى كل منها مقيم بريطانى ، وهى بيراق وسيلانجور ، ونجريسنبلان ، وباهانج فى إدارة واحدة وكوّن منها ما سمىَ باسم الولايات الملايوية المتحدة ، وأصبح لها مقيم عام واحد ، كما أنه وضع الأساس لاسترداد الولايات الملايوية التى كانت

(١) جوجندار سيغ جيسى : تاريخ الملايو ص ٢١٤ .

خاضـــعة إلى حكومة تايلاند وهى قداح و بِرْليس وكلانتون وترنجالو ، وكان ذلك بناء على معاهدة عُقِدت بين انجلترا وتايلاند سنة ١٩٠٩ •

سياسة التفـــريق :

كانت ســياسة التجميع التى ذكرناها آنفـاً ترمى إلى أن يُيَسِّر لبريطانيا حُكم هذه البلاد ، ومع سياسة هذا التجميع كان هنــاك اتجـــاه آخـــر للتفريق فقـــد قضى النظام البريطـــانى أن تُفرَّق الملايو إلى مجموعات ثلاثة :

المجموعة الأولى : سُميت مستعمرات المضايق ، وكانت تشمل ملقا وسنغافورة وجزيرة بينانج وقد تحدثنا عنها من قبل •

المجموعة الثانية : وتشمل الولايات الملايوية المتحدة التى تحـــدثنا عنهـــا آنفـــاً •

المجموعة الثالثة : وتشـــمل الولايات الملايوية التى استُرِدَّت من تايلاند وسميت الولايات الملايوية غير المتحدة •

ثورات الملايو ضد الاستعمار البريطانى :

لم ينعم الاستعمار البريطانى بالاستقرار فى الملايو ، بل هبت ثورات متعددة فى أمكنة مختلفـــة ، وفى أوقات متلاحقة ، وكانت هـــذه الثورات إنذاراً لبريطانيا بأن الاستعمار لا يعيش هادىء البـــال فى هذه المناطق ، وقد انضم بعض السلاطين إلى الشعب فى هـــذه الثورات وَوَقع آخرون تحت الضغط البريطـــانى ممـــا عزلهـــم عن شـــعوبهم ، وقـــد شـــهد مطلع القرن العشرين ثورة عارمة قام بهـــا عالِم ملايوى اسمه الشـــيخ الهادى ، أو لعله سُمِىّ بهذا الاسم ، وكان هذا الشيخ قد تتلمذ فى مصر على الشيخ محمد عبده ، وشهد اتجاهاته للتجديد فى الفكر الإسلامى ، كما شهد اتجاهات النهضة فى مصر ، وعند عودته إلى الملايو أصدر مجـــلة سُمِّيت مجلة « الإمام » تيمناً بالإمام محمد عبده وكان لهـــا أثر كبير فى

ربط حركات الاستقلال بالملايو بالنهضة الإسلامية فى الشرق الأوسط (١) .

وقامت فى الملايو اتحادات وتجمعات ثائرة أقضت مضجع الاستعمار ، وفى موجة هذا الصراع زحفت اليابان إلى الملايو مع مطلع الحرب العالمية الثانية كما سنرى فيما يلى :

اليابان فى الملايو :

عندما قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ اتضح أن اليابان تتطلع إلى مناطق كثيرة بالشرق الأقصى ، وكانت انجلترا مشغولة بصراعها مع المانيا فلم تستطع أن تدافع عن الملايو ، ووكلت ذلك للملايويين أنفسهم ، ولم يكن عند الملايويين من التدريب والسلاح ما يقف أمام قوة اليابان ، ولذلك سرعان ما هاجمت اليابان « بيرل هاربر » فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، واستولت عقب ذلك على فرموزا والهند الصينية والملايو واندونيسيا وجزيرة هاواى وهونج كونج والفيليبين واستسلم القائم بأعمال السلطة العليا للاستعمار البريطانى فى المنطقة ومقرّه سنغافوره للاستعمار اليابانى ، وكان ذلك فى ٨ فبراير سنة ١٩٤٢ ، وكانت اليابان قد استولت على الملايو قبل ذلك بشهرين أى فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤١ .

وسرعان ما اتضح أن الاستعمار اليابانى كان أقسى وأعنف من الاستعمار الانجليزى ، فقد أساء اليابانيون معاملة الأهالى وكان اليابانيون قد اتخذوا شعاراً هو آسيا للأسيويين ولكن سرعان ما اتضح أنهم يقصدون « آسيا لليابانيين » .

وقد عملت اليابان على إحلال اللغة اليابانية محل اللغة الملايوية ،

---

(١) الأوضاع السياسية والحضارية للمسلمين فى ماليزيا واندونيسيا فى القرن العشرين ، رسالة دكتوراة أعدها باشراف الباحث الماليزى وان أحمد ص ٤٧١ .

(١) بيرل هاربر : قاعدة بحرية فى جزر هاواى تابعة للولايات المتحدة دمرتها اليابان فى ١٩٤١/١٢/٧ واحتلت على أثر ذلك منطقة جنوب شرقى آسيا .

كما اتجهت اليابان إلى سياسة التجسس والتعذيب مما كان له أسوأ الأثر فى العلاقة بين الملايويين واليابانيين •

وقد عانت الملايو معاناة قاسية فى الجانب الاقتصادى خلال العهد اليابانى ذلك أن القوات البريطانية قامت بتخريب ما أمكنها تخريبه فى الملايو قبل الاستسلام ، فهدمت كثيراً من الكبارى ودمّرت المبانى ، وأتلفت الأسلحة والمطاط ومزارع الأرز ، كما أحرقت كميات هائلة من البترول •

فإذا أضفنا إلى هذا أن اليابان كانت حريصة على استغلال البلاد ، فإننا ندرك أن الشعب الملايوى وقع فريسة بين الإستعماريين •

وقد هبت ثورات قوية فى الملايو ضد اليابان وكانت اليابان تقمعها بعنف ، ولكنها فى النهاية عندما أدركت أنها لا تقوى على مصارعة الحلفاء بعد أن رجحت كفتهم فى الحرب ، شجعت الثوار وأمدتهم بالأسلحة ليحققوا الاستقلال بعد أن تجلو عنهم اليابان •

واستسلمت اليابان فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٥ عقب إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكى فى ٦ و ٩ أغسطس سنة ١٩٤٥ ولكن جيش الحلفاء لم يصل إلى سنغافورة إلا فى ١٥ نوفمبر من نفس العام ، وكانت الفترة بين هذين التاريخين فترة خلت فيها الملايو من السلطة ، فاشتدت فيها الحركات الاستقلالية ، وبخاصة تلك الحركات التى كانت مصبوغة بالصبغة اليسارية •

بريطانيا فى الملايو بعد هزيمة اليابان :

عندما كانت بريطانيا منهزمة أمام اليابان أعلنت سنة ١٩٤٣ أن سياستها فى الملايو فى المستقبل ستكون إعدادها للاستقلال التام فى حدود الكومنولث البريطانى ، فلما عادت بريطانيا إلى السلطة حنثت فى عهودها ، وراحت تقترح بنوداً جديدة لا تحقق للشعب أهدافه واستقلاله ، مما أثار

ثورة الشعب ضدها ، ومع هذا فقد سارت بريطانيا فى سياستها الخاطئة ، وأعلنت قيام ما يسمى اتحاد الملايو الذى وضع الولايات كلها تحت إشراف حاكم بريطانى ، وجعل السلاطين مستشارين لهذا الحاكم ، ولقد أجمعت سلطات الشعب ومعهم السلاطين على استنكار هذا الاتحاد ومقاومته مما عدل بالأمر إلى تكوين الملايو المتحدة فى ٢١ يناير سنة ١٩٤٨ وبمقتضاه صار الحاكم البريطانى مندوبا ساميا بالملايو ، وأصبح للسلاطين السلطة التى كانت لهم من قبل .

ومع هذا فقد كان شعب الملايو حريصاً على الاستقلال التام ، وإبعاد أى نفوذ لبريطانيا فى بلادهم ، ومن أجل ذلك تكوّنت الأحزاب وكان من أهمها الحزب الوطنى الملايوى المتحد بقيادة تنكو عبد الرحمن ، وهو الحزب الذى ضم أكبر حزبين فى الملايو وهما الحزب الوطنى والحزب الصينى ، وحصل هذا الحزب على أغلبية ساحقة بين جماهير الشعب قاربت من الإجماع العام ، وأصبح يتحدث بقوة بلسان الملايويين جميعاً ، وبخاصة عندما فاز فىانتخابات المجلس التشريعى التى عُقدت فى يوليو سنة ١٩٥٥ بـ ٥١ مقعداً من ٥٢ ، وعلى إثر ذلك شكّل تنكو عبد الرحمن وزارته وأكد أن هدف حزبه هو استقلال الملايو التام عن طريق سلمى وسرعان ما جرت مفاوضة" بين تنكو عبد الرحمن وبين المندوب البريطانى ، وفى هذا الاجتماع أكّد تنكو عبد الرحمن ألا مناص من الاستقلال التام للملايو .

موقف السلاطين من الحركة الاستقلالية :

تخوّف بعض السلاطين من مصائرهم بعد الحركة الاستقلالية التى تشمل كل الولايات ، وأدرك تنكو عبد الرحمن ما يساورهم من شكوك وخوف ، فأعلن أن الحزب يضمن سلامة السلاطين وسلامة عروشهم فى ظل الاستقلال ، وأنهم سيكونون ملوكا فى ولاياتهم كما كانوا من قبل ، وبهذا لم يبق أى نصير للاستعمار البريطانى فى البلاد ،

استقلال الملايو ودستورها :

بعد أن تمّ الاتفاق بين تنكو عبد الرحمن والسلاطين مُهّدَ الطريقِ

لإعلان الاستقلال التام ، فتمّ الاتفاق فى ٨ فبراير سنة ١٩٥٦ على ذلك ، ثم وُضع دستور البلاد الذى كان من أهم ما ورد فيه أن الدين الإسلامى هو الدين الرسمى للدولة ، مع ضمان حرية الأديان الأخرى ، وأن اللغة الملايوية هى لغة الدولة ، مع جواز استعمال لغات أخرى ، وتقرر كذلك أن يختار السلاطين من بينهم واحداً منهم يكون ملكا لدولة الملايو ، ويختارون سلطاناً آخر يكون نائباً له ، وتكون مدتهما ٥ سنوات ويستمر باقى السلاطين كل فى ولايته يباشر سلطته عليها فى حدود دستورها المحلى ، والولايات التى شملتها الملايو المتحدة هى جوهور ، وملقا ، ونجرى سمبلان ، وسلانجور (وبها العاصمة كوالا لامبور) ، وبيراق ، وقدح ، وجزيرة بينانج ، وباهانج ، وترينجانو ، وكلنتانج ، وبرليس .

إعلان الاستقلال :

فى الصباح الباكر من يوم ٣١ أغسطس عام ١٩٥٧ اجتمع بإستاد الحرية بالعاصمة حشد كبير من المواطنين والضيوف ، ووقف عم ملكة انجلترا وناب عنها فى تسليم صك الاستقلال إلى تنكو عبد الرحمن ، وحينئذ آذن المؤذن الله أكبر الله أكبر ، وأعلن تنكو عبد الرحمن استقلال البلاد وحمد الله على عونه وتوفيقه ، وأصبح يوم ٣١ أغسطس عيداً وطنياً من كل عام .

تطورت الأمور عقب ذلك فى المنطقة كلها وأصبح وجود الاستعمار فيها غير ممكن ، كما أن ظهور بريطانيا ومثيلاتها من الدول فى مظهر المستبد القاهر آن له أن يختفى عندما برز للوجود الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية ، وكما نقول دائماً أنه لا مكان فى الغابة للذئاب مع وجود الآساد ، ومن هنا فقد اتجهت بريطانيا إلى تسوية حالة مستعمراتها فى كل مكان بما فى ذلك الشرق الأقصى ، ووضع نهاية لهذا الاستعمار ، وكان لبريطانيا ثلاث مستعمرات فى هذه المنطقة هى : بورنيو الشمالية (صباح) وسراواك ، وبرونى ، والثلاثة تقع فى شمال جزيرة بورنيو ، فرأت بريطانيا أن تضم اثنين منها إلى الملايو التى نالت حديثا استقلالها ،

وكوّنت من ولاياتها دولة مستقلة سميت الملايو المتحدة ، ولكن بريطانيا حرصت على أن تبقى واحدة من هذه المستعمرات تحت سلطانها المباشر وهى مستعمرة برونى ، وقد منحتها بريطانيا استقلالاً داخلياً وأبقت لنفسها مسئولية إدارة الشئون الخارجية ومسئولية الدفاع عنها .

وإذا تركنا برونى وعدنا إلى محاولات إنشاء الاتحاد الجديد الذى اقترح له اسم « اتحاد ماليزيا » نجد أن الاتجاه فى الملايو وفى صباح وسراوك وسنغافورة كان نحو إقامة هذا الاتحاد باسم « ماليزيا » وقد تبنى الفكر البريطانى هذا الاتجاه كما تبناه تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو آنذاك .

بيد أن قيام مثل هذا الاتحاد لم يكن عملاً سهلاً بالنسبة لحكومات المنطقة أو بالنسبة للرأى العام العالمى ، ومن هنا جرت خطوات لإنجازه نتتبعها بإيجاز فيما يلى :

استطلاع الرأى العام :

تشكلت لجنة انجليزية ملايوية لاستطلاع رأى السكان فى صباح وسراوك فى موضوع قيام دولة ماليزيا ، وانتهت نتائج الاستطلاع إلى أن أغلبية كافية من الشعب تؤيد الانضمام إلى ماليزيا ، كما أجرى فى سنغافورة استفتاء حول فكرة الاندماج فى ماليزيا ، فأعرب ٧١ ٪ من الناخبين عن موافقتهم على الانضمام إلى الدولة الجديدة .

العمل على تنفيذ فكرة الاتحاد :

عقب ذلك شكلت لجنة تضامن مثلت فيها بريطانيا وحكومة الملايو وحكومات الدول التى ستنضم للاتحاد (سنغافورة — وصباح — وسراوك) وقد بحثت اللجنة هذا الموضوع وقررت ما يلى :

١ — أن تقوم حكومات الولايات المختلفة باتخاذ قرارات نحو الموافقة على الانضمام للدولة الجديدة .

٢ — أن يتطور دستور الملايو ليصبح أساساً لدستور الاتحاد الجديد

٣ — أن يُنظر إلى مقاطعتى صباح وسراوك عند تمثيلهما فى البرلمان الفيدرالى (المركزى) على أساس مساحتهما وامكانياتهما ، وليس فقط على أساس عدد سكانهما • وبدأت الجهود تتجه لتنفيذ هذه التوصيات •

تحقيق الأمم المتحـــدة :

قلنا آنفاً إن بعض حكومات دول المنطقة عارضت هذا الاتجـــاه ، وبخاصة اندونيسيا والفيلبين ، ومن هنا رُئِىَ أن تقـــوم الأمم المتحدة بإجراء تحقيق مباشر للتعرف على رغبة شعوب المنطقـــة ، وقد اختـــار السكرتير العام للأمم المتحـــدة ممثلين له من تســـع دول هى : الولايات المتحدة الأمريكية ، وتشيكوسلوفاكيا ، والأرجنتين ، وسيلان ، وغـــانا ، والباكســـتان ، واليابان ، والأردن ، والبرازيل • وعُيِّن منـــدوبون من إندونيسيا والفلبين وبريطانيا لمراقبة أعمـــال الوفد ، وجاء فى تقرير هذه البعثةَ أن الغالبيـــة من سكان هـــذه المناطق توافق على الانضمام فى الدولة الجـــديدة •

قيام اتحـــاد ماليزيا :

وبناء على ذلك أُقيم اتحاد ماليزيا فى ١٦ سبتمبر ســـنة ١٩٦٣ ، وهو يضم المـــلايو المكونة من ١١ إقليما كمـــا يضم سنغافورة ، وكانت سنغافورة إحدى ولايات الملايو قديماً ، ولكنها انفصلت بسبب الاستعمار فى المنطقـــة كما يضـــم صباح وسراواك وكلاهمـــا من أجـــزاء جزيرة « كليمنتان » •

وقد عارضت الفيلبين وإندونيسيا قيام هذه الوحدة ولكن هـــذه المعارضة لم تأت بنتيجة ، وأعلن قيام الوحـــدة فى التاريخ المذكور (١٦ سبتمبر ١٩٦٣) متأخراً عن الوقت الذى حُدِّد للإعلان بسبب المعارضة السابقة ، فقد كان قد حُدد لإعلانه يوم ٣١ أغسطس عام ١٩٦٣ حسب

اتفاق البلاد المعنية ليكون يوم عيد استقلال الملايو هو نفسه عيداً لتشكيل الدولة الجـديدة •

وأصبحت صباح وسراوك تُعـرفان بمالزيا الشرقيـة ، وولايات الملايو تعرف بماليزيا الغربية •

انفصال سنغافورة :

فى عـام ١٩٦٥ انفصلت سنغافورة عن اتحـاد ماليزيا ، والسبب الحقيقى لهذا الانفصال أن رئيس الحكومة المحلية فى سنغافورة كان يطوف العالم ويتحدث باسم ماليزيا كلها ، وهو خطأ دستورى ، فالحـديث عن ماليزيا كلها من حق رئيس الحكومة المركزية أما رؤساء الحكومات المحلية ، فيديرون الأمور الداخلية ويتقـدمون بما يرون من اقتراحات للحكومة المركزية التى يوجد بها ممثلون لكل المقاطعات والمناطق •

ثم إن هناك صراعاً دموياً حدث فى سنغافورة قبيل التاريخ السابق بين المسلمين الملايويين وبين الصينيين من سكان المنطقة ، وقد تمّ الاتفاق على خروج سنغافورة من الاتحاد لأن ذلك كان هو الذى يمثل الاتجـاه العـام فى سنغافورة وفى ماليزيا جميعاً •

الأقلية الإسلامية فى سنغافورة :

وقبل أن نترك سنغافورة يجدر بنا أن نسجل كلمة عنها ، فقد أصبحت بانفصالها عن ماليزيا قطرا غير إسلامى تعيش به أقلية إسلامية •

ويرى المتّطلعون أن انضمام سنغافورة لاتحاد ماليزيا كان الوسيلة الوحيدة لتصبح جزءا من قطر إسـلامى على الرغم من الأغلبيـة غير المسلمة التى تعيش بها ، فلما انفصلت أصبح المسلمون أقلية تتراوح بين ١٥ ٪ و ١٧ ٪ ؛ أما باقى السـكان فمنهم حـوالى ٦ ٪ من الهنـدوس و٥ ٪ من المسيحيين ، أما الباقون وهم الأغلبية الساحقة فيعتنقون الديانات الصينية لأنهم ينحدرون من أصل صيني •

وسنغافورة بلاد مفتوحة ، بها كل الاتجاهات والحريات ، ونشاطها التجارى واسع ، وبها كذلك نشاط صناعى جيد ، وبسبب أنها بلاد مفتوحة ينشط بها التبشير المسيحى الذى يتخذ منها مركزا مهما تنتشر فروعه فى جميع دول المنطقة .

وفى سنغافورة جالية عربية لها نشاط تجارى ملحوظ ، وجمعيات إسلامية ومؤسسات خيرية تتبع هذه الجمعيات الإسلامية ، وتعمل كلها لخدمة الإسلام والمسلمين .

ولى شخصيا صلات قوية وواسعة مع إحدى دور النشر الكبيرة بسنغافورة هى pustaka Nasional وهى تقوم بنشر كتبى فى مقارنة الأديان والتاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية باللغة الملايوية لتوزيعها بين مسلمى المنطقة ، وأشهد لقد لاقيت من هذه المؤسسة ومن صاحبها السيد أحمد بن محمد بن سميط أحسن معاملة تصل الى القمة فى النشاط والأمانة .

وأغلب المسلمين فى سنغافورة ينحدرون من أصل ملايوى ، عاشوا فى سنغافورة فى فترات الاتصال الوثيقة بين شبه جزيرة الملايو وبين جزيرة سنغافورة .

وليت الدول الاسلامية الغنية تتجه إلى الإسلام فى سنغافورة بشىء من العناية ، فتفتح بها المعاهد الإسلامية ، وترسل الدعاة والمساعدات ، فسنغافورة مركز شديد التأثير فى المنطقة المحيطة به .

وسكان سنغافورة يزيدون عن المليونين ويكادون يصلون الى مليونين ونصف مليون .

الصراع الدامى فى ١٣ مايو سنة ١٩٦٩
بين الملايويين والصينيين بشبه جزيرة الملايو

فى شبه جزيرة الملايو مأســاة شـائكة شممت رائحتها ورصــدت بوادرها وأنا فى إندونيسيا مدة ست ســنوات (١٩٥٥ — ١٩٦١) ، ثم عشت طرفا منها عندما كنت أستاذا زائرا مدة ثلاثة شــهور فى الجامعــة الملايوية فى كوالالمبور .

ما أسس هــذه المأساة ؟

خيوط هذه المأساة أساسها الهجرة من بلد إلى بلد ، وبخاصة الهجرة من بلد مزدحم بالسكان إلى بلاد أقل منها ازدحاما ، والعالم كله يعــرف الهجرات ولا يجد فيها غضاضة ، وفى مصر مثلا أسر" كثيرة هاجرت إليها على مر الزمن ، ولا تزال ألقاب هذه الأسر تشى بالجذور غير المصرية لهذه الأسر ، ففى مصر أسرة « الشامى » نســبة الى الشــام والطرابلسى والحجازى والحلبى واليمنى والنجدى والمغربى والجاوى والجبرتى نسبة إلى هذه الأقطار ، ولكن هؤلاء مصريون مائة فى المائة ولا أثر فى حياتهــم للبلاد التى ينتسبون إليهــا ، وقد يكون لهم أقارب فى أقطار أخرى ولكن هذا لا يمكن أن يمس من قريب أو بعيد ولاءهم التام الشامل لمصر .

وفى غير مصر توجد هذه الهجــرات وهى واضحة فى بريطانيا حيث يوجد بها ملايين من سكان البــلاد التى كانت مستعمرات لها ، وهــذه المسألة أكثر وضوحا فى الولايات المتحدة وكندا واستراليا التى تتــكون من مهاجرين جاءوا من مختلف الأقطار ، ولكن كل هؤلاء المهاجرين يتجهون بكل ولائهم إلى البلد الذى هاجروا إليه .

ولكن فى منطقة جنوب شرقى آسيا هجرات من نوع آخر ، تلك هى هجرات الصينيين الى بلاد المنطقة ، فإن أعداداً هائلة صينية هاجــرت إلي سنغافورة والملايو وإندونيسيا وغيرها من دول المنطقــة ، وهؤلاء

المهاجرون دخلوا البلاد الجديدة بجنسيتهم ودينهم وعاداتهم ولغتهم وفكرهم ، وعاشوا فيها بنفس هذه الاتجاهات ، فلم يحدث أى اختلاط ذى بال بينهم وبين أهل البلاد الأصليين ، ولم يشتركوا معهم فى شأن ، أو يتعاونوا معهم فى قضية ، لقد جلب الاستعمار هؤلاء المهاجرين ليكونوا عونا له ضد حركات المواطنين وليكونوا وسطاء فى عالم الاقتصاد ، ومن هنا كان الاستعمار خيرا وبركة لهؤلاء ، ولقد ضحى المواطنون بآلاف الضحايا ، وأراقوا دماءهم انهارا من أجل الاستقلال ، فلما تم الاستقلال وجد المواطنون أن الصينيين قد امتلكوا كل شيء ، وان ما بقى للمواطنين هو الفراغ والهباء •

لقد كان الاستعمار غريبا ، وكان لابد أن يختفى فى يوم من الأيام ، أما الصينيون فقد ثبّتوا جذورهم وأقاموا مدارسهم ومصانعهم وأحزابهم وتجمعاتهم ، وهم يجنون الثمار إن كانت هناك ثمار ، ولا يدفعون غُرماً إن كان هناك غرم •

ومن العجيب كما أشرنا من قبل أن الصينيين يمثلون قمة الرأسمالية ولكنهم على أعمق العلاقات مع الدولة الأم حتى بعد أن صارت يسارية ، وبالتالى فإن الصين الأم تقضى على الرأسمالية فى الداخل ولكنها تحمى الرأسمالية لدى الصينيين المهاجرين •

كان هؤلاء كذلك فى إندونيسيا ، ولكن لحسن حظ اندونيسيا أن عدد الصينيين بها كان قليلا بالنسبة لتعداد السكان ، كانوا حوالى ستة ملايين ، معهم عصب الاقتصاد والمالُ الوفير ، وكانوا يكوّنون دولة داخل الدولة ، كان يمكن أن يُخْفُوا الأرز (خبز هذه البلاد) فتقوم مجاعة وثورة ، وكان يمكن أن يدفعوا الرشاوى مبالغ هائلة تصل إلى عدة ملايين فيحدثون اضطرابات سياسية وهكذا ، وكان الريف الإندونيسى يكتوى بنارهم وبخاصة من المعاملات الربوية التى كانوا عن طريقها يستنزفون رزق البسطاء ، وقد أصدر الرئيس سوكارنو قرارا يقضى بأن غير الإندونيسيين لا يجوز لهم الحياة فى القرى الإندونيسية ، ولكن أين

يذهب هؤلاء ؟ لقد أقفلت المدن أبوابها فى وجوههم وطردتهم القرى فهاموا على وجوههم ، وعرضوا ما معهم من بليارات الروبيات للبيع فى السوق السوداء نظير عملات حرة ، وتسبب عن كثرة العرض انهيار قيمة العملة الإندونيسية انهيارا مروعا ، وعاشت الدولة فى دوار هذه القضية فترة طويلة .

أما فى سنغافورة فقد تغلب العنصر الصينى وأصبح له حوالى ٧٥٪ من مجموع السكان ، وأصبحت سنغافورة بذلك قطرا صينيا ، وضعف العنصر الملايوى الأصيل بهذه البلاد .

أما الملايو فقد وقفت على حافة الهاوية ، فقد هاجر لها من الصينيين عدد يقرب من عدد السكان الأصليين كما يوجد بها حوالى ٦ ٪ من السكان ينحدرون من أصل هندى . ؟

ولكن هذه النسبة هى النسبة العددية فقط ، أما الثراء فإن ما يمتلكه السكان الأصليون قليل جدا بالنسبة لما يمتلكه المهاجرون الصينيون ، أما العاصمة نفسها (كوالالمبور) فمن المؤلم حقا أن تكون نسبة الصينيين فيها ٦٢ ٪ وهم كبار التجار والملاك والعظماء ، وأن النسبة الباقية أكثرها إلى الفقر أقرب ، ومنها عدد كبير يعمل فى متاجر الصينيين ومؤسساتهم ، وعلى هذا فالعاصمة الماليزية لا تمثل وجه ماليزيا بل لها وجه صينى سافر .

وكان حزب الاتحاد (الذى يضم الحزب الوطنى الملايوى ، والحزب الصينى بالملايو ، والحزب الهندى بالملايو) قد حصل فى الانتخابات العامة سنة ١٩٥٩ على أغلبية كثيرة ، إذ نال ٧٣ مقعداً من ١٠٤ مقاعد وحصلت أحزاب المعارضة على المقاعد الباقية . ثم تحسنت أحوال حزب الاتحاد فحصل فى الانتخابات العامة سنة ١٩٦٤ على الأغلبية المطلقة إذ نال ٨٩ مقعداً من ١٠٤ مقاعد ، ولم يبق لأحزاب

المعارضة إلا ١٥ مقعداً "تسع" منها حصل عليها الحزب الإسلامى الملايوى ولم يبق إلا ٦ مقاعد حصلت عليها الأحزاب الصينية التى لم تنضم إلى حزب الاتحاد •

فلما جاءت انتخابات العاشر من مايو سنة ١٩٦٩ تغيَّر الوضع ، فلم يحصل حزب الاتحاد إلا على ٦٦ مقعداً ، ونالت الأحزاب الصينية التى لا تشترك فى حزب الاتحاد ٢٥ مقعداً ، بل انسحب الحزب الصينى الذى كان شريكا فى حزب الاتحاد وحصل هذا الحزب على ١٤ مقعداً •

واتضح من هذا أن الأحزاب الصينية حصلت على ٣٩ مقعداً وانحدر ما حصل عليه حزب الاتحاد إلى ٤٢ مقعداً ، ورأت الأحزاب الصينية أن فى إمكانها أن تضم لها بعض الأصوات الأخرى لتكون لها الأغلبية ، ولتكوِّن حكومة ماليزيا ، بيد أن الأمور لم تسر فى هذا الطريق الدستورى ، فما إن أحست الأحزاب الصينية بهذا التفوق العددى الذى نالته حتى اندفعت صاخبة ثائرة تطلب لنفسها السيادة والسلطان على أهل البلاد •

لقد زرت ماليزيا فى يوليو سنة ١٩٧٣ أى بعد أربع سنوات تقريباً على أحداث مايو ١٩٦٩ ، وكنت قد قرأت عن هذه الأحداث قبل ذلك ، ولكن وجودى فى ماليزيا وضع الأمر أمامى فى صورة أدق كأنما كانت الأحداث على مرأى منى ومسمع ، فقد قصَّها علىّ عشرات الناس وكرروا روايتها ، وصحبونى إلى أماكن الصراع ، وأطلعونى على ما تبقى من آثار هذا اليوم الرهيب يوم الثالث عشر من مايو ١٩٦٩ •

ماذا رأيتُ ؟ وماذا سمعتُ ؟

لقد أحسَّ الصينيون أنه آن الأوان لهم ليستقلوا بالملايو كالحال فى سنغافورة ، وأن يقضوا على العنصر الملايوى مستعملين النصر فى الانتخابات وما عندهم من أموال ، وما لهم من سلطان ، وما بأيديهم من

أسلحة وعتاد ، وسائل لتحقيق هذا الهدف ؛ لقد اندفعت جموعهم تهتف بالملايويين قائلة : عودوا إلى الغابة أيها الملايويون . وأطلقوا رصاصهم ، وساقوا أمامهم بعض الضعفاء الذين نالهم الذعـر من الزحف الصينى العاتى ، ولكن سرعان ما أدرك الملايويون أن الاستشهاد أيسر من فقـدان الوطن ، وأن الدفاع عن الديار والأهـل واجب مقـدس ، فهتف هاتفهم الله أكبر ، وردد الملايين هذا الهتاف ، وظهرت أصـداؤه فى كل مكان ، كأنما كان شجر المطاط ونخيل جوز الهند يردد هذا الهتاف معهم ، وكان هذا التعبير سـلاحا بتاراً تجمّع حـوله الملايين العزّل بما يملكون من عصى أو حجـارة أو مواد مختلفة وراحـوا فى عزيمة رائعة يدافعـون عن أنفسـهم .

وظهر واضحا أن الحياة بدون عزة وكرامة رخيصة عند الملايويين ، وان الضيف لا يمكن أن يتحـكم فى دار المضيف ، وأن عنجهية الصينيين لابد أن تقف عند حـد ، وأن الاستشهاد فى الدفاع عن الوطن والأهل شرف ما بعده شرف .

ونادت المعركة أصـناف الملايويين فاستجابوا دون تردد ، استجاب للزحف العاتى أمراء كانوا يعيشون قبل ذلك فى ترف واستعلاء ، واستجاب لها الطبيب والكاتب والمهندس والعامل ، واستجابت المرأة فعضدت الرجال وشاركتهم الصراع .

وأحس الصينيون أنهـم أمام قـوة لا تقهـر ، وكأنما كان تعبير « الله أكبر » يمثل قنبلة أو صاروخا يهـدّ المتكبرين ويحطم الطغيان ، فانهار الصينيون الذين كانوا منذ لحظة يعـربدون ويُحسّون أن لهـم السلطة العليـا ، فهربوا لا يلوون على شىء ، وسقط فى أرض المعـارك من لم تحمله قدماه إلى جحر أو مكان حصين ، وأصبحت جموع الصينيين كالفئران لا تتطلع إلا للهرب ، وخُضّبت الأرض بالدماء وحُرقت بعض المتاجر الصينية ودُمرت بعض المصانع ، ولولا أن الملايويين لم يطلقـوا

العنان للتدمير والتخريب لانهار الاقتصاد وأكلت النار كل ممتلكات الصينيين .

واستسلم الصينيون استسلاما تاما ، وأصبح الزمام فى أيدى أصحاب البلاد .

من نتائج هذا الصراع :

أنتج هذا الصراع نجاحا سياسيا للعنصر الملايوى ، ولكن العنصر السياسى — للأسف — لم ينتهز الفرصة بفرض نظام اقتصادى يعيد للمواطن الملايوى حقه فى ثراء بلاده ، كما أن نظام الهجرة وحقوق المهاجرين لم تنظم التنظيم الكافى ، وقد كنت — كما قلت آنفا — أستاذا زائرا بالكلية الإسلامية بجامعة الملايو ، ولكن أمورى الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة كانت فى أيدى الصينيين الذين لا يهمهم إرضائى بل ربما اتجه اهتمامهم لإثارتى واغضابى حتى لا يطول هناك بقائى أو حتى لا أقبل أن اكرر هذه الزيارة ، وأشهد أنهم نجحوا فيما قصدوا إليه.

ليت الملايويين انتفعوا بهذه الثورة فى مجال الاقتصاد وفى مجال الحياة الاجتماعية .

لمحات حضارية عن ماليزيا

النظام السياسى :

تتكون ماليزيا من ماليزيا الشرقية وفيها ولايتان يحكم كلاً منهما حاكم تعينه الحكومة المركزية ، ومن ماليزيا الغربية وفيها إحدى عشرة ولاية تسع منها تحكم بواسطة السلاطين الذين يتولون السلطة بالوراثة واثنتان هما « جزيرة بينانج وملقا » تحكمان بواسطة حاكم وذلك مثل ماليزيا الشرقية .

ولكل ولاية حكومة محلية يرأسها السلطان أو الحاكم ، وبكل ولاية مجلس محلى له سلطات البرلمان فى حدود الولاية .

أما الحكومة المركزية فلها سلطة على جميع ولايات البـلاد ، ورأس هذه الحكومة هو الملك الـذى يُنْتَخب من بين السـلاطين لمـدة خمس سنوات ، وينتخبه السلاطين التسع من بين المرشحين لهذا المنصـب منهم ، وطريقة ذلك أن يرشِّح من أراد من السلاطين نفسه لمنصب الملك ، ويجرى انتخاب سرى يشترك فيه السلاطين التسع ويُصبح ملكا مَنْ حصل على أغلبية أصواتهم ، ويَنتخب هؤلاء كذلك نائب الملك من بينهـم أيضـا ، وهذا يتولى أعمـال الملك فى حال غيابة أو وفاته ، أو عجزه إلى أن تنتهى مدة الخمس سنوات .

ويكلِّف الملكُ الزعيمَ الذى حصل على الأغلبية فى البرلمان بتأليف الحـكومة المركزية .

لمحـات اقتصادية :

ماليزيا هى أكبر بلد فى العالم ينتج المطـاط الطبيعى فهى تنتـج ٤٤ ٪ من مطاط العالم ، كمـا أنها تنتج أكثر من ثلث إنتاج القصـدير العالمى ، وتعتبر الأخشاب كذلك من الصادرات المهمـة التى تصـدرها ماليزيا ، كما أنها الدولة الأولى التى تصدر زيت النخيل .

وتستورد ماليزيا الأرز والأغذية ووسائل المواصـلات والمعـدات الكهربائية وأمثالها ، ولكن ما تصدره ماليزيا يفوق ما تستورده ، ومن هنا فإن اقتصادها راسخ ومتين .

ولكن هذا الاقتصاد الذى تحـدثنا عنه يُوجَـد أكثره فى أيـدى الصينيين والهنود كما ذكرنا من قبل ، فمناجم القصدير ومزارع المطاط تكاد تكون أغلبها فى أيدى الأوربيين والصينيين والهنـود ، فقـد كـان الاستعمارُ البريطانى قـد أجبر الملايويين على بيـع أرضهم للأجانب ، فتركزت الثروات فى أيدى هؤلاء الأجانب (١) .

---

(١) دكتور وان أحمد : الأوضاع السياسية والحضارية للمسلمين فى اندونيسيا وماليزيا فى القرن العشرين ص ٦٥٩ .

التربيـــة والتعــليم :

تتنوع المدارس فى ماليزيا بتنوع أجناس السكان فهنــاك المدارس الصينية وتجرى الدراسة فيها باللغة الصينية ، أما اللغة الملايوية فتدرس فيها كمادة من المواد ، ثم تجىء المدارس الهنــدية وتُدرس فيهــا كل المواد باللغة الهندية ، وليس للغة الملايوية إلاّ أن تدرس كمادة من المواد كذلك ، وهنــاك نوع ثالث واســع الانتشار فى المــلايو وهــو المدارس الانجليزية ، وكانت هذه المدارس تمثل غالبية دور التعليم فى الملايو حتى سنة ١٩٥٧ عندما أخذت المدارسُ القومية تأخذ مكانتها بين دور العلم فى عهد الاستقلال ، ولا يزال فى ماليزيا عدد كبير من المدارس الانجليزية ، ثم تجىء المدارس القومية الملايوية ، وتدرس فيها جميع العلوم باللغــة الملايوية ، وهى آخذه فى الانتشار ، والحلول محــل المدارس الانجليزية درجةً إثر درجة ، أما الجاليات الصينية والهندية فمتمسكة بمدارســها وقد انتشرت المدارس القوميــة عنــدما شجعت الحكوماتُ الاستقلالية الشعب الملايوى على التعليم ، وفتحت له أبواب المعرفة .

وهناك المدارس الدينية ، وهى واسعة الانتشار فى القرى ، وتهتم بالدراسات الإسلامية وباللغة العربية بالإضافة إلى العلوم القومية والعامة .

وفى ماليزيا عــدة جامعات أنشئت بعد الاستقلال ، وجامعة واحدة أنشئت فى عهد الاستعمار هى جامعة الملايو ، وكانت اللغة الإنجليزية هى لغة المحاضرات فلما جاء عهد الاستقلال بدأت اللغة الملايوية تأخذ مكانها وتصارع اللغة الإنجليزية .

وقد كان التعليم الجامعى يكاد يكون خاصا بغير الملايويين ، فقــد كانت الوسائل تُيسَّر للصينيين والهنود للالتحاق بالجامعة ، أما الملايويون، فكانوا بعيدين عن هذا النوع من التعليم ، ولكن عهد الاستقلال ساعد أهل البلاد على أخذ نصيبهم من الدراسات الجامعية ، وفيما يلى إحصــائية تدل على مدى الظلم الذى كان واقعاً على الطلاب من أهل البلاد ، وعلى

المحاولات التى تدفعهم إلى الأخذ بنصيب فى الثقافة الجامعية عام بعد عام ، ففى جامعة العلوم كانت نسبة الطلاب الملايويين بالنسبة لمجموع الطلاب بهذه الجامعة كالآتى :

سنة ١٩٦٩	٢ ٪ من الملايويين
« ١٩٧٠	٣٢ ٪ « «
« ١٩٧١	٣٤ ٪ « «
« ١٩٧٢	٣٦ ٪ « «
« ١٩٧٣	٣٨ ٪ « «
« ١٩٧٤	٣٩ ٪ « «
« ١٩٧٥	٤٩ ٪ « «

الإسلام فى ماليزيا دين وقومية :

فى كثير من الأقطار الاسلامية يوجد مع الاسلام دين أو أكثر بين المواطنين ، ولكن الإسلام فى الملايو له وضعٌ خاص ، إنه هو والقومية تعبير واحد ، فالإسلام هو الذى الْتفَتْ حوله جماهيرُ المواطنين لتقوى به ، ولتقف فى وجه الزحف الصينى الذى يهدد وجود أهل الملايو ، ويحاول أن يسلب ديارهم ، وقد كان الإسلام هو المركز الذى التف حوله الإندونيسيون فى صراعهم ضد الاستعمار فلما انتهى الاستعمار وجدنا فى اندونيسيا من يعتنق المسيحية أو يتجه للشيوعية ، ولكن الملايو بقيت على تمسكها بالإسلام حتى تتكتل أمام العدو الصينى الذى أراد أن يأخذ لنفسه كل شىء . وقد سبق أن ذكرنا أن الاسلام والقومية امتزجا فى الملايو لدرجة أن الرجل الذى يعتنق الاسلام يقال عنه إنه دخل فى الملايوية ، ويتحتم عليه عقب ذلك أن يرتدى فى بعض المناسبات لباس الملايو ويعيش عيشتهم ، لقد كان الاسلام ولا يزال مركز الإنقاذ والأمل لسكان الملايو .

رئيس وزراء جديد لماليزيا يحمل فكرا جديدا

فى مطلع عام ١٩٨٢ تولى رياسة الوزراء فى ماليزيا رئيس جـديد هو الدكتور ماهايتو محمد ، ويقولون عنه إنه شخصية تثير الإعجـاب كما تثير القلق والحذر ، وسر الإعجاب به انتماؤه إلى الأغلبية المسلمة ذات الأصل الملايوى ، وأنه طبيب مثقف نشأ من أسرة عادية ، فهو بذلك لا ينتمى إلى الأسر الملكية مثل رؤســاء الوزراء الأربعة السابقين •

ثم هو شديد الاعتداد بالكرامة القومية لماليزيا ، وبالتالى كان قبل توليه رياســة الوزارة معروفاً بنقده لمكانة الأجنــاس غـير الملايوية فى الملايو ، وقد نشر فى ذلك كتابين أحدهما بعنوان « العلاقات بين الأجناس » الذى هاجم فيه غير الملايويين فى الملايو ، والثــانى بعنــوان « المعضلة الماليزية » ويشرح فيه أن الاستثمارات الصينية ازدهرت على حســاب الشعب الماليزى •

والرئيس ماهايتو فى وضعه الجديد يحاول أن يطمئن غير الملايويين فى الملايو ، ولذلك أعلن أن اتجاهه ذلك كان بهـدف إيضــاح خطـورة عدم التوازن بين الأجناس المختلفة فى ماليزيا ، ووعد الدكتور ماهايتو بأنه سيعمل بكل جهــده لإنعاش اقتصاد البلاد ، ولمحاربة الفساد الحكومى ، كمــا أعلن تمسكه الشديد بالقيم الروحية

ومن الأشياء التى أعلنهــا دكتور ماهايتو أنه مستعد للإفراج عن مئات المعتقلين السياسيين ممن أدينوا فى حــوادث عنصرية بشرط أن يغادروا البلاد متنازلين عن الجنسية الماليزية •

إن ماليزيا تواجــه عصراً جديداً مع الدكتور ماهايتو ونحن نرجــو أن يكون عصراً ميموناً ، وأن يحقق الرئيس الجديد لشعبه مزيداً من الثراء والرخاء •

تاريخ اندونيسيا من الزحف الغربى حتى الآن

العلاقات التجارية بين آسيا وأوربا :

كانت هناك كما قلنا من قبل علاقات تجارية بين آسيا وأوربا منذ زمن بعيد ، وكان الشرق الأوسط هو الوسيط التجارى بين الطرفين وهو بالإضافة إلى دور الوساطة كان يُسهم ببعض السلع فى هذه العملية التجارية .

وكانت التجارة بأوربا وآسيا تسلك طريقاً من طريقين :

١ — الطريق البحرى عبر البحر المتوسط مروراً بمصر إلى البحر الأحمر ، فالخليج العربى فالمحيط الهندى .... وكان هذا الطريق يعود على مصر بفوائد جمة بسبب ما تدفعه التجارة من ضرائب ، وما تحتاجه من وسائل لنقل البضائع من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر .

٢ — الطريق البرى وقد يجىء من الشمال إلى سوريا فصحرائها ، فالعراق إلى الهند ، أو يتخذ خطوة بحرية قصيرة عبر البحر المتوسط إلى سوريا وسمى طريقاً بريًّا لأن أكثر مراحله برية .

وعندما ظهر نفوذ العثمانيين فى المنطقة بدأ تجار الشرق الأوسط يوسّعون نفوذهم فى الطريقين التجاريين ، ولم يسمحوا لتجار أوربا بالسير فى هذين الطريقين ، وألزموهم بممارسة التجارة مع آسيا عن طريقهم بحيث تبقى مراكز التجارة الأوربية فى جنوه والبندقية ويمدهم تجار الشرق الأوسط بما يحتاجونه من سلع .

وفى نفس الوقت الذى كانت هذه الروح التجارية تظهر كان هناك صراع دينى تنفعل به نفوس الشرق والغرب جميعاً فى أعقاب نهاية الحروب الصليبية ونهاية المسلمين بالأندلس ، ولما كانت البرتغال هى التى قادت أبرز خطوات الحركة ضد المسلمين بالأندلس ، فإنها وضعت

نفسها حامية للعالم المسيحى ، ومُدافعة عن أهدافه واقتصادياته ، كما اتجهت لمهاجمة ما تستطيع من المناطق الاسلامية دفاعا عن المسيحيين ومصالحهم •

وكان من ضمن نشاط البرتغال البحث عن طريق جديد للوصول إلى الشرق دون المرور بالمناطق الإسلامية فى سوريا ومصر ، كما اتجهت البرتغال إلى غرب إفريقية للتجارة معها بدلاً من شرق إفريقية الذى كان المسلمون لهم السيطرة فيه ، وقد بدأ هذا النشاط بواسطة الأمير هنرى وهو ابن الملك يوحنا الذى طُرِدَ المسلمون من الأندلس فى عهده ، والذى سُمِيَ فيما بعد هنرى الملاح •

وفى الطريق الجديد أى فى غرب إفريقية تطورت خطوات الملاحين البرتغاليين : هنرى ثم دياز ثم فاسكودى جاما الذى وصل إلى الهند سنة ١٤٩٨ م ومن الهند وصل البرتغاليون إلى الملايو واندونيسيا •

وبوصول البرتغاليين إلى هذه المناطق باسم التجارة حولوا وجهة نظرهم من التجارة إلى الاستعمار ومحاولة الاستقرار بهذه الأماكن ، وقد احتكر البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح حوالى مائة عام ، وقووا مركزهم باحتلال عمان وبعض مناطق الساحل الشرقى لإفريقية ، وأصبحت البرتغال بذلك أكبر مركز تجارى لاوربا •

ولم يدم الحال للبرتغاليين ، فسرعان ما زحف الأسبان على هذه المناطق وبخاصة بعد أن استولت أسبانيا على البرتغال ، ثم زحف لها الهولنديون فدفعوا أسبانيا إلى الفيلبين وأخذوا هم باقى ممتلكات البرتغال ولكن سرعان ما اقتحم الانجليز والفرنسيون هذه الأماكن أيضاً ، وقامت منافسات شديدة بين الدول الأوربية بعضها والبعض فى محاولة السيطرة على اقتصاد مناطق الشرق الأقصى ، وقد انتهت هذه المنافسات — كما ذكرنا من قبل• — إلى تسوية استعمارية جعلت اندونيسيا من نصيب هولندا •

وعلى العموم فقد كان الزحف الأوربى فى مطلعه مصبوغاً بصبغة تجارية ، وقد بدأ وكأنه يعمل فى مجال الاقتصاد وحده ، ولكن العمل التجارى انتقل إلى عهود ومواثيق بين الأوربيين وبعض زعماء مناطق الشرق الأقصى ، وانتقلت العهود إلى محاولات للاحتلال واستوجب الاحتلال صراعاً لطرد المستعمرين ... كما سنرى فيما بعد .

هولندا فى إندونيسيا :

ولما كان حديثنا عن إندونيسيا وصراعها مع الاستعمار الغربى سيرتبط بوجه خاص بهولندا فإن من اللازم أن نتتبع هولندا فى إندونيسيا خطوة خطوة .

فى شهر إبريل سنة ١٥٩٥ م تحركت أربع سفن هولندية تجارية من هولندا متجهة إلى إندونيسيا تحت قيادة De Houtman ووصلت إلى بانتام على ساحل جاوة الشمالى الغربى فى ٥ يونيو ١٥٩٦ م ، ولم يحسن الأهالى استقبال الهولنديين ، اعتقاداً منهم أنهم كالبرتغاليين فى أهدافهم الاستعمارية، ولكن الهولنديين آنذاك كانوا فى صراع مع البرتغاليين مما خلق روح تفاهم بين الإندونيسيين والهولنديين ، ومن أجل هذه الروح أحسن الإندونيسيون استقبال السفن الهولندية الأخرى التى جاءت إلى بلادهم عقب ذلك ، وبخاصة أن الهولنديين اتجهوا آنذاك إلى التجارة وحدها (١) .

وسرعان ما كشفت هولندا عن أنيابها الاستعمارية فأنشأت بسنة ١٦٠٢ م شركة الهند الشرقية الهولندية التى أخذت تحتكر التجارة ، وتفرض على السكان أن يزرعوا أنواعاً معينة من الزراعة ، وتجبى الضرائب على المنتجات الزراعية ، إذ احتكرت تصديرها ، وهذا بطبيعة الحال اتجاه استعمارى واضح .

---

(١) بريان هاريسون : ص ١٣٠ وقهر الدين يونس : هذه هى اندونيسيا ص ٨١ .

وبدأ صراع عسكرى بين هولندا وبين السلطان آجـونج سـلطان متارم الإسـلامية (١٦١٣ ـ ١٦٤٥) وكان هـذا السلطان أكبر عـدو للاستعمار الهولندى وقـد حاول السلطان أجونج أن يمد نفـوذه إلى باتافيا (جاكارتا الآن) ولكن القوات الهولندية ردت قواته ، بيد أن قائد القوات الهولندية سقط فى هذا الصراع .

واتجهت هولندا إلى خدمـة مصالحها فقط بإندونيسيا ، فأوقفت نشاط اندونيسيا التجارى الذى تحدثنا عنه من قبل والذى كان يقـوم به التجار الإندونيسيون بين منطقة ومنطقة ، وبين إندونيسيا بوجـه عام والشرق الأوسط ، وألزمت هولندا السكان أن يقوموا بالزراعة فقط ، وبهذا حكمت هولندا على إندونيسيا أن تصبح دولة زراعية فقط ، لا شأن لهـا فى التجـارة .

ومما يتحتم ذكـره هنا أن الهـولنديين ككل المستعمرين الغربيين اتجهوا بكل قوتهـم إلى الحصـول على التـوابل لتجلب لهم الكسب السريع ، ولم يتعرفوا على الهبة العظمى التى كان يمكن أن يحصلوا عليها لو درسوا طبيعة البلاد ، واهتموا بأنواع من الزراعة والصناعة بهـا ، وكان شأنهم فى ذلك شأن الباحثين على الذهب فى كاليفورنيا بأمريكا سنة ١٨٤٩ الذين لم يهتموا فى ذلك الوقت بالثراء الحقيقى والأكبر والدائم بكاليفورنيا عن طريق زراعة القطن والحبوب وإنتاج البرتقال .

ومن أخطاء الاستعمار كذلك أنه لم يتجه إلى التعرف على ثقـافة الشعب الإندونيسى وتراثه وحضارته ، ولو أنه فهم ذلك لكان من الممكن إقامة علاقات أفضل بين الطرفين .

ومن هذه الأخطاء أيضا أن المستعمرين اتجهوا بكل قواهم للتعامل مع الأمراء والملوك وتجاهلوا جماهير الشـعب وقد فوجئوا بأن من بين الملـوك كان يوجـد جمـاعة عَمُقَ فيهم الإخـلاص والولاء لوطنهم

ولشعوبهم ، وممن برزت أسماؤهم فى العصر الحاضر من هؤلاء سلطان « جوكجا كارتا » « هيمنجكوبومو التاسع » الذى كانت خدماته العامة قد جعلت منه بطلا وطنياً فى فترة الأزمة بين الاستعمار والاستقلال (١) .

وقد عرفتُ هذا السلطان ورأيت فيه مثالاً رائعاً للقائد الذى يتطلع للخلود .

الصراع ضد هولندا :

ولم يقف الإندونيسيون موقفاً سلبياً أمام هذا الاحتلال الهولندى السافر ، فقامت حركات عسكرية هائلة ضد هولندا قادها السلطان حسن فى « جوا » والأمير « ترونوجويو » وسلاطين جزر الملوك ، وقد حدثت هذه المعارك فى القرن السابع عشر الميلادى ولكن النصر فيها كان لهولندا .

بريطانيا فى إندونيسيا :

وفى مطلع القرن التاسع عشر احتلت فرنسا فى عهد نابليون بونابرت هولندا ، وهذا أتاح الفرصة لإنجلترا لتمد نفوذ إلى إندونيسيا من سنة ١٨١١ م إلى سنة ١٨١٤ م ولكن بريطانيا أعادت إندونيسيا إلى هولندا سنة ١٨١٥ م بعد سقوط نابليون .

هولندا بإندونيسيا مرة أخرى :

جاءت هولندا إلى إندونيسيا هذه المرة أكثر شراسةً وقوة ، ربما لتعوض ما فقدته من كرامة واقتصاد أمام جيوش نابليون ، وأصبح الاحتلال سافراً فى هذه المرة ، كما هبت حروب طاحنة ضد المحتل الغاصب وشملت هذه الحروب أكثر المناطق والبلدان فى إندونيسيا ، ومن أشهر هذه الحروب ما يلى :

---

(1) Datus Smith : The Land and People of Indonesia pp. 82, 93,95.

- ثورة جزائر الملوك بقيادة السلطان حسن (١٨١٦ — ١٨١٨)
- حرب جاوة بقيادة الامير ديبونوجورو (١٨٢٥ — ١٨٣٠)
- حرب بادرى فى غربى سومطرة بقيادة إمام بونجول (١٨٣٠ — ١٨٣٧)
- حرب آتشه فى شمالى سومطرة بقيادة تنكو عمر (١٨٧٣ — ١٩٠٣)
- حرب شمال سومطرة بقيادة مانجاراجا ملك باتاك سنة ١٩٠٧ وحروب أخرى كثيرة فى جوا بجزيرة سيليبس وفى جزيرة كاليمنتان وفى بالى وغيرها .

وكانت سياسة الحرب بالنسبة لهولنده ، هى ما يعبر عنه بانيكار بقوله « ان التدمير وقوة الانتقام كانت تكوّن القصة المتكررة فى هذه الحرب » (١)

وكان النصر فى هذه الحروب لهولندا بسبب المعدات الحربية الحديثة التى كان يتزود بها الجيش الهولندى ثم بسبب التفكك فى إندونيسيا .

القرن العشرون وحركات التحرير

لم تضع الهزائم العسكرية حداً لنضال إندونيسيا ، بل على العكس من ذلك فقد شحذت الحروبُ الهمم ، وحرّك الدمُ العزائمَ ، وأصبحت كل بقعة من الأرض التى خضبتها الدماء تصرخ فى الأحياء أن يثأروا للشهداء ، ولذلك شهد القرن العشرون حركاتٍ صاخبة مدوية ضد الاستعمار ، وقد تعدّدت هذه الحركات بسبب ما قدّمه هذا القرن من تطور فى الفكر للمجتمع الإنسانى ، فلم تعد الحركات ثورات فقط ، بل أصبحت أكثر شمولا ، وبالتالى أكثر نجاحاً ، فقد شملت الحركات الاندونيسية جوانب السياسة والجانب الاجتماعى والثقافى ، ولم يعد الصراع مقصورا على الرجال ، بل قامت المرأة بدورٍ خطير فى هذا المجال معضّدةً الرجال ، وفى مجال الحديث عن نشاط المرأة فى اندونيسيا يبرز اسم (كارتينى) (١٨٧٩ — ١٩٠٤) وهى ابنة حاكم

---

(١) آسيا والسيطرة الغربية ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ص ١١٣ .

جابارا وقد اتجه اهتمامها الى تعليم المرأة ، وكانت حركتها مطلع اتجـاه الطبقة الاستقراطية لمشكلات الشعب (١) •

وقد حدث فى مطلع القرن العشرين أن انتصرت اليابان على روسيا سنة ١٩٠٥ ، ثم جاءت ثورة الصين سنة ١٩١١ ، وهذا الانتصـار وتلك الثورة أوحتا للشرقيين أن فى إمكانهم أن ينتصروا عـلى قوى العـدوان وجحافل الغـرب •

وكان مما سبب أن تتجه الحركات الإندونيسية هـذه الاتجـاهات الجديدة أن الممالك بإندونيسيا التى كان بها جيوش واستعدادات حربية قد سقطت ، ومن هنا اتجهت الحركات الاسـتقلالية وجهـة أكثر تأثيرا وأعظـم أثرا ، وسنتحدث عن كل من هـذه الحركات فيما يلى حـديثا قصيرا وافيا :

أولا ــ الاتجـاهات السياسية :

اتجه الاندونيسيون منذ مطلع القرن العشرين إلى تكوين التجمعات السياسية بعد انتهاء التجمعات التى كانت تكوّن الممالك ، وكانت التجمعات السياسية أعظم جدوى لأنها اتجهت إلى تكوين وحـدة واحـدة لجميع الجزر ، بعد أن كانت الممالك تقسم الجزر إلى دول متعددة ، وعلى هذا فإن هذه التجمعات السياسية وضعت الجذور لوحدة إندونيسيا ، وكنتيجة لهذه التجمعات السياسية ظهرت الأحزاب المتعددة فى إندونيسيا ، ومن أهم هذه الأحزاب :

١ ــ شركة إسـلام التى ابتدا نشـاطها سنة ١٩١١ م ، وكان من أبرز قادتهـا عمر شكرو أمينوتو وهو سليل العـائلات المالكة ، وكان يميل للديمقراطية والحياة الشعبية ويُعنى بسلامة الوطن ، وفى عام ١٩٣٤ توفى شكرو أومينوتو وتقسم الحزب بعده عدة أقسام كان أهمها شعبة

---

(١) البروفسور رومين : آسيا المعاصرة ص ١١٨ من الترجمة العربية .

سمّمت نفسها « حزب الإنصاف » برياسة الحاج أجـوز سالم ، وقد ظل هذا الحزب على صلة بالحزب الأصلى •

٢ — « حزب إنديسخ » وقد بدأ نشاطه سـنة ١٩١٢ م • وأبرز رجاله « دوويس ديكار » والدكتور جفتو وكان هذا الحزب يُعلن أن من أهدافه توحيـد السكان سـواء كانوا من أصـل إندونيسى أو وافدين على إندونيسيا ومستقرين بها •

٣ — الحزب الشيوعى الإندونيسى الذى بدأ نشـاطه سنة ١٩٢٠ وأبرز رجاله سماعون الشيوعى الإندونيسى متعاوناً مع بعض الشيوعيين الهـولنديين •

٤ — الحزب الوطنى الإندونيسى وقد بدأ نشـاطه سـنة ١٩٢٧ وأبرز أعضائه سوكارنو وسوناريو وسارتونو •

وكان لهذه الأحزاب أعضاء من مختلف الجزر والنواحى بإندونيسيا ، وكانت لها أنشطة متعددة ومؤتمرات فعالة هزّت قوى المستعمر ، ومن أبرز الحركات الثورية التى نشأت عن الأحزاب ثورة ١٩٢٦ التى قام بها الشيوعيون الإندونيسيون ضد هولندا ودمروا فيهـا كثيرا من الممتلكات الخاصة بالأفراد وبالدولة •

ثانيا — الاتجاهات الاجتماعية :

كان هناك لفيف من زعماء الإندونيسيين وبخاصة من الشبان يرون أن الحرية والاستقلال لابدّ أن يتخذا العلم أساسا لهما ، ومن هنا اتجه هؤلاء الزعماء الى تربية الشعب وتعليمه ، وسنتحدث فيما يلى عن زعماء هذا اللون من النشـاط وعن الهيئات التى حملت هذا العبء :

١ — بودى أوتومو :

بودى أوتومو اسم مؤسسة ثقافية أنشأها وحيد الدين الذى بدأ

نشاطه مع مطلع القرن العشرين ، وقد قدم وحيد الدين أفكارا جديده الى الشعب الإندونيسى اذ أعلن أن العلم مضافاً إلى القوة الحربية كفيل بطرد المستعمرين من أرض الوطن ، ووضع وحيد الدين أفكاره موضع التنفيذ عندما أصدر جريدة تحمل الفكر والعلم إلى الناس • وقام وحيد الدين بجولة فى ربوع إندونيسيا ، ودعا إلى إنشاء صندوق لنشر الثقافة والتعليم ، وأنشأ سنة ١٩٠٨ جمعية ثقافية اسمها « بودى أوتومو » فى جوكجاكرتا وأصبح لها فروع فى أربعين بلدا وآلاف الأعضاء فى كل مكان (١) •

٢ — الجمعية الاندونيسية :

وكانت تتكون من الطلاب الاندونيسيين خارج إندونيسيا وفى هولندا نفسها بوجه خاص ، ثم امتد نشاطها إلى إندونيسيا وانضم لها كثير من الشبان الموظفين والمثقفين ، وأعلنت هذه الجمعية أن هدفها الأساسى هو استقلال اندونيسيا من الاستعمار وللوصول الى ذلك يتحتم توعية أبناء إندونيسيا وتوجيههم إلى الحركات القومية الإندونيسية ، ويُنْسب لهذه الجمعية انها هى التى غيرت اسم البلاد من « جزر الهند الهولندية » الى « اندونيسيا » (٢) •

٣ — جمعية شبان المسلمين :

قامت هذه الجمعية سنة ١٩٢٤ ومبدؤها الأساسى هو التجمع حول الدين الإسلامى للكفاح ضد الاستعمار الهولندى المسيحى ، وقد استلزم هذا أن حاول أعضاء هذه الجمعية تقديم الإسلام الصحيح إلى السكان ليلتفوا حوله ويعملوا حول رايته ومن أبرز أعضاء هذه الجمعية الدكتور محمد حتى ، وقد ابتكرت هذه الجمعية ما سُمِى فيما بعد « يمين الشبان »

---

(١) وان احمد : الأوضاع السياسية والحضارة باندونيسيا وماليزيا فى القرن العشرين ص ٨٤ (رسالة دكتوراة باشراف) .

(٢) دكتور انداس وزميلاه : تاريخ اندونيسيا حـ ٣ ص ٣٣ .

الذى اتخذ أساساً لحركات إندونيسيا وآمالها ، ويشمل هذا اليمين ثلاث نقاط مهمـة هى : لغة واحدة ــ شعب واحد ــ وطن واحد •

وقد أقسم هؤلاء الشبان هذا اليمين يوم ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٨ ، ومنذ ذلك الحين أصبح ذلك اليوم عطلة رسمية للبلاد •

وقد تطورت هـذه الجمعية فشملت كل الشـبان ولـو لم يكونوا مسلمين ، وإن بقى الفكر الإسلامى واضح السيطرة عليها •

ثالثا ــ الاتجـاهات الثقافية :

لم يقنع الإندونيسيون وبخاصـة المسلمون منهـم بالمدارس التى أنشـأها الاستعمار إذ كان واضحا أن هـذه المدارس أنشئت لخـدمة هولندا وتخريج الموظفين اللازمين للإدارة الحكومية ، ومن هنا اتجـه المسلمون إلى إنشـاء مؤسسة إسـلامية ثقافية أسـموها « الجمعيـة المحمدية » وقد أنشأها سنة ١٩١٢ كياى أحمد دحلان بجوكجاكرتا ، ومن أهم أهدافها : توسيع الثقـافة الدينية الإسـلامية لأبناء البـلاد بكافة المستويات ، وتطوير هذه الثقافة ولاسيما بين الأعضـاء فى الجمعية ، حتى يكون هناك أعضاء قادرون على ممارسة الشئون الإسلامية ، كما أمرهم الإسلام وقادرون على إدارة شئون الدولـة فى المستقبل القريب لطـرد الاستعمار وتحرير البـلاد •

وللحصـول على أهدافهـا أقيمت المدارس الدينية والإسـلامية فانتشرت هذه المدارس فى ربوع البـلاد فى وقت قصـير ، ورحب أبناء البلاد بهذه المدارس ، وفى عام ١٩٢٥ م (١٣٤٣ هـ) كان هناك ٢٩ فرعـاً لهذه الجمعية منتشرة فى أنحاء البلاد ثم ازدادت فروعها فى عـام ١٩٢٩ إلى ٨٠ فرعاً واستمرت هذه الزيادة على مر السنين (١) •

وقامت بجانب المحمدية مراكز ثقافية مماثلة تخدم نفس الأغراض ،

---

(١) الدكتور انداس وزميلاه : تاريخ اندونيسيا جـ ٢ ص ٣٩ •

وعندما أراد الإستعمار أن يتدخل فى تحـديد منـاهج هذه المعـاهد ثار الرأى العام مؤيّدا لها ، وأيدتها الأحزاب .

وقـد تعاونت هـذه الهيئات وتلك المؤسسات مع بعضها البعض فى مصارعة الاستعمار وإضعاف شأنه وكان الاستعمار يصارع هيئة منهـا فتواجهه هيئة أخرى ويقابل ثورة فى مكان فما إن يطفئها حتى تهبّ ثورة أخرى فى مكان آخر ، وبين شدٍ وجذب جـاءت الحرب العالميـة الثانية (سنة ١٩٣٩) التى ألزمت قوى الغرب أن تتطامن ، وأن تحسّن مسلكها أمام الشعوب المغلوبة مخافة أن تنضم هذه الشـعوب لقوات المحـور . وفى هذا الجو المشحون بالخوف والقلق من جانب هولندا والأمل والرجاء من جانب الإندونيسيين اندفعت اليابان لتحتل بلاد الشرق الأقصى التى كانت تابعة لقوى الغرب ، واستسلمت القوات الغربية فى تلك المناطق ، وبدا بالنسبة لإندونيسيا عهد جديد آن لنا أن نتكلم عنه .

اليابان فى إندونيسـيا

كانت اليـابان منـذ زمن بعيـد تتطلع إلى امتـلاك بعض جـزر إندونيسيا ، وبخاصة جزيرة غينيا الجديدة التى كانت اليابان ترى فيهـا أساساً مهماً لنشـاطها الاقتصادى ، إذ أن الجـزيرة تنتج المواد الخام اللازمة لكثير من الصناعات اليابانية ، وسيراً وراء هذا الأمل كانت اليابان تسمى غينيا الجديدة باسم اليابان الجديدة (١) .

ولما قامت الحرب العالمية الثانية انتهزت اليابان هذه الفرصة فأطلقت تعبيراً خداعاً هو (آسيا للأسيويين) وكان المعنى الحقيقى فى نظر اليابانيين هو أن آسيا لليابانيين ، ولكن هـذا المعنى الحقيقى ظـل سراً فى الذهن اليابانى ، وتظاهرت اليابان بالتعاون مـع الشـعوب المغلوبة فى الشرق الأقصى ، وفى الوقت نفسـه كانت اليابان تُعِدّ نفسها لدخـول هـذه

(١) قهر الدين يونس : هذه هى اندونيسيا ص ١٣٧ .

الحرب لتحقيق أطماعها بواسطة الانتصار على القوى الغربية فى هــذه المنطقــة •

ورأت اليابان أن جانب المحــور يرجح فى ســنة ١٩٤١ وكان ذلك فرصة لليابان ، فأعلنت الحرب على الحلفاء ، وانضمت إلى المحــور فى صراعه المرير ، وهاجمت جيوش الحلفاء فى ١٨ ديسمبر ١٩٤١ ، وضربت أسطول الحلفاء فى « بيرل هاربر » وواصلت هجماتها وانتصاراتها ، ولم تجد الحكومة الهولندية العون الغربى الذى كانت تعتمد عليه للسيطرة على إندونيســيا ، فاستسلمت فى ٩ مارس ســنة ١٩٤٢ ، وسلمت الشــعب الإندونيسى إلى اليابان •

سياسة اليابان فى إندونيسيا :

لعل بعض الإندونيسيين اعتقــدوا أن اليابان فى إندونيسيا ستكون أحسن من هولندا بها ، ولعلهم اعتقدوا أن اليابان جاءت لتطرد هولندا ، ثم تدع البلاد لذويها ، ولكن سرعان ما تبين لهم أن اليابان جاءت لتستعمر بلادهم ، ولتسلب اقتصادهم على نحو ما كانت تفعل هولندا وربما عــلى نحو أقسى •

واشــتد عسف اليابانيين بكل من ظهرت منــه مقــاومة للاتجاهات اليابانية ، فكانوا يحلقون شعر الثائرين ويضربونهم على رءوسهم ، كمــا أصدروا الأوامر للاندونيسيين بالانحناء اجلالا وتعظيما لليابانيين (١) ،

واتخذت اليابان نظماً إدارية واسعة فى إندونيسيا فأحلّت بموجبها الموظفين اليابانيين محــل كبار الموظفين الاندونيسيين ، وقسّمت البــلاد أقســاماً لتضمن سيطرتها الكاملة عليها عن طريق السيطرة على كل قسم •

ومن الناحية الاقتصادية عملت اليابان على أخذ ما يمكن أخذه من

---

(١) Louis Fisher : The Story of Indonesia p. 25.

محصـــولات إندونيسيا إلى الجـــزر اليابانية ، وتركت كثيراً من بقـــاع إندونيسيا فى شبه مجاعات •

ومن الناحية الثقافيـــة أسرعت الحكومة اليابانيـــة بإلغـــاء اللغـــة الهولندية من المدارس الإندونيسية وإحلال اللغة الملايوية محلها ، وكانت هذه المعاملة مما أرضى الإندونيسيين فى مطلع العهـــد اليابانى ، كما غيَّرت اليابان اسم العاصمة من (بتافيا) إلى (جاكارتا) ، ولكن هـــذه المظاهر لم يطل أمدها فسرعان ما فرضت اليابان لغتها على التعليم عـــلى أمل أن تصبح اللغة اليابانية هى اللغة الرسمية بعد قليل ، ولكن هـــذا الهـــدف لم يتحقق أبداً لليابان •

وقد كان التحول من اللغة الهولندية إلى اللغـــة الملايوية وســـيلة للســـير باللغة الإندونيسية نحو الكمال ، وقد اهتم الإندونيسيون بهـــذه الخطوة فابتكروا اصطلاحات جـــديدة فى لغتهم ، وعملوا بكل الوســـائل لاستكمال نضجها ، وأدخلوا تحسينات كبيرة فى ألفاظها وطريقة تركيبها ، حتى تصبح بحق لغة دائمة للبلاد (١) •

واستمراراً لهذا الاتجاه فى الرقى باللغة الإندونيسية ألّفت فى ٢٠ أكتوبر ســـنة ١٩٤٢ لجنـــة من المفكرين الإندونيسيين لاقتراح ما تـــراه ضرورياً لإصلاح اللغـــة الإندونيسية وجعلها صـــالحة للاستعمال فى كل المجالات ، وقد أدْخلت هذه اللجنة آلاف الكلمات الجـــديدة على هـــذه اللغـــة (٢) •

الصراع ضـــد اليابان :

قلنا آنفاً إن الإندونيسيين كانوا يعتقدون أن اليابان جاءت لتطـــرد

---

(١) دكتور محمد فخر الدين : تاريخ اندونيسيا الأدبى والتحريرى والاسلامى ص ٥٣ .

(٢) سوتان شهبانا : الثورة الاجتماعية والثقافية فى اندونيسيا ص ٧٠ .

هولندا تمهيداً لاستقلال إندونيسيا ، وفى ظل هذا الاعتقاد حدثت لقاءات بين بعض الزعمـاء الإندونيسيين وفى مقدمتهم سـوكارنو ومحمد حتى وكياى حاجى منصـور للإعداد لاسـتقلال إندونيسـيا ، ولكن سرعان ما تبين أن اليابان جاءت لتحتل البلاد ، ومن هنا بدأت تحركات ثورية ضد اليابان ، وقد بدأت هذه الحركات بواسطة الجيش الإندونيسى الذى كونته اليابان ليساعدها فى الصراع ضد الغرب ، ولكن هذا الجيش عندما أحسّ بأن اليابان استعمار مكان استعمار أظهر التمـرد ، واتجه للدفاع عـن البـلاد ضد الاستعمار أياً كان موطنه ، ولهذا حلّت اليابان هذا الجيش ، ولكن حلّه لم يكن نهـاية الصراع ، بل ربمـا قـوّى الصراع ، فقـد أدركت البـلاد الموقف الحقيقى لليابان ، فاتجهت اتجـاها ثورياً لتحقق ما لم يتحقق بالطرق السياسية وقامت حركات سرية كان بعضها بقيـادة كبار المثقفين مثل سوتان شهرير ، وآدم مالك ، وخـير صالح ، وبعضها بقيادة الطلاب الذين هبوا يدافعـون عن بلادهـم بزعامة سوباندريو ، وكونتو ، وغـيرهما .

وبالإضافة إلى هذا قامت ثورات عارمة فى مناطق متعددة بإندونيسيا وأهمها ثورة آتشة بقيادة تنكو عبد الجليل ، وثورة أمفيل بقيادة الحاج مادرياس وغيرهما من الثورات .

وكانت اليابان عنيفة فى معاملة هذه الثورات فقد قتلت آلاف الناس دون رحمة ولا عدل ، وقد بلغ عدد الذين قتلوا فى ثورة كلمنتان عشرين ألف نسمه (١)

اعتراف اليابان باستقلال إندونيسيا :

لم تطل مـدة اليابان فى إندونيسيا ، إذ سرعان ما أحسّت اليابان بمؤشرات الهزيمة فى موقفها من الحلفاء وأدركت اليابان أنها على وشك أن تخسر الحرب ، وانكمشت مطامعهـا فى إندونيسيا وغـيرها فى بقـاع

---

(١) دكتور انداس : تاريخ اندونيسيا جـ ٣ ص ٥٩ .

المنطقـة ، ولم يبق لها إلا أمل ضئيل هو أن تستقل هـذه البـلاد حتى لا تعـود إلى حكم الغرب ، فلعـل استقلالها يخلق جـواً من التعـاون بينها وبين اليابان ، ومن هنـا اتجهت اليابان إلى الاستعداد لاسـتقلال إندونيسيا ، وكان ذلك فى أوائل أغسطس سنة ١٩٤٥ ، فقد دعا الحـاكم العسكرى العـام اليابانى بجنـوب شرقى آسـيا ، زعيمى إندونيسيا لمقابلته فى (دالت) بالقرب من سيجون ببورما ، وذلك لتسليم اسـتقلال إندونيسيا إليهما مع اعتراف اليابان بهذا الاستقلال ، وكان ذلك الاجتماع فى ١٢ أغسطس سـنة ١٩٤٥ . وفى هـذا الاجتمـاع أعلـن الحـاكم العسـكرى ما يلى :

إن الحكومة اليابانيـة بطوكيو قـد قـررت إعطـاء الاستقلال لإندونيسيا وللجنة التمهيدية تحت قيادتكم أن تعمل لتنفيذ هذا القرار .. (١)

إعـلان الاسـتقلال :

وعاد سوكارنو وحتى من سايجون إلى جاكرتا فاستقبلهما الشعب بالترحاب والأمل ، واستقبلهما الحاكم اليابانى مهنئا ، وتمّ الاتفـاق على إعلان الاستقلال ، وكتبت وثيقة الاستقلال ونصها :

نحن الشعب الاندونيسى نقرر اسـتقلال إندونيسيا ، وشئون انتقـال السلطات إلى الشعب ستنفذ بدقـة فى أسرع وقت ممكن

جاكرتا فى ١٧ أغسطس ١٩٤٥

عن الشعب الإندونيسى

سوكارنو ــ محمد حتى

وتبعاً لذلك اتفق أعضاء اللجنة التمهيـدية لاسـتقلال إندونيسيا بإجماع الآراء على تعيين سوكارنو رئيساً للدولة ومحمد حتى نائباً له ،

(١) دكتور محمد حتى : حول اعلان الاستقلال ص ١٠ ــ ٢١ .

واعتبار أن الاثنين واحد ، وهو شعار ذاع آنذاك لإيضاح أن الدولة تحتاج للاثنين معاً لمكانهما من الجهاد من جانب ، ولأن سوكارنو يمثل العنصر الجاوى ومحمد حتى يمثل العنصر السومطرى ، وجاوه وسومطرة تمثلان الجمهرة العظمى من سكان إندونيسيا .

الغرب يحاول العودة لإندونيسيا

عندما أصبح واضحاً أن كفة الحلفاء رجحت فى الحرب العالمية الثانية ، وعندما اتجهت اليابان للاستسلام عقب إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما وناجازاكى فى ٦ و ٩ من أغسطس سنة ١٩٤٥ ، عندئذ صدرت أوامر الحلفاء لليابان بعدم تسليم إندونيسيا للإندونيسيين ، ولكن اليابان لم تنفذ هذه الأوامر ، وأعلنت استقلال إندونيسيا كما ذكرنا من قبل ، ولذلك نجد أن هناك عملين متناقضين عقب استسلام اليابان ، العمل الأول هو اتجاه الإندونيسيين إلى تكوين الوسائل لاستكمال استقلال بلادهم ، والعمل الثانى محاولة الغرب تجاهل الاتجاه الإندونيسى والزحف للعودة بالتاريخ إلى الوراء .

وفيما يتعلق بوسائل الإندونيسيين لاستكمال سيادتهم على بلادهم اتجه الإندونيسيون إلى تكوين « اللجنه القومية » التى كانت تمثل « مجلس الشعب » وكان أعضاؤها ٤٠٠ عضواً برياسة كاسمان ، كما اتجهوا لتكوين الأحزاب القومية ، فظهر حزب الماشومى وهو حزب تجمعت فيه العناصر الإسلامية ، والحزب الوطنى الإندونيسى ، والحزب الاشتراكى وغيرها من الأحزاب ، وتكونت بذلك أول وزارة برياسة سوكارنو نفسه ، وبعد شهرين تكونت وزارة جديدة برياسة سوتان شهرير ، كما تكونت القوات المسلحة الإندونيسية .

أما فيما يتعلق بمحاولة الغرب استعادة السيطرة على إندونيسيا ، فقد تحالفت قوى الاستعمار على ضرب البلاد ، فنزل جيش الحلفاء

« بجاكارتا » فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٥ ، وطلب من السكان تسليم أسلحتهم، ولكن الإندونيسيين رفضوا هذا الطلب ، وقاوموا مقاومة ناجحة مما جعل جيوش الحلفاء تدرك صعوبة الأمر ، فأنزلوا جيشاً كبيراً فى « سورابايا » ، وكان هذا الجيش يتبع بريطانيا ، ولو أن أكثر عناصره كانت للأسف هندية ، ومما يدعو للفخر أن المسلمين من الهنود رفضوا أن يطلقوا النار على الإندونيسيين وكانت ضحايا « سورابايا » عالية جداً ، وأنذر هذا الجيش البلاد بالاستسلام وطلب من الجيش الإندونيسى تسليم أسلحته ، ولكن الإندونيسيين رفضوا هذا الانذار ودارت معارك قوية ، وحدثت خسائر كبيرة فى الطرفين .

ونزلت القوات الإنجليزية فى سمارنج فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، كما نزلت قوات الحلفاء فى جزيرة سيليبس (سولاويسى) وقد ضحى الإندونيسيين فى معارك سولاويسى بحوالى أربعين ألف نسمة ، مما جعل المذبحة تشحذ همم الإندونيسيين وتقوّى حماستهم فى الصراع ، وألقى الهولنديون القنابل على جوكجا دون سابق إنذار (١) .

وكانت جوكجا آنذاك عاصمة الجمهورية التى أعلنها الإندونيسيون ، أما جاكارتا فقد كانت قوات الحلفاء تحتلها ، وبهذا كانت هناك حكومتان فى إندونيسيا (٢) .

اعتراف الغرب باستقلال إندونيسيا

عندما اتضح عزم الإندونيسيين على الاستقلال التام مهما كانت الضحايا ، وعندما أحسّ الحلفاء بفداحة الخسائر من الجانبين بدأت المفاوضات والمعاهدات التى أدت إلى استقلال إندونيسيا وقد حاولت هولندا أن ترجع فى تعهداتها فى الاعتراف بالاستقلال ، ولكن موقف الإندونيسيين كان حاسماً ، مما جعل هولندا تخضع للأمر الواقع ، وبخاصة أن قوَى الغرب أخذت تنفض عن

(١) Louis Fisher : The Story of Indonesia pp. 16, 23.

(٢) Ibid p. 31.

مساعدة هولندا ، لأن هذه القوى اتجهت لمواجهة الاتحاد السوفييتى الذى أراد عقب الانتصار فى الحرب أن يمد الفكر الشيوعى إلى مناطق متعددة ، وعندما تُركت هولندا وحدها التزمت بالخضوع ، واعترفت باستقلال إندونيسيا ، وكان ذلك فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٩ ، وبمقتضى هذا الاتفاق سُلمت كل الجزر الإندونيسية إلى ممثلى إندونيسيا فيما عدا إيريان الغربية التى تقرر أن تتم مشاورة" بين الدولتين بشأنها ، وقد انضمت إيريان الغربية إلى الوطن الأم بعد ذلك سنة ١٩٦٠ •

وكان اعتراف هولندا باستقلال اندونيسيا مرتبطاً بقيام ما سمى « بالاتحاد الهولندى الإندونيسى » ، وكان هذا آخر أحلام الاستعمار وقد وافق زعماء إندونيسيا على قيام هذا الاتحاد كخطوة نحو التحرر ، ولم يكن قيام مثل هذا الاتحاد طبيعياً لأوجه الخلافات الواسعة بين إندونيسيا وهولندا من ناحية الجنس والتاريخ واللغة والدين ، ولبعد المسافة بين البلدين ، وللذكريات التاريخية المريرة التى يرويها الإندونيسيين عن ظلم الرجل الهولندى •

ومن أجل هذا أعلنت إندونيسيا فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٤ حلّ هذا الاتحاد ، فانقطع بذلك آخر خيط بين البلدين (١) •

وكلمة حق مهمة نختم بها صراع إندونيسيا من أجل الاستقلال هى أن المسلمين لعبوا فى هذا الصراع دوراً كبيراً ، وقدموا أعظم التضحيات فى وقوفهم ضد البرتغال وهولندا وانجلترا واليابان ، ثم فى وقوفهم ضد الحلفاء • وقدم المسلمون ضحايا كثيرة فى صراع إندونيسيا ضد الشيوعيين بعد الاستقلال ، ومرة أخرى لقد كان الإسلام مركزاً تجمّع حوله المناضلون حتى كسبوا النصر •

وكان للإسلام دور آخر فى هذا الصراع وذلك عن طريق التأييد

---

(١) Louis Fischer : The Story of Indonesia p. 25.

المتصل الذى قامت به الدول العربية والإســلامية لإندونيسيا الشــقيقة المجاهدة ، وقد أدّت هــذه الدول دورَها خــير أداء ، فكانت مصر أول دولة تعترف باســتقلال إندونيسيا ، وترسل مندوبهــا إلى جوكجا كارتا عاصمة الجمهورية ليعلن هذا الاعتراف وليكون أول سفير لدى الــدولة الجــديدة ، كما رفضت الباكستان ــ كما ذكرنا من قبــل ــ تقــديم أية تسهيلات للقوى الهولندية التى كانت تتجه عن طريقها إلى إندونيسيا .

عهـد الاسـتقلال

برز فى عهد الاستقلال قيام الأحزاب لإدارة شئون البلاد ، ومن أهم الأحزاب التى عرفها ذلك العهد :

حـزب الماشـومى •
حزب نهضة العلماء •
الحـزب الوطنى •
بعض الأحـزاب المسيحية •
الحزب الشيوعى الإندونيسى •
وينبغى أن نقـول كلمة عن حـزب الماشومى والحـزب الشـيوعى الإندونيسى •

وفيما يتعلق بالحزب الماشومى نذكر أن هذا الحزب امتداد أو بديل لما كان يسمى (مجلس شورى مسلمى إندونيسيا) وكان هـذا المجلس يباشر الأعمال الدينية ولما تمّ الاستقلال عقد المجلس مؤتمره فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ بمدينة جوكجاكرتا واتخذ عدة قرارات من أهمهـا أن يصبح المجلس حزباً سياسياً يعبر عن آراء المسلمين بأندونيسيا ، وأصبح هـذا الحـزب قوة هائلة تمثل صـوت إندونيسيا بوضـوح وكان له لجـان وممثلون فى جميع نواحى إندونيسيا •

أما الحزب الشيوعى الإندونيسى فهو امتداد لحزب شيوعى بدأ فى عهـد الاستعمار الهـولندى بتأييـد هولندا وتخطيطها ، وسبب ذلك أن الإستعمار الهولندى لاحظ إقبال الناس على الاسلام وحماستهم لهـذا الدين واهتمامهم بالعلماء والدعاه ونصح المستشارون الهولنديون حكومتهم بأن الوسيلة الوحيدة لتقابل حمـاس الإندونيسيين للإسـلام هى بذرُ الشيوعية بينهم ، والحديث عن حـق الشعوب فى التطـور ، واشـاعةَ الحـركات الهدامة والشكوك ، وإثارةُ الجـدل حول الخلافات المذهبية ،

وغير ذلك ، من الأمور ، ومن أبرز ما قدّمه المستشارون الهولنديون ابرازُ التيار القومى فى مواجهة التيــار الدينى الذى قد يقــود إلى أن تفقــد إندونيسيا قوميتها وتنماع فى الخــلافة الاســلامية التركية التى كانت موجــودة آنذاك •

وتأييداً لذلك لم تقنع السلطات الهولندية بالأفكار ، وإنما استقدمت بعض الشيوعيين الهولنديين لتكوين تجمع شيوعى فى إندونيسيا وقدّمت لهم السلطات الهولندية تسهيلات واسعة [1] وبدأ بذلك الحزب الشيوعى •

سوكارنو وحــزب الماشومى :

فى كثير من الأحوال تتصارع قوتان عسكريتان أو سياسيتان وتكون النتيجة التى لا مفر منها أن تضعف القوتان ، وأحيانا تسقطان جميعاً ، وقد تنتصر واحدة على الأخرى ويخدعها النصر فتسير فى زهوها ولكنها تسقط أيضاً بعد ذلك • ففى مصر قــام صراع بين الملك فؤاد والملك فاروق من جانب وبين حزب الوفد من الجانب الآخر وخُيِّل للملك أنه انتصر عندما كان يصدر الإقالة تلو الإقالة لحزب الأغلبية ، ولم يكن يدرى أنه يحفــر قبره بيده ، فسرعان ما سقطت الملكية أيضاً •

وهذا نفسه حدث فى إندونيسيا ، فقد قام صراع بين سوكارنو وبين حــزب الماشومى ، ولم يقبــل سوكارنو أن يعترف للحــزب الكبير بمكانته ، وأحس أن نجاح الحزب ضياع" له ، ولم يقبــل الحزب طبعا أن يتنازل عن حقــوق الشــعب وأن يسلّم الزمــام لسوكارنو ، ففى ذلك ديكتاتورية سافرة ، وطال الصراع وامتد ، واحتضن سوكارنو الحــزب الوطنى الاندونيسى ليضرب حــزب الماشــومى ، وعــارض ســوكارنو توصيات نائبه الدكتور محمد حَتىّ ، واتخذ قرارات لم يوافق عليهــا النائب ، فاستقال النائب فى ديسمبر ســنة ١٩٥٦ وأراد ســوكارنو أن يتخــذ له حليفاً أقوى من الحزب الوطنى فلجأ إلى الحــزب الشيوعى

---

(١) محمد أسد شهاب : صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة ص ٤٤ •

وناصره وانتصر به كما لجـأ إلى أحـزاب الأقلية وحقق سوكارنو بذلك نجاحاً مؤقتاً ولكن سوكارنو كان كملوك مصر المتأخرين يحفر قبره بيده ، فسرعان ما سقط هو أيضاً كما سنرى فيما بعد •

سوكارنو والحـزب الشيوعى :

قلنا من قبل إن سوكارنو كان يخاف المسلمين على نفسه ، ويعتقد أن نجاحهم سقوط له ، وأنه استعان بالشيوعيين ليحقق بهم النصر ، وقـد وصـل الأمر بسوكارنو أن أسـند إلى أحد الشيوعيين تأليف الـوزارة وهو « أمير شريف الدين » فألف هذا الوزارة واحتفظ لنفسه — بالاضافة الى رياسة الوزراء — بوزارة الدفاع ليتمكن من السـيطرة على جيش البلاد ، وقد استمرت هذه الوزارة عدة شـهور (من يونيو ١٩٤٧ إلى يناير ١٩٤٨) وقد ثارت الجمـاهير والصحافة عليهـا فلم يطل عهـدها وأصدر محمد حتى نائب رئيس الجمهورية (وكان قائما بعمـل الرئيس آنذاك) قرارا بحل هذه الوزارة وقام هو بتشكيل الوزارة تحت رياسته •

مؤامرات شـيوعية :

وعندما فشل الشيوعيون فى أملهم بحكم البلاد لجئوا إلى الاتجاهات السريـة التى هى دأب الفكر الشـيوعى ، وقـد وصلوا إلى القمـة فى مؤامرتين خطيرتين : إحدهما فى « ماديون » بجاوة الشرقية سنة ١٩٤٨ أى قبل ذهابى لإندونيسيا بعدة سـنوات ، والأخـرى فى سـنة ١٩٦٥ أى بعد عودتى ، ولكننى كنت حريصا على التعرف على مـدى النشـاط الشيوعى بإندونيسيا ، وقد زرت ماديون عنـدما ذهبت إلى إندونيسيا ورأيت بعينى بعض آثار التخريب التى تركها الإندونيسيون تحكى قصة هذا العمـل الإجرامى كما استمعت لعشرات من الناس يروون أحـداث هذه الأيام الحالكة السـواد •

أما الثورة الثانية فقد استمعت لحديث مفصل عنهـا من المرحـوم الأسـتاذ عبد القهار مذكر ، وقد زارنى فى القاهرة عقب هذه الأحداث ،

ورواها لى وقلبه يعتصر ، ودمعه يندفع ، وصـــوته يتهدج ، ثم استمعت لقصتها التى لاتزال حية عندما زرت إندونيسيا سنة ١٩٨١ .

وأنا هنا أروى خلاصة هاتين المؤامرتين :

مؤامـرة ماديـــون :

« ماديون » مدينة من مدن جاوه الشرقيـــة ، كانت مركزا لنشـــاط الشيوعيين ، وفى صبيحة ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٨ استولى الشيوعيون على الإذاعة المحلية بهذه المدينة ، واذاعوا منها قرارات كانوا قـــد أعدوهـــا بليل ، وهى قرارات خطيرة تعلن عن قيام حكومة شيوعية بإندونيسيا تبدأ من « ماديون » وحددت الإذاعة أسماء الوزراء برياسة أمير شريف الدين سالف الذكـــر ، واتخذت شـــعارها « من ماديون يبـــدأ النصر » وألقى أمير شريف الدين من الإذاعة برنامج وزارته فى القضـــاء على المعارضين والإمبريالية وإقامة اتحاد مع الاتحاد السوفييتى .

واتجهت هذه الثورة الكافرة الى التدمير ، فكم أزهقت من أرواح وسلبت من أموال ، فقد جعلت كل مال لا يملكه شيوعى حقا للشيوعيين وأهدرت دماء غير الشيوعيين ، وقد ثبت أن قادة هـــذه المؤامرة الدموية كانوا قد استولوا على مبالغ كبيرة من الأحـــزاب الشيوعية العالمية .

وحمل المسلمون عبء المقاومة وحمـــاية البلاد والعباد من طغيان من لا يرعون حرمة ولا يحافظون على قـِيَم ، وأمر نائب الرئيس محمد حتى أن يتحـــرك الجيش الإندونيسى للمقاومة وإعادة الأمن للبـــلاد ، وتحرك الجيش بقيادة القـــائد العظيم المسلم « الفريق أول عبد الحارس ناسوتيون » فقضى على هذه الثورة الحمراء بعد أن قدمت هذه المنطقـــة عددا هائلا من الضحايا من الرجال والنساء والأطفال ، وبعـــد أن أكلت النيران مقدارا كبيرا من الثراء الإندونيسى ، وكان أكثر القتلى من علماء

المنطقة الذين كانت أفكارهم الإسلامية تزلزل حياة الباطل وتهز قاعـدة الشيوعيين .

ومما يسجله التاريخ أن سوكارنو ألقى بيـانا عقب هذه الأحـداث نسب الاضطراب فى ماديون إلى أسباب اقتصادية ، وحاول أن يدافـع بشـكل غير مباشر عن هؤلاء القتلة والمخربين (١) .

مؤامرة الشيوعيين ضد الجنرالات :

حدثت هذه المؤامرة فى سبتمبر سنة ١٩٦٥ ، والحديث عن هـذه المؤامرة يحتاج إلى بعض مقدمات ، فمنذ سنة ١٩٥٨ وسوكارنو يزيـد اتجاهه لليسار ، يقرّب الشيوعيين ويستبعد المسلمين ، ممـا أدى إلى اجتمـاع الثائرين عليه فيما سُمِىّ « ديوان الكفاح » برياسة الضابط أحمد حسين ، وطالب هذا الديوان أن تُسنَد الوزارة إلى محمد حتىّ ، وأن تعود البلاد إلى حكم الدستور ، ولكن سوكارنو رفض هذه المطالب ، وأصدر الأمر باعتقال زعماء هذه الحركة ، وترتب على ذلك أن أعلن أحمد حسين وزملاؤه الثورة على سوكارنو فى ١٥ فبراير ١٩٥٨ واتخـذ الثوار من « بادان » مركزاً لهـم ، وألّفت الثـورة حـكومة ثورية برياسـة شفر الدين ، وكان رد سوكارنو على ذلك أن هاجم هذه المناطق بالطائرات فسقط الكثيرون من المواطنين وارتفع الخلاف بذلك الى القمة بين سوكارنو والشيوعيين من جـانب ، وبين المسلمين من جانب آخر ، **ويعبر العـالم المسلم « همكا » عن إحساس سوكارنو بقوله : إن سوكارنو مستعد للتعانق مع الشياطين ليقهر المسلمين .**

وفى هذا السبيل خطا سوكارنو خطوة أخرى هى أن أصدر سـنة ١٩٦٠ قراراً بحل حزب الماشومى ، وعندما اختفى حزب الماشومى أصبح الخطر الذى يواجه سوكارنو والشيوعيين متمثلاً فى الجيش وبخاصـة

---

(١) محمد أسد شهاب : صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة ص ٦٢ .

فى قياداته التى وقفت موقفاً حاسماً ضد ازدياد نشـاط الشيوعيين الذى اكتسح الساحة بعد اختفاء حزب الماشومى ، ولهذا اتجـه الشـيوعيون لتدبير مؤامرة للقضاء على جنرالات الجيش ، وبدأ بذلك الإعداد لهـذه المؤامرة ، وتعاوَن سوكارنو مع الشيوعيين لإنجاح هذه الخطـة ضـد الجنرالات ، فعيَّن كثيراً من الشيوعيين فى القوات المسلحة وعلى رأسهم عمروانى الذى عين قائداً عاماً للقوات الجـوية وأدركت القوات المسلحة هذا الخطر فوقفت برياسـة الفريق أول عبد الحارس ناسوتيون ترقب بحـذر هذا الاتجاه •

وبدأ الشيوعيون فى مهاجمة القوات المسلحة فى صحفهم ، واعتبروا هذه القوات غير مخلصة للبلاد وللزعيم ، فتصدَّت لها القوات المسلحة ، وأمرت بإلقاء القبض على زعماء الشيوعيين سنة ١٩٦٠ •

ووقف سوكارنو فى حيرة ، فقد كانت هزيمـة الشـيوعيين معناها هزيمته هو ، ولذلك عارض أوامر الجيش ، واعتبر مثل هذه الأوامر من اختصاصه هو ، وتأزمت الأمور بين الجيش وبين سـوكارنو ، وأصبح التخلص من الجنرالات هدفاً رئيسياً للشيوعيين •

واتخذ الحزب الشيوعى قراراً سرياً لانقلاب ضد هؤلاء الجنرالات والتخلص منهم ، وزاد نشـاط « أيديت » الزعيم الشيوعى لتهيئة الجو للحركة المنتظرة •

حـركة الاغتيـالات :

وقـد حُدِّدَ لهذه الحـركة فجـر أول أكتوبر سـنة ١٩٦٥ وقد وُضِعَت الخطة على أن يُغتال الجنرالات السـبعة فى بيوتهم ، وكان هؤلاء الجنرالات هم قادة القوات المسلحة ، وقد استطاع الشيوعيون النجاح فى هذه الحركة فقتلوا ستة من الجنرالات السبعة ، ولم ينج الا واحـد فقط هو الجنرال عبد الحارس ناسوتيون القائد العـام للقـوات المسلحة الذى استطاع بحيلة باهرة أن ينجو من حصارهم حـول بيته •

واندفع مع وحدة من وحدات الجيش المعارضة للشيوعية ، والتى كان يقودها سوهارتو إلى المقاومة ، وسرعان ما انتصر هذان الزعيمان ، وتمكنا من السيطرة على البلاد والقضاء على عدد كبير من الشيوعيين •

وأعلن سوكارنو انحيازه ضد قادة الجيش ، فحاول عزل سوهارتو ، ومَنَعَ تحرك القوات المسلحة إلاّ بأمر منه ، وهنا أعلنت القوات المسلحة عصيانها لأوامره ، وبدأت تتخذ قرارات ضد اتجاه سوكارنو ، بل اتجهت لحل الحزب الشيوعى سنة ١٩٦٦ ، كما اتجهت لتصفية الشيوعيين تصفية نهائية لخيانتهم ، فلقى معظم الشيوعيين حتفهم ومنهم قائدهم « ايديت » سالف الذكر •

وبانتهاء الشيوعيين بإندونيسيا اتجه نجم سوكارنو للأفول •

زيجات سوكارنو :

هناك كلمة ضرورية نقدم بها الحديث عن زيجات الرئيس سوكارنو ، تلك أننى أحرص على عدم ذكر الأمور الشخصية ، ولكن زواج سوكارنو الأخير كانت له علاقات بالحياة الاجتماعية والاقتصادية لإندونيسيا ، ومن هنا فإنى أتحدث عن هذا الموضوع مقتبسا أكثر ما ورده من Datus Smith :

تزوج سوكارنو خمس مرات ، وكانت أولى زوجاته تدعى (سيتين) وهى ابنة جوكرو امينوتو أحد كبار الإندونيسيين وانتهى هذا الزواج بالطلاق ، أما الزواج الثانى : فكان بأرملة غنية قابلها سوكارنو عندما كان يدرس فى باندونج ، وعاش معها حياة سعيدة استمرت عشرين عاما دون أن ينجب منها أطفالا • وبعدها تزوج « فاطمة واتى » وكانت بنتا ريفية جميلة ذكية ، وقد أصبحت بعد الزواج امرأة كاملة ذات رشاقة ورزانة وخبرة سياسية ، وتفانٍ فى سبيل الواجبات الاجتماعية • ولكنها أهملت سوكارنو كزوج ، فلم تلاطفه ، ولم تدلله كما فعلت هارتينى زوجته الرابعة وقد أدى ذلك إلى فتور حبه لها فطلبت منه الطلاق ، ولكنه

أبى ••• لانه لازال يحبها ويحتاج اليها • وقد انجب منها خمسة أولاد (١)•

وتزوج سوكارنو فى أواخر أيامه زوجة يابانية اسمها (راتناديوى) وكانت فى مطلع شبابها ، وهو يتجه للشيخوخة ، وقد جلبت عليه كثيرا من السخط لأن الرجل الشيخ حاول أن يسعد الزوجة الشابة ، وجعل المال وسيلة لذلك ، فأغدق عليها من مال الشعب الذى كان يواجه كثيرا من الحرمان •

تعريف ببعض الشخصيات الإندونيسية المهمة

وبمناسبة الحديث عن سوكارنو ينبغى أن نتكلم كلمة عن شخصيات اندونيسية عظيمة لعبت دوراً خطيراً لخدمة إندونيسيا وإعدادها للاستقلال •

وأول هذه الشخصيات هو الرئيس سوكارنو الذى سردنا بعض تصرفاته فيما سبق ، ولكن نقدنا له لا يجعلنا نغضى الطرف عن حسناته وجهوده لخدمة البلاد ، وبخاصة فى فترة الصراع ، ويقول عنه Datus Smith (٢) ما يلى :

ان الرئيس سوكارنو له شهرة هو جدير بها بأنه من أعظم سحرة الجماهير فى العالم الحديث ، وهو دائما أنيق الثياب ، عليه سيما القوة والاندفاع ، مع ابتسامة جذابه ، وله قوة تكاد تكون سحرية وتأثير عجيب فى حديثه للجماهير ، وقد ولد ليكون أستاذاً للاجتماعات والحفلات ، وفى بهجة ونشاط يقبل أية فرصة ليكون منظما لاجتماع أو حفلة غناء أو حفلة رقص شعبى أو ثورة • وهو — على أنه رئيس جمهورية — يفضل أن يدعى « بُنْج كارنو » وكلمة « بُنْج » معناها أخ ، وتستعمل لدعوة خدم المطاعم أو أمثالهم ، وصارت رمزاً للمساواة فى أثناء الثورة •

وفى أثناء أطول زيارة له للولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٥٦ كانت شخصيته الجذابة تكسب الأصدقاء فى كل مكان ،

---

(١) The Land and Peoples of Indonesia p. 78.

(٢) Ibid pp. 133-134.

ويقول خصومه انه كان مثيراً للغوغاء ، وباحثاً عن السلطة بالتأثير فى الجماهير ، ويرى المعجبون به أنه عبّر حقا عن آراء الشعب وآماله ، وأنصاره على كل حال هم جمهرة الشعب أكثر من الاندونيسيين الذين تثقفوا فى الغرب .

ومهما تكن نتائج السياسة التى اتبعها سوكارنو فيما بعد ، فيجب ألا ننسى أنه الرجل الذى عمل أكثر من أى إنسان آخر على ضم أجـزاء الوطن ، وقاده فى خطوب الثورة ، وأنه هـزم المستعمرين الهولنديين ، وحافظ على إندونيسيا دولة مستقلة .

وفى كلمة موجزة يقول عنه أحد الصحفيين الاندونيسيين إن سوكارنو أعظم شخصية عندهم ، وهو مع ذلك أكبر مشاكلهم (١) .

وننتقل الآن إلى الدكتور محمـد حتّى وهـو مثال المتعلم المثقف ، منطقى فى تفكيره ، وله تأثير كبير فى المثقفين ، وكان شريك سوكارنو من مدة طويلة فى الثورة ، وكان زميلا متآلفا معـه ، وكانا معاً هما البطلين الأساسيين لحركة الاستقلال ، وقد عمل « حتى » وهو طالب جامعى فى هولندا على تأليف جمعية الاستقلال الإندونيسى ، وبعد اعتقال الهولنديين لسوكارنو عاد « حتّى » إلى جزر الهنـد فى سنة ١٩٣٢ ، وتولى إدارة حركة الحرية وصار نشاطه رأس الحركة وقلبها ، واعتقل هو بعد ذلك بسنتين وظل معتقلا ثمانى سنوات ، أولا فى مركز ناء من جزيرة غينيـا الجديدة يقع فى الغابة ، ثم فى إحدى جزر باندا .

وكان سوكارنو وحتّى متزاملين فى أثناء الثـورة والأيـام الأولى من الجمهورية حتى صار يجمع بين اسمها فقال « سوكارنو ــ حتى » فى التعبير ، حتى كأنهما اسم واحد كما ذكرنا من قبل ، وأصبح « حتى » نائب رئيس الجمهورية ، وأحيانا رئيس الوزارة ، وكان العامل الأساسى فى توجيه السياسة الوطنية فى لحظـات حرجة كثيرة ، وقد اسـتقال من منصب نائب رئيس الجمهـورية سنة ١٩٥٦ ، وانتقـد سـوكارنو علنـا

---

(١) The Story of Indonesia p. 77.

فى بعض الإجراءات فى السنوات الأخيرة ، وهذه القطيعة بين الزعيمين الكبيرين كانت مصدر حزن للكثيرين من الاندونيسيين •

ومن الزعماء كذلك حاجى عجوز سالم • ويسمونه احيانا « أبا الاستقلال الاندونيسى » وكان متيقظاً لكل اتجاه جديد فى الدراسات العالمية ، وقد ألقى محاضرات فى عدد من الجامعات وكان الكثيرون من الذين يعرفونه فى العالم يلقبونه بالسيد « إندونيسيا » • وكان يجمع بين الحضارة الحديثة والتقوى فى موقفه نحو الديانة الإسلامية • وقد ساعد على حماية الفرع الإسلامى من حركة الاستقلال من الوقوع فى الشيوعية ، فهو بجسده الضئيل ووجهه الذكى المرح كان يمثل صفات الذكاء مع النزاهة ، وهى صفات يقدرها جميع الاندونيسيين ، وقد شغل منصب وزير الخارجية عدة مرات ومثل بلاده خير تمثيل أمام العالم •

وقد عاشرتُ بعض أفرادِ من أسرته ، ورأيت فيهم دماثة الخلق وسماحة النفس ، والذكاء والصفاء ، فكانوا من أهم الأسباب التى يسَّرت حياتى باندونيسيا ، وكانوا امتدادا ناصعا لأرومة عجوز سالم الطيبة •

ومن الشخصيات العظيمة التى زادت عظمة وجلالا ابان حركة الاستقلال سلطان جوكجاكرتا ، وقد عرفته عن قرب خلال عملى بالجامعة الاسلامية بجوكجاكرتا ، وكان هو الذى مثَّل الجمهورية فى الاحتفال بتسلم السيادة من هولندا واسمه الملكى هيمنجكوبونو التاسع ، وكانت خدماته العامة قد جعلت منه بطلا وطنيا بالرغم من عداء الجمهورية للملوك •

وهذا السلطان من نسل سلسلة طويلة من الملوك الاندونيسيين ، ونشأ تحت تقاليد الحكم الاستبدادى (لا يخضع إلا لموافقة الهولنديين

وحـدهم) ، ولكنه برهن على تشبثه بقواعد الديمقراطية . وبينما كان بعض الملوك الآخرين فى وقت ما يدبّرون مع الهولنديين للقضاء على الثورة ليستعيدوا عروشهم كان سلطان جوجاكرتا يضع فى شجاعة خطة مع الجمهورية ، ورفض أية مناقشة مع الهولنديين إلا فى جلائهم عن البلاد .

وفى أثناء الحملات العسكرية للهولنديين كان السلطان يعمل بصفة كولونيل فى الجيش الوطنى الإندونيسى ، ثم عمل فيما بعد وزيراً للدفاع ونائب رئيس وزراء فى وزارة أخرى ، وهو يهتم اهتماماً خاصاً بمشكلات الشباب ، ومن خدماته أنه زعيم لحركة الرواد ، وهو راعى الثقافة بمدينة الجامعات « جوكجاكرتا » وهو موضع تقدير كل الطوائف وبخاصة طوائف المفكرين .

ومن النساء الإندونيسيات اللاتى لعبن دوراً مهماً فى تثقيف المرأة الإندونيسية ورفع مستواها الاجتماعى أميرة صغيرة جاوية اسمها كارتينى توفيت سنة ١٩٠٤ ولها من العمر خمس وعشرون سنة ، وقد بدأت فى مطلع شبابها تنادى بحقوق المرأة ، فأشعلت بذلك ثورة حقيقية ، وكانت من أظرف وأتقى البطلات المثقفات وقد أرادت لنفسها وغيرها من نساء إندونيسيا الحق فى أن يقمن بدور نشيط فى الأعمال العالمية .

وقد تمكنت من أن تحصل على تعليم واف ، ثم بدأت افتتاح مدرسة للبنات ، ثم تلتها فيما بعد بافتتاح مدرسة أخرى فى بيتها الجديد عندما تزوجت أميرا فى رمبانج .

ونُشرت رسائل كارتينى باللغة الهولندية سنة ١٩١١ ، وصار الكتاب أساس الحركة النسائية فى إندونيسيا ، وصدر الكتاب فى طبعة أمريكية سنة ١٩٢٠ تحت عنوان « رسائل أميرة من جاوه » ، وافتُتِحت مدرسة للبنات سنة ١٩١٢ إحياء لذكرى كارتينى ، ويحتفل فى ٢١ من أبريل من

كل سنة بيوم كارتينى وهو ذكرى مولدها فى جميع أنحاء البلاد ، ولقد صدقت صحيفة إندونيسية حين كتبت عنها سنة ١٩٦٠ تقول « بفضلها رأت النساء بإندونيسيا النور » (١) .

ولقد رأيت مئات الطالبات فى الجامعات والمعاهد الإندونيسية التى علّمتُ فيها ، وكنّ جميعا جديرات بالثناء والتقدير لما امتزن به من خلق وعلم وظرف وإقبال ، تلقينه عن جيل كارتينى .

من سوكارنو إلى سوهارتو

قرار نقل السلطة (تعليمات) :

أصبح واضحاً بعد المؤامرة التى تحدثنا عنها من قبل أن رياسة سوكارنو للدولة لم تعد مرغوبا فيها ، كما أن سوكارنو قد فقد كل أعوانه بعد أن قضى الجيش على الشيوعيين بالبلاد ، وفى ضوء هذا الواقع اضطُرّ سوكارنو أن يصدر قراراً فى رسالة سميت « تعليمات » بتاريخ ١١ مارس ١٩٦٦ ، وهذه الرسالة تحرّك السلطة من يده إلى يد سوهارتو ، فقد تمّ بها تعيين سوهارتو وزيراً للدفاع وقائداً عاماً للقوات البرية ، وأعطى سوهارتو الحق فى اتخاذ الإجراءات اللازمة لتأمين السلامة والأمن والاستقرار للبلاد .

وبهذه الرسالة انتقلت السلطة الفعلية من يد سوكارنو إلى يد سوهارتو ، وبقى سوكارنو رئيساً بدون سلطة .

واتخذ سوهارتو قرارات سريعة أشرنا لأهمها فيما سبق وهو القضاء على الحزب الشيوعى ، ثم القبض على من تبقى من الشيوعيين وعلى أنصارهم من الوزراء والمسئولين ، وكذلك القبض على مؤيدى سوكارنو ، وقد لقيت هذه الاتجاهات تأييداً واسعاً لدى الجماهير .

وفى ٢٧ مارس ١٩٦٨ أصدر المجلس الاستشارى المؤقت قراراً بتعيين سوهارتو رئيساً للجمهورية ، وحلف سوهارتو اليمين الدستورية ،

---

(١) اقتباسات بتصرف من عدة صفحات من كتاب :
The Land and People of Indonesia

وانزوى سوكارنو إلى الظل حتى مات فى ٢١ يونيو سنة ١٩٧٠ ٠

وقد خلّف سوكارنو تاريخا غير نقىّ ؛ فقد أظهرت التحقيقات التى أعلنها المدعى العام أن سوكارنو رصد لحسابه فى بنك طوكيو مبلغ مليونين ونصف مليون من الدولارات الأمريكية ، وأن «سوبندريو» الرجل الثانى بعده رصد لحسابه مبلغ ٩٢ ألف دولار فى بنوك سويسرا ، وأن الوزير « خير صالح » رصد لنفسه مبلغ ١٦ مليون دولار ، وقد انتحر هذا فى السجن قبل تقديمه للمحاكمة (١) ، ولم ينتفع هؤلاء بما سرقوا وإنما تركوا اللعنات تُصَبّ عليهم من الشعب الذى عانى الحاجة وهم يكنزون الذهب والفضة ، بل إننا نصب اللعنات على كل من سار فى هذا الطريق من الزعماء الذين يخونون شعوبهم ٠

وإذا كان هذا هو كل ما عرف عن الرصيد المسروق فإن الوثائق تقرر أن سوكارنو أنفق نفقات باهظة على رحلاته وبخاصة إلى اليابان حيث تزوج زوجته الأخيرة (راتنا ديوى) كما كانت هذه الزوجة تنفق عشرات الآلاف من الدولارات لرحلاتها التى تشترى فيها ملابسها وأدوات الزينة الخاصة بها من باريس (٢) ٠

وأمثال سوكارنو فى العالم كثيرون ، ولكن كثيراً من أسرارهم لم يُكتشف بعد ٠

---

(١) محمد أسد شهاب : صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة ص ١٥٤ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٥٤ — ١٥٥ ٠

عهد سوهارتو

كانت القوات المسلحة وعلى رأسها القوات البرية قد أقامت تجمعاً ضد اتجاهات سوكارنو ، وسُمِّيَ هذا التجمع « جولكار » أى الفئة العاملة ، وبتحول السلطة إلى سوهارتو اعتبر هذا حزباً ينال تأييد الحكومة والسلطة ، وعندما أجريت الانتخابات سنة ١٩٧١ دخلتها أربعة أحزاب إسلامية كما دخلتها ستة أحزاب أخرى ، ومنها حزب جولكار ، وقد نال هذا الحزب الأغلبية الساحقة فى هذه الانتخابات ، وجاءت الأحزاب الإسلامية تالية له ، ثم جاءت الأحزاب الأخرى ولم يدخل حزب الماشومى هذه الانتخابات إذ ظلّ محظوراً منذ أن أوقف سوكارنو نشاطه سنة ١٩٦٠ .

وفى جلسة المجلس الاستشارى فى المدة من ١٢ إلى ٢٤ مارس ١٩٧٣ قرر المجلس تعيين الفريق أول سوهارتو للمرة الثانية رئيسا للدولة مدة خمسة أعوام . ثم جُدِّد تعيينه للمرة الثالثة عقب الانتخابات العامة التى تمت سنة ١٩٧٧ ، وفى هذه المرة تمّ تعيين آدم مالك نائبا لرئيس الجمهورية .

وفى الانتخابات التى أجريت فى مايو سنة ١٩٨٢ حصل حزب « جولكار » على الأغلبية أيضا ، وجُدِّد كذلك تعيين سوهارتو رئيسا للجمهورية .

وقد اتجهت الأحزاب الإسلامية إلى الاتحاد لتمكن لنفسها فى هذه الانتخابات ، ولكن الحزب الاسلامى واسع النفوذ فى اندونيسيا وهو حزب « الماشومى » لم يدخل الانتخابات لأنه لا يزال محظورا وجوده .

ويرى المطلعون أن التعاون بين الأحزاب الإسلامية وبين قوى الجيش هو الضمان الوحيد للاستقرار فى إندونيسيا ، وقد وقف سوهارتو موقفا وطنيا يستحق الاعجاب والتقدير لنزاهته وكفاءته ،



الرئيس ســـوهارتو

الرجل الذى أنقـــذ إندونيسيا من مخــالب الشيوعية ، ونقل البلاد من الفوضى إلى الاستقرار ، ومن الكساد إلى الرخاء •

ولأنه أتاح لإندونيسيا عهدا من الاستقرار لم تعرفه أكثر دول العالم الثالث ، وحقق — كما شهد بذلك البنك الدولى — منجزات اقتصادية واضحة .

الانتخابات الأخيرة فى نظر المعلقين السياسيين :

وقد نشرت الصحف المصرية (١) تقريرا عن الجولة الانتخابية الأخيرة ، وقد جاء فى هذا التقرير معلومات مهمة ، وعلى هذا فلا بأس من اقتباس بعض سطور من هذا التقرير .

هناك مثل انجليزى يقول « لا وطنية مع معدة خالية » وهذا صحيح فلا يُنتَظر حاكم ، أو حكومة ، أو حزب سياسى ، ولاءً أو وطنية من شعب يعانى من كساد اقتصادى أو اضطراب سياسى ، أما إذا استقرت الأوضاع السياسية ، وزاد الدخل القومى ، وارتفع مستوى المعيشة ، وتحقق الرخاء فى البلاد ، فعندئذ يتجه المواطنون إزاء هذا ليقولوا « نعم » للحزب الذى حقق كل هذا ، والرجل الذى يرأس هذا الحزب .

وهذا ما حدث فى إندونيسيا ، فقد كانت البلاد تعانى من فقر واضح واضطرابات سياسية فى مرحلة ما بعد الاستقلال ، وعندما تولى الرئيس سوهارتو السلطة استطاع حزبه (جولكار) على مدى خمسة عشر عاماً أن يحول الفوضى إلى استقرار ، والكساد إلى رخاء ، بل يعترف زعماء المعارضة أنفسهم بفضل سوهارتو ولذلك فاز فى الانتخابات الأخيرة التى كانت أشبه « بمهرجان ديمقراطى » على حد تعبير المتحدث باسم الحكومة : ويتضح هذا المهرجان من مشاهدة الملايين من الاندونيسيين الذين امتلأت بهم شوارع العاصمة الإندونيسية (جاكرتا) وهم فى طريقهم إلى صناديق الاقتراع .

كانت التكهنات تجمع على فوز حزب « جولكار » الحاكم وكان السؤال الوحيد الذى تردد هو كم عدد المقاعد البرلمانية التى سيحصل

(١) انظر صحيفة الأخبار فى ١٩٨٢/٥/١٨ .

عليها الحزب ، وعدد الأصوات التى سيفوز بها ؟ وجاء الجواب بعد إعلان النتائج إذ فاز حزب (جولكار) بـ ٦٤ ٪ من الأصوات الانتخابية وبذلك استطاع أنصار سوهارتو أن يسيطروا على البرلمان الذى كان أول ما فعله اعادة انتخابه رئيساً للفترة الرابعة .

وليس معنى هذا أن الحملة الانتخابية خلت من حوادث الغضب والعنف ، ولكن كانت هناك حقيقة أكيدة مؤيدة بالأرقام اعترف بها المؤيدون والمعارضون على السواء ، هذه الحقيقة هى أن الحزب الفائز حقق للبلاد قدراً لم يسبق له مثيل من الرخاء ، ففى عهد سوهارتو اختفت معالم الفقر الذى كان منتشراً من قبل ، كما زاد إنتاج الأرز فى بعض القرى بنسبة ٥٠ ٪ فى السنوات الخمس الماضية ، وعملت النساء فى المصانع ، وارتفعت أجور العمال الزراعيين ، وانخفضت نسبة التضخم ، وبلغ الدخل السنوى من البترول ١٧ بليون دولار ساعدت فى مشروعات التنمية ، فى تحسين الصحة والتعليم والرى والقوى الكهربائية ، ووسط هذا الازدهار والرخاء ضاعت أو ضعفت أصوات اليمينيين والمتطرفين ، وأثبت الرئيس سوهارتو أنه يحظى بتقدير شعبه ، بل إن بعض زعماء المعارضة أكدوا أن انتقاداتهم ليست موجهة إلى الرئيس وإنما « العيب فى بعض المحيطين به » .

لقد بدت فرحة الفوز واضحة على وجه سوهارتو وهو يسير مع زوجته فى شوارع جاكارتا .

ليت زعماء الدول الإسلامية يتنافسون فيما يقدمون لشعوبهم من خدمات ، ففى بعض البلاد الإسلامية تمرّ السنون دون تقدم ملموس فى حياة الشعوب لأن الزعماء مشغولون بأنفسهم ، وحياة سوهارتو نموذج طيب فى هذا المجال .

وفى زيارتى الأخيره لإندونيسيا سنة ١٩٨١ لمست التطور الرائع الذى طرأ على البلاد فى عهد سوهارتو ، ولا شك أن جهوداً عظيمة بذلت للوصول إلى هذه الغاية .

مع تقديرنا لهذا التطور ، والإشادة بالفرق الكبير بين عهد سوهارتو وعهد سوكارنو ، مع هذا فإننا نتطلع إلى أن ينال الإنسان الإندونيسى حقه كاملاً فى إدارة شئون بلاده ، فيسمح بقيام الأحـزاب الحـرة ، ويسمح بالصحافة الحرة والانتخابات الحرة تماماً ، وذلك هو الطـريق لمزيد من السعادة والرخاء •

بقايا الشيوعيين فى اندونيسيا :

قلنا من قبل إن الشيوعيين لاقوا جزاءهم عقب ثورتهم الدامية سنة ١٩٦٥ وأن عددا كبيرا منهم سقطوا إثر الثورة عليهم من الشعب والجيش ، تلك الثورة التى أريد بها الثأر للجنرالات الذين انقض عليهم الشيوعيون وقتلوهم فى بيوتهم •

وسقط الزعماء الشيوعيون كلهم أو أكثرهم ، وألقى القبض على باقى الشيوعيين ، وأودعوا السـجون ، ثم ناءت البـلاد بتكاليف سـجنهم وحراستهم ، فدفعت بهـم الحكومة إلى إحـدى الجزر قليلة السـكان بإندونيسيا ، وأطلقت الحكومة لهم العنان ليقيموا مجتمعهم الشيوعى فى هذه الجزيرة كما يشاءون ، وبعثت لهم بزوجاتهم وأولادهم ••••

ومرت الأيام وظهـر الفشـل واضحا فى هـذا التجمع الشيوعى ، فالشيوعيون بين برجوازيين يخدعون الناس ويعيشـون عيشة الأباطرة وبين مجموعة من البسطاء السذّج الذين يصدّقون ما يُقال لهم عن جنة الشيوعيين ، ولم يجد هؤلاء ولا أولئك جنة فى هذه الجزيرة التى تحتـاج الحياة فيهـا إلى الكدح وهم لا يريدون الكدح وانما يتجهون للحصـول بيسرٍ على حياة المترفين •

وعندما اتضح فشل هذا التجمع جأروا بالشـكوى وتابوا وأنابوا حتى يسمح لهم بمغادرة هذا السجن الذى لم تكن له أسوار •

لمحات حضـــارية عن اندونيسيا

مكانة اندونيسيا فى جنوب شرقى آسيا :

يشبّهون العالم الإسلامىّ بطــائر ضخم ، تمثل الجزيرة العربيــة جسمه ، وتمثّل ايران وأفغانستان وباكستان وماليزيا واندونيسيا جناحه الأيمن ، وتمثل مصر ودول شمالى افريقية جناحه الأيسر ، ولا نزاع أن اندونيسيا بتعدادها وموقعها جزء مهم فى الجناح الأيمن •

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فانه إذا كان الأزهر الشريف يجذب الطــلاب المسلمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامى للدراسة به ، فان المعاهد الاسلامية بإندونيسياهى «أزهر» جنوب شرقى آسيا، فالذى يعسر عليــه أن يحضر لمصر من تايلاند وبــورما وسنغافوره والفيليبين •••• فانه يجد طريقه إلى اندونيسيا حيث لا يحس هؤلاء هناك بغــربة وحيث يستطيعون أن ينالوا العلم والقوت بسهولة ويسر •

ومن هنا تتضح لنا أهمية إندونيسيا من الناحية الدينية

البانشـــا ســيلا :

فإذا اتجهنا للتعــرف على بعض الجــوانب الحضارية فى مجــال السياسة ، فإننــا تواجهنا (المبــادىء الخمســة) التى تسمى باللغــة الإندونيسية (البانشاسيلا) وتحتوى هذه المبادىء على الأسس الخمسة الرئيسية التى ينبغى أن تحكم بها الحياة فى إندونيسيا ، وهى تشمل :

١ ــ الايمان بالله الواحد الأحد •
٢ ــ الإيمان بالإنسانية والجانب الإنسانى •
٣ ــ الحرص على القومية الإندونيسية •
٤ ــ الديمقراطيــة •
٥ ــ العــدالة الاجتماعية •

والمبادىء براقة كما نرى ، ولكنها فى كثير من الأحوال كانت اسماً بدون مسمى ، وكلمات تجاهل الرسميون مغزاها ومعناها .

ولم يقنع المسلمون بالمبدأ الأول دون أن يربطوه بالإسلام ، وبأن محمداً رسول الله ولذلك صدر بيان من كبار العلماء بأن المعنى المفهوم هو الزام المسلمين بالتمسك بقواعد الإسلام .

ومن أخطر ما عانت إندونيسيا فيما يتعلق بالنظام السياسى هو الاتجاه إلى جعل الرئيس (أى رئيس) يشغل منصبه مدى الحياة ، وقد اتخذ فى عهد سوكارنو قرار" بذلك ، وتكررت مرات انتخاب الرئيس سوهارتو ، مما يوحى بالسير فى هذا الاتجاه ، وهو للأسف اتجاه شائع فى البلاد الإسلامية ، وفى كثير من الحالات لا يقنع الرئيس بذلك ، بل يعين باختياره نائباً للرئيس ، ويحل النائب محل الرئيس عند وفاته ، وبهذا يكون النائب بدلا لخلفه وتسير الحياة على وتيرة واحدة ، دون إعطاء أية فرصة للاختيار الحرّ من جانب الشعب .

أما الديمقراطية وهى أن يحكم الشعب نفسه ويختار ممثليه فيتجه ولاة الامور فى العالم الإسلامى كله إلى تفسيرها لخدمة اتجاهاتهم ، وكان جمال عبد الناصر يفسرها بأنها رغيف الخبز أو وظائف الخريجين ، وهى فى اندونيسيا لم يكن لها مدلول حقيقى فى عهد سوكارنو .

اندونيسيا اقتصاديا :

ومن الجانب الاقتصادى نذكر أن إندونيسيا بلد زراعى يعمل أكثر سكانه فى الزراعة ، ولأن إندونيسيا تقع حول خط الاستواء ، ولأنها مجموعة من الجزر وسط المحيط ، فإن موسم الأمطار طويل فيها ، ومن هنا تمثل اندونيسيا حديقة خضراء يانعة ، وهذا يساعد الزراع فى عملهم ، فقلّ أن تروى المزارع عن طريق الأنهار ، ويكثر أن تؤدى الأمطار دور السقى والرى لما يزرعه الزارعون .

وأهم المحاصيل فى إندونيسيا هى الأرز والمطاط والشاى ، وجوز الهند والتوابل ، والتبغ ، وتكثر فى إندونيسيا أشجار الموز والمانجو والأناناس والدوريان والبابايا والرمبوثان وعدد هائل من الفواكه المتعددة الأصناف والأنواع والطعوم .

وغابات إندونيسيا تكثر فيها الأخشاب الجيدة والخيزران والثروة السمكية بإندونيسيا ثروة هائلة ، فعلى شواطىء الجزر وفى البحيرات والأنهار تكثر أنواع السمك ويكثر الصيادون .

وفى إندونيسيا أنواع من المعادن من أهمها البترول والقصدير والفضة .

وتبعاً لكثرة الفضة فى إندونيسيا تكثر الصناعات الفضية التى تشمل الأوانى والحلىّ وأدوات الزينة .

ومن الصناعات التى تشتهر بها إندونيسيا صناعة (الباتيك) ويكثر فى جاوة وهو تلوين للأقمشة بشكل معين ، وتنتج إندونيسيا منه صوراً متعددة من الأنواع ، وهو ذائع الاستعمال بدرجة كبيرة بين الرجال والسيدات من كل الطوائف والطبقات .

وتصدر إندونيسيا المطاط وجوز الهند والبن والتوابل والشاى والبترول والأخشاب .

وتستورد الحديد والمنتجات الكيماوية وبعض السلع الاستهلاكية ، والآلات الكهربائية وغيرها .

وقد تحسّن ميزان المدفوعات الإندونيسى خلال عهد سوهارتو ، وأصبحت الواردات أقل من الصادرات .

الثقافة الإسـلامية بإندونيسيا

الجامعات الإسلامية وعلماء الإسلام :

تعنى اندونيسيا عناية كبرى بالثقافة الإسلامية ، ومن مطـلع عهد الاسـتقلال أقامت حـكومة اندونيسيا جامعـة إسـلامية فى مدينـة « جوكجاكرتا » كان لى الشرف أن عملت بها أسـتاذاً ست سـنوات ، وفى خلال هذه المدة وافقت وزارة الشئون الدينية على إقامة جامعة أخرى فى جاكرتا (العاصمة) وأمضيت عدة سـنوات أسـتاذاً فى الجامعتين ، فكنت أمضى أسبوعين هنا وأسبوعين هناك ، وقد تشرفت بأن أسهمت فى إعداد المناهج وتنظيم جدول المحاضرات والمكتبة ، وكنت أدرّس التاريخ الإسـلامى وكذلك الحضارة الإسلامية ، ومقارنة الأديان بالإضافة إلى اللغة العربية ، ومناهج البحث ، وأشهد أن هذه السنوات كانت من أحب السنوات إلى نفسى لمـا شـاهدت من خلق رفيع لـدى الإندونيسيين ولإقبالهم الشديد على العلم والعلماء .

وبجانب هاتين الجامعتين كانت هنـاك جامعات إسـلامية أهليـة منتشرة فى كل ربوع إندونيسيا ومدارس إسلامية كثيرة جـداً لا يحيط بها عدٌ تابعة لهيئات كثيرة بالإضافة إلى المدارس الحكومية التى كانت بها عناية بالدراسات والمبادىء الإسلامية .

ووقف العلماء فى اندونيسيا يذودون عن الإسلام ويدافعون عنه ، وكانوا أشبه بالفرسـان يقتحمـون ميدان المعـرفة والفكر ، فينشرون معارفهم بين الطلاب تارة وبين الجماهير تارة أخرى ، يستعملون الكلمة المكتوبة أو الكلمة المقولة فى نشاط لا يهـدأ ، واخـلاص لا يتراجـع ، ويواجهون الانحراف بقوة تزلزل الانحـراف وتهـدٌ كيانه ، ويقابلون التبشير بالمسيحية بتبصرة الناس وردهم عن الاستماع لهذا الباطل .

لقد كان العلماء فى اندونيسيا وسيظلون أبدا إن شاء الله جيلا بعد جيل صخرة تتحطم عندها كل القوى المناوئة للاسلام والمثل العليا .



بروفسور همكا
(الحاج عبد الكريم أمر الله)

أحد القمم الفكرية فى إندونيسيا ، وهو الذى حمل لواء الإسلام حوالى نصف قرن متحدثا ومؤلفا ، وقد توفى سنة ١٩٨١ م

وعندما نذكره لابدّ أن نذكر الأساتذة الأعلام الذين حملوا معه علم المعرفة ، وتعاونوا معى أصدق تعاون إبّان إقامتى باندونيسيا ، ومنهم الأساتذة الأجلاء : محمد عدنان — مختار يحيى — عبد القهار مذكر — عبد المعطى على — محمود يونس — بسطامى عبد الغنى — محمد رشيدى — طاهر عبد المجيد — طه يحيى — قهر الدين يونس — محمد فريد معروف — محمد سالم فخرى — محمد حسبى الصديقى ...... ويجىء بعدهم الجيل الذى أسهمتُ فى إعداده وقد انتقل بعض هؤلاء

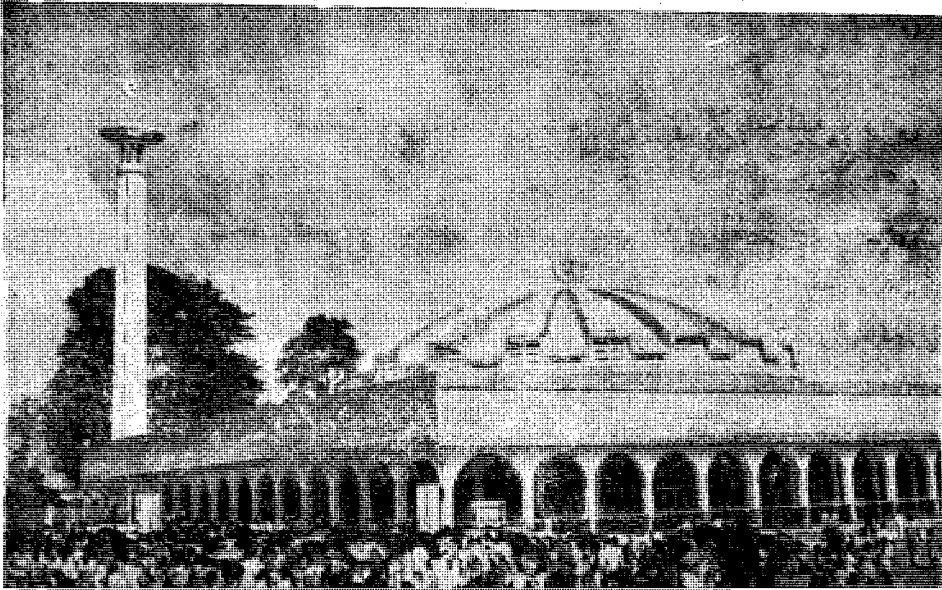
الأعلام إلى رحمة الله ، أحسن الله جزاءهم ، ولايزال الآخـرون يحملون علم المعرفة ، أطال الله فى عمرهم •

الجمعية المحمدية فى مواجهة التبشير المسيحى :

منذ وضع الاستعمار الغربى أقدامه فى إندونيسيا اتجـه لغرس المسيحية بها ، واتخـذ لذلك سبلاً متعـددة أهمها الدعاية ونشر الفكر المسيحى ، ولكن الإسلام وقف حاسماً أمام انتشـار المسيحية ، وتكتـل المسلمون فى وجـه هـذا الزحف الدينى حتى أصـبح الإسـلام دينـاً وقومية كما ذكرنا من قبل ، وعندما أحس المستعمر الغربى بأن النتائج التى رمى لها أصبحت عكسية ، وأن الإسلام يزيد انتشاراً فى ربوع اندونيسيـا لمواجهة الاستعمار والمستعمرين اتجه إلى وسيلته التى لا تتخلف ، وهى اللجوء للمدرسة والمستشفى حيث يقدّم المسيحية للأطفال الذين لا وعى عندهم فيحولهم إلى المسيحية فى غفلة من الآباء أو يقدّم المسيحية للمرضى الذين ضعفوا عن المقاومة والذين يخيّرون بين المسيحية أو الطـرد من المستشفى ، وعن طريق المدرسـة والمستشفى ارتبط بعض الاندونيسيين بالمسيحية ، وقد ظل نشاط المسيحية حتى بعد زوال الاستعمار الغربى ، وتحقق الاستقلال ، وربما جاز لنا أن نقول إن نشاط المسيحية زاد مـع استقلال البلاد عما كان عليه قبل الاستقلال ، وذلك لأن الاستقلال أثار نوعاً من التفكك بين الجماعات الإسلامية التى كانت متجمعة لمصارعة الاستعمار ، كمـا أن الاستقـلال أشـاع نوعـاً مـن التراخـى عنـد بعض المسلمين الذين كانوا يتخذون الإسلام وسيلة لمصارعة المستعمر ، واتجهوا بعد الاستقلال إلى مشكلاتهم الخاصة فى السياسة والاقتصاد وغـيرها بعد أن رحل الاستعمار •

وعلى كل حال فإن مخالب التبشير فى إندونيسيا قد وُجِدَت منـذ عهـد الاستعمار ، وخلقت للمسيحية أنصـاراً من بين الإندونيسـيين ، ولا يزال هذا النشاط مثابراً وجاداً متخذاً من هذه البلاد الشاسعة ومن جزرها الكثيرة ومن الزعامات الإندونيسية غير المسلمة وسائل لتحـركاته وأنشـطته •

وفى مطلع العقد الثانى من القرن العشرين ظهر فى إندونيسيا مصلح إسلامى كبير اشتهر باللين فى غير ضعف ، وبالكياسة مع صدق العزيمة ، ذلك هو العلامة الشيخ أحمد دحلان ، وقد رأى هذا الرجل أن يناضل المسيحية من جانب ، والبدع والخرافات من جانب آخر بعمل علمى كبير يقوم به ، فأنشأ الجمعية المحمدية التى كان شعارها ولا يزال (قلة الكلام مع كثرة العمل) (١) وكان انشاؤها سنة ١٩١٢ (٢) .



مواكب المسلمين فى بيوت الله باندونيسيا

وكبرت الجمعية المحمدية من يوم إلى يوم ، وأصبحت لها آلاف المدارس والمعاهد والمستشفيات فى القرى والمدن ، وارتبط الناس بها ارتباطاً عظيماً ، وتولى رعايتها نخبة ممتازة من المفكرين المسلمين فى تخصصات مختلفة ، وقد كان لى الشرف عندما كنت بإندونيسيا

(١) على الطنطاوى : صورة من الشرق فى أندونيسيا ص ١٦٤ .
(٢) محمود يونس : تاريخ التربية الاسلامية فى اندونيسيا ص ٢٣٣ .

١٩٥٥ — ١٩٦١ أن أشرفتُ على كليات التربية بالجمعية المحمدية ، وعنينا أكبر عناية بتخريج المدرسين الذين نبعث بهم إلى مختلف المدارس ليحملوا الفكر الإسلامى إلى أبناء الشعب .

ومن أهم أهداف الجمعية المحمدية الدعوة للاسلام ورفع مستوى حياة المسلمين لإيجاد المجتمع الاسلامى الحديث ، ولهذا حددت الجمعية الأهداف التالية لنشاطها :

١ — القيام بالدعوة الاسلامية ونشر مكارم الأخلاق .

٢ — الاهتمام بشئون التربية والتعليم .

٣ — إحياء المجتمع وتنمية روحه على أساس التعاون والتضامن .

٤ — القيام بإعداد أماكن للعبادة والاهتمام بالأوقاف الإسلامية التى يُنْفَق منها على المدارس والمساجد .

٥ — القيام بتربية البنات وتهذيبهن على اسس الوعى الدينى .

٦ — تربية الأبناء والشباب ليكونوا فى المستقبل رجالا نافعين للدين والوطن .

٧ — السعى لإصلاح الحياة ووسائلها لتحقيق التعاليم الإسلامية .

٨ — بذل الجهود للوصول الى تنفيذ أوامر الله وأحكامه فى المجتمع (١)

وقد عنيت الجمعية المحمدية بإدخال العلوم العامة فى مدارسها فكان بهذه المدارس الهندسة والجبر والكيمياء والجغرافيا بالإضافة الى اللغة العربية واللغة الانجليزية .

---

(١) محمد نور سالم : النهضة الفكرية الاسلامية فى اندونيسيا والزعيم الحاج أحمد دحلان ص ٣١٤ — ٣١٥ .

كما عُنيت هذه الجمعية بالمصحات والمساجد والمستشفيات والملاجئ والمكتبات ومنظمات الشباب والسيدات •

وهكذا أدّت هذه الجمعية وتؤدى أعظم الأعمال باندونيسيا (١) •

جمعية الإرشاد والجمعية العلوية :

اهتم العرب الحضارمة المهاجرون إلى اندونيسيا بالمشاركة فى خدمة المجتمع الذى هاجروا إليه ، كما عُنوا بتقديم اللغة العربية لأبنائهم ولمن يريدها من أبناء الإندونيسيين ، وتحقيقا لذلك أنشئت جمعية الإرشاد والجمعية العلوية ، واهتمت كل منهما بإنشاء المدارس وبيوت الأيتام والمستشفيات ، وكانت هذه المؤسسات مزدهرة حينما كنت باندونيسيا ، وكان نشاطها واضحا فى جاكرتا وصولو وسورابايا وغيرها من البلاد التى يكثر بها المهاجرون الحضارمة ، وطالما وقف كاتب هذه السطور فى هذه المؤسسات يلقى محاضرات عامة فى ليال مزدهرة ، وكان الآلاف يحرصون على حضور هذه المحاضرات والانتفاع بها •

ومن أهم ما قمت به لترقية مستوى هذه المدارس أن جمع زعماء الحضارمة لى كل مدرسى اللغة العربية والدين بمدارسهم وأمضيت معهم مدة اسبوعين فى مصيف « توانج مانجو » وخلال هذه المدة ألقيتُ عليهم محاضرات أكثر ساعات النهار وبعض ساعات الليل فى دورة تدريبية لرفع مستواهم العلمى من جانب ولتعليمهم الوسائل التربوية الحديثة لتوصيل الأفكار الى التلاميذ من جانب آخر ، وقد قدّمت هذه الدورة فائدةً كبرى لهؤلاء المدرسين •

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٧ وما بعدها •

المسيحية واندونيسيا :

قلنا آنفا إن التبشير المسيحى بإندونيسيا يزمجر ، ويتخذ من الجزر المتعددة ستارا له ، ويعمد إلى بعض الجزر البعيدة عن الأنظار فيضع بها مراكز له مثل سلاويسى الشمالية والوسطى وجزيرة تيمور وجزيرة فلوريس ، ولا يقنع التبشير المسيحى بذلك بل يعمد الى بعض المناطق فى الجزر الكبرى فيقيم بها نشاطه ومراكزه ، وفى زيارتى الأخيرة لإندونيسيا (١٩٨١) أحسست بالألم والحسرة لتبجح هذا التبشير وتكالبه وشراسته ، وقد اتخذ من مدينة « صالاتيجا » مسرحا لنشاطه ، وقد زرت هذه المدينة فرأيتها كأنها معقل من معاقل الفاتيكان ، كلها كنائس وقباب وأجراس ومسوح ، وقد عنى القائمون بالتبشير بمعاهد التربية بوجه خاص ، لتخرج هذه المعاهد مدرسين مسيحيين متعصبين ينتشرون فى البلاد المختلفة حاملين سم التبشير فى أعطافهم ، وصرخت صرخة مزقت الأحشاء قائلا :

أين ملوك البترول المسلمون ؟
أين العلماء المسلمون ؟
أين الغيرة الاسلامية ؟

ولا تزال هذه الصرخات تنبعث من قلبى ومن وجدانى ومن قلمى ، كما تنبعث من صدور الآخرين .

صحيح أن مسلمى اندونيسيا تصدوا لهذه الحركة بكل ما يستطيعون ولكن قوتهم مغلوبة على أمرها ، أمام المال الغربى الجم والنشاط المنظم ، والجهد المتصل .

ولكن الاسلام يمنحه الله دائما الغلبة والنصر ، فليهب المسلمون من مختلف الأرجاء لمواجهة هذا الزحف حتى لا نقابل مرة أخرى ما حدث فى الأندلس أو ما حدث فى فلسطين .

وأرجو ألا تضيع هذه الصيحة فى الهواء .

الحياة الاجتماعية فى إندونيسيا

إذا جئنا للحياة الاجتماعية باندونيسيا نقرر بادىء ذى بدء أن أسلوب التعاون واضح تمام الوضوح فى اندونيسيا ، فالإنسان هناك أيًا كانت طبقته لا يعيش وحده ، بل يُحِس دائما أنه جزء فى مجتمع ، يرعى مجتمَعه ويرعاه المجتمع ، وسنسرد فيما يلى لمحات من هذا التعاون :

بنــاء بيت :

فمن أسلوب التعاون ما يجرى عندما يريد شخص أن يبنى بيتا فإن كل السكان فى القرية أو القرى القريبة يسهمون بالعمل معه ، كما يسهمون بالمؤن والذخائر اللازمة للبناء ، وسرعان ما يقوم هذا البيت ، أما صاحبه فيرد الجميل فى مناسبات مماثلة •

الـزواج وتكاليفه :

لا توجد فى اندونيسيا مشكلة فى المهور ؛ ويغلب أن يتم الاتفاق على أيسر المهور ، وفى الريف الاندونيسى يكون المهر نقدا أو أشياء عينيَّة كعدد من الأغنام أو البقر •

وفى إعداد الجهاز نجد أصدقاء العروسين فى حالات كثيرة يتحملون نصيبا بارزا فى هذا المجال ، ويقدِّمون أجزاء واضحة من الجهاز فى صورة هدايا ، ولكن هذه الهدايا لا تقدَّم ارتجالا ، بل يتفق الأصدقاء على توزيع بعض الجهاز عليهم ليقوم كل فرد منهم أو كل مجموعة بتقديم شىء لازم ، ويتكون من مجموع الهدايا ما يكوِّن أساسا لعُشِّ الزوجية ، بالإضافة إلى المدخرات التى تكون لدى العريس أو العروس ، وعلى هذا فالزواج فى اندونيسيا ليس عبئا على الشبان •

وأكثر مناطق اندونيسيا الاسلامية تتبع التقاليد الشائعة فى العالم الاسلامى حول الخطبة والزفاف ، ولكن بعض المناطق لها تقاليد موروثة جديرة بالتسجيل ؛ ففى منطقة السوندا يجىء العريس ليلة الزفاف الى

حجرة ومعه بعض أصـــدقائه وأقاربه ، وتجلس العروس مــع أصدقائها وأقاربها فى حجرة مجاورة وبين الحجرتين باب مغلق ثم يغنى أصـــدقاء العريس أغنية يذكرون فيها أن العريس قد أدّى التزاماته وقام بواجباته لاستقبال عروسه ، ويلتمسون فتح الباب ليدخـــل ، وتجيب صـــديقات العروس بأغنية يذكرن فيها مطالب جديدة ، ويسرع العريس وأصدقاؤه بتحقيق رغبة العروس ، وتجيب صديقات العروس بأن على العريس أن يتجمل بالصبر .... وبعد بعض المناقشات يفتح الباب ليلتقى العريس بعروسه ، ثم يمران على كبار الحاضرين لتقبّل التهـــانى وطلب العفـــو والدعاء ...



العروســـان فى حفل الزفاف

نظـــام الأسرة :

فى أكثر مناطق اندونيسيا يكون الرجـــل مركز الأسرة ، وعنــدما يتزوج تنتقـــل زوجته لداره ، ويكون هو المسئول عن توجيـــه الأولاد ورعايتهم •

ولكن فى بعض مناطق سومطرة يتبع السكان هناك حتى المسلمون منهم نظام الأمومة ، وفى هذه المناطق تكون الأم هى كل شىء ، وهى المسئولة عن إدارة شئون الأسرة ولها الكلمة العليا ، وهى التى ترعى الأولاد وتتولى توجيههـــم •

ومحور القرابة فى هذا النظام يعتمد على الأم وحدها فالرجل عقب زواجه يترك أسرته ويلحق بزوجته ، وبالتالى فإن أولاده يلتحقون بأسرة أمهم وليس بأسرة الأب وعشيرته (١) •

الرقص والموسيقى فى اندونيسيا :

وتشتهر اندونيسيا بالرقص والموسيقى ، ويقل جـــداً أن يوجـــد فى اندونيسيا فتى أو فتاة لا تجيد الرقص الإندونيسى وهو عندهم يشـــبه العبـــادة وفيـــه كثير من التحشـــم ، وفى المدارس توجـــد حصص لهذا الرقص ، ويكثر أن يكون جماعيا ، وأحيانا يكون بين فتى وفتاة فى حركات تمثل قصة تاريخية فيها خير وشر وتنتهى بانتصار الخير •

وكثـــير من الرقصـــات فى إندونيســـيا تتطـــلب ثيـــاباً خاصـــة

---

(١) اسماعيل جوهان : نظام الأسرة الاندونيسية بين التشريع الاسلامى والقوانين الوضعية ص ٨ •



راقصة اندونيسية تؤدى دورها فى قصة اسطورية

تبهر الأنظار بجمالها وغناها ، وتُلَبس لبعض الرقصات أقنعة" مختلفة ، ويستدعى العرض أحياناً استعمال المراوح والشماسى والشموع •

أما الموسيقى الاندونيسية فأشهرها « الجملان » وهو يمثل أوركسترا إندونيسية تتكون من عدة أشخاص ، وكلمة جملان معناها المطرقة ، ذلك لأن الطرق يبرز فى أكثر الآلات الموسيقية الإندونيسية ، وهناك كذلك آلات وترية وآلات نفخ ومزمار (١) •

وآلات الجملان تكون عادة ملكا للقرية أو الهيئة الاجتماعية ، ومن أشهرها الجملان المقدس فى جوكجاكارتا وبعض الآلات الموسيقية فيه كبيرة جداً فى الحجم ، ويرجع الجملان إلى عهد إمبراطورية ماجابيت ، ثم تولاه المسلمون بعد ذلك ، وأدخلوه فى احتفالاتهم الدينية والاجتماعية •

مراسم العزاء :

وفى المراسم المتصلة بالوفاة نجد الإندونيسيين يتبعون شعائر الإسلام ، فلا يرتفع صوت ، ولا يشق ثوب ولا توجد مظاهر الحزن الكاذبة ، بل يتلقى الناس خبر الوفاة بالرضا ، ويتم تشييع الجنازة فى هدوء ، مع الدعاء للمتوفى وطلب الغفران له والصفح عنه ، والصدقة على روحه •

---

(١) Datus Smith : The Land and Peoples of Indonesia p. 185.

لمحات من الأخلاق والتقاليد فى اندونيسيا وماليزيا

يمتاز الشعب فى اندونيسيا وماليزيا بصور من الأخلاق والتقاليد الطيبة ، التى رسخت فى نفوسهم واستقرت فى كيانهم ؛ وهى تدعو للكثير من الإعجاب والتقدير ، وسأسرد من هذه التقاليد بعضها بقدر ما وعت الذاكرة من محاسن هذا الشعب الكريم .

وأول ما يواجهك فى معاملتك لهذه الجماعة أن الإعطاء والأخذ لا يكون إلا باليد اليمنى ، فاذا قدّم اليك إنسانٌ شيئا أو أخذ منك شيئاً فاليد اليمنى هى التى تستعمل ، وقد يخطىء طفل فيحاول استعمال اليد اليسرى ، ولكنه سرعان ما يتلقى توجيهاً حاسما بأنه يلزم أن يستعمل يده اليمنى فيفعل ويعتذر .

وكلمة Bermesi أى بإذنك وكلمة Maaf أى عفوا من الكلمات كثيرة الاستعمال فى رقة وأدب جم .

واذا كان هناك مجموعة من الناس فى جلسة سيتناولون شرابا أو طعاما ، فإن الشراب أو الطعام يوزع عليهم ولكن لا يبدأ أحد فى الشرب أو الأكل حتى يتم التوزيع على الجميع ، ثم يطلب صاحب المنزل أو كبير القوم من الحاضرين أن يبدءوا فى تناول الشراب أو الطعام قائلا : Selahkan أى تفضلوا ، وفى حالات كثيرة كان يأتى لمنزلى باندونيسيا بعض المصريين الذين لا يعرفون هذه العادة ، فاذا وُزّع عليهم الشراب بدءوا يشربون قبل أن يتم التوزيع على الآخرين ، وكنت أسرع فأكلم الإندونيسيين الحاضرين بلغتهم ذاكرا أن العادة فى مصر لا تستلزم الانتظار حتى يتم التوزيع على الجميع ، وأحيانا كان يسألنى المصريون : ماذا تقولون ؟ فأشرح لهم الموضوع فيسرعون بوضع الأكواب على الموائد وتهبّ عاصفة من الضحك والمرح .

والأصوات فى اندونيسيا أشبه بالهمس ، ويقل جدا أن تسمع صوتا عاليا .

وكل انسان مشغول بنفسه ، فليس هناك من يبحث عن عورات الناس أو يحاول انتقادهم .

والمساواة طبيعة واضحة بين القوم ، فلباسهم ومظهرهم متقارب ولهذا يصعب أن تفرق بين سيدة البيت وبين الخادمة ولا بين صاحب السيارة وسائقه ، والكل ينادى Tuan أى سيد و Mas أى الأخ .

أما العلماء فلهم فى اندونيسيا أسمى مكانة ، وقد كان المواطنون فى اندونيسيا يعتبروننى مجاهدا ترك أهله ووطنه ووفد إليهم ليعلّمهم ويرشدهم ، وفى كثير من الأحوال كانت تجىء الوفود منهم لزيارتى فى بعض الأعياد والمناسبات ، وكانوا يقفون بحديقة المنزل ويتجهون للقبلة ويقرءون الفاتحة أن يحسن الله جزائى على رحلتى إليهم ، ويريدون عقب ذلك ان ينصرفوا دون أن يتم بينى وبينهم لقاء ، لأنهم كما يقولون لا يريدوين إزعاجى أو تعطيل قراءاتى ومذاكرتى ، وكنت طبعا أحرص على اللقاء بهم وأدعوهم لدخول البيت ، وكانوا يحاولون الاسراع فى الخروج لولا أُنسِى بهم ، ومحاولتى أن يطيلوا معى البقاء .

ووفود إندونيسيا تحضر للقاهرة لسبب أو لآخر ، وأكثر الوفود تحرص على زيارتى فى منزلى بالمعادى للتحية ، وحدث مرة أن جاءوا الى البيت وكان معهم عالم كبير من علماء اندونيسيا هو الأستاذ المرحوم عبد القهار مذكر ، ولم أكن موجودا بالمنزل ، ودعتهم أسرتى للدخول ودخلوا ، وتصفهم زوجتى بأنهم ما إن دخلوا واتخذوا أمكنتهم فى حجرة الجلوس حتى تحولت جلستهم إلى جلسة أقرب ما تكون للصلاة ، وأخذ

قائدهم يرتّل أدعية لى والباقى يردّدون دعاءه فى صوت هامس وحركة أشبه بحركة قرّاء القرآن الكريم ، وكانت الدموع على وشك أن تنساب من عيونهـم .

وقد حرص طلابى فى أثناء إقامتى باندونيسيا على بعث الأنس فى نفسى ، واحاطتى بكل اتجاهات الود والعون ، وقد أحسست مرة ببعض المرض فانقلبوا جميعا إلى أطباء وممرضين وممرضات ، وحاول بعضـهم أن يبيت فى منزلى ليكونوا فى خدمتى طول الليل ، مع أن المرض كان خفيفا ، وكان عندى من الخدم من يقومون بمهمة الخدمة والمساعدة .

والعرب فى اندونيسيا يكوّنون جالية تنـال كل تقـدير واحترام من الاندونيسيين ، وذلك لإخلاصهم للبلاد وتفانيهم فى خدمتها ، واندماجهم الكامل بالسكان الأصليين ، وقد قدم العرب لى أجمـل عون الأؤدى عملى على أحسن وجه ، وكانوا كثيرا ما يدعوننى لأمضى معهـم أيام الأعيـاد وبعض أيام الاجازات ، وحدث مرة أن حل عيد الأضحى فوفد الطـلاب لى زرافات ووحدانا يوم عرفات للتحيـة والتهنئة ، واقترحت أن نحيى عيد الأضحى معا ، فوافقوا وبخاصة أن الكثيرين منهم جاءوا من جـزر نائية ولا يعودون لأسرهم فى الإجازات القصيرة مثل اجازات الأعيـاد ، واتفقنا على أن أشترى خروفين وأقـدم قدرا كافيـا من الأرز وبعض التوابل ، وفى صبيحة يوم العيد كان منزلى يعج بالطلاب والطالبات ، وقد قاموا بالذبح والسلخ والطهو والخدمة ، وكان يوما بهيجا حقا يحسب من أجمـل أيام العمـر .

وبعد ، تلك لمحة عن اندونيسيا التى لا انسـاها ولا أنسى كل لحظة أمضيتها هناك ، ولا كل وجه قابلته ، فتحيتى لهذه البلاد الحبيبة ولأهلها ، وقد كتبت تاريخها بصدق ممزوج بالوفاء ، ولعلى بذلك أكـون قد أدّيت واجبا حبيبا الى نفسى تجاه هذه البلاد التى أحمل لها أطيب الذكريات .

الأقليات الإسلامية

في آسيا

الأقليات الإســلامية الكبرى فى آسيا

فى الدول التى لا تدين بالإسلام فى آسيا يوجد أحيــانا عــدد من المسلمين يصل فى كثير من الحالات إلى عشرات الملايين ، ومن أجــل هــذا العدد الكبير يرى بعض الباحثين أن تسمية هؤلاء بالأقليات فيــه إجحاف بهم ، ويفضــل أن نطــلق عليهم تعبيرا مثل « المسلمون فى الدول غــير الإسلامية » وفى تقديرى أن النتيجة واحدة فى التعبيرين فمائة مليــون مسلم مثلا فى الصين عدد فى ذاته كبير ولكنه أقلية بالنسبة لدولة تجــاوز تعدادها الألف مليون ••• وهكذا •

وإذا تركنا التعبير وجئنا للواقع نقرر أن هنــاك مسلمين فى بعض الدول غير الإسلامية بآسيا ، ولهؤلاء ــ بالإضافة إلى العدد الكبير ــ مكانة ملحوظة بين السكان ونشاط اسلامى جدير بالتقدير •

وقد تكلمنا عن المسلمين فى الهند عند حديثنا عن الهنــد ، وتكلمنــا عن المسلمين فى الدول غير الإسلامية بجنوب شرقى آسيا عند حديثنا عن المقدمات التى سقناها فى مطلع الحديث عن جنوب شرقى آسيا ، وتكلمنا عن المســلمين فى سنغافورة عقب الحــديث عن انفصــال سنغافورة عن « ماليزيا » •

بقى أن نتكلم هنا عن المسلمين فى الاتحــاد الســوفييتى وفى الصين وفى الفيلبين ، وهو ما سنشرع فيه :

الإسلام والمسلمون

في الاتحاد السوفييتي

الوثنية فى روسيا حتى نهاية القرن العاشر الميلادى :

إن الدارس للتاريخ الإسلامى فى مختلف الأرجاء يقابل أمراً جَللاً فيما يتعلق بروسيا التى كانت أساسا لما يسمى الآن « الاتحاد السوفيتى » وذلك أن الباحث يجد الإسلام طرق الأبواب فى مختلف النواحى ، ووجد له منفذا فى كل الأقطار ، وبمرور الزمن أصبح الاسلام دين السكان جميعا دون استثناء ، كالحال فى المملكة العربية السعودية ، أو باستثناء قليل كالدول الاسلامية المتعددة ، أو انتشر الاسلام بين السكان انتشارا واسعا أو محدودا كما حدث فى كثير من الأقطار بمختلف القارات .

ولكن الأمر الجلل فيما يتعلق بروسيا أن الإسلام لم يجد له منفذاً ذا بال أو لم يجد له منفذا على الإطلاق فى هذه الأرض سواء قبل النظام الشيوعى أو بعده ، كأن هذه الأرض صلدة أمام دعوة الاسلام ، ولعلها بذلك تكون الأرض الوحيدة فى العالم التى لم يدخلها شعاع الاسلام وهداية الله .

ولا يزال الاسلام حتى الآن ينتشر فى كل القارات الا فى الاتحاد السوفيتى .

ومرجع ذلك أن الروس ظلوا وثنيين حتى نهاية القرن العاشر الميلادى ، وكان الأباطرة متمسكين بعبادة الاوثان ، ولم يسمحوا للاديان أن تطرق أبوابهم ، وقد رأى الامبراطور فلاديمير أنه آن الأوان ليترك عبادة الاوثان ، وأخذ يتعرف على أديان عصره ليختار دينا منها ، ولكنه رفض اليهودية عندما قال له أتباعها أن منطقة بيت المقدس أرضهم ولكن الله شتت شملهم ، فصاح فيهم قائلا : لقد بؤتم بلعنة من الله ، فابعدوا عنا لأننا لا نريد أن نفقد وطننا ، كما فقدتم أنتم وطنكم ، ورفض دين الاسلام لان الاسلام يحرم الخمر ، ويُلزم الرجال بالختان ...... ، ولم يقبل المسيحية الكاثوليكية لان حفلاتها الدينية خالية من الأبهة والجلال .

أما الارثوذكسية فقد أعجبته لروعـة ملابس القسيسين الكهنـوتية وزخارف المذابح ، ورائحة البخور ، وارتضى فلاديمير الارثوذكسية دينـا سنة ٩٨٨ م وأصـدر مرسـوما يقضى بأن يذعن الروس كافة للديانـة المسيحية ، ولكنيسة القسطنطينية (١) •

ومن هنا يتضح أن دخول الروس المسيحية كان متأخرا جدا من جانب ولم يكن من جانب آخر نابعا عن عمق فى العقيدة أو فهم للديانة ، بل كان متأثرا بالمظهر الكنسى فى كنيسة أيا صوفيا ، وهذا يوضح أن المسيحية لم تـكن عميقة الجذور فى الشعب الروسى •

وظل الروس تابعين للمسيحية لا يسمح لهم بسـواها حتى سـنة ١٩٠٥ م عندما صدر مرسوم ينص على التسامح الدينى فى كافة أرجـاء الامبراطورية الروسية ، وقد كان ذلك المرسوم تهدئة لنفـوس المسلمين فى المناطق التى كان الروس قد استولوا عليها قبل ذلك ، وحاولوا فيهـا قهر المسلمين عـلى اتبـاع دين الدولة الرسمى الـذى كان لا يسـمح الرعية بسـواه •

وكان الروس عندما دخلوا المسيحية قد ارتبطوا برباط المصـاهرة مع البيزنطيين ، ثم قامت بعـد ذلك الدولة العثمـانية التى قضت عـلى الامبراطورية البيزنطية المسيحية ، ومدت فتوحاتها صوب البلقان والقرم والقوقاز فأصبحت بذلك مواجهة للروس مواجهة عداء ، ثم ان الروس أحسوا بعد سقوط الامبراطورية البيزنطية انهم المسئولون عن المسيحية ، وهذه العوامل مجتمعة هى التى وضعت الروس منذ القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) فى مواجهة الدول الاسلامية وبخاصـة الدولة العثمانية وإيران وممالك آسيا الوسطى وأصبحت روسيا بذلك العـدو الأول للاسلام •

---

(١) توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام : ص ٢٧٤ — ٢٧٥ •

ويتضح من التواريخ التى سبق أن ذكرناها أن التدين كان كما قلنـــا آنفا حديثا على المناطق الروسية ومن هنا فان المسيحية نفسها ، لم تـــكن عميقة الجذور فيها ، ولعل ذلك هو الذى يسّر الاتجـــاه الى اللادينية فى العهـــد الشـــيوعى .

زحف روسى على ممالك إسلامية :

أما المسلمون فى الاتحاد السوفيتى الآن فإنهم كانوا يعيشون فى أرض إسلامية مستقلة ، ثم زحف عليها الروس واحتلوها ، وجعلوها ضمن هـــذا الاتحاد السوفيتى بالقسر والقوة كما سنرى فيما بعد .

وعلى هذا فدراستنا للاسلام فى الاتحاد السوفيتى انما هى "تَتَبُّع" لتاريخ هذه المناطق التى كانت يوما مزدهرة بالاسلام والفكر الاسلامى ، ثم احتواها اخطبوط السيادة الروسية ، فجعلها على الرغم منها جـــزءا من أرض تعادى الاسلام أشد عداء قبل سنة ١٩١٧ وبعدها ، أى قبل قيـــام النظام الشيوعى وبعده على السواء .

والذى رأيناه من قبل من زحف الجيوش السوفيتية على أفغانستان انما هو حلقـــة جـــديدة من سلسلة الزحوف الروسية الآثمـــة على أرض الاسلام ، فلنحاول أن نتتبع خيوط العدوان الروسى على الارض الاسلامية لنعرف تاريخ المسلمين فى الاتحاد السوفيتى وحالتهم .

ومن دراستنا السابقة لإيران عرفنا أن إيران كانت لهـــا فى كثير من الفترات امتدادات واسعة شملت أفغانستان ، كما شملت ما وراء النهـــر وتركستان أى المنطقة التى تعرف إجمالا بآسيا الوسطى :

وقد انتشر الاسلام فى هذه المناطق ، وظهرت فيها مراكز إســـلامية خدمت العلوم الإسلامية والمعارف الإسلامية أجلّ الخدمات ، ثم ســـقطت منطقةً إثر أخرى فى أيدى الروس كما سنرى فيما بعد .

وينبغى أن نبدأ بالتعريف بهذه المنـــاطق ، وهى بوجـــه عام ترتبط

ببحر خوارزم (بحر أورال أو بحر الخزر) ويصب فى هذا البحر نهـران شهيران فى المنطقـة هما نهـر جيحون (Amu-Darya) الى الجنـوب وهو الذى يفصل الآن بين أفغانستان وبين الاتحاد السـوفيتى ، والنهـر الثانى هو نهـر سيحون (Syr-Darya) إلى الشمال ، والمنطقـة التى تقع شمالى نهر جيحون تسمى ما وراء النهر ، ويسكنها جمـاعة من « الترك » وفدوا لهذه المنطقة فى القرن السادس الميلادى أى قبل الاسلام ، وكوّنوا لهم عدة ولايات ، وانتشرت بينهم تيارات ثقافية إيرانية وصينية فظهرت بها الزرادشتية والكونفوشية ، وبرزت بها طبقة رجال الدين وكانوا يسـمون « الدهاقين » وبسبب حيـاة الترك فى هـذه المنـاطق سميت « تركستان » وامتد نفوذ هذه الولايات أحيانا الى المناطق الواقعـة الى الجنوب من نهر جيحون •

وقد تكونت فى هذه المنـاطق الإمارات والممالك التالية التى أوردنا ذكرها فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة وهى :

مملكة طخارستان على جانبى نهر جيحون وعاصمتها بلخ •

مملكة صغانيان ، وتقع شـمال نهـر جيحون ، وعاصمتها شـومان مملكة الصغد وهى تمتد من نهر جيحون الى سيحون وعاصمتها سـمرقند وأهم مدنها بخـارى •

مملكة فرغانة على جانبى نهر سيحون وعاصمتها جخندة أو كاشـان أو اخسيكت ، وكان ملكها يلقب بالاخشيد وهو اللقب الـذى أطلق عـلى الاخشيد مؤسس الدولة الاخشيدية بمصر لصلة نسبه بهذه البلاد •

مملكة خوارزم بالقرب من بحر خوارزم وعاصمتها الجرجانية •

مملكة أشرو سنة فى الشرق من فرغانة ، ولقب ملكها الأفشين ومنهـا انحدر بعض المماليك الذين آل لهم السلطان فى عصر ضعف الخلافة العباسية بعد الواثق ، وقصبتها بنجكث •

مملكة الشاش فى شمال نهر سيحون وعاصمتها الطارنبذ أو بنكث (١) .

ولم تكن هناك حدود ثابتة لهذه الممالك ، بل كان العدوان بينها يكاد يكون مستمرا ، وكذلك كانت هذه البلاد عرضة لعدوان من المناطق المجاورة لها وبخاصة من الصين .

وقد بدأ احتكاك المسلمين بهذه المناطق عقب الانتهـــاء من فتح ايران سنة ٣١ هـ وأسلم الاحتكاك الى غـــزو منـــذ عهـــد معاوية على يد قائده قيس بن الهيثم الذى كانت له ولاية خراســـان ، فقد رُوِىَ أن أهـــل بادغيس وهراة وبلخ قد نقضوا الصلح الذى كان بينهم وبين المسلمين منذ فتحها فى عهد عثمان رضى الله عنه فسار الى بلخ فخرب معبدها وعـــاد أهلها يطلبون الصلح فوافق عليه قيس ، ولما علم أهل بادغيس وهراة بما نزل بأهـــل بلخ طلبوا الصـــلح على الشروط التى نـــزل عليهـــا أهل بلخ فأجيبوا الى طلبهم (٢) .

وولى معاوية أيضا زياد بن أبيه بلاد العراق ، ومن بعـــد زياد تولى ابنه عبيد الله فكان لهما قيادة هذه الجبهة ، وفى عهـــد عبيد الله وصـــل المسلمون فى تقدمهم الى بخارى وسمرقند (٣) .

وفى هذه الفترة تدفق العرب للحياة فى هذه المنطقة ، فقد رحل لهـــا خمسون ألف أسرة من البصرة والكوفة واستوطنوها (٤) .

وتوقف نشاط المسلمين حول هذه البـــلاد بعـــد معاوية بسبب كثرة الثورات فى العالم الاسلامى ، ولما أُخمِدت هذه الثورات ودبَّ النشاط فى الجبهات الحربية كلها دب النشاط فى هـــذه الجبهة أيضـــا ، وكانت ولاية

---

(١) انظر الدكتور عبد الهادى شعيرة : ممالك ما وراء النهر ص ٦ وما بعدها ، وانظر كذلك البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٠٩ — ٤١٠ .

(٢) البلاذرى ص ٣٩٩ — ٤٠٠ .

(٣) الطبرى ج ٤ ص ٢٢١ والبلاذرى ص ٤٠١ .

(٤) دكتور حسن محمود : الاسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ص ١١٩ .

العراق وخراسان قد أسندت للحجاج بن يوسف فأعدّ القـادة للهجوم على هذه المنطقة ، ومن قادته فيهـا المهلب بن أبى صفرة الذى كانت لـه غارات ناجحـة على هذه البلاد حتى فقئت عينه (١) ، وتولى بعـده ابنه يزيد بن المهلب الذى فتح قلعة نيزك ببادغيس سنة ٨٤ هـ (٢) ، وفى العام التالى عَزلَ الحجاج يزيد وولى أخاه المفضل فمكّن للمسلمين فى بادغيس وشـومان (٣) .

وهبت ثورة ابن الاشعت فشغلت الَحجاجَ حينا ، فلما انتهى منها عاد لهذه المنطقة بزحف أكثر نظاما ونجاحا ، وكان الزحف هذه المرة على يد القائد الشهير قتيبة بن مسلم .

ولم تكن حروب قتيبة بن مسلم غارات كتلك الغـارات التى كانت طابع الحملات التى سبقت قتيبة فى هذه الجبهة ، بل كانت فتحا منظمـا ثابتـا ، وقد بدأت حمـلات قتيبة فى أوائل عهـد الوليـد بن عبد الملك واستمرت حتى بدء عهد سليمان ، وقد استطاع قتيبة فى هذه الفترة أن يَمدّ فتوحاته إلى كل البلاد التى تقع على النهرين أو بينهما تلك التى أوجزنا ذكرها آنفا (٤) ، ولم يكتف قتيبة بالفتح ، بل دعـا السكان الى دخول الإسلام وترك عبادة الأصنام ، فأجابوه بأن لهم أصناما من اعتدى عليها أو استخف بها هلك ، وهم لا يستطيعون الاستخفاف بهـا لذلك ، فدخـل قتيبة على الأصنام فأباح حُلِيَّها لجنده ، وكبّها على وجوهها بيده وحرقها ، ولم يصبه سوء بطبيعة الحال ، وكان ذلك مما سبب دخول كثير من سكان هذه البلاد فى الاسلام (٥) .

وقد مرّ نجاح قتيبة بمراحل ابتدأت من سنة ٨٦ هـ واستمرت حتى

---

(١) انظر ترجمة المهلب فى وفيات الأعيان .

(٢) الطبرى جـ ٥ ص ١٨٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩٤ .

(٤) انظر بعض تفاصيل هذه الفتوح فى الطبرى جـ ٥ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ واقرأ كذلك البلاذرى ص ٣٩١ ، ٤٠٩ — ٤١١ .

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤١١ .

سـنة ٩٧ هـ ، واستطاع فى هـذه المراحل أن يسيطر على كل المنطقـة ، بل إنه أوغل فى غزواته حتى اقترب من حدود الصين (١) أو وصلها فعلا • ولم يقنـع قتيبة بالزحف والانتصـار بل انه ـ كما يقـول بدر الدين الصينى ـ أنشأ فى بخارى جامعا عظيما سمى جامع قتيبة ، وكان يَمْنَح عطـاءً قدْره درهمان لكل من دخل مصليا لأول مرة ، كما أرسـل الفقهاء الى منازل الناس وبيوتهم ليعلموهم شعائر الاسـلام ، وأجاز ترجمـة القرآن الى اللغة المعروفة فى هذه المنطقة (٢) •

ومن القادة البارزين فى فتوحات هذه المنطقة بعد قتيبة نصر بن سيار آخر ولاة الأمويين فى خراسان والذى استطاع أن يستولى سنة ١٢١ على مملكة « التركثى » التى اشتق منها اسم الترك •

آسـيا الوسطى فى مطلع عهـد العباسيين :

استطاع العباسيون أن يوثقوا صلاتهم بمناطق الأتراك فى آسـيا الوسـطى ، فقـد كان أبو مسـلم الذى ينسب الى خراسـان يمثـل العباسيين ، فجمع جموع المنطقة حـوله لاحتضان الدعـوة لآل البيت وقد عمل العباسيون على توثيق صلتهم بهذه المنطقة عن طريق دعاتهـم وقوادهم ، وعندما كان المأمون مقيما فى مرو انتهز الفرصة فدرس حالة المنطقة ووثق بها صلاته •

الحركات الاستقلالية بإيران وصلتها بتركستان :

فى دراساتنا السابقة عن إيران وضحنا الحقائق التاريخية التالية :

ـ عند كلامنـا عن إيران من ناحية المسـاحة والموقع قبـل الإسـلام ذكرنا أنها كانت تشمل بلاد تركستان •

ـ وعند حديثنا عن إيران فى عهد الفتح الإسلامى ذكرنا أن الفتـوحات الإسلامية بإيران امتدت إلى بلاد ما وراء النهر •

---

(١) بدر الدين الصينى : العلاقات بين العرب والصين ص ٢٧ ـ ٢٨ •

(٢) المرجع السابق ص ٢٦ •

ـ ولما قامت الدول الاستقلالية خلال العهد العباسى كانت منطقة تركستان تمثل جزءاً من مملكة الطاهريين ، والسامانيين ، والغزنويين ، والسلاجقة، بل إن بعض هذه الدول كالسامانيين والسلاجقة بدءوا ملكهم فيما وراء النهر ثم امتد سلطانهم منها إلى مناطق إيران وغيرها من المناطق المحيطة .

ـ وقامت الدولة الخوارزمية فى « خيوة » بمنطقة خوارزم ، ومدت سلطانها إلى بعض مناطق إيران ، ولكن عمرها كان قصيراً .

ـ شمل الزحف المغولى مناطق تركستان ، فكانت هذه المناطق جزءا من امبراطورية هولاكو وتيمورلنك .

الروس يزحفون على هذه المناطق :

كانت روسيا قبل النظام الشيوعى وبعده دولة عدوانية ، وقد تركز زحفها على جيرانها ، وبخاصة ابتداء من القرن التاسع عشر ، ففى عهد القاجاريين ضمت روسيا منطقة جورجيا سنة ١٨٠١ واعترفت بذلك معاهدة كلستان التى عقدت بين إيران وروسيا سنة ١٨١٣ وفى الحرب التى وقعت بين إيران وروسيا سنة ١٨٢٦ انتصرت روسيا وضمت اليها مناطق تركستان التى لم تكن قد ضمتها من قبل ، كما ضمت لها سنة ١٨٦٤ منطقة الشركس والقوقاز التى تمتد من البحر الاسود الى قزوين بل ضمت كل المناطق التى تقع بين منغوليا وقزوين وكانت هذه المناطق اسلامية قبل استيلاء الروس عليها .

وخلاصة تاريخ المناطق الاسلامية التابعة لروسيا الآن هى أن المسلمين استولوا على هذه المناطق فى القرن الأول والثانى الهجريين (القرن السابع والثامن الميلاديين) وظلت هذه المناطق تحت حكم الامويين فالعباسيين (مباشرة أو من خلال الدول المستقلة التابعة لهم حتى القرن الثانى عشر الميلادى) ثم استولى عليها المغول والتيموريون فيما بين القرن الثالث عشر والخامس عشر ، وبعد المغول آل السلطان

عليها إلى الأوزبك ، ثم انقسمت هذه المناطق إلى عدة إمارات ودويلات حتى استولت عليها روسيا فى القــرن التاسع عشر والقــرن العشرين ، وجعلتها جمهوريات ضمن الجمهوريات السوفيتية .

ويلاحظ أن الزحف الروسى اتجه للبلاد المجاورة ، ومن هنا كان قليل التكاليف ، وليس الا عَبْراً للحدود وسيطرةً على أرض الجيران ، وعلى مقاديرهم ، وذلك بخلاف الزحف الأوربى الذى استلزم رحلات بعيــدة المدى ، وتكاليف باهظة وحمل معه بذور فشله ، فالزحف الروسى سرعان ما يدّعى أن الأرض التى احتلها ليست إلا جزءا من دولتهــم الكبرى ، أما الزحف الغربى فلم يســتطع أن يقدم هــذا الادعاء على الأرض التى احتلها وراء البحــار .

سياســة الترويس :

وســلك الــروس فى سياستهم تجاه المنــاطق المحكومة ما يســمى (الترويس) أى القضاء على القومية الإقليمية لغةً وشريعةً وجعل هــذه المناطق جزءاً من روسيا .

ومن سياسة الترويس أن عملت الحكومة المركزية على خلخلة التركيز الإسلامى فى المناطق الإســلامية ، فدفعت أعــدادا كبيرة من العنــاصر الروسية إلى المناطق الإسلامية ، كما هَجّرت عددا كبيرا من المســلمين إلى مناطق أخرى بعيدا عن التجمع الاســلامى ، ويعتبر هــذا التصرف أخطر ما قامت به الحكومة الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى لإضعاف التجمع الاسلامى فى شتى المناطق الاسلامية (١) .

ويتحدث الأستاذ محمد الغزالى عن هذه السياسة فيقول : لقد قرر الروس الحمر أن يغيّروا البلاد الإسلامية ، ويحوّلوا تاريخهــا كله من مجرى إلى مجرى آخر ، فكانت الأوامر تصدر بهجرات جماعية واسعة المدى يتحــول بها الناس من بلاد الى بلاد ، وتطبيقا لهــذه السياسة نَقلت الحكومات الروسية جماهير المسلمين الى برارى سيبيريا وأواسط آسيا ، كما نقلت الألوف المؤلفة من الروس والسلاف وشحنت بهم أذربيجــان

---

(١) دكتور عادل طه : المسلمون فى العالم ص ١١٢ .

وتركستان والقرم ، وعند تنفيذ هذا المخطط الرهيب قاوم المسلمون دفاعا عن أرضهم وبيوتهم ووطنهم ، فكان الفناء الذريع جزاءهم ، وأصبح تعداد الهالكين عند تنفيذ هذا البرنامج الرهيب تعدادا مخيفـا ، وقد لوحظ أن هذا الترويس كان يُبْعِد المسلمين عن أرضـهم الخصبة الغنية ويلقى بهم فى أحضان المجهـول والفقر (١) .

وأهم المناطق الاسلامية التى شملها الاتحاد السوفيتى أوزبكستان وتركمانستان وجورجيا وتادجكستان وأذربيجان وأرمينيـة وسنتكلم عن كل منها كلمة قصـيرة .

جمهـورية أوزبكسـتان :

مساحتها حـوالى ٤١٠ كيلو مترات مربعة وتعـداد سكانها ثمانية ملايين وهم خليط من المغـول والتركمان وتنسب هـذه الجمهـورية الى قبائل الاوزبك التركمانية ، وتحيط ببحيرة أورال وكانت تسمى بلاد ما وراء النهر وعاصمتها طشقند ، وهى جمهورية متقدمة فى المجال الصناعى وبهـا البترول والفحم والنحاس وتنتج قدرا كبيرا من القطن الخـام ومن أهم مدنها بخارى وسمرقند وخوقند ، ولهذه المدن تاريخ عريض فى الحضارة الاسلامية سبق أن أشرنا إليه ، وقد غزتها روسيا سنة ١٨٧٥ ثم أصبحت جمهورية تأسيسية سنة ١٩٢٤ .

جمهـورية تركمانستان :

هى من الجمهوريات التأسيسية بالاتحاد السوفيتى ومساحتها حوالى ٣٨٦كم٢ ، وعدد سكانها مليون ونصف مليون نسمة ، ويحدها من الغرب بحر قزوين ومن الشرق (أفغانسـتان) وعاصمتها أشـخاباد ، ومن مدنهـا الرئيسية (مرو) التى لها ذكر طويل فى التاريخ الاسلامى ، وقد دخلتها روسيا فى أواخر القرن التاسع عشر وأصبحت ولاية تأسيسية سنة ١٩٢٤ .

جمهـورية جورجيـا :

جمهورية جورجيا دخلها الاسلام فى القرن الأول الهجرى ، وتعرفه

---

(١) الاسلام فى وجه الزحف الاحمر : ص ١٣٠ — ١٣١ .

ى المراجع العربية باسم بلاد الكرج ، وقد انتقل السلطان عليها فى العهد العباسى الى السلاجقة وبعدهم جاء المغول فالصفويون فالعثمانيون ، وهى تطل على البحر الأسود وسكانها حوالى أربعة ملايين ، وتحـوى أرض جورجيا أغنى مناجم المنجنيز فى العالم ، وقـد استولى عليهـا الروس سنة ١٨٠١ كما ذكرنا من قبل وأصبحت جمهورية ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتى بعد ذلك .

جمهـورية تادجكستان :

تقع فى حوض نهر جيحون وسكانها حوالى مليونين وقد أخذت اسمها من شعب « التاجيك » وهم من المسلمين السنيين الذين وفدوا من إيران وسكنوا منطقـة التركستان منـذ أمـد بعيـد ، وهم يمثلون ٧٨ ٪ من السكان ، وتكثر بها المعادن المهمة كالذهب والفضة واليورانيـوم ، وقـد ضمها اتحاد الجمهوريات السوفيتية سنة ١٩٢٩ .

جمهـورية أذربيجـان :

جمهورية أذربيجان السوفيتية جزء من مناطق أذربيجان الفسيحة ، ويقع بها نهر أراس الذى يفصل بين أذربيجان التابعـة لايران وأذربيجان التابعـة لروسيا .

ومنطقة أذربيجان كلها دخلها الاسلام فى القرن الأول الهجرى ، وقامت بها دول اسلامية هى دول الاتابك وشاهات خوارزم ، ثم امتـد الزحف الروسى فى أوائل القرن التاسع عشر الى جزء منها الذى يسـمى الآن اذربيجان الروسية .

ومساحة أذربيجان الروسية فسيحة وسكانها حـوالى ٤ ملايين ، وعاصمتها باكو ، وهى غنية بالبترول ، وينمو بها القطن والكروم والشاى ، وسكانها من المسلمين الشيعة .

جمهـورية أرمينيـا :

أرمينيا هضبة يصل ارتفاعها الى أكثر من ألفى متر تقع الى الغـرب

من أذربيجان ، وتعد من مناطق آسيا الصغرى ، وقد دخلتها المسيحية مبكرة وخضعت للفرس قبل الاسلام فعانى سكانها ألوانا من الاضطهاد الفارسى ، ثم أعاد البيزنطيون الاستيلاء عليها ، ولكن الاتراك السلاجقة أخذوها من البيزنطيين خلال زحفهم تجاه الغرب فى آسيا الصغرى ، وبعد ذلك خضعت للتيموريين فالأتراك العثمانيين ثم احتلها الفرس ، وطردهم الروس منها ، وهذا يوضح العناء الذى قاساه الأرمن •

وأصبحت أرمينيا فى العهد الحاضر إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى •

وتبلغ مساحة أرمينيا حوالى ٣٠ ألف كيلو متر مربع وسكانها حوالى مليونين ، ويطلق عليها اسم جمهورية أريفان ، وعاصمتها أريفان •

وتشتهر أرمينيا بالمراعى الجيدة ومن ثم بتربية الحيوان •

موقف الشيوعية من مسلمى الاتحاد السوفيتى :

رأينا فيما سبق أن روسيا القيصرية ضمت المناطق المتعددة التى ذكرناها آنفا والتى أصبحت فيما بعد جمهوريات فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية ، وكانت روسيا القيصرية شديدة العنت مع المسلمين الذين كانوا سادة هذه المناطق ثم أعلنت الشيوعية فى روسيا سنة ١٩١٧ م ، ونريد أن نتتبع التحركات الشيوعية ضد مسلمى روسيا منذ ذلك التاريخ •

فى فبراير سنة ١٩١٧ أعلنت روسيا السوفيتية الحرية والمساواة والأخوة لجميع شعوب روسيا ، وكان هذا الإعلان خديعة لهذه الشعوب حتى لا يعارضوا الحكومة الشيوعية الجديدة ، وسلّمت الحكومة الاتحادية بمبدأ أن يكون للمسلمين هيئة تشريعية إسلامية •

وبعد قليل أحست الحكومة الشيوعية باستقرارها ، فهبّت ثورة أكتوبر ١٩١٨ التى اتجه النظام الشيوعى فيها للقضاء على هذه المرحلة التى تركت فيها شيئا من الحرية للمسلمين •

ولكن الحكومة الشيوعية سرعان ما قابلت الحرب الأهلية المروعة سنة ١٩٢٢ ، فهدأت من صراعها ضد المسلمين ، وما إن انتصرت فى هذه الحرب حتى انطلقت بقسوة ووحشية أكثر من ذى قبل ضد الاسلام والمسلمين ، فشن الجيش الأحمر الحرب على المسلمين ، وكان يقبض عليهم ويقتلهم قتلا جماعيا ، كما صادر المحاصيل والماشية ، وسلب ونهب ، ويحكى « ريمون شارل » أعمال الشدة التى باشرها الحكم السوفييتى ضد المسلمين ودينهم فيقول : إنه فى غضون عدة سنوات حولت ألوف المساجد الى مواخير ونوادٍ واسطبلات ، كما حولت جامعة سمرقند الى ناد للملحدين ، وأغلقت المدارس الدينية (١) .

ثم أطلقت يد الشيوعيين القوميين فى مسلمى آسيا الوسطى ، فأخذ هؤلاء الشيوعيون فى ذبح المسلمين بالجملة وإحراق المنازل وقتل المواشى ، وارتكاب المجازر والفظائع ، والجرائم التى لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، وقد قتل فى هذه المجازر ما يزيد عن مليون ونصف مليون من رجال الدين ، وما يزيد عن أربعة ملايين مسلم من غير رجال الدين ، هذا عدا الذين هربوا الى البلدان المجاورة (٢) .

وقد تحدثت مجلة « ملى تركستان » فى عدد ديسمبر سنة ١٩٥١ ومارس سنة ١٩٥٢ (٣) عن مراحل العدوان على المسلمين فجعلتها ست مراحل وفيما يلى إيجاز لهذه المراحل الست :

١ — ١٩١٨ — ١٩٢٤ وفى خلال هذه المدة قتل عدد كبير من التركستان تحت ستار تمكين الحكم الروسى الجديد .

٢ — ١٩٢٤ — ١٩٢٨ كان القتل فى هذه المرحلة تحت ستار إقامة الجمهوريات السوفيتية ، حيث قتل كل من يعارض هذا الاتجاه .

---

(1) La Loile Rouge Conlre le Croissant.

(٢) العوامل التى تنخر فى الكيان الاسلامى لمجموعة من الاساتذة ص ٣٨ .

(٣) نقلاً عن عالم حر جديد : للاستاذ محمد جميل بيهم ص ٦١ — ٦٢ .

٣ — ١٩٢٨ — ١٩٣٦ وفى هذه المرحلة أُلغى نظام الإقطاع وأقيمت المزارع الجماعية ، وقتل فى هذه المرحلة رجال الإقطاع وأعوانهم وألوف من الشخصيات الدينية التى خيف منها أن تدافع عن الملكيات الخاصة ، وفى هذه المرحلة كذلك تمّ القضاء على استعمال الحروف العربية ، وحلت محلها اللاتينية .

٤ — ١٩٣٦ — ١٩٣٨ ولعلها أخطر مرحلة فى تاريخ الإبادة ، إذ قُتِل فيها من نُعِتوا بأنهم أعداء الشعب ، وقد سقط فى هذه المرحلة ألوف من الأساتذة والطلاب والصحفيين والكتاب السياسيين ، بل سقط كثير من أصحاب المناصب الرسمية الكبيرة .

٥ — ١٩٣٨ — ١٩٤٥ وفى هذه المرحلة انتشر سلاح الدفاع الداخلى ، وتعرّض للإرهاب والطغيان والإبادة عدد كبير من الناس بحجة أنهم جواسيس .

٦ — المرحلة التى تلت ذلك وكان شعارها « الجبهة الايدولوجية » وهى ترمى الى القضاء على التاريخ والفكر والآداب التى لا تتناسب مع الماركسية .

وقد يلجأ بعض الشيوعيين للتظاهر بالتدين ، فيرتادون الكنائس أو المساجد ، وليس ذلك منهم إلا محاولة للسيطرة على المعاقل الدينية ، والاتصال بما قد يجرى بها من همس ضد الماركسية .

وقد أصبح الإسلام غريبا فى مواطنه فى الاتحاد السوفيتى لا يتبعه الا القلة القليلة من الشيوخ كبار السن ، أما الجيل الجديد فلم يسمع عن الإسلام إلا اسمه ، ولم يعرف شيئا عن شعائره ، بعد أن مُنِعت دراسته وتهدمت معاقله .

ومما يدعو للحذر أن كثيرين من الباحثين يرون أن الشيوعية اضطهدت

الاسلام أكثر مما اضطهدت غيره من الأديان ، لان كثيرين من أعضاء اللجنة المركزية بالاتحاد السوفيتى هم من اليهود ، وهم بالتالى يجدون فى القضاء على المسلمين نصرا لليهود فى صراعهم ضد المسلمين ، وعندما يبذلون الجهد لنشر الشيوعية فى الشرق الأوسط ، فانهم بذلك يخففون أو يزيلون الضغط عن اسرائيل ، (١) ولسنا ننسى أن الاتحاد السوفيتى كان منافسا للولايات المتحدة فى مساندة اسرائيل وفى سرعة اعترافه بها سنة ١٩٤٨ .

بل ذكرت الأنباء أن جنودا شيوعيين كانوا يحملون أسلحة سوفيتية اشتركوا فى الحرب سنة ١٩٤٨ لصالح اسرائيل .

المسلمون بالاتحاد السوفييتى بين الماضى والحاضر والمستقبل :

اذا نظرنا الى الماضى البعيد للمناطق الاسلامية التى زحف عليها الاتحاد السوفييتى نجده صفحة ناصعة ، فقد اشتركت مناطق تركستان مع الحواضر الإسلامية الأخرى فى خدمة الحضارة الاسلامية والانسانية ، ولقد سبق لنا أن اقتبسنا قول الثعالبى فى يتيمة الدهر إن بخارى كانت تحت السامانيين موطناً للجلال والفخر ومركزاً للزهو والعظمة ، وأُفقاً للأدب والأدباء ، ومكانا لالتقاء العلماء والقادة وذوى الرأى .

وقد عاش الثعالبى نفسه فى رحاب نصر الثانى السامانى الذى كان يشبَّه بالمأمون بن هارون الرشيد ، وكان لذلك يسمى مأمون السامانيين .

وقبل الثعالبى أنجبت بخارى أشهر محدِّث عرفه الإسلام وهو الامام البخارى (٢٥٦ هـ) الذى كان له صيت واسع ، ومكانة عالية فى جمع الأحاديث الشريفة ، وقد طاف عددا من البلدان لتحقيق الأحاديث التى يرويها ، ثم عاد إلى بخارى فنصبت له القباب ونُثرت فى طريقه الدراهم والدنانير ، وجلس للحديث فى مسجد بخارى ». وقد اشتهر بكتابه « الجامع

(١) انظر المرجع السابق ص ٤١ .

الصحيح » وكان يَشْترط فى اختيار الأحاديث أن يكون إسنادها متصلا غير مقطوع .

واقتبسنا كذلك قول القزوينى إن بخارى كانت دائما مجمع الفقهاء وموطن الفضلاء ومنشأ علوم النظر ، وأكثر سكانها كانوا ينحدرون من نسل عمر بن عبد العزيز ، وقد توارثوا تربية العلم والعلماء كابرا عن كابر ، ولم ُترَ مدينة كان أهلها أشد احتراما لأهل العلم من مدينة بخارى .

وفى بخارى كذلك ازدهى العالم الكبير ابن سينا الذى اشتهر بأنه متعدد الجوانب الفكرية .

واذا تركنا بخارى وعلماءها فإننا نواجه مدينة أخرى اشتهرت فى التاريخ الاسلامى شهرة واسعة ثم أصبحت أيضا خاضعة للاتحاد السوفيتى تلك هى مدينة « ترمذ » التى ينسب لها الامام المحدث الترمذى أبو عيسى محمد بن عيسى صاحب الجامع الصحيح (٢٨٩) وينسب لها كذلك الترمذى الفقيه الحنفى أبو عبد الله محمد بن على صاحب توارد الأصول وعلل العبودية (٢٨٥) وينسب لها كذلك الترمذى الصوفى بهاء الدين حسين الذى توفى فى منتصف القرن السابع الهجرى و ُيَعد جلال الدين الرومى أحد مريديه .

وأنجبت هذه المناطق الجورجانى مؤلف الذخيرة وهى أول دائرة معارف طبية فى التاريخ .

وأنجبت كذلك البيرونى (٤٤٠هـ) الرياضى الفلكى الطبيب الكيماوى المؤرخ الذى يوصف بأنه أكبر عقلية فى تاريخ عصره .

ومن علماء تركستان الذين لا يمكن تجاهلهم النسائى والنسوى والزمخشرى وعبد القاهر الجورجانى والتفتازانى والسكاكى وأبو زيد البلخى وسواهم من الأئمة الذين نعرف أفضالهم .

كلمة عن الماضى القريب لهذه المناطق :

أما الماضى القريب لهذه المناطق فهو على العكس من ماضيها البعيد ،

إنه عهد القسر والظلام والدمار ، ويستوى فى ذلك النظام القيصرى فى جبروته والنظام الشيوعى فى إلحاده وعدوانيته •

وقد ذكرنا من قبل أساليب الطغيان التى مُنِيَ بها المسلمون فى هذه المناطق ، وطبيعى أنه لا يمكن أن تعيش آمنة" جماعة" متدينة" فى مجتمع يحارب الأديان ويحارب الاسلام بوجه خاص ، وهذا يجعلنا ندرك مدى ما عانته هذه المناطق من طغيان وعسف •

لقد أغلقت المدارس الدينية تماما ، ودمرت المساجد ، وتحول بعضها الى مقار للحزب الشيوعى ، وأصبحت بخارى ذات التاريخ المجيد أطلالا وخرابا ، ولم يبق من بين المساجد الاسلامية الا مساجد قليلة جدا تُفتَح لخديعة الزوار المسلمين الذين يفدون للاتحاد السوفيتى ليروى هؤلاء لذويهم عند عودتهم أن الاتحاد السوفيتى يسمح بقيام المساجد •

أما المسلمون فى الاتحاد السوفيتى فلا يسمح لهم بمباشرة الشعائر الدينية فى المساجد ، فان أرادوا الصلاة قاموا بها سرا فى بيوتهم •

وكان إلغاء المدارس الدينية أمرا جللا فان ذلك حرم الأجيال الجديدة من التعرف على الاسلام ، وليس أمام من يريد من المسلمين أن يعلم أبناءه شيئا عن الاسلام الا أن يقوم بذلك سرًّا فى بيته ، وهو شيء بعيد المنال أو قليل النتائج •

أما المدارس فى الاتحاد السوفيتى فتعلم الأولادَ والبنات أن الدين خرافة ووسيلة لتحكم الأغنياء فى الفقراء •

أما عن حاضر المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ومستقبلهم ، فذلك فيما أعتقد يتصل بحاضر العالم الاسلامى ومستقبله ، فالعالم الاسلامى أوشك أن ينسى الملايين المسلمين الذين عاشوا و لايزالون يعيشون فى

فى جحيم الالحاد والقسوة والظلم بالاتحاد السوفييتى ، وبعض الدول الاسلامية تقيم علاقات ودّ مع حكومة العسف فى موسكو ، ولا تتأثر بما ينزل بالمسلمين هناك من ويلات .

وقد زار الباكستان حديثا أحد علماء تركستان هو الدكتور يميرنا هايبيت وأعلن فى « اسلام آباد » أن موسكو هدمت ١٦٠٠ مسجد فى الجمهوريات الاسلامية بروسيا ولم يبق الا مساجد قليلة ، وطالب الدكتور هايبيت المسلمين فى جميع أنحاء العالم أن يقفوا ضد المذابح التى ترتكبها القوات السوفيتية ضد المسلمين فى تركستان .

وقال إن مسلمى تركستان يناضلون منذ زمن بعيد لتحقيق استقلالهم عن الاتحاد السوفيتى الا أن نضالهم لم يقابل الا بالرصاص والقمع .

وأوضح أن مسلمى تركستان ليست لهم أية علاقات اجتماعية مع سكان الجمهوريات السوفيتية الشيوعية الاخرى .. وأكد أن قلوب مسلمى المنطقة السوفيتية مازالت تنبض بالاسلام مع كل مسلمى العالم .

وقال إنه كان يوجد فى منطقة كردستان السوفيتية حتى عام ١٩١٨ حوالى ١٧٠٠ مسجد لم يبق منها الآن سوى مائة مسجد وأبدى الدكتور هايبيت أسفه لان الدول الاسلامية لم تتخذ حتى الآن أى موقف إيجابى تجاه هذه القضية وقال ان مسلمى تركستان يشكلون نحو ٣٠٪ من الجيش السوفيتى .. وأهاب الدكتور هايبيت بمنظمة المؤتمر الاسلامى لتقديم المساعدات لمسلمى تركستان وعرض قضيتهم على العالم وإيقاف المذابح التى يقوم بها السوفيت هناك .

ونرجو أن تجد هذه الصيحة قلوبا مفتوحة وآذانا مصغية .

كلمة أخـــيرة عن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى :

تتبعنا فيما سبق المناطق الاسلامية التى تتبع الاتحاد الســوفيتى الآن ، وتكوّن بعض جمهورياته وذكرنا تعداد السكان فى هذه الجمهوريات اقتباسا من المراجع التى بين أيدينا عن كل منها ، ولكن هــذا العــدد قد تزايد وتذكر أحدث المراجع أن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى الآن يتراوح عددهم بين أربعين وخمسين مليونا ، ولذلك فهم يمثلون نســبة الخمس تقريبا بين السكان، وقد ذكر الاحصاء الرسمى للسكان عام١٩٧٩م أن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى زادوا فى السنوات التسع الأخيرة بنسبة ٣١ ٪ فى حين أن زيادة السكان فى المناطق الأخرى فى الاتحاد السوفيتى كانت ٦ ٪ .

ومع زيادة عدد السكان المسلمين زاد وعيهم واتجاههم نحــو العالم الإســلامى .

الامبراطــورية المتفجــرة

وقد أصدرت الكاتبة الفرنســية المتخصصة فى الشئون الســوفيتية « هيلين كاريز » كتابا بعنوان « الامبراطورية المتفجرة » ذكرت فيــه أن الثورة الروسية حاولت أن تثير عمال أوربا لتشتعل الثورة العمالية فى كل مكان بالقارة الأوربية ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل ولم يستجب عمال أوربا لبريق الشيوعية الكاذب ، فاتجهت الثورة الى شعوب الشرق وعقد مؤتمر فى « باكو » فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٠ ولــكن شــعوب الشرق رفضت أن تخرج من الاستعمار الاوربى لتدخل تحت سلطان الشيوعية .

وأوشكت الثورة الروسية أن تقنع بروســيا ولكن حاجتها للطعــام وللمواد الخام من حديد وفحم وبترول وقطن وغيرها دفعهــا أن تتجــه بالقوة بواسطة الجيش الأحمر إلى فرض معاهدة تقضى بتشكيل « اتحاد الجمهوريات السوفيتية » وهو ما يعرف الآن بالاتحاد السوفيتى .

وتضمن دستور هذا الاتحاد فى البداية الاعتراف بالمساواة التـامة بين الجمهوريات المختلفة فيما يتعلق بحـق كل جمهورية فى الاحتفـاظ بثقافتها ولغتها الخاصة • وكان ذلك هو ما تمسكت به على وجه الخصوص الشعوب الاسلامية فى القوقاز وآسيا الوسطى ، وهى الشعوب التى حاولت منذ مطلع القرن التجمع فى أقاليمها ، والحفـاظ على تقاليدها ، وعـدم الامتزاج بالشعوب الأخرى ، وفطن الزعماء الروس ، وخاصة بعـد أن أصبح ستالين هو المسيطر ، الى أن إحياء الثقافات القومية ينطـوى على خطر جسيم بالنسبة لوحدة الاتحاد السوفيتى ، فالتربية القومية البحتة لا يمكن إلا أن تَدْعَم المشاعر القومية ، وهو ما يتعـارض مع الهـدف المرسوم الذى يقوم على مَحْوِ كلّ شعور قومى أو وطنى •

وتوصل ستالين الى الاسلوب الذى يمكن به القضاء على هذا الخطر ، وهو فرض الثقافة واللغة الروسـية على جميع الجمهوريات ، جنبا الى جنب مع ثقافتها ولغاتها الأصلية ، وجعل اختيار الزعامات فى كل جمهورية من الذين تلقوا الثقافة الروسية وحدها •

وفضلا عن ذلك ابتدع نظام إشراف الحزب الشيوعى الروسى على جميع أعمال الدول الاتحـادية فى كل جمهورية ، وقدم فيهـا المصـالح الاتحادية على أية مصلحة محلية ، وخاصة فى الثقافة والاقتصـاد ، على أمل أن يؤدى ذلك الى تكوين مجتمع جـديد مشـترك ، وأمة سـوفيتية بروليتارية • تُثْبت أن التضامن الطبقى يمكن أن يتغلب على الشعـور القـومى •

ولكن الذى حدث كان عـلى عكس ذلك ففى كل مكان برزت زعامات محلية ، أخذت تعمل على إشعال الاتجاهات القومية بدلا من إخمـادها ، فكان ذلك بمثابة العبـوات المتفجـرة الاولى ، التى لم تلبث أن تنسـف الامبراطورية من جذورها وكان أبرز هؤلاء الزعماء رجل مسلم من آسيا الوسطى يدعي (فضل الله خوجابيف) • وصل الي قمة الحزب الشيوعي

فى جمهوريته الإسلامية وراح يبذل قصارى جهـده للحيلولة دون ذوبان الشخصية المحلية والاقتصاد الخاص بالمنطقة فى الكيان السوفيتى .

ومع أن موسكو قد بعثت بقوات مركزية للإرهاب والتخلص من هذا الزعيم الاسلامى القومى ، الا أنها لم تتمكن من تنفيذ خطتها إذ اصطدمت قواتها بمجموعات من الرجال المسلحين تكونت منهم أول عناصر المقاومة الاسلامية ، التى لقيت كل تأييد من جموع الشعب .

وجن جنون ستالين ، ولجأ الى أقسى عمليات التطهير ، وألغى بالقوة استخدام الحروف العربية فى الجمهوريات الاسلامية ، وفرض بدلا منهـا الحروف الروسية كما قاوم الثقافات الدينية التى كانت نشطة فى المناطق الاسلامية .

ولكن ذلك لم يقض على القوميات والثقافات المختلفة ، مما يؤكد أن إعصاراً سينسف هـذا الكيـان المصطنع الـذى يسمى « الاتحـاد السوفيتى » وهو فى الحق سيطرة الشيوعيين على مقدرات المناطق المختلفة .

ويوم تنجح هذه الحركات الناسفة ستكون المناطق الاسـلامية أول المناطق التى تستعيد حريتها وكيانها السياسى والاقتصادى والدينى (١) .

---

(١) اقتباس بتصرف من تلخيص نشر في مجلة أكتوبر بتاريخ ١٩٧٩/٦/٢٣ .

الاسلام والمسلمون
في الصين

مقدمـــــة :

ان الحديث عن المسلمين فى الصين ليس صعبا ، فبين أيدينا مجموعة مراجع دقيقة كتبها أساتذة صينيون ثقات ، ومن أحدثها البحث العميق الذى كتبه أستاذ صينى هو بروفسور « ذانج » هو بعنوان المعـــاملات بين الصين والعرب فى العصر الوسيط ، وقد نشر فى المجلد الســـادس من مجلدات ندوة الدراسات العمانية .

وهناك كذلك كتابان نشرهما باحث صينى مسلم هـــو بدر الـــدين الصينى وأحدهما عنوانه « العلاقات بين العرب والصين » والثانى عنوانه « تاريخ المسلمين فى الصين فى الماضى والحاضر» وذلك بالاضافة الى مجموعة من البحوث والدراسات القديمة والحديثة .

تعداد المسلمين بالصين الآن تقريبـــا :

وأول ما نذكره أن تعداد المسلمين فى الصين كان ٤٨ مليونا يوم كانت الصين ٤٦٠ مليونا كما ذكر الإحصـــاء الرسمى ســـنة ١٩٤٨ واذا كانت الصين الآن قد زادت عن الألف مليون كما أعلنت احصائيات سنة ١٩٨٢ ، واذا افترضنا أن نسبة مواليد المسلمين هى نفس النسبة العامة للمواليد فى الصين ، فإن عدد المسلمين فى الصين يصبح أكثر من مائة مليون (١) .

أديـــان الصـــين قبـــل الاسلام :

شهدت الصين فى القرن السادس قبل الميلاد حكيمين شهيرين همـــا (لاءوتسى) وينطق أحيانا (لوتس) أما الحكيم الثانى فهو (كونغ فوتسى) الذى ينطق كونفوشيوس ، وأولهما أسَنُّ بحوالى خمسين سنة تقريبا ، وكان يدعو للقناعة والزهد والتسامح المطلق ، أما الثانى فكان يدعو إلى

---

(١) انظر تاريخ المسلمين فى الصـــين لبدر الدين الصينى ص (هـ) من المقدمة و ص ١٠٢ من نفس الكتاب .

العـــدالة والاستقامة وكان باحثا فى الحكمة وقد تنــاولت بحوثه الحكومة والسياسة والأخلاق والمرأة ، ولم يتجه فى بحـــوثه الى الغيبيات ، وكان شديد التأثر بعادات قومـــه وعقائدهم (١) ، كمـــا كان سلوكه الشخصى نموذجيا ومثاليا .

ولهذا كلفه الامبراطور بتطبيق أفكاره فى السياسة والأخـــلاق فى سائر الولايات ، ومكنه من ذلك بأن جعله وزيرا ، وشهدت الصين عـــلى يديه تقدما ملحوظا فى المجالين الأخلاقى والعمرانى (٢) .

ومن نتائج العـــلاقة الطيبة بين كونفوشيوس والامبراطور أن أبقى كونفوشيوس على العـــادات الصينية التى تقضى بتقـــديس الامبراطور والسجود له ولصوره المعلقة فى الأماكن المختلفة ، وهو المنظـــر الذى بقى حتى القرن الرابع عشر وشهده ابن بطوطه عندما زار الصين ورأى صور الامبراطور معلقة هنا وهناك ، والناس يسجدون لها من حين الى آخر (٣) .

وبعد وفاة كونفوشيوس اتجه الصينيون لتمجيده ، وبناء الهياكل له ، ووضع صور الأباطرة فى هذه الهياكل ، فكان ذلك بمثابة الخضـــوع لسلطة الدين متمثلة فى كونفوشيوس ، والدنيا متمثلة فى الامبراطور .

وبمرور الزمن أصبحت هذه العقيدة راسخة عند الصينيين ، وأصبح هذا الاتجاه يمثل عندهم الدين والقومية ، ولهذا كان من الصعب تحـــول الصين عن هذه العقيدة الى أى عقيدة أخرى ، كما سنرى فيما بعد .

العلاقات بين الصـــين والعـــرب قبل الاســـلام :

وتجمع البحوث الصينية وغيرها على أنه كانت هناك علاقات ومعاملات بين العرب والصين قبل ظهور الاسلام ، فلقد ثبت أن الصين كانت تتعامل مع آسيا الوسطى والغربية قبل الميلاد وفى القرون الاولى للميلاد ، ويذكـــر

---

(١) انظر كتاب المجتمع الاسلامى للمؤلف ص ٣٠ .
(٢) محمد محمود زيتون : الصين والعرب عبر التاريخ ص ٤٨ .
(٣) رحلة ابن بطوطة : جـ ٢ ص ٩٩ ، الطبعة الاولى سنة ١٣٢٢ هـ .

التاريخ الصينى أنه فى عام ١٣٨ قبل الميلاد أصدر الامبراطور (وو ـ دى) من أسرة هان الى (جانج كيان) أمرا بالذهاب الى غربى آسيا كسفير للامبراطور ، وذهب هذا الى فرغانة وما حولها ، وقد أرسله الامبراطور مرة أخرى فوصل الى الهند والى آسيا الوسطى (١) .

وفى مطلع الاسلام كان المسلمون يعرفون الصين وثقافتها ومكانها البعيد ولذلك نسب للرسول صلى الله عليه وسلم قوله : اطلبوا العلم ولو فى الصين .

وقد سبق أن وضحنا فى أحاديثنا عن تاريخ الإسلام فى جنوب شرقى آسيا أن الخطوط التجارية البحرية كانت تمتد عبر هذه المناطق الى الصين قبل الاسلام وبعده ، ولم يقتصر اتصال العالم العربى والاسلامى بالصين على الطريق البحرى ، بل كان هناك طريق برى كذلك يربط بين البلاد العربية وبين الصين ، فكان الطريق البحرى يبدأ من ميناء سيراف على الخليج ويمر بسواحل الهند وسيلان والملايو الى موانى الصين الجنوبية .

أما الطريق البرى فكان يبدأ من سواحل الشام مارا بالعراق وايران ثم يتجه فى أحد اتجاهين : الاتجاه الأول عبر تركستان مارا بسمرقند ويسمى هذا الطريق « طريق الحرير » أو عبر كشمير ويسمى « طريق التوابل » .

وكما أن السفن العربية وصلت موانى الصين ، فان السفن التجارية الصينية زارت الخليج مرارا وتكرارا فى القرن السادس بعد الميلاد ، وتبادلت التجارة مع العرب ، وابتداءً من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر كانت هذه الفترة تعتبر فترة رائعة فى العلاقات الصينية العربية (٢) ، وقد أصبح هذا الخط الملاحى شهيرا حتى استطاع العالم الصينى الجغرافى

---

(١) بروفسور ذانج هو : العلاقات بين الصين والعرب ص ٨ .
(٢) بروفسور ذانج هو : العلاقات بين الصين والعرب ص ١١ .

(جياوان) أن يؤلف كتابا عنـوانه (الطريق الى البلدان الأجنبية عـبر البحـار) وقد وصف فيه (دا ــ شى) أى بلاد العرب وصفا مفصلا (١) •

وصـول الاسلام الى الصـين :

تذهب بعض الروايات الى أن سعد بن أبى وقاص ذهب الى الصين ونشر الاسلام هناك وتقرر أنه دخل الصين عن طريق البحـر وتوفى فى كانتون ، فبنى المسلمون ضريحا له إحياءً لذكراه ، ولا يزال الضريح حتى الآن يسمى باسم (ضريح وقاص) (٢) •

وتتجه الروايات الصحيحة الى نفى هذه الرواية والتأكيد على أن سعد بن أبى وقاص لم يزر الصين وأنه مات فى المدينة المنورة ودفن فى البقيع •

والذى يبدو لنا أن رجلا من أسرة سعد بن أبى وقاص أو أن رجـلا اسمه وقاص قد ذهب الى الصـين فى عهد مبكر ، وقام بالدعـوة للإسلام هنـاك ، فذهبت الظنون الى أن سـعد بن أبى وقاص هو الـذى ذهب الى الصـين •

ويذكر توماس أرنولد أنه عندما توفى يزدجرد آخر ملوك الساسانيين الفرس استنجد ابنه فيروز بامبراطور الصين لينصره على العرب ، ولكن الامبراطور أجاب أن بعـد الشـقة يمنعه من الاستجابة لطلب الفرس ، وأرسل امبراطور الصين سفيرا الى الجزيرة العربية ليتعرف على مـدى قوة الدولة الجديدة وكان ذلك فى عهد الخليفة عثمان ، فأحسن الخليفة استقباله وأرسل معه الى امبراطور الصين سـفيرا من العـرب ، فأكرم الامبراطور وفادة أول سفير من المسلمين بُعِثَ اليه (٣) •

---

(١) المرجع السابق : ص ١٣ •

(٢) Chineese Muslims in Progress p. 16.
(من مطبوعات ادارة الاستعلامات بالصين الشعبية)

(٣) الدعوة الى الاسلام : ص ٣٣٢ •

ويورد بدر الدين الصينى اقتباسات تؤكد أن وفودا عربية من لابسي الملابس البيضاء (الأمويين) ولابسى الملابس السوداء (العباسيين) قد وصلوا إلى الصين ابان العهد الأموى والعباسى (١) •

وعلى هذا فان الاسلام وصل الى الصين فى عهد مبكر جدا •

وقد أقام المسلمون فى الصين مستوطنة عربية فى (خانقــو) وهى إحدى المدن التى جذبت تجار العرب والإيرانيين منــذ القرن الثــامن الميلادى ، وكان لهم إمام يصلى بهم ويقضى بينهم •

وفى مدينة كانتون ، بوابة الصين البحرية ، والمركز التجارى الشهير عاش عدد كبير من المسلمين واقاموا مســجدا كبيرا كان اسمه مســجد « ذكرى النبى » كما كوّن المسلمون جاليات فى نشو إن تشو ، وفى هانج تشو وغيرهما من المدن والمناطق •

وقد زار ابن بطوطة مدينة كانتون وغيرها من مراكز المسلمين بالصين كما سنرى فيما بعــد •

وفى سنة ٧٥١ م ، استطاع جيش أبى مسلم الخراسانى أن يهــزم جيش كسيان — سى القائد العــام لمنطقة آن — كسى ، الخاضعة لاسرة تانج (٦١٨ — ٩٠٧) فى معركة الطلاس نتيجة للصراع على طشقند (٢) واستولى المسلمون على طشقند عقب هذه المعركة وأصبح لهم مكان رفيع فى هذه المناطق •

وفى سنة ٧٥٦ م أرسل الامبراطور (سونتشونج) رسولا إلى الولاة العرب الذين كانوا يتولون الأمر نيابة عن الخليفة فى آسيا الوسطى يطلب منهم أن يرفعوا للخليفة (أبى جعفر المنصور) رجــاءه فى أن يرسل لــه الخليفة نجدة لمقاومة ثورة هبت ضده وهددت عرشــه ، وكانت بقيــادة

---

(١) المرجع السابق : ص ١٣ .
(٢) بدر الدين الصينى : تاريخ المسلمين فى الصين ص ١٦ — ١٧ .

(آن لوشان) وقد استجاب الخليفة لذلك وأرسل له جيشا قوامه عشرون الفا وقد نجح هؤلاء فى مهمتهم خير نجاح ، وردّوا للامبراطور مكانته ، وقد أشاد المؤرخ الصينى (تانج شو) فى تاريخه بهذه النجدة العربيـة التى قضت نهائيا على الفتن الداخلية ، وأشار اليها أيضا (بريتشنايدر) فى كتابه المعروف عن أقدم صلات الصين بالعرب فلما انتهوا من مهمتهم بنجاح طلب منهم الامبراطور البقاء فى (شانغ آن) والاستيطان بها ٠

وتزوج هؤلاء من صينيات وتكونت منهم جالية كبيرة قوية فى الشمال الغربى للصين ، وانتشروا فيما بعد فى أنحاء هذه المنطقة (١) ٠

وفى عصر أسرة (سونغ) ٩٥٠ إلى ١٢٧٧ كان المسلمون يعيشـون فى محلة خاصة سميت محلة الأجانب ، وكانت مركزا لنشـاطهم الدينى والاقتصـادى ٠

ويبدو من كلام « ذانج هو » أن هذه المحلة هى (كوانشو) وكان قد استقر فيهاكثير من العرب وزوجاتهم وأولادهم حتى أصبح عـددهم أكثر من عدد الصينيين بها ، وكان سكانها من العرب واسعى الثراء ويبدو أن أكثرهم جاء الى الصين من دمشق بدليل أنهم أقاموا مسجدهم عـلى طراز الجامع الأموى فى دمشق (٢) ٠

عصر المغـول فى الصين (١٢٧٧ — ١٣٦٧)

وخلال عصر المغول فى الصين والـذى يسمى عصر (يوان) أخـذ المسلمون ينهضون بسرعة كبيرة كما تدفق عدد من مسلمى آسيا الوسطى على الصين بعد أن أصبحت المنطقة كلها خاضعة للمغول ، وعنـدما اختار قبلاى خان امبراطور الصين (١٢٧١ — ١٢٩٤) بكين عاصمة لامبراطوريته عين عالما مسلما هو شمس الدين عمر فى وظيفة عالية أتاحت له أن ينشر

---

(١) محمد محمود زيتون : الصين والعرب ص ٣٥ ٠
(٢) ذانج هو : العلاقات بين الصين والعرب ص ٣٨ ٠

السلوك الاسلامى والاتجاهات الاسلامية فى المنطقة ، وكان شمس الدين عمر يلقب « السيد الأجل » وقد استطاع حفيده أن يحصل من امبراطور الصين المغولى سنة ١٣٣٥ على الاعتراف بأن الاسلام هو الدين الحق الخاص ، وقد تسبب ذلك فى انتشار الاسلام بين الكثيرين من الصينيين (١).

وكان مما سبب انتشار الاسلام فى عهد المغول كذلك أن بعض أباطرة المغول الصينيين المسلمين وضعوا شرطين لتولى أهل الصين الوظائف ، وهذان الشرطان هما معرفة لغة المغول واعتناق الدين الاسلامى (٢) .

ويذكر رشيد الدين مؤرخ المغول أن الامبراطورية المغولية كانت منقسمة الى ١٢ ولاية ، وكان على ثمانية منها حكام مسلمون ، وهذا يوضح مدى نفوذ المسلمين فى الصين ابان هذا العصر .

بعد عصر المغول :

وبعد عصر المغول جاءت أسرة منغ(١٣٦٨ — ١٦٤٢ م) وبعدهم جاء عصر تسنغ (١٦٤٤ — ١٩١١ م) وفى خلال هذين العصرين وبخاصة العصر الثانى لاقى المسلمون بعض العنت من الحكم الصينى ، فان الصينيين عادوا لحاسيتهم تجاه الكنفوشية وعبادة الامبراطور ، وكان مما أشعل حماستهم لذلك تخلصهم من السلطة المغولية التى رجّحت كفة الاسلام .

ومن أمثلة الاضطهاد التى عاناها المسلمون ما يذكره التاريخ من أن بعض الولاة الصينيين كَتَبَ يستعدى امبراطور الصين على المسلمين ، فذكر أن المسلمين لا يعبدون معبودات الصينيين ، ولا يتبعون نظام التقويم الصينى ، ويستعملون تقويما خاصا بهم ، ويحتفلون برأس السنة

---

(١) توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٣٣٥ .
(٢) محمد محمود زيتون : الصين والعرب ص ٢٣ .

الجديدة حسب تقويمهم الخاص ، ويلبسون على رؤوسهم كوفيات بيضاء ، ويجتمعون فى معابدهم التى يسمونها مساجد ، ولا أحـد يعـرف ما هى الأرواح التى يعبدونها ، وقد أقاموا نظـاما للصـوم فى شـهر خاص ، ولا يسجدون لصورة الامبراطور عندما يرونها ، ولا يشربون الخمر ولهم لغة خاصة بهم ••••• ونتيجة لذلك طلب هؤلاء الولاة إخراج المسلمين من دينهم ، وتعطيل مساجدهم اغلاقا أو تخريبا (١) •

ولحسن الحظ كان الامبراطور الذى تلقى هذا الكتاب واسع الفكر عميق النظر ، فكتب منشورا يقرر فيـه أن المسلمين يؤدون واجبهـم فى المجتمع الصينى على خير ما يكون ، وأنهم من ناحية الدين يتبعـون دين أجدادهم ، ومن ناحية اللغة فما أكثر اللغـات فى الصين ، وأما لباسـهم وطعامهم فهى مسائل لا أهمية لها ، وينبغى أن نترك لهم الحريات ماداموا يؤدون واجباتهم على النحو الأمثل ، وقد ظهر منهم مدنيّون وعسكريون ارتقوا الى أعلى المناصب ، وهذا أقـوى دليل على أنهـم تطبعوا بطباعنا وتعـودوا عاداتنا (٢) •

على أن المسلمين أخذوا حذرهم من أعدائهـم وآثروا أن يقربوا من الصينيين فيما لا يخالف الاسلام حتى لا يتعرضوا لاضطهادات قد تكون شديدة الضرر بهم ، وسنذكر فيما بعد هذا التحول الذى لجأ له المسلمون فى الصين ، حتى لا يمسهم السوء •

بقى أن نذكر أنه فى هـذا العصر ظهر بعض العظمـاء من صفوف المسلمين الصينيين ، مثل تشانج يونتشونج كما برز اسم بحار صينى مسلم فى المراكز الحضارية بإدارات الفلك والنجـوم واسم هذا البحـار هـو الحاج جيهـان •

---

(١) فوتهونغ هسيان : ص ١١٨ نقلا عن تاريخ المسلمين فى الصين لبدر الدين الصينى ص ٤٨ •

(٢) توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٣٤٠ •

ابن بطوطـــة فى الصين :

وقد زار ابن بطوطة مناطق متعددة بالصين ونزل ضيفا على التجمعات الإسلامية ، ووصف حياة المسلمين هنـــاك وصفا دقيقا ، وهو يقـــول إن المسلمين يسكنون فى مدن كثيرة من مدن الصين وينفردون فى هـــذه المدن بأحياء خاصة بهم ، ولهم فيها المساجد لإقامة صلاة الجمعة ، ولإجـــراء اللقاءات المختلفة ، والمسلمون فى الصين معظّمون محتَرَمون (١) .

ويقول فى موضع آخر : ان المسلمين لهم فى هـــذه المدينة مســـجد جامع ، وعدد من الزوايا ولهم سوق رائجة ، ولهم قاض وشيخ يرجـــع له المسلمون فى كل أمورهم (٢) .

ويتحدث ابن بطوطة عن مدينة اسمها الخنساء ويقول إنها على وزن الخنساء الشاعرة ، وأنها مدينة لم يَرَ مثلها فى الحجم ، وهى تنقسم الى ست مدن ، ويقول إنه عندما وصلها استقبله قاضيها وشـــيخ الاســـلام بها ، وأولاد عثمان بن عفان المصرى ، وهم كبراء المسلمين بها ، ودخـــل ابن بطوطة فى هذا الموكب وأخذ يتنقل من مدينة الى مدينة حتى دخـــل المدينة الثالثة التى يسكنها المسلمون ، ويقول ابن بطوطة انها مدينة حسنة ، وأسواق المسلمين بهـــا مرتبة ترتيبا جميلا ، وبها المســـاجد والمؤذنون ، وبها زاوية تعرف بالعثمانية نسبة الى عثمان المذكور آنفا ، وهى حســـنة العمارة ، ولها أوقاف كثيرة ، وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير ، ومكانتهم عاليـــة ، ولهم جاه وحرمة ..... (٣) .

المســـلمون فى تركستان الشرقية :

فى حديثنا عن تركستان من قبل ذكرنا أنها تنقسم قسمين تركســـتان الغربية وهى التى استولى عليها الروس وتركســـتان الشرقية وهى التى

(١) رحلة ابن بطوطة : جـ ٢ ص ١٩٤ .
(٢) المرجع السابق : ص ١٩٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

نريد أن نتحدث عنها هنا ، ومساحة تركستان الشرقية حوالى ٦٠٠٫٠٠٠ ميل مربع ، وسكانها حوالى تسعة ملايين ، والمسلمون منهم حوالى ٨٥٪ وهم من الايغوريين وهم جنس من الاتراك ، وكانت عاصمتها (أورومجى) « تيهوا » الآن ، وهذه المنطقة كانت ضمن المناطق التى فتحها قتيبة ابن مسلم ، ومنها أرسل مبعوثه هبيرة بن المشمرد الى امبراطورية الصين فعاد محملا بالتحف والهدايا (١) •

وقد استولى الصينيون على هذه المنطقة سنة ١٧٥٩ م ، ولكنها رفعت علم الثورة عقب ذلك عدة مرات ضد الاحتلال الصينى ، وكان آخر هذه الثورات ثورة الاوزبك سنة ١٨٦٦ م • ولكن الصينيين تغلبوا على هذه الثورة بالقهر والقوة سنة ١٨٧٨ ، وتمّ ضم هذه المنطقة الى الصين سنة ١٨٨١ م ، وسميت سينكيانج أى الأرض الجديدة •

وقد تجددت هذه الثورات فى القرن العشرين وكان آخرها بقيادة الجنرال عثمان باتو ، ولكنها فشلت ، وأعدم الجنرال البطل فى أبريل سنة ١٩٥١ (٢) •

وفى سنة ١٩٥٣ أعلنت حكومة الصين الشعبية أن سينكيانج دولة تتمتع بالحكم الذاتى وعين السيد سيف الدين رئيسا لحكومتها •

المسلمون فى الصين فى عهد الجمهورية : ١٩١١ — ١٩٤٩ م

تجمع المسلمون فى عصر الجمهورية فى الصين فى بلاد محددة تقريبا ، وذلك كنتيجة لما عانوه فى عصر تسنغ وكانوا يقصدون بهذا التجمع أن يضمنوا لأنفسهم نوعا من الحماية ، وكان تجمعهم فى ولايات الشمال مثل قانصوه وننغ وتسى تفاى وسينكيانج ، كما وجد عدد من المسلمين فى ولايات أخرى وبخاصة فى شانتونج شمال النهر الاصفر •

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك جـ ٥ ص ٢٦٩ — ٢٧١ •
(٢) أحمد عطية الله : القاموس الاسلامى جـ ٤ ص ٣٨٩ •

حياة المسلمين بالصين فى عهد الثورة

كان المسلمون فى الصين يشتغلون فى التجـارة امتدادا لجـذورهم القديمة ، وكان عدد كبير منهم يشتغل بالزراعة والرعى وبخاصـة سكان الشمال الغـربى ، وهنـاك اغنية نقلهـا بدر الدين الصينى عن هـؤلاء وكلماتها هى :

بين سـمائنا ورمالنـا
ومع القطعان من أغنامنا
نعيش سـعداء فى أرضنا

ولمسلمى الصين مسـاجدهم التى تستعمل مراكز للعبـادة والثقافة بالإضافة إلى كونها مراكز اجتماعية ، وقد عملوا فى عصر الجمهورية على توحيد صفوفهم وإقامة ألوان من الترابط فيما بينهم مهما ابتعدت مواطنهم أو اختلفت ديارهم ، ونتيجة لهذا الاتجاه أقاموا الجمعيات الآتية : ـ

١ ـ جمعيات لها صفة تعليمية .
٢ ـ جمعيات لها صفة اجتماعية تعاونية .
٣ ـ جمعية الأدب الاسلامى الصينى .
٤ ـ منظمات شـبه سياسية .

وقد عملت هذه الجمعيات على رفع شأن المسلمين فى الصين فى مختلف المجـالات .

المسلمون فى العهد الشيوعى (من سنة ١٩٤٩ إلى الآن) .

عندما قامت الشيوعية فى الصين هرب بعض المسلمين الى تايوان مع تشيانج كاى شيك ، وهرب آخرون الى الهند وباكستان والقاهرة والمملكة العربية السعودية ..... ولكن الغالبيـة العظمى من المسلمين بقيت فى الصين ، فالصين موطنهم فى كل الاحوال يلاقون فيه ما يلاقيه باقى السكان والمواطنين .

وربما جاز لنا أن نقول ان الشيوعية عدوة للاسلام والمسلمين فى كل زمان ومكان ، وان دماء المسلمين استباحها الشيوعيون دائما ، ولكن ربما جاز لنا أن نقول إن الصين كانت متأثرة بعراقتها الحضارية ، وبأمجادها التاريخية فلم تكن عنيفة مع الأديان كما كانت روسيا ، ولهذا بقيت الكونفوشية فى الصين وبقى الاسلام كذلك ، ولم ينزل بالمسلمين ذلك الضر الذى نزل بإخوانهم فى روسيا .

فلما جاءت الثورة الثقافية فى الصين فى الستينات أنزلت بعض المتاعب بالمسلمين ، وحرمتهم من الامتيازات التى كانت تُمْنَح للمسلمين، ولكن فى يوليو سنة ١٩٧٩ أصدرت حكومة الصين تعليماتها بالسماح للمسلمين أن يقوموا بتأدية شعائرهم الدينية ، وإعادة فتح المساجد للعبادة ، بعد أن كانت قد تحولت إلى متاحف للزيارة ، وكان ذلك نتيجة لاتجاه الحكومة الصينية بعد ما وتسى تنج ، لتخفيف اجراءات ما سمى بالثورة الثقافية ، ومحاولاتها تحسين العلاقات مع الدول العربية والاسلامية (١) .

ونتيجة لهذا الاتجاه وللأخلاق الصينية بوجه عام أصبح للمسلمين مكانة طيبة فى الصين ، وهم يشغلون وظائف كثيرة مرموقة ، ثم هم يتمتعون بالحكم الذاتى فى ولايتى سينكيانج ولينسيا (٢) .

التبادل الثقافى بين العرب والصين :

يذكر بروفسور « ذانج هو » أنه نتيجة للمبادلات التجارية المتكررة بين العرب والصين جرى تبادل بين الجانبين فى النواحى الثقافية والتكنولوجية ، وأبرز هذه النواحى انتقال تكنولوجية صناعة الورق إلى العرب ، ومنهم إلى الغرب ، وقد تمَّ ذلك الانتقال عقب المعركة التى أسهم الجيش العربى فيها لاخماد ثورة (آن لوشان) فقد استعان العرب

(١) دكتور عادل طه : المسلمون فى العالم ص ١٠٥ .
(٢) Chineese Muslims in Progress p. 36.

ببعض الأسرى من الجنود الصينيين الذين حذقوا صناعة الورق فى إنشاء أول مصنع للورق فى سمرقند ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى أصبح الورق السمرقندى مشهورا فى جميع الأقاليم الخاضعة للخليفة العباسى ، وقد حل الورق السمرقندى محل الورق المصرى •

وفى أوائل عام ١٧٣ هـ ٧٩٣ م استخدم الخليفة العباسى هارون الرشيد بعض العمال الصينيين الذين اشتهروا بصناعة الورق فى سمرقند فى انشاء مصنع آخر للورق فى بغداد ، ثم انشىء مصنع الورق الثالث بعد ذلك فى دمشق ، وكان مصنع دمشق يقوم بتزويد أوربا بالورق مدة عدة قرون ، وبعد القرن الثـانى عشر الميلادى تعـلم الاوروبيون صناعة الورق من العـرب تدريجيـا •

ومن العلوم التى وردت الى العرب من الصين علم الاختزال ، ومن البلاد العربية انتقل هذا العلم أيضـا الى أوربا ، ويستمر بروفسـور « ذانج هو » فى سرد الخبرات والعلوم التى اقتبسها العـرب من الصين ونقلوها الى أوربا وأن منها استخدام « البوصلة » والملاحة الفلكية التى كانت تعتمد على مراقبة النجوم (١) •

أما العلوم والتكنولوجيا التى اقتبستها الصين من العـرب فكثيرة وعظيمة ، فان العرب كانوا قد قاموا بترجمة عدد كبير من المؤلفات القديمة واستوعبوا ما بها من علم وثقافة ، وأضافوا الكثير فى حقـول الرياضيات وعلم الفلك الجغرافيا والطب وغيرها •

ولما تم ارتباط بين الصين والعـرب اقتبست الصين كثيرا من الفكر العربى وبخاصة خـلال تاريخ أسرة « يوان » فعرفت الأدوات الفلكية ويقرر « ذانج هو » أن جنكيزخان عندما قام بحملته على سمرقند أسر

---

(١) ذانج هو : المرجع السابق : ص ٢٤ — ٢٩ باختصار .

ثلاثين ألفا من العمال المسلمين الذين كانوا يجيــدون الصناعات المختلفة ووزعهم على العمل فى الصين ، وقد استطاع هؤلاء أن ينقلوا الى الصين كثيرا من الصناعات العربية ، وبخاصة الصناعات الحربية (١) •

الصينيــون والاســلام :

أوردنا فى الصفحات السابقة أن أعــدادا كبيرة من المسلمين دخلوا الصين تجارا أو جنودا أو مهاجرين وأقاموا بها وتزوجوا من نساء صينيات وكونوا بذلك أسرا اسلامية لم تلبث أن أصبحت مراكز إســلامية ، وأن تكوّنت منها تجمعات كبيرة لها مساجدها ومدارسها ومنظماتها ، كما أن الصين زحفت علىَ تركستان الشرقية وضمتها لها •

والذى نريد أن نسأل عنه هنا هو مدى انتشار الإسلام بين الصينيين أنفسهم ؟ أو بلغــة توماس أرنولد ما مدى نجــاح الدعوة الاســلامية بين الصينيين ؟

والذى يظهــر بادىء ذى بــدء أن الصينيين اعتبروا الكنفوشــية دينا ووطنية ، وتمسكوا بها تمسكا شديدا جعلهم يرفضون الانتقال لأى دين آخر وَيرَوْن ذلك انحرافا شديدا ، بل انهم كما أشرنا من قبــل كانوا يتجهون لمحاربة المسلمين لأنهم لا يسجدون لصــورة الامبراطور الصينى ، ولا يأكلون لحم الخنزير ، وليست لهــم أصنام فى معابدهم ، ولا يشربون الخمر •••• ولولا أن الامبراطور اتجــه للتسامح لكان من المحتمل أن يُوقِعَ الصينيون بالمسلمين وأن يُنْزلوا بهم ألوانا من الأذى •

وقد أحس المسلمون بمــا قد يصيبهم من جــراء إثارة الصينيين ، فاتجهوا لإخفاء شعائرهم الدينية كلما استطاعوا ذلك ، كمــا أنهم تبنوا بعض العادات الصينية التى لا تخالف الاسلام كاتخاذ ضفائر الشــعر على الرأس ، وكلبس الملابس الصينية وتجنبوا لبس العمــامة فى غــير

(١) المرجع السابق : ص ٤٦ •

المساجد ، كما أنهم لم يبنوا مآذن عالية ، وجعلوا مساجدهم قريبة الشبه بمعابد الصينيين ، وأعلن المسلمون كذلك أنهم يسيرون وفق تعاليم أجدادهم فى قضايا الزواج وتحريم لحم الخنزير وتحريم الخمر ولعب الميسر (١) .

ولذلك كان عصر المغول بالصين هو أزهى عصور انتشار الاسلام فى الصين كما ذكرنا من قبل ، فلم يحتاجوا خلاله إلى اخفاء عباداتهم .

على أن المسلمين فى العصور الأخرى اتخذوا طرقا متعددة أكثرها سرى لدعوة بعض الصينيين إلى الاسلام دون اصطدام بالمجتمع الصينى ، وكان من نتيجة هذه الدعوة أن دخل الاسلامَ جماعة" من اليهود الصينيين فى نهاية القرن السابع عشر . كما أن أعدادا أخرى من الصينيين أقبلت على الاسلام واعتنقته لصلة جوار أو عمل مع المسلمين ، وقد ثبت أن أعدادا كبيرة من المسلمين الصينيين يستطيع الواحد منهم أن يعيِّن اسم أول من أسلم من أجداده ، وهذا دليل على استمرار عملية التحول الى الاسلام (٢) .

ومن الوسائل التى اتُّخِذَت لتحويل عدد من الصينيين الى الاسلام ما يذكره توماس أرنولد من أن الضباط المسلمين فى الجيوش الصينية وبخاصة فى عهد المغول حولوا بالدعوة كثيرا من الجنود الذين كانوا يعملون تحت رياستهم إلى الاسلام ، كما أن كثيرين من أصحاب المناصب العالية المسلمين استعانوا بمناصبهم لتحويل عدد من مرؤوسيهم الصينيين الى الاسلام (٣) .

ومن وسائل تحولات الصينيين الى الاسلام ما تؤكده المراجع الموثوق بها من أن المسلمين بالصين كانوا ينتهزون فرصة المجاعات التى كانت

---

(١) توماس أرنولد : الدعوة للاسلام ص ٣٤٤ — ٣٤٥ .
(٢) المرجع السابق : ص ٣٤٦ .
(٣) المرجع السابق : ص ٣٤٧ .

كثيرة الوقوع والتى كانت تدفع الآباء لبيع أطفالهم لإنقاذهم من الجوع ، فكان المسلمون يشترون هؤلاء الأطفال ويحولونهم الى الاسلام ويربونهم تربية اسلامية •

ويروى توماس أرنولد أن عدد الذين يدخلون فى الاسلام كل عام بهذه الطريقة يفوق الحصر والعد •

كما يذكر أن عادة شراء الأطفال أيام المجاعات ظلت منتشرة فى الصين الى عهــد قريب •

وهذه التحولات متعددة الأسـباب دفعت كاتبا روسيا هو فاسيليف سنة ١٨٦٧ أن يؤلف كتابا عن الاسلام فى الصين يذكر فيه أن الاسـلام مهيأ لأن يصبح الدين القومى للامبراطورية الصينية وهذا سيقلب تبـاعا الأوضاع السياسية فى العالم الشرقى رأسا على عقب (١) •

ويعلق توماس أرنولد على هذه النبوءة بقوله إنه قد مرّ نصف قرن عليها ولكن شيئا لم يحدث لتتحقق هذه النبوءة •

ورأى توماس أرنولد هو ما أشرنا اليــه من قبــل أن الكونفوشــية أصبحت دينا وقومية لدى أكثر الصينيين مما يجعل من الصعب أن تنصرف عنها جموع الصينيين وبخاصة أن الدعــوة للاســلام قد أهملها المسلمون للأسف ، فلا تكاد توجد كتب عن الاسلام بلغات العالم ، وهو شىء نرجو أن يتداركه المسلمون لتصل دعوة الله الى الناس فى مختلف البقاع •

---

(١) توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٣٤٧ •

الإسلام والمسلمون
في الفيليبين

معلومات عامـــة عن الفيلبين :

الفيلبين إحدى دول جنوب شرقى آسيا ، وتتكون الفيلبين من عـــدة آلاف من الجزر تبلغ حوالى سبعة آلاف جزيرة ، وبعض الجزر لها أسماء مثل جزيرة لوزون فى الشمال وبهـــا العاصمة (مانيـــلا) ومثـــل جزيرة منداناو فى الجنوب ، وهناك آلاف الجزر ليست لها أسماء خاصـــة وقد تعرف بأهم البلدان بها .

وتقع الفلبين فى المنطقة الاستوائية ، ومن هنا فالفصـــول الأربعـــة لا تُعرَف فى كثير من مناطقها وانما يوجـــد بها فصل الأمطار وفصـــل الجفاف ، والجو فى الفيلبين معتدل غالبا ، لكثرة الأمطار ولأن البحار تحيط بالجزر ، فجوُّها قريب الشبه من جو إندونيسيا الذى ذكرناه من قبل .

وتعداد السكان يزيد عن أربعين مليونا ، منهم حـــوالى ستة ملايين يعتنقون الدين الاســـلامى ، وقلة قليلة تتبـــع الكونفوشية والبـــوذية ، أما الأغلبية الباقية فمسيحيون يتبعون المذهب الكاثوليكى .

وكانت هذه الجزر قديما إحـــدى المنـــاطق التى تكوّن امبراطورية سيرى ويجايا وامبراطورية ماجابيت ، ولما انتشر الاســـلام فى جنـــوب شرقى آسيا ارتبطت هذه الجزر عنـــد المسلمين بمنطقـــة الملايو ، ولذلك سميت « عذراء ماليزيا » ولما زحف لها الأسبان سميت « الفلبين » باسم فيليب الذى دفع لها الجيوش لاحتلالها فى نفس الفترة التى تعرّضت فيها منطقة جنوب شرقى آسيا للاستعمار الغربى .

وسكان الفلبين هم من الجنس الإندونيسى الملايوى .

الإسلام والمسيحية فى الفيلبين :

قلنا فى مطـــلع الحـــديث عن دول جنـــوب شرقى آسيا إن فى هذه المنطقة دولاً تتكون من جزر غير متصلة بأرض آسيا أى بأرض الصين ،

وهذه الدول أفلتت من الزحف الصينى العميق ، إذ ليست متصلة بالصين ، وبالتالى ليس الزحف سهلا ، وعلى هـذا لم يكن تأثرهـا بالصين وبالفكر الصينى عميقا ، وهذه الدول هى اندونيسيا والفلبين • وهاتان الدولتان لم تزحف لهما أديان الصين بشكل قوى ، ثم إنهما لم تَنْشأ بهمـا أديان من الداخل ، وكانتا لذلك مستعدتين لاستقبال أديان من الخارج •

أما اندونيسيا فقد جاء لها دين الاسلام منذ مطلع الاسلام وانتشر فيها يوما بعد يوم ، وكانت الدعوة هى وسيلة تقديمِ الإسلام إلى الناس ، حتى اعتنقتـه الجمهـرة العظمى من السـكان ، وأصبحت إندونيسـيا دولة اسـلامية •

أما الفلبين فقد دخلها الاسلام وانتشر فيهـا ، وكان يمكن أن يعم جزرها ويكوّن منها دولةً إسلامية كما حدث بالنسبة لإندونيسيا ، ولـكن الفلبين طرأ بها فى العصر الحديث طارىء غيَّر مجرى الفكر الدينى بها ، وذلك أن الفيلبين تتكون من مجموعة من الجـزر كانت تتبـع امبراطورية ماجابيت مثل إندونيسيا ، فلما تفككت امبراطورية ماجابيت فى أواخـر القرن الخامس عشر الميلادى بدأت جزر الفيلبين تكوّن كل منهـا مملكـة صغيرة أو تتجمع بعضها لتكوّن مملكة أكبر ، وكان الاسـلام دين أكثرية السكان بها وأكثرية الممالك ، ولم يطل بها الزمن على هـذا النحـو حتى دهمها الاستعمار الاسبانى ابتداء من سنة ١٥٢١ واستولى عليها جزيرة إثر أخرى وكون من هذه الجزر دولة أسـماها الفيلبين نسـبة الى الملك « فيليب الثانى » ملك أسـبانيا ، وللأسـبان تاريخ خـاص فى الصراع الصليبى ، فعملوا على نشر المسيحية فيها ، ومن هنا أصبحت الفيلبين هى الدولة الوحيدة المسيحية بين دول هذه المنطقة •

ويذكر الباحثون أن الاسبان حملوا النـاس على اعتنـاق المسيحية بالحديد والنار ، وأسسوا معاهدهم الكاثوليكية هناك ، وحاولوا القضـاء على كل المظاهر والمؤسسات الاسلامية •

وهذه المعلومات تحتاج الى شيء من التفصيل ، ويمكن القول بشكل مؤكد ان الاسلام انتشر فى الجزر المسماة بجزر الفيلبين فى نفس الوقت وبنفس الطريقة التى انتشر بها الاسلام فى إندونيسيا ، ولما كان الإسلام قد وصل إلى شبه جزيرة الملايو والى جزيرة سومطرة أولا ثم امتـد عقب ذلك الى باقى جـزر إندونيسـيا أمـا الجـزر التى سـميت بجـزر الفيلبين ، فإن بعض البـاحثين يذكـرون أن الاسـلام جاء الى الفيلبين مـن سـومطرة أو مـن شـبه جـزيرة المـلايو ، والـذى نـراه أن الوسائط التى حملت الاسلام إلى شبه جزيرة الملايو والى سـومطرة هى نفسها التى حملت الاسلام إلى الجزر التى سميت فيما بعد بجزر الفلبين .

وعقب انتشار الإسـلام بهذه الجـزر قامت بها سلطنات إسـلامية متعددة ، وكان سلاطينها من العلماء الذين حملوا الاسلام لها ، أو كانوا من أهل البلاد الأصليين الذين اعتنقوا الاسلام .

وعندما سقطت دولة ملقا الإسلامية فى أيدى البرتغاليين ، وكانت هذه أكبر الدول الاسلامية بالمنطقة ، حدث شيء مهم بالنسبة للفيلبين ، فقـد أحس كثير من زعماء المسلمين فى ملقا بأن الفيلبين يمكن أن تكون ملجأ لهم من الغرب المسيحى ، وأن تقوم بها دولة إسلامية كبرى بعيدا عن نفـوذ البرتغاليين ، فهاجر عدد من الاسر المالكة فى ملقـا الى الفيلبين ، وهنـاك أنشئوا ممالك كبيرة بجـوار السلطنات التى كانت موزعة بالجـزر ، ومن أهم الذين هاجروا الى الفيلبين من ملقا الشريف محمد كابولج الذى وصل الى ملا بانج فى العقد الثانى من القرن السادس .

وقد اهتم هذا الشريف بنشر الاسـلام بين السكان من جمـاعات « الايرانوس » و « المارانوس » وسرعان ما انجذبت له أعداد هائلة من القبائل والجماعات الأخرى وأسس أسرة حاكمة قوية .

وعندما وصل الاسلام إلى الفيلبين كانت سلطنات سولو وماجيندناناو وبويان تمثل إمارات مركزية يتبعها عدد من الجزر .

وقد مارست هذه السلطنة سيادتها على مجموعة جزر سولو بأكملها بما فيها تاجويما (جزيرة باسيلان حاليا) وأجزاء عديدة من شبه جزيرة زامبوانجا ، وكان راجا بويان يسيطر عندئذ على أكثر من ٢٥ مستعمرة كلها مسلمة عدا اثنتين فقط . وفى ذلك الوقت كان سلطان ماجينداناو يسيطر على جميع المستعمرات الواقعة على مصب نهر بولانجى فضلا عن عدة مستعمرات فى مناطق الإيرانون .

وجدير بالذكر أنه كانت هناك بعض المستعمرات المسلمة فى « منيدورو » يحكمها زعماء المسلمين عند وصول ليجاسبى ، وكانت مانيلا فى ذلك الوقت تحت حكم الراجا المسلمين الذين يرتبطون بصلة القربى بسلاطين بريونى وسلطان سولو (١) .

وجاءت أسبانيا الى الفيلبين ولاسبانيا عداء عميق ضد الاسلام والمسلمين كما قلنا آنفا ، واذا كانت مدة سيادة البرتغال فى هذه المنطقة قصيرة ، واذا كانت البرتغال قد اتجهت بأكثر اهتمامها للجانب الاقتصادى ، فان فرصة أسبانيا بالفيلبين كانت أوسع ، وقد كان موقف أسبانيا من الفيلبيين امتداداً لموقفها الصليبى من مسلمى الاندلس ، وهكذا أفرغت أسبانيا بالفيلبين كل ألوان الحقد الذى كانت تحمله ضد المسلمين ، وطال بها الزمن فى الفيلبين (١٥٢١ — ١٨٩٨) فهذه المدة التى قاربت أربعة قرون قضت فيها أسبانيا على أجيال متتالية من المسلمين بطريق الحروب الشرسة المتتالية ، وألزمت الكثيرين باعتناق المسيحية عن طريق المدارس التى تربى فيها النشء حيث لا يسمعون شيئا إلا عن المسيحية ، وعن طريق المستشفيات التى كان على المريض فيها أن يعتنق المسيحية ويؤدى طقوسها والا حُرِمَ العلاجَ والدواء ، وكذلك عن طريق الوظائف التى لم تكن تقدم الا للمسيحيين . هذا بالإضافة الى طرق الدعوة والإكراه .

وقد بذل شعب الفيلبين أقصى جهده ولكن قوة الحديد والنار كانت

(١) دكتور أحمد الونتو : الاسلام والفيلبين ص ٧٧ .

أقوى منه ، فلم يبق متمسكا بالاسلام الا الجماعات الكبيرة التى دافعت عن نفسها واستعذبت التضحية بكل شىء فى سبيل الاحتفـاظ بالعقيدة ، وهكذا لم يبق فى الفيلبين الا حوالى ستة ملايين من المسلمين هم الذين تجمّع أكثرهم فى الجزر الجنوبية •

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين دافعوا عن أنفسهم وأموالهم بقـوة هائلة وصبر طويل ، ولكن الأسلحة الحديثة كانت أقوى منهم ، وكان هناك كذلك سلاح الخديعة الذى استعمله الاسـبان مـع بعض الطامعين فى السلطان من المسلمين ، وللأسف وقع هؤلاء فى حبائل الخداع وسـاعدوا الأسبان ضد المسلمين على أمل أن يصير لهـؤلاء السلطان على البـلاد بمساعدة أسبانيا ، ولكن الأسـبان لم يوفوا بعهـدهم ولم ينل هـؤلاء المخدعون إلا الخسران وسوء الذكرى •

قبيـل الزحف الأمريكى للفيلبين :

انتقلت السيادة على الفيلبين من أسبانيا للولايات المتحدة فى سنة ١٨٩٨ — ١٨٩٩ ومن الرائع أن نقتبس من المؤلف الفيليبينى جملة مهمـة تؤكد أن الأسبان على الرغم من قسوتهم وطول صراعهم فى الفيلبين لـم يستطيعوا أن يقضوا على الإمارات الاسلامية ، بل ظلت كثير من الامارات يعيش فيها الحكم الاسلامى •

يقـول الدكتور أحمد الونتو :

قبل وصول الحكم الأمريكى إلى الفيلبين فى نهاية القـرن التاسـع عشر كانت هناك عدة سلطنات وإمارات إسلامية فى جنوب الفيلبين ، وظلت هذه الإمـارات مستقلة دون أن تهزمها أسبانيا ، وعلى وجـه التحـديد فى جزيرة ميندناو ، ومجموعة جـزر سولو ، وكانت أكبر سلطنة فى ذلك الوقت هى سلطنة سولو التى جمعت جزيرة باسيلان وجزءا من شبه جزيرة زامبونجا ، وجميع جزر ميندناو ، وسولو ، وجزيرة بالاوان وجـزءا من شمال بورنيو الذى يعرف حاليا باسم ولاية صباح فى الاتحـاد الماليزى

ويلى هذه فى الاهمية سلطنة ماجيندناو التى كانت تحكم الوادى الجنوبى من مقاطعة كوتا باتو والجزء الجنوبى من شبه جزيرة زامبونجا • ويلى هـذه سلطنة بويان التى كانت أراضيها الواسعة تضم معظم الأجـزاء الجنـوبية فى ميندناو ، وسلطنة كابونتا لان التى كانت تحـكم السهول الوسطى فى كوتاباتو (١) •

أمريكا فى الفيلبـــين :

فى القرن التاسع عشر ضعفت الامبراطورية الأسبانية ، وقد أتاح ذلك للمســلمين فى الفيلبين أن يستردوا نفــوذهم فى كثير من المنــاطق كما أشرنا آنفــا ، وانتعشت روح الاستقلال ، وقامت حركات وطنيــة قوية للتخلص من أسبانيا ، وفى نفس الوقت كانت هناك الحرب الامريكية الأسبانية التى أرغمت أسبانيا على التخلى عن الفيلبين فى نهــاية القــرن التاسع عشر وهكذا احتلت الولايات المتحدة جزر الفيلبين سنة ١٨٩٩ م واتخذت الولايات المتحدة أسلوبا جديدا فى معاملة أهل البلاد كان ظاهره مختلفا عن باطنه ، ففى الظاهر أعلنت أنها لم تأت لتستعمر بل لتحرر ، وفى الباطن اتخذت طرقا متعددة لإضعاف شوكة المسلمين ونشر المسيحية بين المسلمين ، وقد تسبب عن هذا أن قام صراع بين الولايات المتحـدة وبين المســلمين فى الفيلبين اســتمر حــوالى ثلاثين عاما ، وقــد أبلى فيه المسلمون فى جزيرة ماندناو وجزيرة سولو أعظم بلاء ، وقد ســاعد المسيحيون الفيليبيون الاستعمار الأمريكى فى مصارعة المسلمين •

وأدركت أمريكا أن الحــرب لن تؤدى الى نتيجة حاســمة فاتجهت للاتصال بالمسلمين ومحاولة عقد معاهدة معهم ، وقد تمت هذه المعــاهدة التى ضمنت بعض الحقوق للمسلمين ، وقد اتجهت أمريكا الى هذا الاتجاه المسالم ، لأن الحرب العالمية الثانية كانت قد بدأت تهدد العالم •

---

(١) الاسلام والفيلبين ص ٨٨ •

اليــابان فى الفيلبــين :

فى سنة ١٩٤٣ زحفت الجيوش اليابانية على جنوب شرقى آســيا وتهاوت أمامها جيوش الحلفــاء فى سرعة هائلة ، واحتلت اليابان جــزر الفيلبين مع ما احتلته من جزر وبقاع فى المنطقة ، وقــد قاومت الفيلبين الزحف اليابانى بشجاعة هائلة ، وكان للمسلمين دور بارز فى هذه المقاومة •

اســتقلال الفيلبــين :

عندما وضعت الحــرب العالمية الثانية أوزارها سنة ١٩٤٥ كانت جزر الفيلبين من أسرع بقــاع العالم التى حصلت على الاستقلال ، فأعلنت الولايات المتحدة استقلال الفيلبين سنة ١٩٤٦ •

مسلمو الفيلبــين بعــد الاستقلال :

لم يَضعْ الاستقلال حدا للصراع الدائر بين المسلمين والمسيحيين فى الفيلبين فمسيحيو الفيلبين ورثــوا الفكر الصليبى عــن الأســبان والامريكان ، ولم يخطر ببالهم الفكر الجديد الذى قدمه الاسلام للعالم عن حرية الأديان ، ولذلك اتجهت قوى المسيحيين للنيــل من المسلمين ، وَحرْق مزارعهم وهدم مساجدهم وتدمير منازلهم ، وانتهــاك أعراضهم ، ووقف المسلمون يدافعون عن أنفسهم فكوّنوا جيشــا كبيرا لردّ هــذا العدوان الغادر ، وأصبحت مقاطعات المسلمين فى جزيرة مانداناو الجنوبية ، ومقاطعاتهم حول بحيرة (لاناو) فى المقاطعة الشمالية الغربية حصونا قوية لرد عــدوان المسيحيين ، وقد اتخذ رئيس الفيلبين (فرديناند ماركوس) جانب قومه المسيحيين ، وشجع جيشه على مهاجمة المسلمين ، وبخاصــة فى المناطق الجنوبية ، ولكن المسلمين ردّوا هذا الكيد بكيد مثله ، وبخاصة أن المسلمين اكتشفوا قيام جمــاعة من المسيحيين الفيلبيين أسمت نفسها جماعة (ايلاجاس) أى الفئران ، وكانت هذه الجماعة تمثل تنظيما سريا يمارس صورا من تعذيب المسلمين ، والقضــاء عليهــم ، والاستيلاء على

أراضـــيهم ، ويؤكد زعمـــاء المســـلمين أن حـــكومة الفيلبين كانت وراء ذلك التنظيم • (١)

مفاوضـــات واتفـــاقات :

وفى وسط هذا البلاء أدرك المسيحيون أن انتصارهم بعيد المنال ، وضجت الصحافة الاسلامية بالشكوى ، وانتفض الاحـــرار فى العـــالم ينشرون مآسى الحكم فى الفيلبين ، ولهذا قامت مفاوضـــات بين حكومة الفيلبين وجبهة المسلمين ، وقد جرت هذه المفاوضات فى ديسمبر ســـنة ١٩٧٦ م ومثّل المسلمين الفيلبيين الزعيم « نور ميسوارى » وتم التوصل إلى اتفاق يقضى بوقف إطلاق النار ، ومنح الولايات الاسلامية الثـــلاث عشرة فى جنوب البلاد حكما ذاتيا ، ويجرى فيها الاقتراع لاستفتاءٍ عام يحدد مصير المنطقة بأكملها ، وتضمن الاتفاق إصدار عفو شـــامل لجميع الثوار المسلمين واطلاق سراح المسجونين السياسيين •

ولم توضع هذه النتائج موضع التنفيذ مما هـــدد باشـــعال النار مرة أخـــرى •

ولكن الرئيس الفيلبينى سرعان ما وعد بوضع نتائج هذه المفاوضات موضع التنفيذ ، ولا يزال العالم يرقب تحقيق هذه الوعود •

هذا وينبغى أن نذكر أن مسلمى الفيلبين يبدون نشـــاطا واسعا فى النواحى الدينية ليواجهوا اهمال الحكومة الفيلبينية لهذه النواحى ، ومن هنا فان المسلمين يقيمون مدارسهم ومستشفياتهم ومؤسساتهم الاجتمـــاعية حتى لا يتخلفوا عن ركب الحياة ، وقد برز منهم قادة وزعماء لهـــم جاه عريض فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولولا أن هنـــاك

(١) دكتور محمد عبد القادر أحمد : المسلمون فى الفيلبين ص ٤٢ — ٤٣

خلافات بين طوائف المسلمين بعضهم والبعض لكان للمسلمين فى الفيلبين شأن أعلى ومجد أعظم ٠

ونطمع أن تتنبه الحكومات الاسـلامية الى الملايين المسلمين الذين يعيشون فى الفيلبين ويلاقون العناء من أجل الاحتفاظ بدينهم ونظمهم ، فان هؤلاء أخوة فى الدين ، ولا يطيب لأخٍ أن ينعم بالحياة ، واخـوه فى أى مكان بالأرض يعانى من عسف التعصب الدينى الذى أعمى أبصـار الكثـيرين ٠

كلمـة ختــام

وفى ختام هـذا المجلد أشكر الله العلى العظيم على عونه الكبير ، وإلهامه ، وحسن توجيهه ، وما كنت بدون ذلك بقادر على تحقيق هـذا العمـل الذى ينـوء به الأشـدّاء ٠

والله أسـأل أن ينفـع بهذا العمل مؤلفـه وقارئه وهو المسـتعان فى البدء والختـام ٠

مراجــع الكتاب

ملاحظات :

١ — شاهدت بنفسى كثيرا من المواقــع والأحداث بالمنطقة ، وتحدثت عنها حديث شاهد عيان لا يحتاج الى مصدر آخر .

٢ — التقيت بكثير من المفكرين والمؤرخين الثقات بالمنطقة ، وسمعت منهم ، ودونت عنهم .

٣ — المصادر المذكورة هنا هى التى اعتمد عليها هذا الكتاب ووردت فى ذيل صفحاته ، أما المراجع الأخرى التى أسهمت بطريق غير مباشر فلم تذكر فى هذه القائمة .

٤ — رتبت هذه المصادر حسب الترتيب الأبجدى لأسماء مؤلفيها ، مع اعتبار الاسم المشهور للمؤلف (فمثلا وضع ابن خلدون فى حرف الخاء وليس فى حرف العين لأن اسمه عبد الرحمن بن محمد) ومع عدم اعتبار الملحقات (ابن — الــ) .

١ — مع القرآن الكريم — موسوعة يصدرها المتاولون العرب ويشــترك فى تحريرها عــدد من المفكرين المسلمين .

٢ — صحف ومجلات ودوريات — (وردت أسماؤها فى الكتاب ومنها مجلة دعوة الحــق ومجلة ملى تركســـتان ومجــلة الشــئون الاندونيسية) .

٣ — Encyclopaedia Britannica

٤ — Encyclopaedia of Islam

٥ — مجموعة بحوث فى كتاب واحد بعنـــوان : Glimpses of Malaysian History

٦ — Chineese Muslims in Progress — من مطبــوعات ادارة الاستعلامات الصينيـــة .

٧ — تاريخ افغانستان — من مطبــوعات وزارة الاعـــلام الأفغانيــة .

٨ — حقائق عن الهند — من مطبوعات مكتب الاســتعلام الهنـــدى .

٩ — الهجرات الآرية — من منشورات وزارة التربية بالهند .

١٠ — باكستان — من مطبوعات سفارة الباكستان بالقــاهرة .

١١ — اندونيسيا الثائرة — من مطبوعات المركز العام لجمعيات استقلال اندونيسيا .

١٢ — Abdul Majid Muh. — Legal Organisation in Malaya

١٣ — دكتور ابراهيم أمين الشواربى — اغانى شــيراز .

١٤ — ابراهيم باستانى باريزى — يعقــوب بن الليث (الترجمــة العربيـــة) .

١٥ — أبو الحسن على الحسنى — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .

١٦ — أبو الحسن على الحسنى — المسلمون فى الهنــد .

١٧ — أبو الريحان البيرونى — الآثار الباقية .

١٨ — أبو عبيد — الأمـــوال .

١٩ — ابن أبى أصيبعة — عيون الأنبـــاء .

٢٠ — ابن الأثير — الكامل فى التاريخ .

٢١ — أحمد الونتو — الاسلام والفيلبين .

٢٢ — أحمد أمين — زعماء الاصلاح فى العصر الحديث .

٢٣ — دكتور أحمد الساداتى — تاريخ المسلمين فى شــبه القـــارة الهنـــدية .

٢٤ — دكتور أحمد السعيد سليمان — تاريخ الدول الاســـلامية والأسر الحاكمة .

٢٥ — أحمد السقاف (السيد) — تاريخ اندونيسيا .

٢٦ — دكتور أحمد شلبى — اليهودية من سلسلة مقارنة الأديان .

٢٧ — دكتور أحمد شلبى — موسوعة التاريخ الاسلامى (الأجزاء الســـابقة) .

٢٨ — دكتور أحمد شلبى — الفكر الاسلامى : منابعه وآثاره (مترجم عن الانجليزية) .

٢٩ — دكتور أحمد شلبى — التربية الاسلامية .

٣٠ — دكتور أحمد شلبى — اديان الهند الكبرى من سلسلة مقارنة الأديان .

٣١ — دكتور أحمد شلبى — المجتمع الاســـلامى من موسوعة الحضارة الاسلامية .

٣٢ — أحمد عطية الله — القاموس الاسلامى .

٣٣ — دكتور أحمد كمال الدين حلمى — السلاجقة فى التاريخ والحضارة .

٣٤ — الادريسى — وصف الهند .

٣٥ — آدم متز — الحضارة الاســـلامية فى القـــرن الرابـــع .

٣٦ — اسماعيل جوهان — نظــــام الأسرة الاندونيسية بين التشريع الاســـلامى والقـــوانين الوضعية .

٣٧ — الاصطخرى — المسالك والممالك .

٣٨ — G. Allen — The Bodha's Philosophy

٣٩ — دكتور انداس وآخرون — تاريخ اندونيسيا .

٤٠ ـ	بابر الامبراطور	مذكرات ظهير الدين بابر .
٤١ ـ	Barthold	Turkstan Down to the Mongol Invision
٤٢ ـ	Basworth Smith	Life of Lord Lowrance
٤٣ ـ	بانيكار	آسيا والسيطرة الغربية (الترجمة العربيـــة) .
٤٤ ـ	Panikkar	A Survey of Indian History
٤٥ ـ	بدر الدين الصينى	العلاقات بين العرب والصين .
٤٦ ـ	بدر الدين الصينى	تاريخ المسلمين فى الصين .
٤٧ ـ	دكتور برنير	رحلة دكتور برنير
٤٨ ـ	بروكلمان	تاريخ الشعوب الاسلامية .
٤٩ ـ	Browne	A Literary History of Persia
٥٠ ـ	ابن بطوطة	تحفة النظار .
٥١ ـ	البلاذرى	فتوح البلدان .
٥٢ ـ	Biegman G.	حكاية نامه انديا (الترجمةالعربية).
٥٣ ـ	البيرونى	تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة .
٥٤ ـ	البيهقى	تاريخ البيهقى ترجمة الدكتو ريحيى الخشـــاب .
٥٥ ـ	Thomas Armold	Preaching of Islam
٥٦ ـ	Tara Chand	Influence of Islam on Indian Culture
٥٧ ـ	ابن تيمية	المنتقى من منهاج الاعتدال .
٥٨ ـ	جاد طه	ايران وحتمية التاريخ .
٥٩ ـ	جمال الدين الأفغانى	فاتحة البيان فى تاريخ أفغانستان .
٦٠ ـ	جو جندار سيغ	تاريخ الملايو .
٦١ ـ	جورج حورانى	العرب والملاحة فى المحيط الهندى (الترجمة العربية) .
٦٢ ـ	ابن الجوزى	المنتظـــم .
٦٣ ـ	جيرار دى فيير	الشاه ما له وما عليه (الترجمة العربية) .
٦٤ ـ	حبيب سعيد	أديان العالم الكبرى .
٦٥ ـ	دكتور حسن ابراهيم حسن	تاريخ الاسلام السياسى .
٦٦ ـ	حســـن محمـــــــد جوهـــر وعبد الحميد بيومى	افغانستان .
٦٧ ـ	حســـن محمـــــــد جوهـــر ومحمد مرسى أبو الليل	باكستان .
٦٨ ـ	دكتور حسن محمود	الاسلام والحضارة العربية فى آسيا الوســـطى .
٦٩ ـ	ابن خرداذبة	المســـالك والممالك .
٧٠ ـ	ابن خلكان	وفيـــات الأعيـــان .

٧١ — Datus Smith — The Land and People of Indonesia

٧٢ — Deland M. — A Hand Book of Muhammadan's Arts

٧٣ — DeMartenne — موجز الجغرافية التاريخية (الترجمة العربية) .

٧٤ — الذهبى — سير أعلام الاسلام .

٧٥ — الراوندى — راحة الصدور .

٧٦ — ابن رسته — الأعلاق النفيسة .

٧٧ — رشيد الدين الهمدانى — جامع التواريخ .

٧٨ — رضا زاده — تاريخ الأدب الفارسى .

٧٩ — بروفسور رومين — آسيا المعاصرة : يقظة العملاق .

٨٠ — ريمون شارل — La Laile Rouge Conlre le Craissant (الترجمة العربية) .

٨١ — Réne Sedillot — History of the World

٨٢ — Zhang Who — Relations between China and Arabs

٨٣ — زامباور — معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى (الترجمة العربية) .

٨٤ — زعبا — اختصار تاريخ الملايو .

٨٥ — السبكى — طبقات الشافعية .

٨٦ — Snouck H. — Agama Islam di Hindu Belanda

٨٧ — Stanly Lane - Poole — Muhammadan Dynasties

٨٨ — سوتان شهبانا — الثورة الاجتماعية والثقافية فى اندونيسيا .

٨٩ — شاهين مكاريوس — تاريخ ايران .

٩٠ — الشهرستانى — الملل والنحل .

٩١ — صادق نشأت ومصطفى حجازى — صفحات عن ايران .

٩٢ — صلاح البكرى — تاريخ حضرموت السياسى .

٩٣ — ضياء الدين برنى — تاريخ فيروز شاه .

٩٤ — ضياء الدين برنى — فرائد الفوائد .

٩٥ — ابن طباطبا — الفخرى فى الآداب السلطانية .

٩٦ — الطبرى — تاريخ الأمم والملوك .

٩٧ — ابن طيفور — كتاب بغداد .

٩٨ — دكتور عادل طه — المسلمون فى العالم .

٩٩ — عباس العقاد — الله .

١٠٠ — دكتور عبد الحميد البطريق — باكستان فى ماضيها وحاضرها .

١٠١ — عبد الرحمن صدقى — الشرق والاسلام .

١٠٢ — دكتور عبد السلام فهمى — اللغات فى الهند .

١٠٣ — دكتور عبدالسلام عبدالعزيز — دراسات ايرانية .

١٠٤ — عبد القادر طليمات — سعد بن ابى وقاص .

١٠٥ — عبد الله عباس ناسوتيوم — تاريخ الملايو العظمى .
١٠٦ — دكتور عبد المنعم النمر — تاريخ الاسلام فى الهند .
١٠٧ — دكتور عبد النعيم حسنين — سلاجقة ايران والعراق .
١٠٨ — دكتور عبد النعيم حسنين — ايران فى ظل الاسلام .
١٠٩ — دكتور عبد الوهاب عزام — محمـد اقبال .
١١٠ — العتبى — تاريخ اليمينى .
١١١ — على الطنطاوى — صورة من الشرق فى اندونيسيا .
١١٢ — عماد الدين الأصفهانى — تاريخ آل سلجوق .
١١٣ — دكتور عمر فروخ — باكستان دولة ستعيش .
١١٤ — غرابية — العرب والأتراك .
١١٥ — غوردون كاتشيلد — ماذا حدث فى التاريخ .
١١٦ — غوستاف لوبون — حضارة الهند (الترجمة العربية) .
١١٧ — فاروق حامد — تاريخ افغانستان .
١١٨ — Philip Hitti — History of the Arabs
١١٩ — القزوينى « زكريا » — آثار البلاد وأخبار العباد .
١٢٠ — دكتور قهر الدين يونس — هذه هي اندونيسيا .
١٢١ — كريستنسن — ايران فى عهد الساسانيين .
١٢٢ — كريستي ويلسـون — تاريخ صنايع ايران .
١٢٣ — Kirk — A Short History of the Middle East
١٢٤ — Lauis Fisher — The Story of Indonesia
١٢٥ — Marco Polo — A Book of Ser Marco Polo
١٢٦ — محمد أسد شهاب — صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصر .
١٢٧ — دكتور محمد اسماعيل الندوى — نظرات جديدة فى شعر اقبال .
١٢٨ — Majurmbar — Advance History of India
١٢٩ — محمد جميل بيهم — عالم حر جديد .
١٣٠ — محمد حبيب احمد — بين الهند وباكستان .
١٣١ — دكتور محمد حتى — حول استقلال اندونيسيا .
١٣٢ — محمد حسن الأعظمى — القائد الأعظم وقصة الباكستان .
١٣٣ — محمد حسنين هيكل — مدافع آية الله .
١٣٤ — محمد زين — تاريخ الملايو .
١٣٥ — دكتور محمد زكى — اسس الحضارة الاسلامية لسكان الملايو .
١٣٦ — Muh. Said — Sejarah Ummat Islam di Indonesia
١٣٧ — محمد ضياء الدين الشهاب وعبد الله بن نوح — الاسلام فى اندونيسيا .
١٣٨ — دكتور محمد عبد الحميد رفاعى — الدولة الخوارزمية .
١٣٩ — دكتور محمد عبد الرءوف — الملايو : وصف وانطباعات .
١٤٠ — دكتور محمد عبد القادر أحمد — المسلمون فى الفيلبين .
١٤١ — الشيخ محمد النواوى — الاسلام فى وجه الزحف الأحمر .

١٤٢ — دكتور محمد فؤاد فخر الدين — تاريخ اندونيسيا الأدبى والتحريرى .
١٤٣ — محمد محمود زيتون — الصين والعرب عبر التاريخ .
١٤٤ — محمد نور سالم — النهضة الفكرية الاسلامية فى اندونيسيا .
١٤٥ — محمد يوسف النجرامى — العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية .
١٤٦ — محمود سامى — صفحات خالدة من تاريخ الباكستان .
١٤٧ — محمود يونس — تاريخ التربية الاسلامية فى اندونيسيا .
١٤٨ — محيى الدين الألوائى — الأدب الهندى المعاصر .
١٤٩ — المسعودى — مروج الذهب .
١٥٠ — ابن مسكويه — تجارب الأمم .
١٥١ — المقدسى — أحسن التقاسيم .
١٥٢ — المولوى — جامع الدول .
١٥٣ — Muir — The Roman Impire and its Fall
١٥٤ — النرشحى — تاريخ بخارى .
١٥٥ — نظام الملك — سياسة نامه .
١٥٦ — Nehro — Discovery of India
١٥٧ — النووى — تهذيب الأسماء .
١٥٨ — Harrison — South Fast Asia
١٥٩ — (Prof) Hamka — Sejarah Ummat Islam di Indonesia
١٦٠ — وان أحمد — الأوضاع السياسية والحضارية للمسلمين فى ماليزيا واندونيسيا فى القرن العشرين (رسالة دكتوراه باشرافى) .
١٦١ — وان حسين — الدعوة الاسلامية فى جنوب شرقى آسيا .
١٦٢ — وان شمس الدين — تاريخ الملايو وما حولها .
١٦٣ — [illegible] and Rylands — Peoples and Religions of India
١٦٤ — ولبر « دونالد » — ايران : ماضيها وحاضرها (الترجمة العربية) .
١٦٥ — William Hunter — Indian Muslimans
١٦٦ — Winsted — A History of Malaya
١٦٧ — يوجى راماشاراكا — فلسفة اليوجا (الترجمة العربية) .

فهرس الأعــلام

١ ـ تحاشيا للاطالة لم اضمن هذه الفهارس أسماء المؤلفين اكتفاء بورودها فى نيل صفحات الكتاب وفى قائمة المراجع .

٢ ـ ولم اضمن هذه الفهارس الأسماء التى وردت فى قوائم خلال العهود المختلفــة .

٣ ـ رتبت هــذه الأســماء ترتيبــا ابجديا مع عــدم اعتبــار الملحقات (ابن ـ ابو ـ الــ) .

حــرف الألف

حـــرف البـــاء

حـــرف التـــاء

حـــرف الثـــاء

حـــرف الجيم

حـــرف الحـــاء

حـــرف الخـــاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حــرف الشين

حــرف الصاد

حــرف الضاد

حــرف الطــاء

حــرف الظــاء

حــرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حـــرف اليـــاء

فهرس الأماكن

ملاحظة : لم نضمن هذه الفهارس أسماء الأقطار التى أوردنا تاريخها فى هذا الجـــزء لورودها فى أكثر الصفحات .

حـــرف الألف

حـــرف البـــاء

حــرف التــاء

حــرف الجيم

حــرف الحــاء

حرف اللام

حرف الميم

حرف اللام

حرف الميم